يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـــــفِ
مَن زارَ قَبرَكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي
زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــــــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَفِ
زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــــي
إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـــاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـــفِ
حَتَّى إذا طِفْـــــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـــلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــــفِ
وقُل سَلامٌ من الله الســـــلامِ على
أَهـــلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـــرَفِ



السنة الثالثة/ العدد السابع ذو القعدة ١٤٤٦هـ - آيار ٢٠٢٥م


فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٧)
السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي

هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وآديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

مجلة القبة البيضاء

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٧)
السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A٤).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكترونيّ: (hus٦٥in@Gmail.com) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (٧) ذو العقدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م المجلد الرابع

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	العنف الأسري ضد الطفل والمرأة والنهي عنه في القرآن الكريم	الدكتور: ضرغام كريم كاظم الدكتور:ضياء عزيز الباحثة: محمد إيمان علي حمد	٨
٢	أثر استراتيجية حلقة الحكيم في التحصيل عند طالبات الصف الاول متوسط في مادة الاجتماعيات	أ.م.د. علاء أبراهيم سرحان أ.م.د. سهاد علي عبد الحسين الباحثة ديان ضياء هاشم	٢٦
٣	أثر استراتيجية الصراع المعرفي في تحصيل طلاب الثاني متوسط في مادة التاريخ وتفكيرهم الايجابي	م.م. سعد عجيل صالح	٤٠
٤	أدلة وجوب الزكاة ومستحقيه في القرآن الكريم	أ.د. حيدر عيسى حيدر الباحثة: ضحى عبد الكريم	٦٢
٥	الابتلاء في القرآن والسنة النبوية	أ.م.د. إبراهيم سلمان قاسم الباحثة: عيدة قدوري جبار	٧٨
٦	مس المصحف في الشريعة الاسلامية	الباحث: م. د. عدنان خابط سرحان	٩٢
٧	الخصائص البصرية والجمالية لعمارة المتحف البغدادي دراسة تحليلية	م. وداد احمد كاظم	١٠٦
٨	اتجاهات النقد التفسيري عند الشريف المرتضى	م.م. بيادر ادور مهدي كاظم	١٣٤
٩	الاوضاع الصحية في كربلاء ١٩٣٩-١٩٥٨	م. م. حسن داخل عطية	١٤٦
١٠	مقاصد الشريعة في ضوء سورة القمر	م.م. عبد القادر ناجي علي	١٥٨
١١	الفلسفة الأولى ونهج البلاغة	م.م. عدنان جحيل شدود الماجدي	١٧٦
١٢	الإدمان على مواقع التواصل الإجتماعي أضراره وعلاجه في الفكر الإسلامي	م.م. فاطمة صدام فنوص حمادي	١٩٢
١٣	المسؤولية الجنائية الناشئة عن المخدرات	م. م. نيران خليل إبراهيم	٢٠٢
١٤	التطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي	م.م. محمد كاظم راضي	٢٢٠
١٥	أهمية تأليف كتاب القوانين لافلاطون دراسة تحليلة	م.م. مصطفى محمد عبد الرزاق	٢٣٨
١٦	السيميائية اللونية للمراثي الحسينية في الاشعار العباسية طلائع بن رزيك انموذجاً	م.م. نبراس كاظم ابراهيم	٢٥٢
١٧	قراءة في منهجية العلّامة البحراني في تفسير القرآن (كتاب البرهان انموذجًا)	م.م. هند فالح هامان علي	٢٦٦
١٨	تأثير المعايير المحاسبية الدولية على تحقيق الشفافية في المشاريع التنموية في العراق: دراسة تطبيقية على القطاعين العام والخاص	د. مازن حمود مطرود مخيلف	٢٧٦
١٩	ضمانات النّزاهة في المؤسسات الإدارية عند الإمام علي	محمد قحطان نعمة أ.د.عمار باسم صالح	٣٠٨
٢٠	Social and verbal tactics of bullying in The Great Gatsby through the lens of Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory	Mohanad Hazim Hakkoosh	٣٢٤
٢١	الصحافة المواطنية إعادة تعريف دور الجمهور في صناعة الأخبار	الباحث: مهند طاهر تسكام الزويد	٣٤٤

العنف الأسري ضد الطفل والمرأة والنهي عنه في القرآن الكريم

الدكتور: ضرغام كريم كاظم
الدكتور : ضياء عزيز محمد
إيمان علي حمد
جامعه كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

المستخلص :
تعد ظاهرة العنف الأسري الموجه ضد الأطفال والمرأة احد الإفرازات السلبية التي تلقي بتبعاتها على الأسرة و المجتمع معا هذه الظاهرة ازدادت معدلات انتشارها نتيجة للسلوكيات الخاطئة التي تعتمد على العنف كحل للمشكلات ففي كل يوم يتعرض أطفالنا ونسائنا للعنف و الذي يتخطى حدود الثقافة و التعليم فلا يقتصر العنف الممارس على الطفل والمرأة على العنف الجسدي بل و يصل إلى الإيذاء المعنوي فتتحول الأسرة من مؤسسة حاضنة حامية للطفل إلى مؤسسة معتدية

كلمات مفتاحية:العنف الأسري، الطفل، المرأة ، النهي، القرآن الكريم.

Abstract :
The phenomenon of domestic violence directed against children and women is one of the negative consequences that impacts both the family and society as a whole. This phenomenon has increased in prevalence due to erroneous behaviors that rely on violence as a solution to problems.
Every day, our children and women are subjected to violence that transcends the boundaries of culture and education.
The violence inflicted on children and women is not limited to physical violence but also extends to psychological harm, transforming the family from a nurturing institution that protects the child into an aggressor institution.

Keywords: domestic violence, child, woman, prohibition, the Holy Quran. .

المقدمة :
تُعدّ الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تعنى برعاية الطفل و تنشئته على وفق ضوابط أسرية و اجتماعية محددة فهي الخلية الأولى في تكوين المجتمع الإنساني و العامل الأساسي في تشكيل السلوك الاجتماعي و النفسي للطفل ، و تنعكس المعاملة السلبية للطفل وتعنيفه على البناء النفسي له و الذي بدوره يؤثر على تكوين الطفل اجتماعيا، ولا يمكن اليوم التقليل من خطورة العنف الأسري الموجه للطفل خصوصا في ظل عدم وجود تقارير إحصائية دقيقة حول حجم الظاهرة ورصدها خصوصا أن التعامل معها كظاهرة يشوبها السرية والكتمان وأيضاً تكون الأسرة بعيده عن الثقافة الدينية وعدم اقتناعها بأن ضرب الطفل والتعامل معه بقسوة حرام، وهذا أيضا يطبق على المرأة تكون معنفه في أغلب الأسر لقلة الوعي الديني.
ويتكون البحث من ثلاث مطالب: المطلب الأول : مفاهيم اساسية ، المطلب الثاني: العنف الاسري ضد الطفل ، المطلب الثالث: العنف الاسري ضد المرأة

المطلب الأول: مفاهيم أساسية :

أولاً: العنف في اللغة والاصطلاح :

١-العنف لغة

العنف، مثلثة العين : ضد الرفق علف، ككرم عليه، وبه، وأعنفه أنا ، وعلقتُه تعنيفًا . والعنيف من لا رفق له بركوب الخيل ، والشديد من القول والسير(١).

٢-العنف اصطلاحاً:

أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة وهي غلظة القلب (٢) . والعنف : هو السلوك الذي يتضمن استخدام القوة في الاعتداء على شخص آخر دون إرادته أو الإتيان أو الامتناع عن فعل أو قول من شأنه أن يسيء إلى ذلك الشخص ويسبب له ضررا جسمانيا أو نفسيا أو اجتماعيا (٣).. وأيضا عرف العنف هو ضد الرفق والرفق هو حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل او هو التوسط والتلطف في الأمر ، والعنف معالجة الأمور بالشدة والغلظة ، فيكون العنف بمعنى الغلو والشدة والغلظة في معاملة الآخرين (٤). ويتضح لنا إن المعنى اللغوي هو نفسه في الاصطلاح كما نرى

ثانياً :الأسرى في اللغة والاصطلاح :

١-الأسرة لغة : والأسر القوة والحبس، ومنه حديث الدعاء فأصبح طليق عقول من إسار غضبك. الإسار، بالكسر مصدر أسرته أسرا وإسارا، وهو أيضا الحبل والقد الذي يشد به الأسير. وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم الأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته ، وأسر بوله أمرا: احتبس والاسم الأسر والأسر ، بالضم، وعود أسر، منه(٥).

٢-الأسرة اصطلاحاً:« هي جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم أو التبني ويعيشون معيشة واحدة ويتفاعلون كل مع الآخر في حدود أدوار الزوج والزوجة، الأم والأب الأخ والأخت، ويشكلون ثقافة مشتركة» (٦) .. تذكر تعريف ثاني للأسرة هي رابطة الزواج التي تصحبها ذرية . وهي رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا في معيشة واحدة (٧).بعد إن عرفنا ماذا تعني الأسرة ، نتعرف في الفقرة القادمة على أهميتها في الإسلام.

ثالثاً: أهمية الأسرة في الإسلام:

نذكر ملخص عن أهمية الأسرة « إن للأسرة أهمية بالغة في الإسلام ومن هنا كانت عناية الإسلام بنشأة الأسرة المسلمة بالغة الأهمية؛ لأن أفرادها هم أفراد المجتمع وحيث كان الزوج والزوجة هما المؤسسان في بناء الأسرة المسلمة، وجه إلى كل واحد منهما خطابه التكليفي بوجوب القيام بما أسدى إليه من أعمال ومهام تتناسب مع إمكانيات وقدرات كل منهما ، فأوجب على الزوج حقوقاً تجاه زوجته، وأوجب على الزوجة حقوقاً تجاه زوجها، وكانت تلك الحقوق الضمان المتين التحقيق التوازن في تحمل المسؤوليات وأداء الواجبات، فإن أخل أحد الزوجين بقيامه فيما أوجب عليه، اختل التوازن في تحمل المسؤوليات، وبدأ التظالم يفشو في جنبات الحياة الزوجية، وإن كان الخلل منهما تفاقم الظلم إلى أن يطول جميع أفراد الأسرة، فتتهدم شيئاً فشيئاً إلى أن تحل الكارثة الرهيبة، المتمثلة بفراق الزوجين بالطلاق وهنا تبدأ المعاناة القاسية في حياة الأطفال والأولاد، في فقد الركن الذي كانوا يركنون إليه، والسند الذي كانوا يأوون إليه الأم العطوفة الرحيمة الحانية ولن تستقيم حياة الأطفال ولا الأولاد بدون هذا الركن العظيم «(٨). يبين القرآن الكريم مكانه الأسرة منذ خلق آدم (عليه السلام) جعل له زوجة وأولاد ومن هناك تم بناء الأسرة قال تعالى { يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خلقكم من نفس واحدة، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (٩).

فسر هذه الآية الفيض الكاشاني المتوفى سنة(١٠٩١ هـ) في تفسره الصافي « أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) وخلق منها زوجها هي حواء براها من أسفل اضلاعه وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بنين وبنات كثيرة ورتب الأمر بالتقوى على ذلك لما فيه من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الظاهرة التي توجب طاعة مولاها العياشي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال خلقت حواء من قصيري جنب آدم والقصير هو الضلع الأصغر فأبدل الله مكانه لحما، وفي رواية خلقت حواء من جنب آدم وهو راقد. وعن الصادق (عليه السلام) أن الله خلق آدم من الماء والطين فهمة ابن آدم في

الماء والطين وان الله خلق حواء من آدم فهمة النساء الرجال فحصنوهن في البيوت»(١٠). كما رأينا في تفسير الآية أعلاه تدل على تكوين الأسرة منذ خلق الله آدم (عليه السلام) لما لها من أهمية في تكاثر البشر وسوف نرى تكمله تفسير الآية من تفسير القمي : (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم (عليه السلام) (وخلق منها زوجها يعني حواء برأها الله من أسفل أضلاعه (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) قال يساءلون يوم القيامة عن التقوى هل اتقيتم، وعن الأرحام هل وصلتموها، وقوله ان الله كان عليكم رقيبا اي كفيلا، وفي رواية أبي الجارود الرقيب الحفيظ (١١).

ونكمل تفسير الآية أعلاه من تفسير الأمثل : (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن أهمية التقوى، ودورها في بناء قاعدة المجتمع الصالح سببت في أن تذكر مجددا في نهاية الآية الحاضرة، وأن يدعو سبحانه الناس إلى التزام التقوى غاية الأمر أنه تعالى أضاف إليها جملة أخرى إذ قال: (اتقوا الله الذي تساءلون به أي اتقوا الله الذي هو عندكم عظيم، وتذكرون اسمه عندما تطلبون حقوقكم و حوائجكم فيما بينكم. ثم أنه يقول: « والأرحام»، وهو عطف على « الله»، ولهذا كانت القراءة المعروفة هي نصب « والأرحام»، فيكون معناها واتقوا الأرحام، ولا تقطعوا صلاتكم بهم. إن ذكر هذا الموضوع هنا يدل أولا على الأهمية الفائقة التي يعطيها القرآن الكريم المسألة الرحم ووشيجة القربي إلى درجة أنه يذكر اسم الأرحام بعد ذكر اسم الله سبحانه، وهو إشارة – ثانيا – إلى الأمر الذي ذكر في مطلع الآية، وهو انكم جميعا من أب واحد وأم واحدة، وهذا يعني – في الحقيقة – أن جميع أبناء آدم أقرباء وأرحام، وهذا الارتباط والترابط يستوجب أن يتجاب الجميع ويتوانوا دون تفريق أو تمييز بين عنصر وآخر، وقبيلة وأخرى، تماما كما يتجاب أفراد القبيلة الواحدة. ثم يختم الآية بقوله: إن الله كان عليكم رقيبا. والرقيب أصله من الترقب وهو الانتظار من مكان مرتفع ثم استعمل بمعنى الحافظ والحارس، لأن الحراسة من لوازم الترقب والنظارة وارتفاع مكان الرقيب قد يكون من الناحية الظاهرية بكون الرقيب يرقب على مكان مرتفع، ويمارس النظارة من ذلك الموقع، وقد يكون من الناحية المعنوية. يقول سبحانه: إن الله كان عليكم رقيبا أي أنه يحصي عليكم نياتكم وأعمالكم ويعلم بها ويراها جميعا(١٢). وكما رأينا إن صلة الرحم جدا مهمه وهنا أوصى الله تعالى بالرحمة والألفة بين أبناء المجتمع من مختلف الطوائف، فما بالك بالعلاقة بين أفراد الأسرة فمن المؤكد إن تكون مترابطة متحابة فيما بينها. وعلى ذألك ذكرت أحاديث كثيرة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) لا يسعنا أن نذكرها جميعاً ، كلها بينت أهمية الأسرة وتحث الرجل أن يهتم بأهل بيته .

وذكر الكليني المتوفي (٣٢٩) (هـ) منها : علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج قال: سالت ابا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله جل ذكره: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) قال: فقال: هي أرحام الناس إن الله عز وجل أمر بصلتها و عظمها، ألا ترى أنه جعلها منه . وأيضا عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن النعمان عن إسحاق بن عمار قال: قال: بلغني عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن رجلا أتي النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أهل بيتي أبوا إلا توليا على وقطيعة لي وشتيمة ، فأرفضهم؟ قال: إذا يرفضكم الله جميعا قال: فكيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك، فإنك اذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير. وعنه، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن عبيد الله قال: قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): (يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقى من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة ويفعل الله ما يشاء). وعنه، عن علي بن الحكم عن خطاب الأمور، عن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): (صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى و تيسر الحساب وتسئ في الأجل(١٣).

وذكر الشيخ الصدوق المتوفي (٣٨١هـ) مجموعة أحاديث منها : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)). وفيه الصادق (عليه السلام) ((عيال الرجل أسراؤه وأحب العباد إلى الله عز

وجل أحسنهم صنعا إلى أسرائه وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام (عيال الرجل اسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على اسرائه، فإن لم يفعل أوشك أن تزول تلك النعمة) (١٤). ومن هنا نعرف كيف اهتم الاسلام في الحفاظ على الأسرة ونهى عن تعنيف أفرادها وأعطى الله تعالى كل فرد حقوقه لتتعرف على العنف الأسري وكيف نهى الله تعالى عنه .

العنف الاسري : هو ومدخلنا العنف الأسري هو تعريفه ، ولقد عرف بتعريفات عديدة منها: العنف الأسري هو :« سلوك يصدره فرد من الأسرة صوب فرد آخر، ينطوي على الاعتداء عليه بدنيا بدرجة بسيطة أو شديدة ، بشكل متعمد ، أملته مواقف الغضب أو الاحباط أو الرغبة في الانتقام أو الدفاع عن الذات أو لإجباره على إتيان أفعال معينة أو منعه من إتيانها ، قد يترتب عليه إلحاق أذى بدني أو نفسي أو كليهما به(١٥) « نذكر أفراد الأسرة الأكثر عرضة للعنف

المطلب الثاني: العنف ضد الطفل :

إن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينمو فيها الطفل، وان للبيئة الأسرية أهمية خاصة في تشكيل سلوكيات الأطفال، وبما إن العنف يمثل السمة البارزة التي تحيط بالطفل فإن هذه الدراسة تهدف إلى إلقاء الضوء على مدى تعرض الأطفال للعنف داخل الأسرة وكيف نهى الله تعالى عن العنف ضد الأطفال، تبدأ بتعريف الطفل عند علماء الاجتماع يعرف في ثلاثة أوجه هي :

١ – هي من مرحلة التكوين ونمو الشخصية وتبدأ من الميلاد حتى طور البلوغ.

٢–إن الطفولة تتحدد حسب السن حيث يسمى طفلاً من لحظة الميلاد حتى من الثانية عشر من عمره

٣–الطفولة هي مدة الحياة من الميلاد إلى الرشد، وتختلف من ثقافة إلى أخرى وقد تنتهي عند البلوغ أو عند الزواج .والطفل عند علماء النفس إذ يعد علماء النفس إن الطفولة تبدأ من لحظة وجود الجنين في بطن أمه وهذه الفترة تعتبر من أهم وأخطر مراحل عمره على الإطلاق، وعلى هذا تطور الطفولة يبدأ بالمرحلة الجينية وينتهي بالبلوغ الجنسي (١٦). وكما رأينا إن للعنف تأثير كبير حتى على الجنين في بطن أمه ،فان حالت الأم النفسية يتأثر بها الطفل وهذا يعني إذا الأم تعرضت للعنف الطفل كذألك.

إن الطفل يحتاج إلى تربيه وعنايه خاصه وبعيده عن العنف ، و» تعد الإساءة لوالدية ظاهرة مرضية منتشرة في كل المجتمعات يتعرض لها الأبناء : من الجنسين، ولا ترتبط بأصل أو سلالة ما، أو دين أو لغة، وفي هذا الانتشار الكبير للإساءة الوالدية والزيادة الواضحة في معدلات الضحايا من الأبناء، وكذلك اختلاف أنماط الإساءة، وتعدد الآثار السلبية الناتجة عنها (١٧)» ومن أهم أنماط الإساءة التي يجب أن لا يسئ الآباء إلى الأبناء بها هي عدم تربيتهم على ما يرضى الله ، الآن الابناء هم مسؤولية الآباء وعليهم أن يربوا ابناءهم تربية سليمة بعيدة عن العنف وفق نهج إسلامي تحفظهم في الدنيا والآخرة كما في الآية التالية نرى أن الله تعالى أمر الناس أن يقوا أنفسهم وأهاليهم ناراً ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (١٨) قال الطباطبائي (ت ١٤١٢ هـ) في تفسير الآية أعلاه «قوا أمر من الوقاية بمعنى حفظ الشي مما يؤذيه ويضره. والوقود يفتح الواو اسم لما تولد به النار من حطب ونحوه، والمراد بالنار نار جهنم وكون الناس المعذبين فيها وقودا لها معناه اشتغال الناس فيها بأنفسهم ، والآية الكريمة عسم الخطاب فخاطب المؤمنين عامة أن يؤدبوا أنفسهم وأهليهم ويقوهم من النار التي وقودها نفس الداخلين فيها أي أن أعمالهم السيئة تلزمهم وتعود تارة تعذبهم ولا مخلص لهم منها ولا مناص عنها(١٩). وأيضاً ذكرت احاديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) في تفسير هذه الآية محمد، عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن عذافر عن إسحاق بن عمار عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا جلس رجل من المسلمين يبكي، وقال: أنا عجزت عن نفسي كلفت أهلي

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنها هم عما تنهى عنه نفسك) ، وعنهم عن أحمد عن عثمان بن عيسى، عن سماعة. عن أبي بصير، في قول الله عز وجل: (قوا أنفسكم وأهليكم نارا قلت: كيف أقيهم ؟ (قال تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عما نهاهم الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك)(٢٠). كما رأينا على الأهل تربيه ابنائهم وحمايتهم من جهنم ، ولكن هناك آباء وأمهات لم يقوموا بتربية ابنائهم تربيه سليمه بل قاموا بتعنيفهم بأشكال مختلفة نتعرف عليها :

أولاً: أشكال العنف ضد الأطفال :

١–أن الاعتداء أو الأذى الجسدي:

هو أي اعتداء يلحق الأذى بجسم الطفل سواء باستخدام اليد أو بأية وسيلة أخرى، ويحدث على أثر ذلك رضوض أو كسور أو خدوش أو حروق أو جروح، وقد يصل الأمر إلى الاعتداء الجسدي إلى الخنق أو القتل(٢١). وقد نهى الله تعالى عن القتل في الآية التالية وهو أشد أنواع العنف الجسدي, قال تعالى: (يا أيها النبي إذا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعنك على أن لا يُشركن باللهُ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بين أيديهن وأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٢٢).

فسرها القمي (ت ٣٢٩هـ) فإنها نزلت يوم فتح مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قعد في المسجد يبايع الرجال إلى صلاة الظهر والعصر ثم قعد لبيعة النساء وأخذ قدحا من ماء فادخل يده فيه ثم قال للنساء من أراد أن يبايع فليدخل يدها في القدح فاني لا أصافح النساء ثم قرأ عليهن ما انزل الله من شروط البيعة عليهن فقال على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن (٢٣) «. كما رأينا في التفسير إن الله سبحانه وتعالى نهى النساء في قتل أولادهن وهذا كان أحد الشروط التي يجب أن يلتزمن هي عند دخولهن إلى الإسلام. وفي آية أخرى أيضا نهى الله تعالى عن قتل الأولاد : قال تعالى :{ ولا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إن قتلهم كان خطئًا كبيرًا } (٢٤) وقال الطبطبائي (ت ١٤١٢ هـ) في تفسيره» وفي الآية نهى شديد عن قتل الأولاد خوفا من الفقر والحاجة وقوله (نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ) تعليل للنهي وتمهيد لقوله بعده أن قتلهم كان خطا كبيرا). والمعنى ولا تقتلوا أولادكم خوفا من أن تبتلوا بالفقر والحاجة فيؤديهم ذلك إلى ذل السؤال أو ازدواج بناتكم من غير الأكفاء أو غير ذلك مما يذهب بكرامتكم فإنكم لستم ترزقونهم حتى تفقدوا الرزق عند فقركم واعسارکم بل نحن نرزقهم وإياكم أن قتلهم كان خطا كبيرا. وقد تكرر في كلامه تعالى النهي عن قتل الأولاد خوفا من الفقر وخشية من الاسلاق، وهو مع كونه من قتل النفس المحترمة التي يبالغ كلامه تعالى في النهى عنه انها أفرد بالذكر واختص بنهي خاص لكونه من أقبح الشقوة واشد القسوة. ولأنهم – كما قيل كانوا يعيشون في أراضي يكثر فيها السنة ويسرع إليها الجدب فكانوا إذا لاحت لوائح الفاقة والاعسار يجدب وغيره بادروا إلى قتل الأولاد خوفا من ذهاب الكرامة والعزة»(٢٥). ولما كان أولادنا أمانة بين أيدينا وعلينا أن نقوم على رعاية أمرهم وتدبير شأنهم فليس من العدل أن تتخلص منهم وأن تجهد عليهم خوفاً من مشاركتهم لنا في الطعام والشراب أو عدم القدرة على الإنفاق. فان صاحب الأمانة قبل أن يودعها لدينا تكفل برزقها «(٢٦) . وكما رأينا في الآية الكريمة لم تنهى عن العنف فقط بل قضت على سبب العنف وهناك اعطت علاج ،وهو عدم الخوف من عدم القدرة على الأنفاق فإن الله تعالى هو الرزاق.

ب – الاعتداء أو الأذى العاطفي

قال تعالى: {فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(البقرة : ٢٢٠).

حدثني أبي عن صفوان عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه لما أنزلت« إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » (النساء : ١٠). أخرج كل من كان عنده يتيم

وسألوا رسول الله صلى الله عليه واله في إخراجهم. فأنزل الله تعالى « ويسألونك عن اليتامى ... الخ « وقال الصادق عليه السلام لا بأس أن تخلط طعامك بطعام اليتيم فان الصغير يوشك أن يأكل الكبير معه واما الكسوة وغيره فيحسب على كل رأس صغير وكبير كما يحتاج إليه(٢٧) . وكما رأينا إن الإمام الصادق (عليه السلام) أوصى بعدم عزل الطفل اليتيم عن أفراد العائلة التي ترعى وقت الطعام ، لأنه العزل يسبب له أذى نفسي ، وأيضا تذكر آيات أخرى توصي بالطفل اليتيم

قال تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فلا تقهر}(٢٨).

وقال الشيخ الطبرسي المتوفي (٥٤٨) هـ) في تفسير الآية أعلاه أي فلا تقهره على ماله، فتذهب بحقه لضعفه، كما كانت تفعل العرب في أمر اليتامي عن القراء والزجاج، وقيل معناه لا تحتقر اليتيم، فقد كنت يتيما، عن مجاهد، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحسن إلى اليتامى ويبرهم ويوصي بهم. وجاء في الحديث عن أبي أوفى قال: كنا جلوسا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأتاه غلام فقال: غلام يتيم وأخت لي يتيمة، وأم لي أرملة، أطعمنا مما أطعمك الله، أعطاك الله مما عنده حتى ترضى قال ما احسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فانتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة وعشرين تمرة فقال: سبع لك، وسبع لأختك وسبع لأمك. فقام إليه معاذ بن جبل، فمسح رأسه وقال: جبر الله يتمك. وجعلك خلفا من أبيك، وكان من ابناء المهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيتك يا معاذ وما صنعت قال رحمته قال: (لا يلى أحد منكم يتيما، فيحسن ولايته، ووضع يده على رأسه، إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة، ورفع له بكل شعرة درجة وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):(من مسح على رأس يتيم كان له لكل شعرة تمر على يده نور يوم القيامة، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عزوجل) – وأشار بالسبابة والوسطى « (٢٩). وكما رأينا أمر القرآن الكريم بعدم قهر اليتيم والحفاظ على ماله وعدم ايذائه ، لان طفل وأيضا فاقد والده وهنا الطفل يشعر بالانكسار و يتأذى عاطفيا وهذه المشاعر تأثير سالبا عليه عندما يكبر ، وربما يصبح شخصا عنيفا عندما يكبر.

الأذى العاطفي: «هو إلحاق الضرر النفسي والاجتماعي بالطفل، وذلك من خلال ممارسة سلوك ضد الطفل يشكل تهديدا لصحته النفسية، بما يؤدي إلى قصور في نمو الشخصية لديه، واضطراب في علاقاته الاجتماعية بالآخرين، مثل الحرمان من الحب والحنان والمعاملة القاسية وحرمانه من التعليم (٣٠)» . بعد أن عرفنا ما هو الأذى العاطفي ، تتعرف على أكثر المسببات له.

إن من أكثر مسببات الأذى العاطفي هو الإهمال « يعرف الإهمال بأنه عدم المبالاة بنظافة الطفل أو إشباع حاجاته الضرورية. وكذلك حاجاته النفسية. فالأهمال شكل من أشكال العنف الأسري الموجه نحو الأبناء ويتم التعرف عليه من خلال معاناة الطفل مع والديه وللإهمال عدة أشكال

١ . الإهمال الجسدي عدم تزويد الطفل بالغذاء المناسب أو اللباس وإهمال الرعاية الطبية للطفل وعزله في البيت أو عدم السماح له بالخروج أو طرده من البيت أو الإشراف والعناية غير المناسبة للطفل.

٢ . التربوي هو حرمان الطفل من التعليم والفشل في توفير مدرسة مناسبة لعمره والسماح له بالتهرب من أداء الواجبات المدرسية. ثم عدم تلبية بعض احتياجاته الدراسية

٣ . الإهمال العاطفي عدم تزويد الطفل بالرعاية النفسية وحرمانه من العطف والحنان الأبوي والسماح للطفل بمشاهدة الخلافات بين الزوجين.

٤ . الإهمال الصحي عدم العناية الطبية والروتينية لفحص الطفل أو إعطاءه المطاعيم أو عدم العناية بأسنانه. وتدل الدراسات على أن إهمال الأطفال صحيا هو الشكل الأكثر شيوعا من أشكال إساءة معاملة الطفل (٣١). كما رأينا أن العنف حتى لو لم يكن جسديا فهو مضر بالصحة النفسية فلذلك نهانا الله تعالى عن العنف وذكر ذلك

أهل البيت (عليهم السلام) منذ آلاف السنين وامرونا بالتعامل برفق
وجاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: ما قبلت ولدا قط، فلما ولى قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). هذا رجل عندنا من أهل النار. وراى صلى الله عليه وآله) (رجلا من الأنصار وولد ولدان قبل أحدهما وترك الآخر فقال(صلى الله عليه وآله): هلا واسيت بينهما . وقال الإمام على (عليه السلام) من قبل ولده كان له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة ومن علمه القرآن دعى الأبوان فكسيا حلتين يضئ من نورهما وجوه أهل الجنة(٣٢) . يجب أن تتعامل مع الطفل كما يتعامل أهل البيت (عليهم السلام) مع الطفل .وكما رأينا في الحديث أن الرجل لم يقبل طفل يذهب الى النار ، اما الذي يعنف الطفل ويهمله فمن المؤكد أن الله تعالى سوف يحاسبه.

ثانياً:التنشئة الاجتماعية ودورها في سلوك السليم لطفل وفق الشريعة الإسلامية :

إن تربية الطفل تنعكس مباشرة على سلوكه فالطفل الذي يتكيف تكيفاً صحيحاً مع بيئة الأسرة طفل مطمئن إلى حياته متزن في انفعالاته، وعواطفه يقل سلوكه العدواني ويتسم سلوكه بالاتزان ويخلو من العنف والطفل الذي يفشل في اقامة التكيف الصحيح مع البيئة الأسرية لا يقوى على مواجهة مشكلاته اليومية، وهو إما أن ينطوي على نفسه ويكبت دوافعه حتى لا يصطدم مع الكبار ويصبح مثال النقد والايذاء المستمر من الآخرين. وإما أن يلجأ إلى وسائل غير سليمة في محاولاته لتحقيق التوافق فيبرر سلوكه الخاطئ ويتهم الناس بذنوبه وأخطائه، ويتسم سلوكه بالعنف واللاسوية، فيكذب ويسرق ويغش وينحرف بسلوكه عن جادة الصواب. وهكذا تنشأ العدوانية ومشكلات الطفل السلوكية من فشله في التوافق مع البيئة، ومع أحداث حياته وتسمى مرحلة الطفولة مرحلة النظام وكل طفل في حاجة إلى النظام، لأن النظام يحقق للطفل الشعور بالطمأنينة، ويوضح له حدود الخير والشر، وحدود الحرية والفوضى، ويجب عدم المغالاة في النظام حتى يصبح صارما، كما يجب الا نتهاون فيه حتى لا يعيش الطفل في فوضى لا يدري معناها(٣٣)». إذا الأسرة هيه الأساس في التنشئة وزرع القيم في داخله.

إن للأسرة أثرا كبيرا في زرع القيم والأخلاق في داخله من خلال التربية السليمة البعيدة عن العنف» ان الطفل قد ينشأ في بيت له عادات وتقاليد تتأصل في نفسه وتصير طبعاً فيه .. لكن التعليم يهذبه فيما بعد ويغير من عاداته التي نشأ عليها إن كانت غير طبيعية. واذا كان الطبع يغلب التطبع فإن الأسرة هي التي تطبع في ذهن الطفل كل القيم الأخلاقية والآداب السلوكية، فعلى المربين أن يكونوا نماذج حسنة أمام الأطفال، وعلى الواحد منهم أن يلاحظ الصبي فإذا ظهر منه خلق جميل وفعل محمود فيكرم ويجازي بما يفرحه ويمدحه بين أظهر قرنائه وإن ظهر منه في بعض الأحوال شيء يخالف السلوك الحسن فيوجه برفق ولا يعنف ولا يوبخ. وعلى الأم ألا تخوف الولد من الأب عند خطئه، بل عليها أن توجهه الى الفعل الحسن والسلوك الطيب (٣٤). إذا على الآباء تعليم السلوك الجيد إلى الأبناء ونصحهم بالابتعاد عن الشده والعنف والتعامل بالرفق ، وخير من يقتدي بهم الآباء هم أهل البيت (عليهم السلام) وأخذ بوصاياهم ، كما سنرى كيف قال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) : « القطب الراوندي باسناده إلى سليمان بن داود المنقري، عن ابن عيينة، عن الزهري عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما (قال لقمان يا بني إن أحد القدم عدم القلب وأن أعظم المصائب مصيبة الدين وأسنى المرزنة مرزنته وأنفع الغنى غنى القلب فتلبث في كل ذلك، والزم القناعة والرضى بما قسم الله وأن السارق إذا سرق حبسه الله من رزقه وكان عليه ائمه ولو صبر لنال ذلك وجاءه من وجهه، يا بني أخلص طاعة الله حتى لا تخالطها بشئ من المعاصي ثم زين الطاعة باتباع أهل الحق فإن طاعتهم متصلة بطاعة الله تعالى وزين ذلك بالعلم وحصن علمك بحلم لا يخالصه حمق واخزنه يلين لا يخالطه جهل وشدده بحزم لا يخالطه الضياء وامزج حزمك برفق لا يخالطه العنف)(٣٥).ما أجمل هذه الوصية ، كم هو جميل لو كان جميع الآباء بهذه الحكمة والعقل ، وتكون طريقة تعاملهم مع أبنائهم بهدوء ومن غير عنف ، لما وجدنا أبناء معنفين من قبل الآباء ، وأيضاً لم يكن في المستقبل الطفل عنيف ، لأنه نشأ في أسرة متزنة. ومن وصايا الإمام على بن الحسين (عليه السلام) بالطفل ((وأما حق ولدك فان تعلم أنه منك ومضاف إليك في

عاجل الدنيا بخيره وشره وأنك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الاحسان إليه معاقب على الإساءة إليه)) (٣٦). لو تعامل الآباء مع الأبناء برفق وعلموهم الرفق والأخلاق وطاعة الله تعالى ، وابتعدوا عن العنف لما كان هناك عنف اصلا، ولكن لم يبقى إلا القليل من يتحلى بأخلاق القرآن وآل البيت (عليهم السلام) .

المطلب الثالث:العنف ضد المرأة :

هو كل سلوك يصدر في إطار العلاقة الأسرية بين الرجل والمرأة ، يسبب ضررا أو الآما جسمية أو نفسية أو جنسية أو اقتصادية الأطراف تلك العلاقة (٣٧).

وايضا عرف العنف ضد المرأة هو: «أي عمل أو تصرف عدائي مؤذ أو مهين يرتكب بأية وسيلة. وبحق أي امرأة من خلال التهديد أو التحرش أو الإكراه أو العقاب أو إهانة كرامتها الإنسانية أو التقليل من شأنها أو احترامها لذاتها أو الإنتقاص من إمكانياتها الذهنية والجسدية، ويتراوح ما بين الإهانة بالكلام وحتى القتل «(٣٨) . بعد أن عرفنا ما هو العنف ضد المرأة ، لنتعرف كيف كانوا في الأمم السابقة يتعاملون معها

١- حياة المرأة قبل الإسلام وفي الأمم السابقة:

عكس وضع المرأة قبل الإسلام الانحطاط الحضاري السائد أنذاك. يتضمن هذا الموضوع التخبط في الزواج بمن يحل ومن يحرم من النساء، وحرمان المرأة من الميراث، والتعيير بالبنات ووأدهن ، ولم يكن هذا فقط في عصر الجاهلية في مكة بل في مختلف البلدان والعصور كانت المرأة مهانه « ولقد عانت المرأة الكثير من الافتئات على حقها الإنساني في الحياة ومدى مساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات مما يشهد به التاريخ الإنساني عبر العصور، حيث كانت صلة الرجل بالمرأة ومدى الحقوق والواجبات التي ينالها كل من الآخر وقسمة الأعباء والمسؤوليات حسب القدرة والاستعداد .... كانت قضية لا تسودها العدالة في كثير من الأجيال فطالما أمتهنت المرأة وأستبد بها ، ولطالما فقدت القدرة على الاختيار والاتجاة في الحياة مما يطول استقصاؤة في العصور وإن كان منشوراً على صفحات التاريخ التي تشهد بما كانت تعانية من ذل العبودية في مجتمعات كانت تعد في وقتها من أرقى المجتمعات فكراً وتحضراً كالمجتمع اليوناني والروماني. وكذلك كانت المرأة العربية قبل الإسلام تابعة للرجل ومنسوبة إليه ومسيرة بأمرة وكان هو الذي يمثلها في مصالحها الخاصة ولقد رسمت العصور البدائية صور كئيبة للمرأة، وأساءت إليها إساءات متعددة، فالفتاة في بعض الشعوب البدائية كانت إذا بلغت طور المراهقة تعزل فلا تكلم أحداً غير أمها، ولا تكلمها إلا بصوت منخفض، وكانت الأنثى – في نظرهم – تحمل من الأوساخ والعلائق التي تستحق أن يتطهر منها حتى ابنها فكان الولد إذا بلغ يغسلونه في عيون مقدسة –عندهم – لكي يتخلص من روائح الأنوثة التي علقت به من مصاحبته لأمة، كما كانت بعض قبائل الهنود الحمر يعزلون الفتى عن أمة زمنا، أو يدخلونه عليها في كوخها وهي مستلقية على ظهرها فيطأ في الموضع الذي حملته فيه حين كان جنيناً كدليل على انفصاله عنها «(٣٩) . إن المرأة في السابق وحتى في عصرنا الحاضر ما زالت في الكثير من البلدان تتعرض إلى شتى أنواع العنف

٢- وللعنف الأسري الموجه ضد المرأة عدة أنواع ومستويات أهمها:

أ-العنف الجسدي: «هو من أكثر أشكال العنف وضوحا بين النساء على مستوى العالم، ويتم باستخدام الأيدي أو الارجل أو أية أداة تترك آثارا واضحة على جسد المعتدي عليها، ويتمثل بالصفع أو الركل أو اللكم أو الدفع أو الرمي أرضا أو شد الشعر أو الحرق أو الخنق أو الضرب بأداة حادة أو إشهار السلاح في وجهها وصولاً للقتل»(٤٠).

إن العنف الجسدي من أبشع أنواع العنف الذي يقع في حق المرأة وغالباً ما تكون المرأة مستضعفه على مدى العصور وتبقى هي الحلقة الأضعف بالنسبة إلى الرجل.

وجاء الاسلام وانقذ المرأة من سلطه الرجل وتغطرسه عليها ونهى عن قتل البنت قال تعالى :{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} (٤١). ومن قرأ وإذا الموءودة سألت يفتح السين جعل الموجودة موصوفة بالسؤال وبالقول

بأي ذنب قتلت). ويمكن أن يكون الله سبحانه أكملها في تلك الحال وأقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول، ويعضده ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). أنه قال: (يجئ المقتول ظلما يوم القيامة، وأوداجه تشخب دماء اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني. ومن قرأ (قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل، لأن المراد بالموؤودة هنا الجنس ، والموعودة من واد بند وادا. وكانت العرب تند البنات خوف الإملاق، قال قتادة جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إني وادت ثماني بنات في الجاهلية فقال: فأعتق عن كل واحدة رقبة. قال: إني صاحب إبل. قال فاهد إلى من شئت عن كل واحدة بدنة قال الجبالي: إنما سميت موءودة لأنها تقلت في التراب الذي طرح عليها، حتى ماتت(٤٢) . وكما نعلم أن القتل هو أعلى درجات العنف الجسدي ، هكذا كانت تعذب البنت في زمن الجاهلية ، وجاء الإسلام وكرم المرأة ونهى عن تعنيفها وقتلها ، لكن مع الاسف ما زال هناك من يقتل ويعنف المرأة بعد كل هذا النهي ، لأنه بعيد عن تطبيق التعاليم الإسلامية.

ب– العنف النفسي: يعرف العنف النفسي على أنه أي عنف أو سلوك يقوم على الاساءة من أجل تقويض كرامة المرأة واضعاف ثقتها بذاتها والاقلال من احساسها بقدرها يبدأ من النقد غير المبرر والتهكم والسخرية والاهانة والبذاءة واللغة المهينة والاستخدام الدائم للتهديد بناء على علاقات القوة غير المتكافئة. كما يتضمن إخافة الزوجة من خلال الإيماءات والنظرات الحادة والمقصودة والمتعمدة والأفعال التي تذكر بقوة الرجل وقدرته على إيقاع الأذى بها وتخريب الممتلكات الخاصة بالزوجة واستعراض الأسلحة أمامها والتلويح بإيذاءها أو إيذاء أهلها وحرمانها من ممارسة حقوقها الاجتماعية والشخصية ومنعها من الانخراط في المجتمع وممارسة أدوارها الاجتماعية خارج نطاق الأسرة مما يؤثر سلبا على نموها العاطفي ومكانتها الاجتماعية . ويتضمن أيضا تعنيف الزوجة من خلال الأطفال وذلك خلال تهديدها بإيذاء الأبناء ومنعها من حضانتهم أو رؤيتهم في حال الأنفصال وكذلك توجيه الانتقادات لها في ممارستها الوالدية وضرب الأطفال بشكل مبرح أمامها من أجل إثارتها وجعلها تتألم ، ويعد العنف النفسي من أخطر أنواع العنف غير المحسوس أو غير الملموس وليس له ذلك الأثر الواضح للعيان وهو شائع في جميع المجتمعات غنية أو فقيرة متقدمة أو نامية، وله آثار مدمرة على الصحة النفسية للمرأة. وتكمن خطورته في أن القانون قد لا يعترف أو يعاقب عليه نظرا لصعوبة اثباته وقياسه (٤٣). وكما نرى إلى يومنا هذا إن المرأة كثيرا ما تتعرض إلى العنف النفسي ولا يمكنها حتى أن تشكي لأن لا يوجد من يسمعها لأنهم لا يعترفون بأنه عنف أصلا ويرى بعض الأهالي أن هذه الطريقة السليمة في التعامل مع المرأة سواء كانت بنت او ام أو زوجه او اخت ، وهذا كله لأنهم بعيدين عن التربية الإسلامية ومتبعين نهج الجاهلية في التعامل مع المرأة.

ج العنف الصحي : يقصد بالعنف الصحي حرمان المرأة من الظروف الصحية المناسبة لها وعدم مراعاة الصحة الانجابية لها التي تعنى قدرة الزوجة على الحمل والانجاب من غير التعرض للأمراض النسائية عن طريق المراجعات الطبية وأخذ التطعيمات الضرورية والتغذية الجيدة للزوجة الحامل والمباعدة بين الأحمال ولا يتم ذلك الا بتحقيق الرفاهية الاجتماعية للزوجة ويتيحلها حرية الاختيار في مسألة الانجاب ، كما ويظهر العنف الصحي على شكل عدم سماح الزوج لزوجته بزيارة الطبيب أثناء الحمل وبعده ومنعها من تحديد عدد مرات الحمل بناء على وضعها الصحي(٤٤) . مع الأسف هناك رجال يتعاملون مع المرأة وكأنها اله صناعية فقط يفكر في إنجاب الأطفال وخاصة إذا كان يريد الذكور تبقى المرأة تنجب حتى يأتي الذكر ، من غير رأفة ورحمه بزوجته وعدم مراعاة لصحتها وهذا خلاف ما أوصى به الإسلام كما سنرى

٣– المرأة في ظل الإسلام :

إن الإسلام كرم المرأة واعطاها حقوقها كاملة وحماها من العنف والى يومنا هذا لم نجد دين آخر أو قانون أعطى حقوق أو حما المرأة أكثر من الإسلام ، ولكن قل من يتبع تعاليم الإسلام ، لهذا نتحدث عن العنف إلى يومنا هذا

ونحاول أن نقوضه من خلال القرآن الكريم والسنه أهل البيت(عليهم السلام) أول ما نبدأ به هو وصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المرأة بالقارورة القوارير هي جمع قارورة وهي ما قر فيه الشراب ونحوه سواء كان من الزجاج أو من غيره، وقيل مخصوص بالزجاج ويجب حمله هنا على ما كان من الزجاج لأنه الذي يشينه أدنى خدش، ويغشيه ارق مس. وقال بعض المفسرين أنها من زجاج في بياض الفضة وصفاء الزجاج . ومن ذلك قول الرسول) (صلى الله عليه وسلم). الحادي مطيه : يا أنجشة ؟؟ رفقا بالقوارير « وهذه استعارة عجيبة، لأنه عليه الصلاة والسلام شبه النساء في ضعف النحائز ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف ويصدعها اللطيف، فنهى عن أن يسمعهن ذلك الحادي ما يحرك مواضع الصبوة، وينقض معاقد العفة. وقد حمل بعض العلماء قوله تعالى:

((قوارير من فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا))(٤٥).على أن المراد به غير الزجاج ها هنا والقارور : فاعول من استقرار الشيء فيه فكأنه قرار للشراب وغيره من المائعات فيصلح أن يكون للزجاج ويكون لغير الزجاج. وأما عامة المفسرين فيذهبون إلى أن تلك الآنية الموصوفة من فضة ولكنها تشف شفيف القوارير من الزجاج ، فهو أعجز لتصويرها وأعجب لتقديرها، إذ كانت جامعة للرقة اللطيفة، والقوة الحصيفة(٤٦). وأيضا الإمام علي (عليه السلام) أوصى بالمرأة.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية : (يا بني إذا قويت فاقو على طاعة الله، وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله على وجل، وإن استطعت أن لا تملك من أمرها ما جاوز نفسها فافعل فإنه أدوم لجمالها و ارخي لبالها وأحسن لحالها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة قدارها على كل حال، وأحسن الصحبة لها ليصفو عيشك) (٤٧). ومن خلال وصايا الرسول صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام نعلم إن الله تعالى خلق المرأة رقيقة ويجب التعامل معها باللطف ، ولها مكانة كبيرة وحقوق ومنها حق الأم التي تحدث عنها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام).

يتحدث الإمام زين العابدين (عليه السلام) عن الأسرة ويذكر حقوق الأم «وأما حق أمك فان تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحدا، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطى أحد أحدا، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك. وتعطش؟ وتسقيك وتعرى وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم لأجلك ووقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنك لا تطبق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه « (٤٨) . كما رأينا أن للأم مكانه عظيمه في الاسلام وسوف ترى مكانه الزوجة

يتحدث الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن الأسرة وحقوق الزوجين تجاه بعضهما البعض، فيقول: « ((وحق الزوجة أن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكنا وأنساء وتعلم أن ذلك نعمة من الله تعالى عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك، وتطعمها وتكسوها فإذا جهلت عفوت عنها ((يتداول هذا الدرس جانبا جديدا في ميدان التكافل الاجتماعي في حياة الزوج والزوجة يتناول جانب الحقوق الشرعية والأدبية والمادية للزوجة مرة بالتشريع ومرة بالتوجيه الوجداني المؤثر. والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الزوجة وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة. بين الجنسين وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الزوج والزوجة، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر وجعلت في تلك الصلة سكنا للنفس والعصب وراحة للجسم والقلب واستقرارا للحياة والمعاش، وأنسا للأرواح والضمائر واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء، وحرزا لنصف الدين وتنفيسا شرعيا اجتماعيا للغريزة الجنسية. وهذا التعبير اللطيف الرفيق من الإمام (عليه السلام) يصور هذه العلاقات تصويرا موحيا، كأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس كأنما يلتقطها من قوله تعالى: (لتسكنوا إليها ... وجعل بينكم مودة ورحمة .... ((هُنَّ لِبَاسٌ لَكم وأنتم لباس لهن)(٤٩). فتدرك حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر ملبيا لحاجته الفطرية نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجد أن في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية

رغائب كل منهما في الآخر، واختلافهما وامتزاجهما في النهاية لانتشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد يصور (سلام الله عليه) صلة النفس بالنفس صلة السكن والقرار، صلة المودة والرحمة صلة الستر والتجمل (٥٠) .

وقال الطباطبائي المتوفي (١٤١٢ هـ) في تفسير الآية قال تعالى:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَل . بَيْنَكُم مودة ورحمة إن في ذلك لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }(٥١)

وقال في تفسيرها «النساء أيضا مجهزات بما يقابلها من الإحساسات اللطيفة والعواطف الرقيقة التي لا غنى للمجتمع عنها في حياته ولها آثار هامة في أبواب الأنس والمحبة والسكن والرحمة والرأفة وتحمل أثقال التناسل والحمل والوضع والحضانة والتربية والتمريض وخدمة البيوت ولا يصلح شأن الإنسان بالخشونة والغلظة لولا اللينة والرقة ولا بالغضب لولا الشهوة ولا أمر الدنيا بالدفع لولا الجذب وبالجملة هذان تجهيزان متعادلان في الرجل والمرأة يتعادل بهما كفتا الحياة في المجتمع المختلط المركب من القبيلين وحاشاه سبحانه أن يحيف في كلامه ((أفي قلوبهم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيف اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ((وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحدًا)) (٥٢) وهو القائل ((بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)) (٥٣) وقد أشار إلى هذا الالتيام والبعضية بقوله في الآية بما فضل الله بعضهم على بعض.

وقال أيضا ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ؟؟ ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إن في ذلك لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (٥٤) فانظر إلى عجيب بيان الآيتين حيث وصف الإنسان وهو الرجل بقرينة المقابلة بالانتشار وهو السعي في طلب المعاش وإليه يعود جميع أعمال اقتناء لوازم الحياة بالتوسل إلى القوة والشدة حتى ما في المغاليات والغزوات والغارات ولو كان للإنسان هذا الانتشار فحسب لانقسم أفراد إلى واحد يكر وآخر يفر. لكن الله سبحانه خلق النساء وجهز هن بما يوجب أن يسكن اليهن الرجال وجعل بينهم مودة ورحمة فاجتذبن الرجال بالجمال والدلال والمودة والرحمة فالنساء من الركن الأول والعامل الجوهري للاجتماع الانساني. ومن هذا ما جعل الاسلام الاجتماع المنزلي وهو الازدواج هو الأصل في هذا الباب قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ج إِنَّا خَلَقْنَاكُم من ذكر وأنثى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))(٥٥) فبدأ بأمر ازدواج الذكر والأنثى وظهور التناسل بذلك تم بنى عليه الاجتماع الكبير المتكون من الشعوب والقبائل ومن ذيل الآية يظهر أن التفضيل المذكور في قوله الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض الآية إنما هو تفضيل في التجهيز بما ينتظم به أمر الحياة الدنيوية أعني المعاش أحسن تنظيم ويصلح به حال المجتمع إصلاحا جيدا وليس المراد به الكرامة التي هي الفضيلة الحقيقية في الاسلام وهي القربي والزلفى من الله سبحانه فإن الاسلام لا يعبأ بشئ من الزيادات الجسمانية التي لا يستفاد منها إلا للحياة المادية وإنما هي وسائل يتوصل بها لما عند الله(٥٦). كما رأينا أن الله سبحانه وتعالى بين مكانه الزوجة وأمر التعامل معها برأفه ورحمة ولا فرق بين الرجل والمرأة إلى في التقوى عند الله تعالى.

وأيضاً ذكر السيد القبانجي مكانة المرأة في الآية أعلاه رفع الإسلام من شان الزوجية، فجعلها صلة أبدية قوامها المحبة وأساسها المودة والرحمة، يقول الله تعالى: ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) . (كما ذكرنا تفسيرها أعلاه) هذا الحب الذي من وده ينشأ الود كله في كل الصدور، ومن سكنه تخيم السكينة كلها على كل النفوس، ومن رحمته تفيض الرحمة كلها على كل القلوب هذا الحب الذي من خيوطه ينسج الزوجان أوكار الصغار، وهي أجمل وأحلى وأقدس صورة خلقها الله في ملكوته من السماوات والأرض، يدخل اليها الرجل وحشا فيصبح إنسانا، وتدخل إليها المرأة لعبة فتصبح الجنة تحت أقدامها تلك الأوكار التي تخيم عليها السكينة، وتورق فيها الرحمة، ويزهر بها الحنان وتنمر منها عبادة الله فيبدأ أول دعاء صادق تستمطر به رحمة الله على أفلاد أكبادنا الذين جعلهم الخلاق الحكيم بسر الحب أعز علينا من أكبادنا (٥٧). كما رأينا إذا كانت الأسرة مبنية على المودة والرحمة تزهر الأسرة بالحنان وان المرأة هي منبع الحنان . إن المرأة هي الأساس في الأسرة ومنبع الحنان لذا « شرعت الزوجية فكانت أوثق الروابط وأمتن الصلات منها

انحدرت البنوة. ووجدت الأبوة، وتولدت الأخوة وتفرعت القرابة، وبها نشأت المصاهرة وتكونت الأسرة، فكانت لذلك روح الاجتماع في صلاحها صلاح الأمة وفي قوتها قوة الدولة، فهي مبدأ الإصلاح ومبعث النمو، ومنشأ القوة شرع لها الإسلام من الحقوق والواجبات ما يكفل بقاءها وصلاحها وتبلغ به غايتها على ضوء الأخلاق العالية والعواطف النزيهة حيث يكون الولد البر والأب الرحيم، والأم الحنون، حيث ينشأ الطفل على الدين، ويشب على الفضيلة ويهيا التحمل متاعب الحياة وتكاليفها، ويوجه إلى مثلها العليا، وغايتها المرجوة حتى يتم للعالم عمراته وللإنسان سعادته. ومن هذه النواحي نظر إليها الإسلام واهتم بأمرها، فأوجب في بداية الأمر إشهارها وإعلانها، وندب إلى الاحتفال بها تعظيما لشأنها، وأوجب على الزوج المهر، وجعله حقا خالصا للزوجة جزاء ما رضيت به من شركة، وما فرضته على نفسها من تبعية، وما ستقدمه من معونة إعزاز لجانبها وتكريما لالتزامها، لا يجب فيه جهاز ولا مطمع فيه لأحد من زوج أو قريب ولا رغبة فيه لأحد إلا رغبتها خالصة « (٥٨) . وقد نسب الله تعالى صفة الكرم للزوج من أجل إكرام الزوجة كما سنرى.

وايضا من الحقوق التي ذكرها الإسلام للمرأة هو أكرامها ، لقد وصف الله سبحانه في كتابه مصطلح (الزوج) بصفة (الكريم) فقال تعالى: (أولم يروا إلى الأرْض كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كريم)(٥٩)

قوله تعالى: « أو لم يروا إلى الأرض كم أثبتنا فيها من كل زوج كريم « الاستفهام للإنكار التوبيخي والجملة معطوف على مقدار يدل عليه المقام والتقدير أصروا واستمروا على الاعراض وكذبوا بالآيات ولم ينظروا إلى هذه الأزواج الكريمة من النباتات التي انبتناها في الأرض. فالرؤية في قوله: « أو لم يروا»مضمنة معنى النظر ولذا عديت بالي، والظاهر أن المراد بالزوج الكريم. وهو الحسن على ما قبل النوع من النبات وقد خلق الله سبحانه انواعه أزواجا وقيل: المراد بالزوج الكريم الذي أنبته الله يعم الحيوان وخاصة الانسان بدليل قوله (٦٠) ((وَاللهُ أنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتا)) (٦١) .

وبين السيد محمد تقي المدرسي كرامته المرأة في شرح الآية أعلاه « إن احترام الزوج لزوجته لا يتحقق فقط من خلال إنفاق الزوج عليها من ماله بل إن تكريم المرأة له أساليبه وطرقه الخاصة به، وهو بطبيعة الحال بحاجة إلى مزيد من إمعان النظر والدقة، تبعاً إلى أن بعض متطلبات الحياة بحاجة إلى الدقة والتركيز في العمل والإنجاز، ومن دون هذه الدقة سيعود العمل بالضرر حتما. فمثلاً؛ حينما يريد شخص ما فتح باب الدار بواسطة المفتاح، فإنه لا يلزمه استخدام القوة، لأن ذلك من شأنه أن يكسر المفتاح والقفل معا، ولكي يتم فتح الباب لابد من التحلي بالصبر والآناة. وكذلك الأمر بالنسبة للقضايا العائلية والعاطفية، إذ هو بحاجة إلى سلوك لائق ومناسب. وللأسف فإن المتعارف في بعض البلاد أن الرجل حينما يأتي بسيرة امرأته أو قضية تخصها أمام بعض رفاقه فإنه يقدم لذلك عبارات الاعتذار أولاً ثم يشرع في التحدث وكأنه يتحدث عن شيء مخجل أو يصف أمراً معيباً بالأصل. وهذا مالا ينبغي أن يكون، بينما في مقابل ذلك؛ هناك من الأشخاص من يخاطب زوجته بعبارات التعظيم والتمجيد(أَولَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَم أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ). يد والاحترام، وهو المطلوب. ثم يضيف الإمام في حديثه أن المرأة قد جعلت نفسها في البيت كالأسيرة من أجل الرجل، ولهذا وجب على الرجل إكرامها ما استطاع، فلا يجوز مواجهتها بالتوبيخ والتفريع بسبب ارتكابها خطأ ما في عملية الطبخ مثلا فإذا قام صرح الأسرة على أساس الانتقاد لصغائر الأمور والبحث عن الأخطاء، فإن هذا الصرح سيتحول إلى كتلة من الحقد والضغينة والنفور، ولكنه إذا حل الصبر والتفهم والمداراة مكان تتبع الأخطاء، كان بالإمكان صناعة جنة من الحب والرحمة والألفة.. وبأقل الإمكانات. إن التخلف الأخلاقي هو الذي يدفع مجتمعنا باتجاه السلوك السيئ والرذيل. فالفطرة الإلهية لا تتفق أبدأ وهذا النوع من سلوكيات الصراع، والاتهام والشجار والتعامل اللا أخلاقي.(٦٢). واذا قام الرجل في بالتوبيخ والانتقاد سوف تكون أسره فاشله وأفرادها فاشلين ومشتتين وهذا ما لا يريده الله تعالى.

الهوامش:

(١) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٥٨١٧، ص١١٥١

(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين مرتضى الزبيدي المتوفي ١٢٠٥، ص ٤٦٩/٩ ، سنه الطبع ١٤٢٦ هـ ق ط٣، الناشر دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون – بيروت (لبنان)

(٣) العنف الأسري في ظل العولمة : الفريق د. عباس أبو شامة عبد المحمود اللواء د. محمد الأمين البشري ، ص ١٣ الطبعة الأولى الرياض ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

(٤) العنف الأسري، أسبابه ، أثاره، وعلاجه في الفقه الإسلامي، محمد البيومي الراوي بهنسي ، ص ١٧٠

(٥) لسان العرب : ابن منظور، مصدر سابق ص ٢٠/ ج ١

(٦) العنف الأسري، أسبابه، اثاره، وعلاجه في الفقه الإسلامي : محمد البيومي الراوي بهنسي، مصدر سابق،ص ١٧٣

(٧) آداب الأسرة في الإسلام : مركز الرسالة ، ط الأولى ١٤٢٠ هـ ، ص ١٢.

(٨) بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة : خالد عبد الرحمن العك ، ص٨

(٩) سورة النساء: الآية ١

(١٠) تفسير الصافي : محسن الملقب بـ « الفيض الكاشاني « المتوفي سنة ١٠٩١ هـ ، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، الناشر: مكتبة الصدر طهران ، ص ٤١٣ / ج ١

(١١) تفسير القمي : علي بن إبراهيم الفني ، ص ١٣٠/ ج ١

(١٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، ص ٨٣/٣

(١٣) الكافي : الكليني ، مصدر سابق، ص ١٥٠ / ج ٢

(١٤) من لا يحضره الفقيه الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، ص ٥٥٦–٥٥٥ / ج ٣

(١٥) العنف الأسري والعدوان وتوكيد الذات لدى الأبناء : علاء محمود جاد الشعراوي و وليد محمد أبو المعاطي أبو المعاطي و / محمد أحمد أحمد عيسى ، ص ١٤٧

(١٦) العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات المعنفات في مدينة (سالمو) بالسويد : قدرة عبد الأمير الهر، ص ٩

(١٧) العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاسه على الشخصية دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الحلة : أنس عباس غزوان ، . ص ٢١٥٨

(١٨) سورة التحريم: الآية ٧

(١٩) تفسير الميزان : السيد الطباطبائي ، ينظر ص ٣٣٥ – ٣٣٤ / ج ١٩، مصدر سابق

(٢٠) وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي ص١٤٨/ج١٦.

(٢١) العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاسه على الشخصية دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الحلة : أنس عباس غزوان، مصدر سابق ، ص ٢١٦٤

(٢٢) سورة الممتحنة: الآية ١٣

(٢٣) تفسير القمي : لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله من اعلام القرنين ٣–٤ تصحيح: العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري الجزء الثاني مطبعة النجف ١٣٨٧ هـ ، الناشر : مكتبه الهدى ، ص ٣٦٤

(٢٤) سورة الإسراء الآية ٣٢

(٢٥) تفسير الميزان : السيد الطباطبائي المتوفي (١٤١٢هـ) ، مصدر سابق، ص ٨٥ / ج ١٣

(٢٦) حقوق الأبناء على الآباء في المنظور الإسلامي : منصور الرفاعي عبيد ، ص١٠٣

(٢٧) تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي ، مصدر سابق، ص ٧٢ / ج ١

(٢٨) سورة الضحى: الآية ٤
(٢٩) تفسير مجمع البيان : الطبرسي ، ج ١٠/ص ٣٨٥
(٣٠) العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاسه على الشخصية دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الحلة : أنس عباس غزوان، مصدر سابق ، ص ٢١٦٤
(٣١) المعالجة الصحافية لقضايا العنف الأسري في الصحافة الإلكترونية دراسة تحليلية على صحيفة إيلاف : سارة العتيبي ، بإشراف حميدة سميسم ، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإعلام جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا كلية الآداب قسم الإعلام ، حزيران / ٢٠٠٩ ، ص ٨٠–٨١
(٣٢) عدة الداعي ونجاح الساعي كتاب: أحمد بن فهد الحلي، تصحيح احمد الموحدي القمي ، الناشر : مكتبة الوجداني بقم ، ص ٧٩
(٣٣) العنف السلوكي : عبد المجيد سيد احمد منصور ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ١٤٠٨ هـ–١٩٨٨ م ، ص ٢٤
(٣٤) حقوق الأبناء على الآباء في المنظور الإسلامي : منصور الرفاعي عبيد ، مصدر سابق ، ص٥٦
(٣٥) موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) : الشيخ هادي النجفي ، مصدر سابق،
ص ٣٤٦ / ج ٧
(٣٦) بحار الأنوار : العلامة المجلسي ، ص ٦/ ج ٧١
(٣٧) العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات المعن فات في مدينة (مالمو) بالسويد : قدرة عبد الأمير الهر، ص ٩
(٣٨) المعالجة الصحافية لقضايا العنف الأسري في الصحافة الإلكترونية دراسة تحليلية على صحيفة إيلاف : سارة العتيبي ، ص ٢٤
(٣٩) العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته في ضوء أحكام الفقه الإسلامي : رشدي شحاته أبو زيد ، كلية الحقوق –جامعة حلوان ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ – ٢٠٠٨ م ، الناشر دار الوفاء ، ص ٣٣–٣٤
(٤٠) المعالجة الصحافية لقضايا العنف الأسري في الصحافة الإلكترونية دراسة تحليلية على صحيفة إيلاف : سارة العتيبي ، مصدر سابق ، ص ١٢١
(٤١) سورة التكوير: الآية ٨–٩
(٤٢) تفسير مجمع البيان : أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي ، ينظر : ص ٢٧٤ – ٢٧٥ / ج ١٠
(٤٣) المعالجة الصحافية لقضايا العنف الأسري في الصحافة الإلكترونية دراسة تحليلية على صحيفة إيلاف : سارة العتيبي ، مصدر سابق ، ص ٢١
(٤٤) سورة الإنسان : آية ١٦
(٤٥) المجازات النبوية : الشريف الرضي ٤٠٦ هـ – ١٠١٥ م ، تحقيق طه محمد الزيني الأستاذ بالأزهر ، الناشر مكتبة بصيرتي قم – شارع ارم حقوق الطبع محفوظة ، ص ٣٠
(٤٦) من لا يحضره الفقيه : الصدوق ، مصدر سابق، ص ٥٥٦/ ج ٣
(٤٧) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ، مصدر سابق ، ص ٦ / ج ٧١
(٤٨) سورة البقرة: آية ١٨٧
(٤٩) شرح رسالة الحقوق الإمام زين العابدين (عليه السلام) استشهاد (٩٤ هـ) شرح : حسن السيد على القبانجي ، ط : الثانية ١٤٠٦ ، ص ٥١٧ – ٥١٨ / ج ١
(٥٠) سورة الروم : آية ٢١
(٥١) سورة النور : آية ٥٠
(٥٢) سورة الكهف : آية ٤٩
(٥٣) سورة آل عمران : آية ١٩٥

(٥٤) سورة الروم : اية ٢١

(٥٥) سورة الحجرات : آية ١٣

(٥٦) تفسير الميزان : السيد الطباطبائي ، مصدر سابق، ص ٣١٦-٣١٧ / ج ١

(٥٧) شرح رسالة الحقوق الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، استشهاد (٩٤ هـ) شرح : حسن السيد علي القبانجي ، مصدر سابق ، ص ٥١٩

(٥٨) شرح رسالة الحقوق الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، استشهاد (٩٤ هـ)، شرح : حسن السيد علي القبانجي ، مصدر سابق ص ٥١٩ – ٥١٨

(٥٩) سورة الشعراء : آية ٧

(٦٠) تفسير الميزان : السيد الطباطبائي ، مصدر سابق ، ص ٢٥١ / ج ١٥

(٦١) سورة نوح : آية ١٧

(٦٢) جهاد النفس بصيرة العقل واستقامة السلوك : محمد تقي المدرسي ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م. ، تحقيق مركز العصر للثقافة والنشر – بيروت، الناشر : دار المحجة البيضاء ، ص ٥٢

المصادر والمراجع :

١. آداب الأسرة في الإسلام : مركز الرسالة ، ط : الأولى ١٤٢٠ هـ .

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، قم مدرسة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ١٤٢٦ ق. – ١٣٨٤.

٣. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين مرتضى الزبيدي المتوفي ١٢٠٥، ، سنه الطبع ١٤٢٦ هـ ق ط٣، الناشر دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون – بيروت (لبنان)

٤. ٣٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي « قدس الله سره « ،ينضر ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٥. بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة : خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م .

٦. جهاد النفس بصيرة العقل واستقامة السلوك : محمد تقي المدرسي ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م. ، تحقيق مركز العصر للثقافة والنشر – بيروت، الناشر : دار المحجة البيضاء ، ص ٥٢

٧. حقوق الأبناء على الآباء في المنظور الإسلامي : منصور الرفاعي عبيد ، الناشر : دار الجيل / بيروت و مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

٨. شرح رسالة الحقوق الإمام زين العابدين (ع) استشهاد (٩٤ هـ) شرح : حسن السيد على القبانجي ، ط : الثانية ١٤٠٦ .

٩. تفسير الصافي : محسن الملقب بـ « الفيض الكاشاني « المتوفي سنة ١٠٩١ هـ ، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، الناشر: مكتبة الصدر طهران .

١٠. عدة الداعي ونجاح الساعي كتاب: أحمد بن فهد الحلي، تصحيح احمد الموحدي القمي ، الناشر : مكتبة الوجداني بقم.

١١. العنف السلوكي : عبد المجيد سيد احمد منصور ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨ م

١٢. العنف الأسري في ظل العولمة : عباس أبو شامة عبد المحمود / محمد الأمين البشري ، الطبعة الأولى الرياض ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

١٣. العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته في ضوء أحكام الفقه الإسلامي : رشدي شحاته أبو زيد ، كلية الحقوق –جامعة حلوان ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ – ٢٠٠٨ م ، الناشر دار الوفاء .

١٤. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٥٨١٧،)، ت/ أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد

،الناشر : دار الحديث القاهر ، سنة الطبع : ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م١٢.
١٥. تفسير القمي : لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي ، صححه وعلق عليه : طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف ١٣٨٧ هـ ، الناشر : مكتبه الهدى
١٦. الكافي : محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (المتوفى في سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) ، علق عليه: علي أكبر الغفاري ، ناشر: دار الكتب الاسلامية .
١٧. لسان العرب : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، نشر: أدب الحوزة قم – إيران ١٤٠٥ هـ
١٨. المجازات النبوية : الشريف الرضي ٤٠٦ هـ – ١٠١٥ م ، تحقيق طه محمد الزيني الأستاذ بالأزهر ، الناشر مكتبة بصيرتي قم – شارع ارم حقوق الطبع محفوظة
١٩. مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري ، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، قدم له : محسن الأمين العاملي ، الطبعة :الاولى ،الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان .
٢٠. من لا يحضره الفقيه الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ط: الثانية ١٣٦٣ – ش / ١٤٠٤ – ق ، الناشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة
٢١. موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام): الشيخ هادي النجفي ، المجموعة مصادر الحديث الشيعية – القسم العام ، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٣ – ٢٠٠٢ م .
٢٢. الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي المتوفي (١٤١٢ هـ)، الناشر :جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة
٢٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤ هـ ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام الإحياء التراث ، ص١٤٨/ج١٦.

الرسائل والاطاريح :

١. العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات المعنفات في مدينة (سالمو) بالسويد : قدرة عبد الأمير الهر، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب والتربية في الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك اشراف أسعد شريف الإمارة ١/١٠ / ٢٠٠٨
٢. المعالجة الصحافية لقضايا العنف الأسري في الصحافة الإلكترونية دراسة تحليلية على صحيفة إيلاف : سارة العتيبي ، بإشراف حميدة سميسم ، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإعلام جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا كلية الآداب قسم الإعلام ، حزيران / ٢٠٠٩

البحوث والمقالات:

١. العنف الأسري، أسبابه ، آثاره، وعلاجه في الفقه الإسلامي :محمد البيومي الراوي بمنسي أستاذ الفقه العام المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في قنا المجلد التاسع من العدد الثاني والثلاثين الحولية كلية
٢. العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاسه على الشخصية دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الحلة : أنس عباس غزوان ، جامعة الكوفة /كلية العلوم ، مجلة جامعة بابل / العلوم الانسانية / المجلد ٢٣/ العدد ٤ ٢٠١٥.
٣. العنف الأسري والعدوان وتوكيد الذات لدى الأبناء : علاء محمود جاد الشعراوي و وليد محمد أبو المعاطي أبو المعاطي و / محمد أحمد أحمد عيسى ،كلية التربية – جامعة الطائف، مجلة بحوث التربية النوعية – جامعة المنصورة عند (٢٠) – أبريل ٢٠١٣
٤. العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات المعن فات في مدينة (مالمو) بالسويد : قدرة عبد الأمير الهر ، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب والتربية في الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك ، اشراف أسعد شريف الامارة ١/ ١٠ / ٢٠٠٨ .
٥. المعالجة الصحافية لقضايا العنف الأسري في الصحافة الإلكترونية دراسة تحليلية على صحيفة إيلاف : سارة العتيبي ،بإشراف حميدة سميسم ، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإعلام ، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا كلية الآداب قسم الإعلام ، حزيران / ٢٠٠٩ .


للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

أثر استراتيجية حلقة الحكيم في التحصيل عند طالبات الصف الاول متوسط في مادة الاجتماعيات

أ.م.د. علاء إبراهيم سرحان أ.م.د سهاد علي عبد الحسين
الباحثة ديان ضياء هاشم
جامعة القادسية/ كلية التربية

المستخلص:

يهدف البحث الحالي الى التعرف على أثر استراتيجية حلقة الحكيم في التحصيل عند طالبات الصف الأول متوسط في مادة الاجتماعيات, وتحقيقاً لهدف البحث وفرضيته اتبع الباحثون المنهج التجريبي، وتصميم المجموعتين المتكافئتين ذا الضبط الجزئي لأنها تلائم هدف البحث، وتحدد مجتمع البحث بطالبات الصف الأول متوسط في المدارس المتوسطة والثانوية التابعة الى مركز المديرية العامة لتربية القادسية للعام الدراسي (٢٠٢٤– ٢٠٢٥), وبطريقة السحب العشوائي البسيط اختيرت عشوائياً شعبة (ب) لتمثل المجموعة التجريبية وشعبة (أ) التي مثلت المجموعة الضابطة, وبلغت عينة البحث (٦٤) طالبة بعد استبعاد الطالبات الراسبات وبواقع (٣٢) طالبة في المجموعة التجريبية، و(٣٢) طالبة في المجموعة الضابطة, وقد تحددت المادة العلمية في الفصلين الرابع والخامس من كتاب مادة الاجتماعيات المقرر تدريسه في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (٢٠٢٤–٢٠٢٥), اعد الباحثون أداة البحث، حيث تمثلت بالاختبار التحصيلي في مادة الاجتماعيات وتألف من (٤٠) فقرة من نوع الاختبار الموضوعي من اربع بدائل, وقد تحقق الباحثون من صدقة وثباتة ومستوى صعوبة فقراته وفاعلية بدائله غير الصحيحة وقوة تمييز فقراته, وبعد تحليل النتائج احصائياً توصل الباحثون إلى تفوق طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن مادة الاجتماعيات على وفق استراتيجية حلقة الحكيم على طالبات المجموعة الضابطة اللاتي درسن المادة نفسها على وفق الطريقة التقليدية في اختبار التحصيل، وفي ضوء النتائج أوصى الباحثون بمجموعة من التوصيات والمقترحات .

الكلمات المفتاحية : استراتيجية، حلقة الحكيم، التحصيل.

Abstract:

The current research aims to identify the effect of Sage›s Circle Strategy on the achievement of first-year middle school female students in the Social Studies subject. To achieve the research objective and hypothesis, the researchers followed the experimental method and the design of two equal groups with partial control because it suits the research objectives. The research community was determined by first-year middle school female students in middle and secondary schools affiliated with the General Directorate of Education in Qadisiyah for the academic year (2024–2025). Using the simple random drawing method, Section (B) was randomly selected to represent the experimental group and Section (1), which represented the control group,The research sample amounted to 64 students after excluding the failed students, with 32 students in the experimental group and 32 students in the control group,The scientific material was determined in the fourth and fifth chapters of the Social Studies book scheduled to be taught in the second semester of the academic year (2024–2025), The researchers prepared the research tool, which was represented by the achievement test in the Social Studies subject, and it consisted of 40 test-type

paragraphs The objective of four alternatives, and the researchers verified its validity reliability, level of reading difficulty, the effectiveness of its incorrect alternatives and the strength of its paragraph discrimination, After statistically analyzing the results, the researchers concluded that the experimental group students who studied the social studies material according to the Sage›s Circle Strategy outperformed the control group students who studied the same material according to the traditional method in the achievement test In light of the results, the researchers recommended a set of recommendations and suggestions

Keywords: Sage›s Circle Strategy , achievement

الفصل الأول: تعريف البحث

أولاً: مشكلة البحث(The problem of study)

ما بلور تلك المشكلة هي عدم اتباع اغلب المدرسين والمدرسات للطرائق والاستراتيجيات الحديثة، وعلية من الافضل استخدام استراتيجيات غير تقليدية تجعل من الطلبة محوراً للعملية التعليمية, حيث لم تعد طرائق التدريس التقليدية قادرة على تزويد المتعلمين بالمعارف والمهارات للازمة (الالوسي,٢٠٢١: ١) فالطرائق التقليدية السائدة في المدارس اليوم الفت بأثرها على تحصيل الطلبة في مادة الاجتماعيات (الفتلاوي ,٢٠١٦: ٢), واعد الباحثون استبانه مفتوحه متكونه من (٣) اسئلة ملحق(١) لمجموعه من مدرسي ومدرسات مادة الاجتماعيات ليتبين ان :

١ – نسبة ٩٠٪ يتبعون الطرائق التقليدية

٢ – نسبة ١٠٠٪ ليس لديهم معرفه عن استراتيجية حلقة الحكيم

٣– نسبة ٩٥٪ يؤكدون انخفاض مستوى التحصيل عند الطلبة

حيث لاحظت تدني في مستوى تحصيل طالبات الصف الأول متوسط في مادة الاجتماعيات وعلى ضوء ما تقدم رأى الباحثون بضرورة استخدام استراتيجية حديثة من استراتيجيات التعلم النشط , وهي استراتيجية حلقة الحكيم وقد صاغة الباحثون مشكلة البحث بالتساؤل الاتي: ما اثر استراتيجية حلقة الحكيم في التحصيل عند طالبات الصف الأول متوسط في مادة الاجتماعيات؟

ثانياً: أهمية البحث(Significant of The study)

تعد التربية المنطلق الاساسي لأعداد الطاقات البشرية القادرة على مسايرة ومواكبة التطور العلمي والتكنلوجي الحاصل بمختلف جوانب الحياة، ولن يتحقق ذلك مالم تعدل وتوجه وتصقل خبرات ومواهب الطلبة ليتم اعدادهم اعداد شامل بكل جوانبهم الاجتماعية والعقلية والجسدية ليكونوا عنصر فاعل في المجتمع (الحميداوي ,٢٠١٨ :٤), ومن هذا المنطلق تعد الاستراتيجيات الحديثة من الركائز المهمة في العملية التعليمية والضرورية للمدرس وعمله في مجال التدريس، ذلك لأنها أساس نجاحه في ايصال المحتوى التعليمي للطلبة وتجعلهم يتوقون ويرغبون لتلك المادة العلمية ومدى الاستفادة منها (اسعد، ٢٠١٧: ٥) ومن استراتيجيات التعلم النشط الحديثة هي استراتيجية (حلقة الحكيم)، وهي استراتيجية تتميز بالمتعة والتشويق للمتعلم وتلائم المرحلة المتوسطة، حيث تعمل هذه الاستراتيجية على تلبية حاجات وميول المتعلمين، واكتشاف مواهبهم عبر توظيفها وايضا تساهم في تنمية جوانب النمو، وذلك عبر عمليات التجريب والتي يقوم بها الطلبة، كما تزيد من حماسهم والقدرة على التفكير، والمشاركة الفعالة في العمل داخل الحجر الدراسية (Sharpak, ٢٠٠١:٦٢), وتأتي اهمية مادة الاجتماعيات

بالنسبة للمتعلمين من انها تدرس في كافة المراحل الدراسية والتعليمية إذا أن التاريخ هو سجل حياة الامم الماضية، والمراءة العاكسة الأمجاد وانجازات هذه الامم. الذي يدونون به احداث حياتهم وتعاقب وتسلسل الاحداث، وبذلك فالتاريخ علم دراسة لحركة الزمن واحداثه وتطوره (ابن خلدون, ٢٠٠٧: ٥٥) وبنا على ما سبق تتلخص اهمية البحث بالنقاط الآتية:

١– بعد البحث الحالي اول بحث محلي يتناول استراتيجية (حلقة الحكيم)، مع متغير التحصيل في مادة الاجتماعيات عند طالبات الصف الأول متوسط على حد علم الباحثون.

٢–اهمية استخدام الاستراتيجيات الحديثة في التدريس ومنها حلقة الحكيم بوصفها محاولة تجريبية, والتي قد ترفع من مستوى التحصيل.

٣– اهمية المرحلة المتوسطة بكونها مرحلة مهمة من مراحل بناء الهيكل المعرفي للطلبة وتدريسهم وتعليمهم.

ثالثا:هدف البحث : (Aims of the study)

١– التعرف على اثر استراتيجية حلقة الحكيم في التحصيل عند طالبات الصف الأول المتوسط في مادة الاجتماعيات.

رابعا: فرضية البحث : (Research Questions)

لا توجد فروق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة(٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن وفقاً لاستراتيجية حلقة الحكيم، ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن وفقاً للطريقة الاعتيادية في تحصيل مادة الاجتماعيات.

خامساً: حدود البحث (Limits of the study)

الحدود المكانية :المدارس الثانوية، والاعدادية النهارية الحكومية للبنات في مركز مدينة الديوانية.

التابعة الى المديرية العامة لتربية محافظة القادسية .

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (٢٠٢٤ – ٢٠٢٥).

الحدود البشرية: عينة من طالبات الصف الأول متوسط .

الحدود المعرفية : الفصول (الفصل الرابع و الخامس من كتاب مادة الاجتماعيات للصف الأول متوسط المقرر تدريسه للعام الدراسي (٢٠٢٤–٢٠٢٥) من الطبعة الخامسة سنة (٢٠٢٣م) .

سادساً: تحديد المصطلحات (Definition of basic term)

١– الاثر: عرفة :

(سمارة وعبد السلام, ٢٠٠٨) : « بأنه محصلة تغير مرغوب او غير مرغوب فيه يحدث في الطالب نتيجة لعملية التعليم (سمارة وعبد السلام, ٢٠٠٨: ٥٢) »

يعرفة الباحثون اجرائيا: بأنه هو التغير المتوقع حدوثه نتيجة التدريس ب (حلقة الحكيم) في التحصيل عند طالبات الصف الأول متوسط في مادة الاجتماعيات.

٢ – الاستراتيجية: عرفها:

(اشتيوه, ٢٠١١): «مجموعة من الإجراءات التي يخططها ويضعها المدرس مسبقاً وبدقة وبشكل منتظم ومتسلسل لتحقيق النتاجات التعليمية المعدة مسبقاً « (اشتيوه وآخرون، ٢٠١١ : ١٧٤)»

يعرفه الباحثون اجرائيا : مجموعة من الإجراءات والخطوات المتسلسلة التي تضعها الباحثة لتنظيم تعليم الطالبات وتنفذها تباعاً وبشكل متسلسل لتحقيق الأهداف المرجوة.

٣– حلقة الحكيم :عرفها

(امبو سعيدي وهدى, ٢٠١٦) : « بأنها استراتيجية تقوم على فكرة اختيار طالب او اكثر بحيث يكون الأكثر

خبرة في مجال معين ليقوم بدور الحكيم ويطلب المعلم من الطالب أن يقوم بشرح الموضوع الخبير فيه وتلتفت حوله حلقة من الطلاب (أمبو سعيدي وهدى ٢٠١٦: ٤٤١) « .

يعرفه الباحثون اجرائياً : هو ما تقوم به الباحثة من اجراءات اثناء الموقف التعليمي المعين والذي يطبق على الطالبات في المجموعة التجريبية حيث تشرح الباحثة المادة العلمية للطالبات ثم تطرح بعدها سؤال أو أكثر لتختار من بين الطالبات ما يمثلن دور الحكماء.

٤- التحصيل :عرفه كل من :

(أبو جادو ,٢٠٠٣) : « بأنه محصلة ما يتعلمه الطالب بعد مرور مدة زمنية ويمكن قياسه بالدرجة التي يحصل عليها في اختبار تحصيلي، وذلك لمعرفة مدى نجاح الاستراتيجية التي يخطط إليها المدرس لتحقيق اهدافه وما يصل الية الطالب من معرفة تترجم الى درجات (ابو جادو ٣٠٠٣: ٤٢٥).

عرفة الباحثون اجرائياً :هو مقدار ما اكتسبته طالبات عينة البحث التجريبية والضابطة في مادة الاجتماعيات للصف الأول متوسط للفصول الرابع والخامس من الكتاب المدرسي والذي يقاس بحصولين على الدرجة النهائية للاختبار التحصيلي المعد من قبل الباحثة لإجراءات البحث الحالي.

٥-الصف الاول متوسط: هو المرحلة الأولى من الدراسة المتوسطة، والذي يتوسط بين المرحلتين الابتدائية والإعدادية، وتعد هذه المرحلة من الصفوف الغير منتهية(وزارة التربية ، ٢٠١١ : ٦).

يعرفه الباحثون اجرائيا : هو الصف الأول من المرحلة المتوسطة التي تضم الأول المتوسط والصف الثاني والصف الثالث المتوسط وكونه المرحلة الوسيط بين الابتدائية والمرحلة الاعدادية.

٦- مادة الاجتماعيات: عرفة (نزال, ٢٠١٤): « هي تلك العلوم الاجتماعية المعدلة والمبسطة لأغراض تعليمية وتعد جزاء من برنامج دراسي بتضمن الجغرافية والتاريخ تهدف إلى تزويد الطالبات بالحقائق العلمية والمفاهيم ليكونن افراد قادرات على تكوين حياة ناجحة في مجتمعين « (نزال ,٢٠١٤: ٢٥).

يعرفه الباحثون إجرائياً: المادة المقررة لتدريس طالبات الصف الأول المتوسط وفقاً لمنهج وزارة التربية بأنها تتكون من جزئيين يتضمن الجزء الأول ثلاث فصول، بينما يضم الجزء الثاني فصلين, سيقوم الباحثون بتدريس الفصول الأخيرة من الكتاب للمجموعتين البحثيتين التجريبية والضابطة.

الفصل الثاني: المحور الاول :الجوانب النظرية

أولاً: استراتيجية حلقة الحكيم : Sircle the Sage

استراتيجية حلقة الحكيم هي واحدة من استراتيجيات التعلم النشط والتي بالإمكان تطبيقها في كافة المراحل الدراسية الابتدائية والمتوسطة والاعدادية, وحتى المرحلة الجامعية وهي استراتيجية تشجع المتعلم في بناء المعرفة، وتقوم فكرة هذه الاستراتيجية باختيار المتعلم الأكثر خبره بينهم بموضوع الدرس, حيث يقوم بدور الحكيم فيطلب المعلم من المتعلم أن يشرح الموضوع الخبير فيه، وتجتمع حولة الحلقة المكونة من ٤-٦ من المتعلمين (امبو سعيدي وهدى ,٢٠١٦: ٤٤١) .

دور المدرس في استراتيجية حلقة الحكيم:

ان للمدرس ادوار مهمة في تطبيق هذه الاستراتيجية (حلقة الحكيم) حيث يحدد المدرس الموضوع المراد دراسته ، ويضع له اهداف يمكن تحقيقها ، كما انه يقوم بأعداد الاسئلة الرئيسية المتعلقة بموضوع الدرس التي تطرح على الطلبة في الصف لكشف الحكماء ، ويعمل على تنظيم البيئة الصفية ويحرص على ضبطها لجعلها مناسبه لتنفيذ وتطبيق الاستراتيجية وايضا يقوم بالإيعاز إلى الطلبة الحكماء بالانتشار في ارجاء الصف كما له الدور الفاعل في تغير ادوار الطلبة الحكماء من درس الى اخر ويراقب سير العملية التعليمية من امور متعلقة بوقت الحصة الدراسية وتقسيمهم إلى مجموعات حيث تذهب كل مجموعة الى حكيم (ALADEJANA ٢٠٢١:٢).

دور الطالب في استراتيجية حلقة الحكيم :

١ نشيطون في تعلمهم ومبدعين في اداء واجبهم

٢– يقوم الطلبة بطرح الاسئلة اثناء الدرس

٣ – شعور الطالب بالمسؤولية في عملية التعلم

٤ – يتعاونون في ما بينهم في عملية تعلمهم

٥ – يربطون بين المواد الدراسية في عملية تعلمهم

٦– يحترمون وجهات النضر في ما بينهم (امبو سعيد وهدى ، ٢٠١٦: ٤٤١).

خطوات تطبيق الاستراتيجية:

١– يكتشف المدرس الذين يقومون بأدوار الحكماء من خلال ما يوجيه من أسئلة.

٢– يخرج هؤلاء الطلبة ثم ينتشرون في انحاء غرفة الصف.

٣– يوزع المدرس باقي الطلبة بشكل مجموعات وكل مجموعة من (٤) طلبة يذهبون إلى واحد من الحكماء.

٤– يقوم الحكيم بشرح وتفسير الاجابة ويدون باقي الطلبة الملاحظات ويعودون هؤلاء الحكماء لمقاعدهم ويتناقشون في الاجابة (الشمري, ٢٠١١: ٧٠)

التحصيل:

والتحصيل الدراسي هو مفهوم يستخدم على نطاق واسع في مجال التربية وعلم النفس التربوي لا سيما بسبب أهميته في تقييم الأداء الأكاديمي للمتعلم ويعتبر أداة لتقييم المخرجات التعليمية. وقياسها، ويكون بمثابة مؤشر مهم لتحقيق الأهداف التعليمية، ومدى ملائمة المادة التعليمية، وتقييم جميع الأنشطة والفعاليات التدريسية يهتم خبراء التربية وعلم النفس بالتحصيل الأكاديمي نظرا لأهميته الكبيرة في الحياة الأكاديمية للمتعلم، وهو نتيجة لعمليات التعلم المختلفة واكتساب مهارات ومعارف وعلوم متنوعة داخل المؤسسة التعليمية، مما يعكس النشاط الفكري للطالب (الجلالي ، ٢٠١١: ١٢) .

أهداف التحصيل:

١ – يعتبر التحصيل المعيار الذي على أساسه ينتقل المتعلمين من مرحلة دراسية معينة إلى مرحلة دراسية اخرى.

٢– يكشف التحصيل الدراسي عن القدرات العقلية والمعرفية والوجدانية للمتعلم .

٣– يحدد التحصيل الدراسي توجه المتعلم وتخصصه مراعيا حصيلته المعرفية .

٤–الحكم على الأهداف التربوية المحققة من خلال التحصيل، سواء كانت أهداف مرتبطة بالتربية او المقرر الدراسي (علي، ٢٠٠١:٩٣) .

المحور الثاني : الدراسات السابقة

أولاً: دراسات تناولت استراتيجية حلقة الحكيم :لا توجد دراسات سابقة تناولت استراتيجية حلقة الحكيم على حد علم الباحثون .

ثانياً: دراسات تناولت التحصيل

دراسة عبد الكاظم (٢٠٢٤): هدفت هذه الدراسة الى التعرف على اثر استراتيجية الجولة السريعة (ما زلت افكر) في التحصيل والتفكير التحليلي عند طلاب الصف الرابع الادبي في مادة التأريخ , واستخدم المنهج التجريبي وكانت عينة البحث (٦٠) طالب بواقع (٣٠) طالب للمجموعة التجريبية و (٣٠) طالب للمجموعة الضابطة , وتوصلت الدراسة الى تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة .

الفصل الثالث: منهجية البحث وإجراءاته

يتضمن الفصل الثالث عرضاً لمنهجية البحث والاجراءات المتبعة والتي تتمثل بالتصميم التجريبي المختار وتحديد مجتمع البحث والعينة التي تجرى عليها التجربة كما يتضمن إجراءات الضبط لمجموعتي البحث ومتطلبات التجربة من خطط وادوات وخصائصها السايكومترية, والوسائل الاحصائية المتبعة في تحقيق تلك الاجراءات والنتائج, طبيعة المشكلة المراد دراستها تمثلت بالتعرف على اثر استراتيجية حلقة الحكيم في التحصيل عند طالبات الصف الأول متوسط في مادة الاجتماعيات وبناء على تلك المشكلة اعتمد الباحثون منهج البحث التجريبي ,لأن هذا المنهج مناسب لمتغيرات البحث، كما يعمل هذا المنهج على تحقيق فرضية البحث بنتائج أكثر دقة وموضوعية وكفاءة ويمكن أن يقدم هذا المنهج افضل الاصلاحات العلمية لحل المشكلات التعليمية (الجابري، ٢٠١١ :٢٧٨).

اجراءات البحث

اولا التصميم التجريبي: ولما كانت دقة نتائج البحوث التجريبية تتوقف على نوع التصميم المستخدم والمناسب للبحث، لذا اختار الباحثون احد التصاميم التجريبية ذوالضبط الجزئي المناسب لأغراض البحث، وهو تصميم المجموعتين المتكافئتين التجريبية والضابطة ، إذ تمثل استراتيجية حلقة الحكيم المتغير المستقل للتجربة، في حين يمثل التحصيل المتغير التابع للتجربة.

جدول(١) التصميم التجريبي للبحث

المجموعات	تكافؤ المجموعات	المتغير المستقل	المتغير التابع
المجموعة التجريبية	١.العمر ٢. الذكاء ٣.التحصيل السابق (درجات نصف السنة) ٤. تحصيل الوالدين	استراتيجية حلقة الحكيم	اختبار التحصيل
المجموعة الضابطة		الطريقة الاعتيادية	

ثانياً : مجتمع البحث وعينتة:

١ – مجتمع البحث : ويتكون مجتمع البحث من طالبات الصف الأول المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية التابعة لمديرية تربية القادسية في مركز محافظة الديوانية فقط للعام الدراسي(٢٠٢٤–٢٠٢٥) م، وقد بلغ المجموع الكلي لطالبات الصف الأول المتوسط (٥٧٧٤) طالبة .

٢ – عينة البحث: عمل الباحثون على اختيار متوسطة البراءة للبنات بصورة قصدية, وبلغ عدد طالباتها (٢٢٨) طالبة موزعات على ثمانية شعب وبعد اجراء القرعة لاختيار مجموعتي البحث بشكل عشوائي اتضح من ذلك الاجراء ان الشعبة (ب) تمثل المجموعة التجريبية والتي فيها (٣٤) طالبة في حين ان الشعبة (أ) تمثل المجموعة الضابطة وفيها (٣٣) طالبة وبعد استبعاد الطالبات الراسبات من كل شعبة اصبح العدد الكلي (٦٤) طالبة.

ثالثاً: إجراءات الضبط : حرص الباحثون قبل الشروع بإجراء التجربة على ضبط المتغيرات التي من شأنها قد تؤثر في سلامة التجربة ودقة نتائجها وكالآتي :

أ–السلامة الداخلية لتصميم التجربة:ويقصد بالسلامة الداخلية للتجربة هو أن يعزى الفرق في نتائج التجربة بين المجموعتان المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة إلى تأثير المتغير المستقل وليس إلى عوامل داخلية أخرى. وهذا ما يطلق عليه بالصدق الداخلي (عبد الرحمن وعدنان ,٢٠٠٧ : ٤٧٨)، ولتحقق ذلك قامه الباحثون بمجموعة من المعالجات أو الاجراءات لضبط عدد من المتغيرات وهي:

(العمر الزمني محسوب بالأشهر، الذكاء، التحصيل السابق، تحصيل الوالدين)

ب– السلامة الخارجية للتصميم التجريبي : لغرض توفير شروط السلامة الخارجية للتصميم، تم معالجة المتغيرات الآتية:

١- الفروق الفردية في التدريس:للحد من تأثيرات هذا المتغير على نتائج البحث عمل الباحثون على تدريس مجموعتي البحث التجريبية والضابطة) بنفسها طوال مدة التجربة من أجل تجنب الاختلافات او الفروق الفردية التي قد تنجم عن اختلاف التدريس بين المدرسات في قدرتهن وسماتهن الشخصية، وهذا يضفي على التجربة درجة من الدقة والموضوعية.

٢- المدة الزمنية للتجربة:استغرقت المدة الزمنية للطالبات في المجموعتين التجريبية والضابطة نفسها، إذ بدأت يوم الاحد الموافق (٩ / ٢ /٢٠٢٥) وانتهت يوم الخميس الموافق (٢٤/ ٤ / ٢٠٢٥).

٣- المحتوى الدراسي:تحددت المادة الدراسية لمجموعتي البحث التجريبية والضابطة بنفس الموضوعات التي تضمنت في الفصلين الاخيرين (الرابع – الخامس) من كتاب مادة الاجتماعيات المقرر تدريسها من قبل وزارة التربية جمهورية العراق للصف الأول متوسط للعام الدراسي(٢٠٢٤ –٢٠٢٥م) ط٥ لسنة (٢٠٢٣) .

٤- توزيع الحصص: بالتعاون مع إدارة المدرسة تم تنظيم الجدول الأسبوعي لمجموعتي البحث وحرص الباحثون على تساوي عدد الحصص التدريسية لمجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) بواقع (٣) حصص أسبوعياً لضمان تكافئ الوقت المخصص للدروس بوقت متقارب .

رابعاً: مستلزمات التجربة : ولتنفيذ هدف البحث وفرضيته اعد الباحثون مستلزمات البحث وهي:

١-تحديد المادة التعليمية: تتضمن المادة التعليمية التي سوف يتم تدرسيها في أثناء مدة التجربة، الفصلين الأخيرين , كتاب الاجتماعيات المقرر تدريسه في الفصل الدراسي الثاني للصف الأول المتوسط, الطبعة الخامسة لسنة ٢٠٢٣م.

٢- صوغ الأغراض السلوكية: يعرف الغرض السلوكي على انه التغير السلوكي المرغوب الذي تتوقع حدوثه في سلوك المتعلم نتيجة مروره بخبرة تعليمية معينة (فرج، ٢٠٠٧ : ٢٥), واعتماداً على تصنيف بلوم (Bloom) في المجال المعرفي بمستوياته الأربعة الأولى يتناسب مع القدرات العقلية لعينة البحث صيغت الأغراض السلوكية بصورة نتائج تعليمية واضحة ومحددة، واشتقت هذه الأغراض في ضوء الأهداف العامة لتدريس مادة الاجتماعيات للصف الأول المتوسط بلغت الأغراض السلوكية التي صيغت (١٢٠) غرض سلوكي موزعة بين اربع مستويات (معرفة –فهم –تطبيق –تحليل) من تصنيف بلوم (Bloom) بما يتناسب مع القدرات العقلية الطالبات الصف الأول متوسط، كما تم عرضها على مجموعة من المحكمين في طرائق تدريس التاريخ, لمعرفة آرائهم في مدى وضوحها ودقة صوغها والمستوى الذي تقيسه كل فقر ومدى شمولها لمحتوى المادة الدراسية، وفي ضوء آرائهم ومقترحاتهم تم تعديل بعض الأغراض السلوكية.

٤-اعداد الخطط التدريسية : ويقصد بها كافة الاجراءات التنظيمية التي ينجزها ويصممها المدرس ويطبقها من اجل ضمان النجاح بالعملية التدريسية وبالتالي يحقق الأهداف العلمية المراد تحقيقها (عليان، ٢٠١٠ : ٢١٣).

خامساً: أداة البحث: يتطلب البحث الحالي إعداد اداة وهو اختبار التحصيل, وتم بناء الأداة على وفق الخطوات العلمية المتبعة في بناء الاختبارات وكما ياتي:

اولاً: اختبار التحصيل: ويقصد به الجزء المنظم لتحديد المقدار الذي يتعلمه الطلبة في موضوع معين على وفق اهداف سلوكية تم تحديدها مسبقاً، اذ يمكن الافادة منه لتحسين أساليب التدريس والتخطيط والتنفيذ وتقويم الانجاز (الزغلول وشاكر ٢٠٠٧ : ١٧٢), وبعد الاطلاع على الدراسات السابقة لم يجد الباحثون اختباراً يتناسب مع طبيعة المشكلة المطروحة (حسب علم الباحثة) وبالاستناد إلى الأدبيات والأطر النظرية عمل الباحثون على بناء اختبار يتناسب مع مجتمع البحث على وفق الاجراءات التالية:

١- تحديد الهدف من اختبار التحصيل: يهدف الاختبار بفقراته التي تتضمن المستويات الاربعة معرفة، فهم التطبيق، والتحليل الى قياس التحصيل النهائي لطالبات المجموعة التجريبية والضابطة في الصف الأول المتوسط

للمادة الدراسية المتضمنة في الفصلين الرابع والخامس لمادة الاجتماعيات وتحديد اثراستراتيجية حلقة الحكيم

٢- اعداد جدول المواصفات :ان اعداد الاختبارات التحصيلية يتطلب اعداد جدول المواصفات من اجل ان تتميز بالشمول والموضوعية، حيث يأخذ جدول المواصفات بالحسبان المحتوى الدراسي والاغراض السلوكية والتي يتم صياغتها وتحديدها مسبقاً, ولجدول المواصفات فوائد عدة منها انه يعطي ويأمن صدق المحتوى للاختبار كما انه يلزم المدرس بالتوزيع العادل للأسئلة على اجزاء المادة الدراسية وبذلك يمكن من تغطية كافة اجزاء المادة العلمية ويعطي كل جزء وزنة واهميته الحقيقة (الدليمي و عدنان,٢٠٠٥: ٣١)،أعد الباحثون جدول مواصفات للاختبار التحصيلي شمل محتوى المادة الدراسية , والاهداف السلوكية للمستويات الاربعة الاولى من المجال المعرفي لتصنيف بلوم كما يأتي :

أ- تحديد الوزن النسبي (الأهمية النسبية) للمحتوى: تم تحديد الوزن النسبي لمحتوى كل وحدة من الوحدات الثلاثة للمادة الدراسية عن طريق عدد الدروس التي يستغرقها تدريس ذلك المحتوى , وتم حساب عدد الدروس من خلال عدد الدروس المثبتة في منهجية الكتاب , وبالتالي تم حساب اوزان محتوى الموضوعات لهذه الفصول كما في المعادلة الاتية :

$$\text{الوزن النسبي لمستوى الفصول} = \frac{\text{(عدد صفحات الفصول)}}{\text{(عدد الصفحات الكلي للفصلين)}} \times ١٠٠$$

ب- تحديد الاوزان النسبية للأهداف السلوكية : تم تحديد الاوزان النسبية للأهداف السلوكية للمستويات الاربعة عن طريق حساب نسبة الاهداف السلوكية لكل مستوى للفصلين الاخيرين الى العدد الكلي للأهداف كما في المعادلة الاتية : الوزن النسبي لمستوى الاهداف = (عدد الأهداف في المستوى الواحد) / (مجموع الاهداف الكلي) × ١٠٠

عدد الاسئلة في كل خلية = عدد الاسئلة الكلي × نسبة المحتوى × نسبة الغرض (الزاملي واخرون، ٢٠٠٩ : ٢٩٢ – ٢٩٦) .

ج- وبعد تحديد كل من عدد فقرات الاختبار النهائي ب(٤٠) فقرة والوزن النسبي لمحتوى كل وحدة , والوزن النسبي لمستويات الاهداف السلوكية توزعت الاسئلة في كل خلية وفق المعادلة الاتية :الوزن النسبي لمستوى الفصول × الوزن النسبي لمستوى الاهداف × عدد فقرات الكلي (النجار , ٢٠١٠: ٨٦– ٨٧)

٣- صوغ فقرات الاختبار التحصيلي: يرتبط الاختبار التحصيلي بالمادة الدراسية التي تم تدريسها للمتعلمين بمعنى انه لا يمكن اعداد اختبار تحصيلي للمحتوى التعليمي الذي لم يتم تدريسه للمتعلمين, فالاختبار التحصيلي هوه اجراءات منظمة لتحديد مستوى تحصيل المتعلم للمعلومات والمهارات التي اكتسبها في المادة الدراسة التي تعلمها سابقاً ,وعليه من هذا المنطلق يجب ان يكون الاختبار التحصيلي اداة للحكم على المحتوى التعليمي الذي تم تدريسه فعلياً (عبد الرحمن،٢٠٠٨: ٢٢٢), صاغ الباحثون (٤٠) فقرة اختبارية من نوع الاختيار من متعدد وهذا النوع من الاختبارات يتصف بالشمولية والصدق والثبات والموضوعية فضلا عن انخفاض عامل التخمين وسهولة التصحيح والتحليل الاحصائي ، وقد روعي في ان يكون عدد البدائل اربعة بواقع بديل واحد صحيح وثلاثة خاطئة للتقليل من عامل التخمين، مع مراعاة التوزيع المنطقي للإجابة الصحيحة بين البدائل والتجانس بينها قدر الامكان. (علام ، ٢٠٠٦ : ١٤٧) وهذه الاسئلة الاختبارية موزعة على وفق الأغراض السلوكية بمستوياتها الاربعة.

٤- تصحيح الاختبار التحصيلي:أعد الباحثون مفتاحاً للإجابة النموذجية لجميع فقرات الاختبار التحصيلي ملحق (٩)، وقد اعتمدا عليه في تصحيح فقرات الاختبار التحصيلي، إذ أعطى الباحثون درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفراً للإجابة الخاطئة أو المتروكة لفقرات الأسئلة الموضوعية، وبذلك تكون درجة الاختبار لتلك الأسئلة بالمدى(٠-٣٥) درجة وبذلك تكون الدرجة الكلية للاختبار التحصيلي من (٤٠) درجة وبمتوسط فرضي (٢٠).

٥- صلاحية فقرات الاختبار التحصيلي: هو الذي يتم التوصل اليه عن طريق حكم المحكمين على درجة تمثيل فقرات الاختبار للسمة المراد قياسها,(الجلبي ،٢٠٠٥: ٩٣) وللتأكد من صدق الاختبار التحصيلي تم عرضه على مجموعة من المحكمين في مادة الاجتماعيات وطرائق تدريسها والبالغ عددهم (٢٦) محكماً، ملحق(٢) لبيان آرائهم وملاحظاتهم بشأن مدى صلاح الفقرات في قياس ما وضعت من اجله ومدى دقة صوغها وانسجامها مع الأغراض السلوكية وتمثيلها لمحتوى الفصول الفصلين, إذ عدت الفقرة صالحة إذا حصلت على نسبة اتفاق (٨٠٪) فما فوق من آراء المحكمين، وفي ضوء آراء المحكمين لم يكن هناك فقرات غير صالحة، وإنما حصلت على نسبة اتفاق الجميع مع تعديل بعض فقرات الاختبار، مع اعتماد قيمة مربع كاي المحسوبة وبذلك أعدت جميع فقرات الاختبار صالحة لقياس تحصيل الطالبات، وبقي الاختبار التحصيلي بصيغته النهائية مكوناً من (٤٠) فقرة.

٦-صوغ تعليمات الاختبار التحصيلي: تم وضع التعليمات الخاصة بالاختبار التحصيلي وقد شملت إعطاء فكرة عن الهدف من الاختبار وعدد الأسئلة وكيفية توزيع الدرجات بين فقرات الاختبار وكيفية الإجابة عن فقرات الاختبار الموضوعي مع مراعاة قراءة كل سؤال بدقة، ثم اختيار الإجابة الصحيحة وعدم ترك أي فقرة من دون إجابة أو اختيار أكثر من إجابة واحدة للفقرة.

٧- التطبيق الاستطلاعي للاختبار التحصيلي:

١- التطبيق الاستطلاعي الأول: بعد صياغة الفقرات وعرضها على المحكمين لا بد من التأكد من وضوحها وتعليمات الاختبار ومعرفة الوقت المستغرق في الاجابة على الفقرات ، تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية مماثلة تقريباً لعينة هذا البحث مكونة من (٣٦) طالبة من طالبات الصف الأول المتوسط في متوسطة القوارير يوم الخميس الموافق (١٠ / ٤ / ٢٠٢٥)، وقد عمل الباحثون على تطبيق الاختبار بمتابعة اسئلة الطالبات وتسجيل الوقت بشكل دقيق وبعد انتهاء الطالبات من الاجابة وتسجيل الوقت على استمارة الاختبار تم جمعها واتضح أن جميع فقرات الاختبار وتعليماته كانت واضحة، كما حدد زمن الاختبار بجزأيه وان معدل زمن إجابة جميع الطالبات عن فقرات الاختبار، تراوح بين (٢٠-٣٥) دقيقة، بمتوسط قدره (٣٠) دقيقة.

٢-التطبيق الاستطلاعي الثاني:استنادًا إلى التوصيات الإحصائية، يُفضل أن يتراوح حجم العينة بين (٥ إلى ١٠) أفراد لكل فقرة من فقرات المقياس لتقليل تأثير الصدفة (Nunnally, ١٩٧٨:٢٦٢)، طبق الاختبار التحصيلي على عينة استطلاعية مؤلفة من (٢٠٠) طالبة من طالبات الصف الأول المتوسط في المدارس التابعة للمديرية العامة لتربية القادسية، تم اختيارهن بالطريقة العشوائية من اربعة مدارس (ثانوية بالقيس للبنات, متوسطة العدالة للبنات, متوسطة الآيات للبنات, متوسطة الظلال للبنات) بالتساوي, إذ تم تطبيق الاختبار التحصيلي يوم الاحد الموافق (١٣/ ٤ / ٢٠٢٥), وبعد تصحيح الاجابات لا بد من معرف ان الدرجات تقترب من التوزيع الطبيعي او لا تم استخراج قيمة سميرنوف والبالغة (٠,٠٥٧) عد مستوى دلالة (٠,٢٠٠) وهو اكبر من مستوى الدلالة المعتمد (٠,٠٥) مما يعني ان الدرجات تتوزع توزيعاً اعتدالياً, وبعد تصحيح الإجابات واستخراج الدرجة الكلية لكل استمارة، تم سحب (٢٧٪) من درجات اعلى الاستمارات لتمثل المجموعة العليا وقد بلغ عددهن (٥٤) استمارة وتراوحت درجاتهن (٣٦-٢٦)، وبنسبة (٢٧٪) من درجات ادنى الاستمارات، وقد بلغ عددهن (٥٤) استمارة تراوحت درجاتهن (١٥-٤), وبالتالي بلغ عدد استمارات المجموعتين (١٠٨) استمارة. ثم أجريت على المجموعتين العليا والدنيا التحليلات الإحصائية الآتية:

أ- معامل التمييز: يقصد بقوة تمييز الفقرات على مدى قدرتها على التمييز بين الطالبات ذوات المستويات العليا والدنيا بالنسبة الى الصفة التي يقيسها الاختبار.(المياحي ، ٢٠١١: ١٧٨)، وقد حسبت القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الأسئلة الموضوعية باستخدام معادلة التمييز الخاصة بها، ووجد انها تتراوح ما بين (٠,٢٧-٠,٦٤)، وتعد فقرات الاختبار التحصيلي مقبولة من ناحية قدرتها التمييزية. ا ذ يرى (Ebel, ١٩٧٢) أن أي فقرة تعد

جيدة إذا كان قوة تمييزها من (٠,٢٠) فما فوق. (Ebel, ١٩٧٢ :٣٩٩) .

ب- صعوبة فقرات الاختبار: بما أن الاختبار يتضمن نوعين من الاسئلة (الموضوعية والمقالية) لذلك حسبت صعوبة كل فقرة من فقرات الأسئلة الموضوعية باستخدام معادلة الصعوبة الخاصة بها، وقد وجد أنها تتراوح ما بين(٠,٢٨- ٠,٦١)، وبذلك تم قبول فقرات الاختبار، ويعد معامل صعوبتها مناسباً، إذ يشير(Bloom, ١٩٧١)إلى أن فقرات الاختبار تكون جيدة إذا كانت معامل صعوبتها يتراوح بين (٠,٢٠ – ٠,٨٠). .(Bloom,٦٦:١٩٧١

ج- فعالية البدائل الخاطئة: تكون البدائل أو المموهات جذابة عندما تجذب الطلاب الذين لا يعرفون الإجابة الصحيحة من بين طلاب المجموعتين(العليا والدنيا)، وبذلك يعد البديل الخاطئ في الاختبارات الموضوعية من نوع الاختيار من المتعدد فعالاً عندما يكون عدد الطلبة الذين اختاروه في المجموعة الدنيا أكثر من عدد الطلبة الذين اختاروه من المجموعة العليا، كما يكون البديل الخاطئ أكثر فعالية كلما زادت قيمته بالسالب (الكيلاني وعبد الرحمن ،٢٠٠٩: ٤٥٠)، وبعد حساب فعالية البدائل باستخدام معادلة فعالية البدائل الخاصة لكل فقرة من فقرات الاختيار من متعدد، وجدت الباحثة أن جميع فعالية البدائل دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠٥)

ثبات الاختبار: يقصد به دقة القياس أو اتساقه، أي مدى الاتساق في قياس الشيء التي تقيسه أداة القياس، وقد تم حساب ثبات الاختبار التحصيلي باستخدام معادلة (إلفا-كرونباخ) على إجابات طالبات العينة الاستطلاعية .(العبسي ، ٢٠١٠: ٢١٤)، وبعد اخضاع بيانات عينة التحليل الاحصائي الى معادلة الفاكرونباخ بلغت قيمة معامل الثبات (٠,٨١) وهي قيمة جيدة، وهذا ما اشار له (علام،٢٠٠٠) إلى أن الاختبار يتصف بالثبات الجيد، إذا كان معامل ثباته(٨٠٪) فأكثر. (علام، ٢٠٠٠: ٥٤٣)، وبعد التأكد من الخصائص السايكومترية من صدق وثبات صار الاختبار جاهزاً للتطبيق للنهائي.

٨-اختبار التحصيل بصيغته النهائية: بعد التحقق من الخصائص السايكومترية للاختبار تضح ان الاختبار بصيغته النهائية يتكون من (٤٠) فقرة, وينقسم الى نوعين من الاسئلة نوع من الاسئلة الموضوعية وتبلغ (٤٠) فقرة وهي من نوع الاسئلة ذات الاختيار من متعدد بواقع اربعة بدائل من المموهات احدى هذه البدائل صحيحه وباقي البدائل خاطئة وعند اختيار المستجيبات للبديل الصحيح يعطى (١) درجة, وعند اختيار البديل الخاطئ او عند ترك الاجابة او اختيار اكثر من بديل يعطى للمستجيبات (صفر). وعلية فان ادنى درجة هي (صفر) واعلى درجة (٤٠) درجة.

سادساً: إجراءات التطبيق النهائي للتجربة:

بعد الانتهاء من تدريس الطالبات المحتوى الدراسي المقرر ضمن نطاق التجربة، طبق الباحثون الاختبار التحصيلي على طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة)، بعد إخبار الطالبات بموعد الاختبار قبل أسبوع لغرض الاستعداد له، كما أجري الاختبار في اليوم نفسه على مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة)، إذ طبق الاختبار التحصيلي يوم الاربعاء الموافق (٢٣ / ٤ / ٢٠٢٥) وبعد الانتهاء من تطبيق الاختبار التحصيلي ، قام الباحثون بتصحيح إجابات الطالبات وفقاً لمفتاح التصحيح الخاص بكل من اختبار تحصيلي الذي وضعه الباحثون للتصحيح، ثم رتبت درجات طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) ملحق (٣)

الفصل الرابع : اولا – عرض هدف البحث ونتائجه :

١-الهدف الاول: التعرف على اثر استراتيجية حلقة الحكيم في التحصيل عند طالبات الصف الاول متوسط في مادة الاجتماعيات, ومن هذا الهدف اشتقت الفرضية التالية:

الفرضية الصفرية الاولى :لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية التي درسن المادة المقررة باعتماد استراتيجية حلقة الحكيم ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللواتي درسن المادة نفسها باعتماد الطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيل عند طالبات الصف الاول

متوسط في مادة الاجتماعيات, ولتحقيق هذه الفرضية تطلب الامر حساب المؤشرات الاحصائية لبيان طبيعة توزيع الدرجات الخام لمعرفة نوع الاحصاء المتبع في نتائج البحث والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

المتوسط الحسابي لمجموعتي البحث في اختبار التحصيل البعدي

المجموعات / المؤشرات الإحصائية	المجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية الحكيم	الضابطة باستخدام الطريقة الاعتيادية
المتوسط الحسابي	31.5938	24.3750
الوسيط	31.000	21.000
الانحراف المعياري	4.94394	4.65417
التفرطح	0.135-	0.086
الالتواء	1.297-	0.817-

يشير الجدول (٢) الى ان مقاييس النزعة المركزية ذات قيم متقاربة فضلا عن ان الالتواء والتفرطح يشيران الى تركيز التكرارات في منطقة التوزيع الاعتدالي مقارنة بالقيم المعيارية البالغة ان تكون قيم الالتواء والتفرطح تتراوح بين (٣+ – ٣–) (عودة والخليلي، ١٩٨٨: ٨١) وعلية تم استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين متساويتين في العدد لمعرفة الفرق بين متوسط درجات المجموعة التجريبية ومتوسط درجات المجموعة الضابطة والجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣)الفروق الاحصائية لاختبار التحصيل البعدي لمجموعتي البحث

المجموعة	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري للمتوسط الحسابي	اختبار ليفين لتساوي التباين		اختبار (t-test)		درجة الحرية df	الدلالة الاحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
					F	الدلالة	t	دلالة		
التجريبية بعدي	32	31.5938	4.94394	0.87397	0.309	0.580	6.014	0.000	62	دالة
الضابطة بعدي	32	24.3750	4.65417	0.82275						

يلاحظ من الجدول (٣) تحقق شرط التجانس من خلال استخراج قيمة اختبار ليفين (s Test'Levene) والتي قد بلغت (٠,٣٠٩) عند مستوى دلالة (٠,٥٨٠) وهو أكبر من مستوى الدلالة المعتمد(٠,٠٥), وهذا يعني أن درجات افراد المجموعتين التجريبية والضابطة تعطي مؤشر الى تجانس طالبات المجموعتين وعلية تم تطبيق الاختبار التائي (t–test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق الإحصائي بين متوسطي درجات طالبات المجموعة الضابطة والتجريبية, وبلغت القيمة التائية (t) (٦,٠١٤) وهو اكبر من القيمة الجدولية (٢) عند مستوى دلالة (٠,٠٠) وهو ايضاً أكبر من مستوى الدلالة المعتمد(٠,٠٥) وبدرجة حرية (٦٢), ولصالح المجموعة التجريبية اذ بلغ المتوسط الحسابي لدرجاتهن (٣١,٥٩٣٨) درجة , في حين بلغ المتوسط الحسابي لدرجات طالبات المجموعة الضابطة (٢٤,٣٧٥٠) وعلية ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تشير الى وجود فروق ذات

دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية التي درسن المادة المقررة باعتماد استراتيجية حلقة الحكيم وطالبات المجموعة الضابطة اللواتي درسن المادة نفسها باعتماد الطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيل عند طالبات الصف الاول متوسط في مادة الاجتماعيات, ولغرض بيان الدلالة العملية لفاعلية استراتيجية حلقة الحكيم في المتغير التابع (التحصيل الدراسي في مادة الاجتماعيات) اعتمدت الباحثة مؤشر حجم الاثر ((f للاختبار التائي المعتمد على مربع ايتا ((eta Square حيث بلغ مربع ايتا (٠,٣٦٨) فيما بلغ حجم الاثر (٠,٦٠٧) وهو تأثير كبير. وكما مبين في الجدول (٤).

جدول (٤)الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمجموعتي البحث في متغير التحصيل الدراسي

المتغيرات	مربع ايتا	حجم الاثر	مستوى التأثير
استراتيجية حلقة الحكيم	0.607	0.368	كبير

يلاحظ من الجدول (٤) ان قيمة حجم المتغير المستقل (استراتيجية حلقة الحكيم) على المتغير التابع التحصيل الدراسي في مادة الاجتماعيات بلغت (٠,٥٨١) درجة وهي قيمة ذات تاثير كبير حسب معيار كوهين والمشار اليها في (الياسري واخرون، ٢٠١١), اذ بين اذا كانت القيمة بين (٠,١٠ – ٠,٢٩) يكون حجم الفاعلية صغير. اما اذا كانت القيمة بين (٠,٣٠ – ٠,٤٩) يكون حجم الفاعلية متوسط . في ما أذا كانت القيمة بين (٠,٥٠ – فما فوق) يكون حجم إلفاعلية كبير. (الياسري واخرون، ٢٠١١: ٢٠٩)

ثانياً: تفسير النتائج :

أشارت النتائج الإحصائية في الفرضية الى تفوق طالبات المجموعة التجريبية التي درسن على وفق استراتيجية حلقة الحكيم على طالبات المجموعة الضابطة اللواتي درسن بالطريقة الاعتيادية في التحصيل عند طالبات الصف الاول متوسط في مادة الاجتماعيات ويرجع هذا التفوق كما يرى الباحثون الى طبيعة استراتيجية حلقة الحكيم التي تتميز بمجموعة من الخصائص إذ لوحظ انها تجعل الطالبات محور العملية التعليمية على عكس طرق التدريس التقليدية المستخدمة كما انها تعمل على تحديد مستويات الطالبات وتصنيفهن من الضعيف الى الممتاز والتركيز على تحسين مستواهن ودعمهن بكل ما يستطيع المدرسون (الباحثون) بهدف ايصالهن الى المستوى الذي ظهرن علية.

ثالثاً: الاستنتاجات: في ضوء النتائج التي توصل اليها الباحثون تضع الاستنتاجات التالية:

تمتاز استراتيجية حلقة الحكيم بانها تصل الى ذهن الطالبات بسهولة حيث تقوم احدى طالبات بشرح المادة او الفكرة الى الطالبات وهي بمستوى ذهن زميلاتها مما ادى الى تفوق الطالبات في اختبار التحصيل.

كما ان هذه الاستراتيجية ممتعة للطالبات، ويمكن تطبيقها من قبل المدرسين والمدرسات بالإمكانات المتاحة في المدارس في تدريس مادة الاجتماعيات.

اسهمت استراتيجية حلقة الحكيم في تشجيع الطالبات على حرية الرأي وطرح التساؤلات ومشاركتهن الايجابية .

رابعاً: التوصيات:

١– ضرورة ان تتبنى مديرية الأعداد والتدريب في وزارة التربية تنظيم دورات للكوادر التعليمية والتدريسية لمادة الاجتماعيات باستراتيجية حلقة الحكيم.

٢– ضرورة اهتمام القائمين على العملية التربوية بتوظيف استراتيجية حلقة الحكيم في تدريس مادة الاجتماعيات لما لها من أثر في رفع مستوى التحصيل.

خامساً: المقترحات : استكمالا لنتائج البحث الحالي يضع الباحثون المقترحات الآتية

١– اثر استراتيجية حلقة الحكيم في العمق المعرفي والتشارك المعرفي لدى طالبات الصف الثاني متوسط في مادة الاجتماعيات.

٢– اجراء دراسة مماثلة للمقارنة بين الاناث والذكور لمراحل دراسية اخرى .

المصادر العربية والاجنبية:

-ابن خلدون, جميل موسى النجار(٢٠٠٧): خلقة التأريخ (مباحث نظرية),ط١,بغدلد , العراق.
-ابو جادو, صالح محمد علي,(٢٠٠٣): علم النفس التربوي, ط١,دار عمان.
-اسعد، فرح ايمن (٢٠١٧):استراتيجيات التعلم النشط، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن
-اشتيوه، فوزي فايز واخرون(٢٠١١): مناهج التربية الاسلامية واساليب تدريسها، دار صفاء للنشر والتوزيع , الاردن .
-امبو سعيدي, عبدالله بن خميس وهدى بنت علي الحوسنية (٢٠١٦):استراتيجيات التعلم النشط١٨٠ استراتيجية مع الامثلة التطبيقية, ط١,داره المسيرة, عمان.
-الجابري، كاظم كريم رضا(٢٠١١): مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، بغداد ، مكتب النعيمي للطباعة والاستنساخ .
-الجلالي , لمعان مصطفى (٢٠١٦): تحصيل الدراسي , ط٢ , دار المسيرة , عمان , الاردن.
-الحلبي، سوسن شاكر(٢٠٠٥):أساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، ط ١ , مؤسسة علاء الدين للطباعة، دمشق.
-الحميداوي, ياسر خضير(٢٠١٨): تطوير المناهج الدراسيه في عصر الرقميه,ط١ , دار السحاب للنشر والتوزيع , عمان , الاردن .
-الزاملي ، علي عبد جاسم واخرون (٢٠٠٩) : مفاهيم وتطبيقات في التقويم والقياس التربوي ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
-الزغول، عماد عبد الرحيم والحاميد، شاكر عقله (٢٠٠٧): سيكولوجية التدريس الصفي، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان ، الاردن.
-سمارة, نوفل احمد وعبد السلام موسى (٢٠٠٨):مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية,ط١ , دار المسيرة للطباعة والنشر, عمان, الاردن.
-عبد الرحمان، سعد (٢٠٠٨): القياس النفسي النظرية والتطبيق، ط ٥ ، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر.
-عبد الرحمن ، انور حسين وزنكنة عدنان (٢٠٠٧):الانماط المنهجية وتطبيقاتها في العلوم الانسانية و التطبيقية ، دار الفرقان ، بغداد.
-العبسي، محمد مصطفى (٢٠١٠):التقويم الواقعي في العملية التدريسية، ط ١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
-علام (٢٠٠٦): الاختبارات والمقاييس التربوية والنفسية، ط ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.
- علام ,(٢٠٠٠): القياس والتقويم التربوي والنفسي أساسياته وتطبيقاته, ط١ , دار الفكر العربي , القاهرة
-علي عياد حسين(٢٠٠١):التحصيل الدراسي والتعلم وعلاقة الاسرة والمدرسة بهما، مجلة الفرات، العدد، هيئة التعليم التقني، بغداد العراق .
-عليان، شاهر ربحي (٢٠١٠) : مناهج العلوم الطبيعية وطرق تدريسها ، دار المسيرة، عمان الاردن.
-الفتلاوي, فاطمه عبد الامير عبد , حسنين عدنان مرتضى الواجد ي , وعبد الحسين رزوقي الجبوري (٢٠١٦) : تدني مستوى التحصيل الدراسي لطلبة المرحلة الاعدادية في محافظة كربلاء المقدسة من وجهة نضر المدرسين والمدرسات , مجلة السبط , العتبة الحسينية المقدسة الامانة العامة مركز كربلاء لدراسات والبحوث , المجلد ١ , العدد٢ ,ص٢٤٥-٧٢.
-فرج، عبد اللطيف بن حسين (٢٠٠٧): صناعة المناهج وتطويرها في ضوء النماذج، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
-الكيلاني، عبد الله زيد وعبد الرحمن عدس (٢٠٠٩): القياس والتقويم في التعلم والتعليم ،الشركة العربية المتحدة، القاهرة.
-محمود, شاكر محمود ,(٢٠٠٤): التقويم التربوي للمعلمين والمعلمات, دار الاندلس , الحائل , السعودية .
-المياحي، جعفر عبدكاظم(٢٠١١): القياس النفسي والتقويم التربوي، ط ١، دار كنوز المعرفة، عمان.
-النجار, نبيل جمعة صالح (٢٠١٠):القياس والتقويم (منظور تطبيقي مع تطبيقات برمجة spss) , ط١ , دار حامد , عمان .
-نزال, شكري حامد(٢٠١٤):مناهج الدراسات الاجتماعية واصول تدريسها, دار الكتاب الجامعي, الامارات .
- الشمري ماشي بن محمد (٢٠١١) : ١٠١ استراتيجية في التعلم النشط ، ط ، وزارة التربية والتعلم المملكة العربية السعودية ، قسم العلوم.

المصادر الاجنبية:

-Bloom, B.S. and others (1971): Handbook on Formative and Summative, Evaluation of student learning , MC, Grew Hill, New York.
-Nunnally, J. C. (1978): Psychometric theory. New York, Mc Graw- Hill
-Sharpak, Georges (2001): L a Main A La Pate Les Sciences A L›Ecole primaire, Chihab Education.
-Aiadegana, Aiapa IAwrence (2021): EFFECTS OF CIRCLE THE SAGE INSTRUCTIONAL STRATEGY ON SENIOR SECONDARY SCHOOLS STUDENTS› NUMERICAL ABILITY IN PHYSICS IN EKITI STATE, NIGERIA, International Journal of Contemporary Education Research Published by Cambridge Research and Publications. Vol. 22 No.

أثر استراتيجية الصراع المعرفي في تحصيل طلاب الثاني متوسط في مادة التاريخ وتفكيرهم الايجابي

م.م. سعد عجيل صالح
وزارة التربية/ المديرية العتمو للتربية في محافظة نينوى

المستخلص:
هدف البحث الحالي التعرف على اثر استراتيجية الصراع المعرفي في تحصيل طلاب الثاني متوسط وتفكيرهم الايجابي, تحددت عينة البحث الحالي بطلاب الثاني المتوسط التابع لمدارس تربية نينوى للعام الدراسي(٢٠٢٤ – ٢٠٢٥), تم اختيار طلاب الثاني المتوسط ليكون طلابها عينة البحث بصورة قصدية وتم اختيار قاعتين من مجموع أربع قاعات, أحد المجموعتين تجريبية والأخرى ضابطة ، وقد بلغت عينة البحث (٦٥) طالب بواقع (٣٢) طالب في المجموعة التجريبية، و (٣٣) طالب في المجموعة الضابطة وقد كافئ الباحث مجموعتا البحث في متغيرات (اختبار الذكاء، العمر الزمني, التفكير الايجابي),كذلك تم اعداد الاختبار التحصيلي, إذ تم صياغة (٤٠)، فقرة بما يتناسب مع محتوى المادة والاغراض السلوكية (معرفة، فهم ، تطبيق، تحليل، تركيب، تقويم) اختبار التفكير الايجابي، إذ تم اعداد اختبار من قبل الباحث وهو التفكير الايجابي الذي تالف من (١٥) فقرة وتم تحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً باعتماد البرنامج الإحصائي (SPSS.V ٢١.)إذ اظهرت النتائج بتفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستراتيجية الصراع المعرفي على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير الايجابي، وبناءً على نتائج البحث يوصي الباحث بضرورة اعتماد استراتيجية الصراع المعرفي في تدريس مادة (التاريخ) لما لها من أثر إيجابي في زيادة التفكير الايجابي لدى الطلاب, ولغرض التحقق من هدف البحث وضع الباحث الفرضية الحضرية الآتية:–
١–لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون وفق استراتيجية الصراع المعرفي، وبين درجات المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في التحصيل.
٢–لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون باستراتيجية (الصراع المعرفي) ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون الطريقة الاعتيادية في التفكير الايجابي.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية، الصراع المعرفي، التفكير الايجابي، طلاب الثاني متوسط.

Abstract:
The current research aims to identify the effect of the cognitive conflict strategy on the achievement of second-year middle school students and their positive thinking. The sample of the current research was determined by second-year middle school students affiliated with Nineveh Education Schools for the academic year (2024-2025). Second-year middle school students were chosen to be the research sample intentionally. Two halls were chosen from a total of four halls, one of the two groups was experimental and the other was a control group. The research sample amounted to (65) students, with (32) students in the experimental group and (33) students in the control group. The researcher rewarded the two research groups in the variables of the intelligence test, chronological age, and positive thinking. The achievement test was also prepared, as (40) paragraphs were

formulated in accordance with the content of the material and behavioral purposes (knowledge, understanding, application, analysis, composition, evaluation of the positive thinking test). The researcher prepared a test, which is positive thinking, which consisted of (15) paragraphs. The data were analyzed and processed statistically using the statistical program (21.SPSS.V). The results showed superiority The experimental group students who studied using the cognitive conflict strategy outperformed the control group students who studied using the traditional method in the positive thinking test. Based on the research results, the researcher recommends adopting the cognitive conflict strategy in teaching history because of its positive impact in increasing positive thinking among students. To verify the research objective, the researcher formulated the following hypothesis:

1- There are no statistically significant differences at the significance level (0.05) between the average scores of the experimental group students who study using the cognitive conflict strategy and the scores of the control group who study using the traditional method in achievement.

2-There is no statistically significant difference at the level (0.005) between the average scores of the experimental group students who study using the cognitive conflict strategy and the average scores of the control group students who study using the traditional method in positive thinking

Keywords: cognitive conflict strategy, positive thinking, second-year intermediate students

الفصل الأول:

أولاً:مشكلة البحث :

يشهد العالم ثورة علمية وتكنولوجية هائلة يزداد تأثيرها في شتى مجالات الحياة وأصبح رصيد الدول لا يقاس بما تملكه فقط من ثروات طبيعية بل وأيضا من عقول مفكريها ومثقفيها الذين يقومون بصناعة المعرفة للوصول إلى مستوى من الدخل المعرفي والقومي الذي يصون استغلالها وسيادتها، فمحور التقدم هو العقل البشري المفكر.

وقد اقترح نياز (Niaz) إستراتيجية تعتمد الفلسفة البنائية أساسا لها، وهي إستراتيجية الصراع المعرفي التي تركز على المفاهيم المتعارضة مع ما يمتلكه الطلاب من مفاهيم في بنيتهم المعرفية, مما ينتج عنه حالة من عدم الاتزان تؤدي إلى إثارة اهتمام الطلاب لمعرفة هذا التناقض ومن ثم الإجابة عنه من خلال عملية البحث والاستقصاء، وبهذا يصل الطالب إلى حالة من الاتزان المعرفي)البلوشي, ٢٠٠٨: ٣٢)

ولعل وجود تلك التصورات البديلة لدى الطلاب يعود لعدة أسباب من أهمها: الانصراف عن دراسة مصادر

التاريخ، وعدم جعلها جزءا مهما في العملية التعليمية، وعدم التقيد بالمنهج المدرسي، وتركيز المناهج الدراسية على المعلومات المقروءة، بدلاً من العناية بكيفية استخدامها استخدامًا صحيحا، وتسرب الكثير من المعلومات التي لا تمت للمادة بصلة، فضلاً عن القصور في طرائق التدريس التي غالبا – لا تهتم بالتصورات البديلة وكيفية معالجتها, إذ يشكل التنافر المعرفي حالة عاطفية تنشأ عندما تتكون لدى الطالب عناصر معرفية تقتضي أن يكون أحدها أو بعضها عكس الآخر, وكحالة من التوتر عندما تكون هناك مثابرة حتى يتمكن العمل المعرفي من تخفيض عدد أو أهمية المعارف المتناقضة مع العناصر الأكثر مقاومة للتغيير, (الوهابة, ٢٠٠٨: ٧٧)

ويمثل الصراع المعرفي حالة من عدم الراحة النفسية ينتج عن وجود معارف غير متجانسة، أو عناصر عن الذات، أو سلوك الشخص، أو البيئة وينشأ الصراع لأن الشخص يتوجب عليه الاختيار بين شيئين, ويكون الشخص مدفوعا في اتجاهين في وقت واحد (درويش, ٢٠٠٦: ٩٠).

كما يعد الصراع المعرفي حافزا قويا، والذي غالبا ما يقودنا إلى تغيير واحد أو آخر من المعتقد أو الفعل المتعارض أي تناقض، أي المعتقدات الافتراضية، في طريقة تفكيرنا أو تصرفنا ينتج عنه تنافر، وهو أمر غير مريح ويخلق دافعا لتقليل التوتر من خلال إعادة تقييم صلاحيته **Diante**, ٢٠١٥: ٣٤)).

إذ تتبع مشكلة الدراسة من خلال عمل الباحث ومعايشته لطلاب، وملاحظته لمعاناة البعض من الضغوط والمشكلات التي تقف عائقاً في سبيل مسيرتهم التعليمية، والتي قد تتبع من خلال المواقف المختلفة التي يتعرض لها الطلاب داخل المدارس سواء على المستوى الأكاديمي أو على المستوى النفسي أو الاجتماعي، مما يضعهم في حالة من التوتر والشرود والتفكير الدائم بين التناقضات التي يتلمسونها داخلهم وبين البيئة المحيطة بهم، والتناقضات التي تحول بين ميولهم ورغباتهم، مما يشكل نوعاً من الصراع المعرفي لديهم, ومن خلال ما تقدم حدد الباحث المشكلة في السؤال الرئيس التالي: (ما اثر استراتيجية الصراع المعرفي في تحصيل طلبة الثاني متوسط في مادة التاريخ وتفكيرهم الايجابي)

ثانياً: اهمية البحث:

تنبع اهمية البحث من الجانبية هما:

تكمن أهمية الدراسة في جانبين مهمين هما الجانب النظري والجانب التطبيقي، بالنسبة للأهمية النظرية للدراسة فهي تسهم في تسليط الضوء على المتغيرات الحديثة في مجال علم النفس الإيجابي مثل متغير الصراع المعرفي ومتغير التفكير الايجابي، وتوضيح أثرهما الإيجابي على الطلاب، كما تتمثل في أهمية العينة المستهدفة في الدراسة وهي عينة طلاب المرحلة المتوسطة، فالطلاب خلال هذ المرحلة الأكاديمية في أمس الحاجة للتخطيط والتفكير في المستقبل لتحقيق الأهداف المرجوة، كما هم في أمس الحاجة للشعور بالتفاؤل والمشاعر الإيجابية نحو الحياة والفصل بين الافكار السلبية والايجابية والقدرة على الأداء الإيجابي والانجاز ويتمثل ذلك في التفكير الايجابي, أما فيما يتعلق في الجانب التطبيقي فتتمثل الأهمية في الاستفادة من نتائج الدراسة في إعداد برامج نفسية لتنمية مفهوم الصراع المعرفي والتفكير الايجابي لدى طلاب المرحلة المتوسطة مما له الأثر الإيجابي على أدائهم الأكاديمي وعلى حياتهم العلمية، بالإضافة إلى توفير مقاييس في مجال علم النفس الإيجابي لقياس متغيري التفكير الايجابي، ذات خصائص سيكومترية جيدة ومقننة على البيئة العراقية.

ثالثاً:هدف البحث :

يهدف البحث الحالي الى معرفة :

اثر استراتيجية الصراع المعرفي في تحصيل طلاب الثاني متوسط في مادة التاريخ وتفكيرهم الايجابي.

رابعاً: فرضيات البحث :

١–ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة

التجريبية الذين يدرسون وفق استراتيجية الصراع المعرفي، وبين درجات المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في التحصيل.

٢-لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدُرسون باستراتيجية (الصراع المعرفي) ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدُرسون بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير الايجابي.

خامساً: حدود البحث :

١- الحد البشري : طلبة الصف الثاني متوسطة من مدرسة حمام العليل للبنين

٢- الحد المكاني : تربية نينوى.

٣- الحد الزمني : العام الدراسي (٢٠٢٤ – ٢٠٢٥).

٤-الحد الموضوعي : مادة التاريخ.

سادساً: تحديد المصطلحات :

اولاً: الإستراتيجية عرفها :

التميمي (٢٠١٣)

بأنها عمل عام توضع لتحقيق مخرجات مستحبة وتصمم في ضوء خطوات أجرائية وتتحول الى تكتيكات أي أساليب جزئية تفصيلية تتم في تبادل مقصود من اجل تحقيق الأهداف المحددة (تميم ، ٢٠١٣: ٥).

Biggs, ١٩٨٤)):

بأنها : الطريقة التي يستعملها الطالب لاكتساب أنواع مختلفة من المعرفة والاداء وخزنها وإسترجاعها

Biggs, ١٩٨٤: ١١٢)).

ثانياً: استراتيجية الصراع المعرفي Cognitive Conflict Strategy عرفها: (Trumper,1997)

عبارة عن مجموعة من التحركات التعليمية التي يتم من خلالها وضع الطالب في حالة عدم اتزان معرفي عن تصوراتها حول الأنماط المختلفة للمفاهيم العلمية، وصولاً إلى الحد الأدنى من الفهم **Minimal Understanding**، والمعقولية الأولية **Initial Plausibility** للتصورات العلمية المرتبطة بتلك المفاهيم, تحقيقاً لتصويب تلك المفاهيم البديلة والاحتفاظ بالمفاهيم الصحيحة ووضعها في مواقف جديدة (Trumper,54 :1997)

(ابوهاشم, ٢٠١٤)

تعرف إستراتيجية الصراع المعرفي بأنها مجموعة من الإجراءات والخطوات المتتابعة والمتسلسلة، يقوم المعلم من خلالها بتقديم المعلومات للطلاب في صورة متعارضة ومتناقضة للخبرات والمفاهيم السابقة الموجودة في أذهانهم؛ مما يؤدي إلى حدوث صراع بين هذه الخبرات السابقة وبين المعلومات الجديدة المقدمة إليهم، فيشعر الطلاب بنوع من عدم الاتزان؛ مما يدفعهم للبحث عن حل لتلك المشكلة التي وقعوا فيها (أبو هاشم ٢٠١٤: ٢٢).

التعريف الإجرائي:

« هو مقدار ما يحصل عليه الطلاب –عيّنة البحث– من الذين درسوا باستعمال استراتيجية اصراع المعرفي والذين درسوا بالطريقة الاعتيادية من درجات في اختبار التفكير الايجابي الذي أعده الباحث لهذا الغرض.

ثالثاً: التحصيل عرفه كل من :

- الخالدي (٢٠٠٨)

«بأنه احد عوامل التكوين العقلي، وانه محك اساسي يمكن في ضوئه تحديد المستوى الاكاديمي للطالب

(الخالدي ، ٢٠٠٨ : ٨٩)».

• ربيع (٢٠٠٨)

«بأنه الاداة للحكم على ما تم تدريسه للطلبة من موضوعات تتعلق بمادة دراسية معينة بذاتها وليس ينتظر أو يتوقع تدريسها لهم (ربيع، ٢٠٠٨ : ١٧٠)».

التفكير الايجابي عرفه كل من :

(Seligman& csikzenthmihalyi, ٢٠٠٠).

بأنه مجموعة استراتيجيات في الشخصية توجد بدرجات متفاوتة عند البشر منها: التفاؤل والذكاء الوجداني والرضا وتقبل الذات غير المشروط والكفاءة الشخصية والإنجاز وتحقيق الذات، والمشاركة الوجدانية، والعطاء، والتشجيع على المودة والحب والتفتح والانفتاح على الخبرة والحكم الأخلاقي، ومهارات التفاعل الاجتماعي، والإحساس بالجمال، والتسامح والمثابرة والحكمة، والتطلع نحو المستقبل، والتلقائية، من الاستراتيجيات التي من شأنها أن تجعل الفرد أكثر مسئولية وإيثارية وتحضرا٤٣) :.(Seligman& csikzenthmihalyi, ٢٠٠٠

(Stallard bull,(٢٠٠٢

هو نمط من أنماط التفكير المنطقي التكيفي الذي يبتعد فيه الفرد عن أخطاء التفكير الهدامة، والتي يحملها في بعض المعتقدات التي توجه أفكاره ومشاعره وجهة سلبية، وهو يشمل السيطرة الآلية لبعض الأفكار عن غيرها في توجيه مشاعر الفرد، وضعف القدرة على التخلص٢٠٠٢: ٢٢) ,Stallard bull).

التعريف الاجرائي: بأنها الدرجة التي يحصل عليها الطالب على اختبار التفكير الايجابي اعداد الباحث, كذلك تبني الباحث تعريف ونظرية (.(Seligman& csikzenthmihalyi, ٢٠٠٠

الفصل الثاني: الاطار النظري والدراسات السابقة :

أولاً:استراتيجية الصراع المعرفي

• مفهوم استراتيجية الصراع المعرفي

يشير مفهوم إستراتيجية الصراع المعرفي في إضعافها المفاهيم البديلة، واستبدالها بالمفاهيم الجديدة، من خلال حل وكشف التناقض وملاحظة الطالب له مما يؤدي به إلى رفض المفهوم الجديد (الرؤساء، ١٤٢٢هـ)، كما يشير عطية (١٤٣٦هـ)، والدوسري (١٤٢٥هـ) إلى أن أهمية إستراتيجية الصراع المعرفي التي تنبع من كونها تولد رغبة واندفاعًا لدى الطلاب نحو التعلم وبناء المعرفة، من خلال ما يحدثه المفهوم المتناقض من إثارة لديهم، وأن التعلم فيها على مشاركة الخبرات بين الطلاب، وشد انتباههم، وتشجيعهم على الانخراط في عمليات التعلم، وتطوير مهارات التفكير لديهم، وحل المشكلات، واكتساب المعرفة وتصويب أنماط الفهم البديل وتحسين اتجاهات الطلاب نحو التعلم والتفكير الايجابي، وتنظيم عملية التعلم، وتنمية مهارات البحث العلمي، وحب الاستطلاع والحماس والمثابرة لحل الصراع المعرفي، ويجعل عملية التدريس سهلة التحقيق (الجمالي, ٢٠١٤: ٦٥).

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية استخدام إستراتيجية الصراع في تكوين اتجاه إيجابي نحو عملية التعلم، كما تطور أنماط التعلم ومعالجة المواقف لدى الطلاب، ويمنحهم صورة واضحة عن أصل المفهوم، وكيفية حدوثه لتكوين بنية مفاهيمية سليمة, كذلك يركز التدريس القائم على إستراتيجية الصراع المعرفي على عرض التصورات البديلة حول المفاهيم المراد تدريسها، ثم العمل على معالجة وتصويب تلك التصورات والعمل على التكيف المعرفة، على أن استخدام هذه الإستراتيجية لا بد أن يمر بالمراحل التدريسية الثلاث التالية (محمد, وعبد الشهابي, ٢٠٢٠: ٣٢٩)

المرحلة الأولى: المرحلة التمهيدية مرحلة تقديم المفهوم المتناقض: وفي هذه الخطوة يتم جذب انتباه الطلاب حول المفهوم المتناقض، وتشجيعهم على طرح الأسئلة، الأمر الذي يؤدي إلى إحداث دهشة واستغراب لديهم بسبب وجود تعارض في التوقعات الموضوعية مما يؤدي إلى تولد اضطراب وإرباك وحيرة تجعلهم في حالة من النهوض وعدم التوازن الأمر الذي يحثهم على سد الفجوة المفقودة بين خبراتهم السابقة وخبرات الموقف الجديد أو المتناقض, ولذا فإن الطلاب في هذه الحالة يحاولن إعادة بناء التراكيب المعرفية لديهم, إذ تصبح صورة جديدة قابلة للتعامل مع هذا المفهوم.

المرحلة الثانية: مرحلة الصراع مرحلة البحث عن حل التناقض: بعد عرض المفهوم المتناقض على الطلاب يتولد لديهم شغف لإيجاد حل للتناقض المتضمن في المفهوم المقدم، ومن خلال محاولاتهم لحل التناقض يستطيع المدرس تقديم أنشطة للطلاب يساعدهنم في حل التناقض، وبذلك يكتسب الطلاب في هذه الخطوة المقدرة على الملاحظة، وتسجيل البيانات والتنبؤ والتطبيق والتصنيف، من خلال محاولاتهم للوصول إلى حل الصراع والنزاع المعرفية لديهم، إذ يتمكن الطلاب في هذه الخطوة من تعلم الكثير من المضامين والمفاهيم العلمية للدرس.

المرحلة الثالثة: مرحلة القرار مرحلة التوصل إلى حل التناقض: وفي هذه المرحلة يتوصل الطلاب للاتزان المعرفية, إذ يصلون لحل التناقض المعرفة نتيجة البحث والتنقيب والاستقصاء والأنشطة، والتطبيقات المباشرة التي استخدموها في كشف المفهوم المتناقض، ويكتسب الطلاب خلال هذه المرحلة عدة مهارات هي مهارة جمع المعلومات, الملاحظة، التعاون الجماعي، طرح الأسئلة بالإضافة إلى المهارات الأخرى التي تتصل بعمليات التعلم، أي أنه في هذه المرحلة يتم تثبيت وتأكيد صحة المفهوم السليم عبر تقديم المفهوم العقدي الصحيح من قبل الطلاب أولاً، ومن ثم من قبل المدرس، وربط المفهوم الصحيح بالأدلة والبراهين التي ترسخة في الزمن مع إبراز العلاقة بينه وبين المفاهيم المرتبطة به الإحداث عملية الاستقرار الذهني، والوصول إلى حالة من التوازن المعرفية (الوهابه, ٢٠١٨: ٢٠٧).

• نظرية التنافر المعرفي لليون فستنجر ١٩٥٧

منذ ما يقرب من الخمسين عاماً نشر ليون فستنجر نظرية الصراع المعرفي التي أصبحت ركناً مهماً من أركان علم النفس الاجتماعى هذه النظرية تركت لنا عداً مهماً من البحوث والنظريات الثانوية التي شحت لنا الأسس النفسية للتصرف والاعتقاد، وتشكيل المبادئ، ونتائج القرارات التى يأخذها الإنسان، وآثار الخلاف بين الأفراد وعدد آخر من التصرفات التي لا يمكن إحصائياً, ونظرية الصراع المعرفي هذه هي نظريه مهمة في علوم الإدارة البشرية وخصوصاً في فهم ديناميكية العلاقات بين المجموعات والأفراد,

والصراع المعرفي هي حالة تتضمن انشغال الفرد ذهنياً بموضوعين، أو معتقدين أو فكرتين، يحتلان الأهمية نفسها ويبدو أنهما متناقضتان في طبيعتهما, والنظرية كما قدمها فستنجر تقول بأن أزواج الفهم (شعلات المعرفة قد تكون ذات علاقة أو غير مؤثرة بالنسبة إلى بعضها البعض, فإذا ما كان هناك فهمان ذو علاقة، فهما إما متفقان أو مختلفات متنافران وهما يكونان متفقان إذا ما كان أحدهما ينبع من الآخر, وتقوم النظرية على أن تواجد الصراع يخلق لدى الانسان نوعاً من الانزعاج النفسي مما يدفع الفرد بأن يسعى إلى تقليل الصراع، مما يقود إلى تفادى المعلومات التي قد تؤدى إلى رفع مستوى الصراع المعرفي لدى الشخص وكلما ازدادت حدة الصراع كلما ازدادت الحاجة إلى خفض مستوى الصراع, وان الصراع المعرفي ظاهرة الاحساس بالانزعاج، القلق أو عدم الارتياح النفسي التي ترافق تعرض الفرد المعلومات جديدة تتعارض والمعلومات القديمة التي يمتلكها هذا الفرد أو الثوابت العلمية أو الثقافية أو الروحية المتركزة في فهم هذا الفرد أو في اعتقاده أو إيمانه, لذا فالصراع حالة من حالات الدافعية إذ تدفع الفرد إلى تغيير سلوكياته وأرائه فوفقاً لصاحب النظرية هناك ثلاث أنواع من

العلاقات بين عناصر معرفتنا:

١ – علاقة اتفاق بين هذه العناصر.

٢–لا تكون هناك علامة اتفاق بين هذه العناصر.

٣–قد تكون هناك تناقض وتعارض بين هذه العناصر

إذ يضطر الفرد ليلغى الحالة الأخيرة إلى هذا التناقض أو التقليل من حدته أما بتبني العنصر الجديد والاستغناء عن القديم أو من خلال خلق نوع من الانسجام أو مقاومة العنصر الدخيل من خلال التجاهل والتغافل عن مصدره أو تصنيفه ضمن العناصر(Festinger, ١٩٥٧,٢٣).

ثانياً: التفكير الايجابي:

• النظريات التي تناولت التفكير الايجابي بالتفسير

١ – نظرية البرت اليس

اعتمدت (Ellis) على مقدمة منطقية تقضي بان الناس يتحكمون في اقدار هم بما يحملون من قيم ومعتقدات ويتصرفون بموجبها ، مفترض انه يصبحون مضطربين لانهم حيوانات مفكرة يتصرفون على نحو غير مميز طبقا الأفكار زائفة ومن الجانب النفسي حيث تأثر بأفكار غير معقولة تقود الى الحوار أو الحديث الداخلي الانهزامي و الذي يتكون من خلال العبارات السلبية ، ومن الجانب النفسي حيث تأثر بأفكار (الفرد البرت) كذلك تأثر بأفكار) هوربي) تأثرا بالغا فيما بي يتعلق بأفكار غير معقولة تقود إلى ا الحوار ا او الحديث الداخلي الانهزامي . ، والذي يتكون من خلال العبارات الذاتية السلبية ، ويرى اليس أن هنالك ارتباط بين العاطفة (المشاعر والعقل (التفكير والسلوك ويركز على ان البشر يفكرون ويتصرفون بشكل متزامن وهم نادرا ما يشعرون بدون أن يفكروا الان المشاعر تستثار عن طريق ادراك مواقف معينة كما يقول عندما ينفعل الانسان فانه يفكر ويتصرف وحين يتصرف فانه يفكر وينفعل وحين يفكر فانه ينفعل ويتصرف ، وقد اشار اليس الى ان الانسان يمتلك ميولا غريزية طبيعية اتجاه العادات والمتعة والحرية والمزاح المقترنة بالتفكير الايجابي وان الانسان لدية ميولا قوية على ان الجميع أموره تسير بشكل افضل وانه جهز ليدين او يلوم نفسه والآخرين والعالم عندما يحصل على ما يريد ، وكذلك فانه الانسان يصل بفكره بطريقة انسانية عاطفية حتى يتعلم وبعد جهد جهيد أن يفكر بطريقة ايجابية (الأنصاري وكاظم ، ٢٠٠٨ : ٢)

٢– نظرية أرون بيك

ظهرت هذه النظرية على يد (ارون بيك), على حقيقه مؤداها أن لكل فرد أفكارا وتوقعات ومعاني وافتراضات عن الذات و عن الآخرين و عن العالم المحيط به، وهي تشكل في جملتها الفلسفة الاساسية للشخص في الحياة على دور العمليات العقلية بالنسبة للدوافع والانفعالات والسلوك حين تتحدد (Beck) ويركز الاحتياجات الانفعالية والسلوكية الخاصة بشخص ما عن طريق كيفية ادراكه وتصيره، والمعنى الذي يعطيه لحدث ما ، وبذلك فإن كثير من الاستجابات الوجدانية والسلوكية والاضطرابات النفسية تعتمد إلى حد بعيد على معتقدات فكرية خاطئة يبنيها الفرد عن نفسه و عن العالم المحيط به، ومن ثم فيجب أن تعتمد على سياسة التغيير هذه الأفكار ، أن التفكير الايجابي يساعد على اعادة صياغة المشكلة ، فالمشكلة اذ لم يتحرك الفرد لحلها تبقى داخل نفسه حتى ينطلق هو إلى الآخرين لحلها ، مما يتيح الفرصة لتعديل هذه الافكار واستبدالها وتقديم الاسلوب الانسب لتصحيح نمط التفكير بشكل أكثر واقعية وايجابية, ويرى (Beck) وفقا لنظريته هذه ردود الفعل الانفعالية ليست مجرد استجابات مباشرة وتلقائية بالنسبة للمتير الخارجي ، وانما يجري تحليل المثيرات وتصيرها من خلال النظام المعرفي الداخلي ، وينتج عن عدم الاتفاق بين النظام الداخلي والمثيرات الخارجية وجود الاضطرابات النفسية ، وأن ردود الفعل التي يستجيب بها الناس لكثير من المواقف

تكون متسقة مما يوحي بأن هذه الاستجابات توجهها مجموعة من القواعد التي تشكل الأساس الذي ينطلق منه تفسيرات الأفراد وتوقعاتهم (ابو سعد ، ٢٠١١ : ١٤٣), واشار (Beck) أن التفكير الايجابي يساعد على اعادة صياغة المشكلة ، فالمشكلة اذا لم يتحرك الفرد لحلها تبقى داخل نفسه حتى ينطلق هو الى الآخرين لحلها ، ومن هنا فإن التعرف على الأفكار السلبية والجوانب ذات العلاقة بها المعرفة السلوكية والوجدانية والتعامل معها واستبدالها بأفكار اكثر واقعية وقبولا والاقرب الى التحقيق فيها إلى الحقيقة وكذلك أن معرفة الخبرات والأفكار السلبية التي تواجه الأفراد في يساعدهم الفرد على اختيار البدائل المناسبة ومن هنا يكون العمل على مساعدة الفرد بشكل واقعي اقوى للحياة التي تسبب لهم الضغوط النفسية ، مما يتيح الفرصة لتعديل هذه الافكار واستبدالها و تقديم اسلوب الانسب لتصحيح نمك التفكير بشكل أكثر واقعية وايجابية (الأنصاري وكاظم ، ٢٠٠٨ : ٤)

٣-نظرية سيلجمان و آخرون ١٩٨٨

يرى صاحب هذه النظرية سيلجان و اخرون وكل من (Peterson and Steen) و تبعا لسيلجمان فان كل من كلا من التناول و التشاؤم هيما اسلوبان في التفكير ، وفي تفسير الوقائع والأحداث ، طريقة تفسيرا للوقائع لا تختصر على مجابهة حالة خاصة من النجاح أو الفصل ، بل ليه تتوقف على الفكرة التي تكونها عن القيمة العامة التي تعطيها لنفسنا ولمكاناتنا و فرصنا ولمكانتنا في الحياة ، و يمكن أن تتعلم المقاول أو التشاؤم بناء على خبراتنا ونمط تنشئتنا بما يتصف به من رعاية وحب وتشجيع وتعزيز ومكانة ، أو زجر واهمال ، وحط من القدر ، وحيث أن هذا الأسلوب هـ التفاؤلي أو التشاؤمي في التفكير متعلم ، فإنه يمكن اعادة تعلمه، واستبداله من خلال أساليب تدريبية علاجية (حجازي, ٢٠١٢: ١٠).

وقد اشار كل من سيلجمان واخرون ١٩٩٨ ، الى أن التفاؤل يؤثر في الشخصية التي تفكر بايجابية ، فالتفاول يرتبط بالتوقعات الايجابية التي لا تتعلق بموقف معين فهو يحدد للناس الطريق لتحقيق أهدافهم (قاسم ، ٢٠٠٩ : ١١٩), تبعا لذلك فقد وضع (سيلجمان واخرون,٢٠٢), قائمة تضم أربعة وعشرين عنصرا موزعة على ست فيات ، تشكل استراتيجيات التفكير الايجابي في الشخصية هي الحكمة والمعرفة والشجاعة ، والنزعة الانسانية ، والاعتدال المزاجي ، والعدالة، والسمو وان توظيف الانسان لهذه الصفات يجعله يحقق السعادة الحقيقية (سيليجمان؛ ٢٠٠٢:.٨)

- **دراسات سابقة**

اولاً: دراسات تناولت الصراع المعرفي

- **دراسة الوهابة (٢٠١٨)**

((فاعلية استخدام أنموذج الصراع المعرفي على تنمية التفكير الابتكاري واستيعاب المفاهيم العلمية في مادة العلوم لدى تلميذات المرحلة المتوسطة))

وهدفت إلى التعرف على فاعلية استخدام أنموذج الصراع المعرفي على تنمية التفكير الابتكاري واستيعاب المفاهيم العلمية في مادة العلوم لدى تلميذات المرحلة المتوسطة، واتبعت الدراسة المنهج شبه التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من (٧٧) طالبة من طالبات بمحافظة خميس مشيط؛ قسمت إلى (٤٠) طالبة كمجموعة تجريبية، و(٣٧) طالبة كمجموعة ضابطة، واستخدمت الدراسة اختبار التفكير الابتكاري، واختبار في اكتساب المفاهيم العلمية، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين التجريبية والضابطة في كل من التطبيق البعدي لاختبار التفكير الابتكاري في العلوم واختبار المفاهيم العلمية لصالح طالبات المجموعة التجريبية، كما توصلت إلى أن استخدام أنموذج الصراع المعرفي كان له حجم أثر كبير على تنمية كل من التفكير الابتكاري والمفاهيم العلمية لدى طالبات المجموعة التجريبية (الوهابة,

٢٠١٨: ١-٤٣)

• دراسة الجمالي (٢٠١٤):

((معنى الحياة وعلاقته بالصراع المعرفي لدى طلبة الجامعة))

وهدفت إلى التعرف على معنى الحياة لدى عينة من طلبة الجامعات والتعرف على معنى الصراع المعرفي لدى الطلاب عينة الدراسة، كما هدفت إلى التعرف على الفروق بين الطلاب في كل من متغيري الدراسة تبعاً المتغيري النوع (تكور – إناث) والتخصص علمي – إنساني)، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (٤٠٧) طالباً وطالبة من طلاب الجامعة المستنصرية، واستخدمت الدراسة مقياس الصراع المعرفي ومقياس معنى الحياة وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود مستوى مرتفع من الشعور بمعنى الحياة لدى الطلاب عينة الدراسة، وعدم وجود فروق بين متوسطات درجات الطلاب على مقياس معنى الحياة تبعاً للنوع أو التخصص، كما تبين عدم وجود نوع من الصراع المعرفي لدى الطلاب عينة الدراسة وعدم وجود فروق بين متوسطات درجات الطلاب على مقياس الصراع المعرفي تبعاً للنوع أو التخصص (الجمالي, ٢٠١٤: ١-٦٦).

ثانياً: دراسات تناولت التفكير الايجابي:

دراسات التفكير الايجابي

• دراسة (بركات, ٢٠٠٥)

بعنوان التفكير الايجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة : دراسة مقارنة في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية والتربوية لديهم ، فان هذه الدراسة حاولت الاجابة عن الاستفسارات الآتية : ١ – ما هو نمط التفكير السائد لدى طلبة الجامعة ؟ هل هو التفكير الايجابي ام السلبي ؟

٢ – هل تختلف أنماط التفكير الايجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة تبعا للمتغيرات الجنس . و التحصيل الأكاديمي, والتخصص, ومكان السكن، ومستوى تعليم الاب والام ، وعمل الاب والام تألفت عينة الدراسة من (٢٠٠) طالبا وطالبة ملتحقين في جامعة القدس المفتوحة منطقة طولكرم التعليمية، موزعين تبعا لمتغيرات الدراسة موضع البحث وتم استعمال مقياس التفكير الايجابي والسلبي لدى طلبة الجامعة تم اعداده من قبل الباحث, وتوصلت الدراسة إلى أن نسبة (٤٥٪) من افراد الدراسة قد اظهروا نمط من التفكير الايجابي منهم (٤٠٪) من الذكور و (٠,١٦٪) من الاثاث وجود فروق جوهرية بين درجات الطلاب على اختبار التفكير الايجابي والسلبي تعزي المتغيرات الجنس و عمل الأم (غانم، ٢٠٠٥ : ٣٨٠).

دراسة Goodhart,١٩٩٩))

تأثير التفكير الإيجابي والسلبي في التحصيل والأداء الإنجازي في مواقف معينة ، تم اختيار عينة مكونة من (١٥١) طالبا وطالبة من طلبة الجامعة ، وقد خلصت الدراسة إلى وجود ارتباط جوهرى بين نمط التفكير الإيجابي والقدرة علي الإنجاز التحصيلي لدى الطلبة ، بينما علي العكس من ذلك لم يتضح ارتباط جوهري بين التفكير السلبي وقدرة الطلاب على الأداء التحصيلي .

منهجية البحث واجراءاته:

منهجية البحث :

اتبع الباحث المنهج الوصفي والتجريبي في استراتيجية الصراع المعرفي واجراءات تطبيقها من حيث التصميم التجريبي ومجتمع وعينه البحث ومستلزمات التجربة واداة البحث والمعالجات.

التصميم التجريبي:

أولاً : التصميم التجريبي : ان اختيار التصميم التجريبي ذات أهمية كبيرة باعتباره مخطط وبرنامج عمل لكيفية

تنفيذ التجربة بمعنى التخطيط للظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة التي سيتم دراستها وتحديد نتائج البحث ، ولأجل ذلك اعتمد الباحث التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي المكون من مجموعتين متكافئتين مجموعة تجريبية تدرس وفق استراتيجية الصراع المعرفي ومجموعة ضابطة تدرس وفق الطريقة السائدة، وعد التحصيل متغيراً تابعاً للبحث والجدول (١) يوضح ذلك

جدول (١) التصميم التجريبي المعتمد بالدراسة

ت	المجموعة	التكافؤ	المتغير المستقل	المتغير التابع	الاختبار البعدي
1.	التجريبية	العمر الزمني(بالأشهر) الذكاء التفكير الايجابي	استراتيجية الصراع ال	التحصيل التفكير الايجابي	اختبار التفكير الايجابي
.	الضابطة		الطريقة الاعتيادية		

تحديد مجتمع البحث وعينته:

أ –مجتمع البحث: يتكون مجتمع البحث الحالي من طلاب الصف الثاني في متوسطة حمام العليل للبنين التابعة الى تربية محافظة نينوى, التي تم اختيارها والتي سحبت منها العينة.

ب– عينة البحث: اختار الباحث عشوائيا شعبتين للمرحلة الثانية واحدة تجريبية والأخرى ضابطة، فضلاً عن استعداد ادارة المدرسة للتعاون مع الباحث، وتوفير مستلزمات التجربة, إذ كانت شعبة (أ) تمثل المجموعة التجريبية التي تعرض طلابها إلى المتغير المستقل استراتيجية الصراع المعرفي, في تدريس مادة التاريخ، في حين مثلث شعبة (ب) المجموعة الضابطة التي درس طلابها مادة التاريخ من دون التعرض للمتغير المستقل، وقد بلغ عدد طلاب الشعبتين (٧٠) طالباً بواقع (٣٥) للمجموعة التجريبية, (٣٥) للمجموعة الضابطة وتم استبعاد خمس طلاب وجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢) توزيع طلبة عينة البحث على المجموعتين (التجريبية والضابطة)

المجموعة	الشعبة	عدد طلاب العينة	عدد الطلاب الراسبين	عدد طلاب العينة بالصورة النهائية
التجريبية (استراتيجية الصراع المعرفي)	أ	٣٥	٣	٣٢
الضابطة (الطريقة الاعتيادية)	ب	٣٥	٢	٣٣
المجموع		٧٠	٥	٦٥

تكافؤ مجموعتي البحث: من متطلبات إجراءات البحث تكوين مجموعات متكافئة فيما يتعلق بالمتغيرات التي لها علاقة بالبحث اذا حرص الباحث في التجربة على تكافؤ مجموعتي البحث التجريبية والضابطة إحصائياً في بعض المتغيرات التي يعتقد أنها قد تؤثر في نتائج البحث، وقد حصل الباحث على المعلومات عن طريق ادارة المدرسة ولكل متغير من متغيرات التكافؤ ولمعرفة اثر المتغير المستقل في المتغير التابع، لذلك ينبغي التحقق من السلامة الداخلية والسلامة الخارجية للتصميم التجريبي, إذ عمل الباحث على ضبط أو تحديد العوامل الدخيلة التي يمكن أن تؤثر في نتائج التجربة، وكما يأتي:

١–العمر الزمني محسوباً بالأشهر

٢– درجات الذكاء

٣-التفكير الايجابي

• العمر الزمني للطلاب محسوباً بالشهور: حصل الباحث على المعلومات لهذا للمتغير من ادارة المدرسة، وأدراج أعمارهم، وعند تحليلها وجد الباحث أن متوسط العمر الزمني للطلاب المجموعة التجريبية (٦٩ ,١٢٩)، وبانحراف (٦٧, ٥)، ومتوسط العمر الزمني للطلاب المجموعة الضابطة (١٢٨,٥٥)، وبانحراف معياري (٦٣ ,٤) ، وعند استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، أتضح أن الفرق ليس بذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٦٣) ، وهذا يدل على تكافؤ مجموعتي البحث في هذا المتغير ، وجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣) العمر الزمني للطلاب

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	المحسوبة	الجدولية	الدلالة
التجريبية	٣٢	١٢٩,٦٩	٥,٦٧	٦٣	٠,٨٩١	٢,٠٠	غير دالة
الضابطة	٣٣	١٢٨,٥٥	٤,٦٣				

درجات اختبار الذكاء

تم استعمال اختبار مان- وتني, لحساب دلالة الفرق بين المتوسطين للمجموعة التجريبية والضابطة, اتضح انه ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية, اذ بلغت قيمة مان وتني المحسوبة الصغرى(١٢٨,٥٠٠) وهي اكبر من القيمة الجدولية(١,٨٣), ومن طريق آخر اعتمد الباحث على القيمة الإحصائية (قيمة P الاحتمالية) حداً فاصلاً للدلالة الإحصائية ، وقيمة p هي قيمة احتمالية تستعمل لتأويل مقايس الإحصاء الاستدلالي، وما إذا كان الاختلاف يوافق الصدفة أم أنه فرق ذو دلالة (Everitt &Skrondal,٢٠١٠ : ٣٠٤) ، وهي الصيغة المعتمدة (الافتراضية) في حساب الدلالة الإحصائية في برنامج SPSS ، وبما ان قيمة p-value الاحتمالية البالغة(٠,٧٨٥) أكبر من قيمة مستوى الدلالة (٠,٠٥) لذا نقبل فرضية العدم, وهذا يدل على أن مجموعتي البحث متكافئتان في متوسط أ درجات الطلاب في اختبار الذكاء.

• اختبار التفكير الايجابي القبلي:

بلغ متوسط التفكير الايجابي لطلاب المجموعة التجريبية (١٥,٠٧) بينما كان متوسط ذكاء طلاب المجموعة الضابطة (١٦,٨٦) ، وعند استعمال الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق الإحصائي بين مجموعتي البحث، اتضح أن الفرق ليس بذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) ، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة البالغة (١,٩٠٢) أصغر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) ، وكذلك ان قيمة p-value الاحتمالية البالغة (٠,٠٦٢) أكبر من قيمة مستوى الدلالة (٠,٠٥) لذا نقبل فرضية العدم، وهذا يدل على أن مجموعتي البحث متكافئتان في متوسط درجات الطلاب في التفكير الايجابي.

• إجراءات السلامة الداخلية (ضبط المتغيرات الدخيلة)

١- العمليات المتعلقة بالنضج:- إنَّ جميع الطلاب يخضعون لعوامل نمو واحدة وان التوزيع العشوائي واجراء التكافؤ للعينة قد اسهما في الحد من هذا المتغير.

٢- المدة الزمنية: كانت المدة الزمنية للتجربة متساوية لمجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) وهي الفصل الدراسي الاول للعام الدراسي ٢٠٢٤/٢٠٢٥ ، إذ بدأت التجربة في يوم الثلاثاء لغاية يوم الخميس.

٣- المادة الدراسية : حددت المادة الدراسية نفسها لمجموعتي البحث, وتمثلت اربع فصول (الاول الثاني, الثالث, الرابع) من كتاب مادة (التاريخ) للصف الثاني متوسط, وتم إعداد الخطط التدريسية المناسبة لكل مجموعة.

• إعداد مستلزمات البحث:

يتطلب البحث الحالي إعداد مجموعة من المستلزمات لغرض تنفيذ إجراءات البحث، ومن هذه المستلزمات:

أ– تحليل المادة العلمية : تم تحديد ثمان محاضرات من مادة (التاريخ) المقرر تدريسها للصف الثاني متوسط والتي تم تدريسها خلال الفصل الدراسي الأول المتضمن اربع فصول (الاول, الثاني, الثالث, الرابع) من العام الدراسي (٢٠٢٤ – ٢٠٢٥).

ب– اعداد الخطط التدريسية : وبعد تحديد المادة التدريسية وصياغة الاغراض السلوكية قام الباحث بوضع خطط يومية تدريسية للمجموعة التجريبية وفق استراتيجية الصراع المعرفي، وللمجموعة الضابطة وفق الطريقة الاعتيادية، بلغ عددها (١٠٢) هدف في مستوى (معرفة، فهم ، تطبيق، تحليل، تركيب، تقويم) ولكل من الاستراتيجية والطريقة، وقد عرضت مجموعتي البحث على عدد من المحكمين لبيان رأيهم في صلاحية الخطط ، وتم إعداد الخطط التدريسية بحسب الملاحظات التي أبداها المحكمين التي تم الاتفاق عليها بنسبة (٨٠٪)

اعداد الخطط التدريسية:

الخطة التدريسية هي خطة قصيرة المدى، توصف بانها خطة لدرس يقوم بها المدرس قبل التدريس، وتهدف إلى رسم صورة واضحة لما يمكن ان يقوم به المدرس والطالب، وتعد من واجبات الاستاذ ومسؤولياته, أعد الباحث الخطط التدريسية للموضوعات التي ستدرس خلال التجربة، وعرضت نماذج منها على مجموعة من السادة الخبراء في علم النفس، وطرائق التدريس، وفي ضوء ما أبداه الخبراء من ملاحظات، أجريت التعديلات اللازمة عليها.

– الوسائل التعليمية:

وهي مجموعة الوسائل تشمل الاجهزة والمواد ، الادوات والاشياء التي يستخدمها المدرس في التعليم ، ونقل مادة التعلم للمتعلمين, استعمل الباحث الوسائل التعليمية لمجموعتي البحث بشكل متساوي وهي كل من السبورة و الاقلام الملونة، والصور.

خطوات اعداد الاختبار التحصيلي:

١ – تحديد الهدف من الاختبار: هدف الاختبار قياس التحصيل طلاب الثاني متوسط للمجموعتين التجريبية والضابطة في محتوى مادة التاريخ للعام الدراسي الدراسي (٢٠٢٤ – ٢٠٢٥) للفصل الدراسي الأول المتكون من اربع فصول (الاول, الثاني, الثالث, الرابع).

تحديد عدد الفقرات :– يتم تحديد عدد فقرات الاختبار بما يتناسب مع محتوى المادة والأغراض السلوكية، حيث أشتمل على (٤٠) فقرة.

صياغة فقرات الاختبار : اعد الباحث فقرات الاختبار التحصيلي بالاعتماد على جدول المواصفات حيث تضمن الاختبار (٤٠) فقرة موضوعية من نوع اختيار من متعدد ذي الأربعة بدائل لقياس مستويات بلوم المعرفية (معرفة، فهم ، تطبيق، تحليل، تركيب، تقويم)

٢– صدق الاختبار : ويعني أن يقيس الاختبار ما أعد لقياسه وللتحقق من صدق الاختبار تم اعتماد على الصدق الظاهري : ويقصد به ان الاختبار كان مظهره يدل على انه يقيس صفة ما أو ان عنوانه ومطابقة فقراته لهذا العنوان يقيس تلك الصفة , قام الباحث بعرض الأختبار بصيغته الأولية والمكون من (٤٠) فقرة على مجموعة من المختصين وذلك للتأكد من صدق الأختبار، وقد بلغت نسبة الأتفاق (٨٠٪) .

١ – اعداد الخريطة الاختبارية :

بعد تحديد الاهداف التعليمية وعناصر محتوى الاختبار لا بد من تنظيمها في جدول مواصفات الغرض منه هو ربط الاهداف التعلمية بعناصر المحتوى ، وتحديد عدد البنود لكل هدف مرتبطا بكل عنصر من عناصر المحتوى ويفيد جدول المواصفات في اعطاء كل هدف الوزن الذي يستحقه بنظر واقع الاختبار، وبعد تبعا لذلك أداة

فعالة في تأسيس الصدق لمحتوى الاختبار, لذلك اعد الباحث خريطة اختبارية مشتملة موضوعات البحث والاهداف السلوكية للموضوعات ، ووفقا للمستويات (معرفة، فهم ، تطبيق، تحليل، تركيب، تقويم)

جدول رقم (٤) الخارطة الاختبارية

ت	الفصول	عدد الاهداف	الاهمية النسبية للأهداف	الاهداف السلوكية					مجموع فقرات الاختبار
				معرفة ٢٥%	فهم ٢١%	تطبيق ١٨%	تحليل ١٤%	التركيب ١٤%	التقويم ١٢%	
١	الفصل الاول	٣٥	%٣٤,٣	٣,٤ ≅ ٣	٢,٨ ≅ ٣	٢,٤ ≅ ٢	١,٩ ≅ ٢	١,٩ ≅ ٢	١,٦ ≅ ٢	١٤
٢	الفصل الثاني	٢٥	%٢٤	٢,٤ ≅ ٢	٢	١,٧ ≅ ٢	١,٣ ≅ ١	١,٣ ≅ ١	١,١ ≅ ١	٩
٣	الفصل الثالث	٢٣	%٢٢,١	٢,٢ ≅ ٢	١,٨ ≅ ٢	١,٥ ≅ ٢	١,٢ ≅ ١	١,٢ ≅ ١	١	٩
٤	الفصل الرابع	٢١	%٢٠,١	٢	١,٦ ≅ ٢	١,٤ ≅ ١	١,١ ≅ ١	١,١ ≅ ١	٠,٩٦ ≅ ١	٨
	المجموع	١٠٢	%١٠٠	٩	٩	٧	٥	٥	٥	٤٠

٥ – صدق المحتوى :– وبقصد به مدى تمثيل محتوى الأختبار للنطاق السلوكي الشامل للسمة المراد الاستدلال عليها، اذ يجب ان يكون المحتوى ممثلاً تمثيلاً جيداً لنطاق المفردات الذي يتم تحديده مسبقاً» (علام، ٢٠٠٠ : ١٩٠) .

٦ – اعداد تعليمات الاختبار : اعد الباحث تعليمات لكيفية الأجابة عن فقرات الاختبار.

٧– تعليمات تصحيح الاختبار : اعد الباحث الأجوبة النوذجية للأجابة عن فقرات الأختبار .

٨– تطبيق المقياس على العينة الاستطلاعية –:– تم تطبيق الأختبار على عينة إستطلاعية تم أختيارها عشوائياً من طلاب الثاني متوسط اذ تكونت العينة من (٣٠) طالب لغرض التأكد من وضوح الفقرات وتعليمات الاختبار وتحديد الوقت اللازم للأجابة عن فقرات الأختبار ، وقدكان الوقت المستغرق للأجابة (٤٥) دقيقة.

٩– التحليل الأحصائي للفقرات –: طبق الاختبار على عينة مكونة من (٦٥) طالب لغرض التحقق من الخصائص السايكومترية والتي تشمل :–

أ– صعوبة فقرات الأختبار :– حسب الباحث معامل الصعوبة لكل فقرة من فقرات الاختبار (الفقرات الموضوعية) وقد وجدها تتراوح بين (٠,٣١– ٠,٦٥) والجدول (٤) يبين ذلك اما الفقرات المقالية فقد تراوحت بين (٠,٤٠–٠,٦٧)، ويعد معامل صعوبة جيد اذ يرى (علام , ٢٠١٥) ان درجة معامل الصعوبة يجب ان لا تقل عن (٠,٣٠) , و لا تزيد عن (٠,٦٥) (علام , ٢٠١٥ : ٢٥٣) والجدول (٤) يبين ذلك.

ب – معامل تمييز الفقرات :

ان معامل تمييز الفقرة يعد مؤشراً على التميز بشكل صحيح بين الممتحنين في مجال سلوك معين (Whiston , ٢٠١٣ : ٧٤),وعند حساب قوة تمييز كل فقرة من فقرات الاختبار(الفقرات الموضوعية) وجد انها تتراوح بين (٠,٣١–٠,٥٢)، اما القوة التميزية للفقرات المقالية تنحصر بين (٠,٣٢–٠,٥٣) ، وبذلك تعد جميع الفقرات مقبولة اذ يري (الزاملي واخرون ،٢٠٠٩) الفقرة التي معامل تمييزها بين (٠,٢٠ – ٠,٣٩) تعتبر مقبولة والفقرة التي معامل تمييزها أعلى من (٠,٣٩) تعتبر جيدة (الزاملي وآخرون , ٢٠٠٩ : ٣٧٤) والجدول (٤) يبين ذلك.

جدول (٥)معاملات الصعوبة والتمييز لفقرات الاختبار التحصيلي الموضوعية والمقالية

ت	معامل الصعوبة	معامل التمييز	ت	معامل الصعوبة	معامل التمييز
١	٠,٥٠	٠,٤٠	٢١	٠,٣٨	٠,٣٣
٢	٠,٤٨	٠,٥٦	٢٢	٠,٦٢	٠,٣٩
٣	٠,٥٢	٠,٥٣	٢٣	٠,٦٣	٠,٣٦
٤	٠,٦٥	٠,٤٨	٢٤	٠,٤٦	٠,٤٤
٥	٠,٤٢	٠,٣٤	٢٥	٠,٥٨	٠,٤٧
٦	٠,٤٩	٠,٤٢	٢٦	٠,٦٥	٠,٣٦
٧	٠,٥٨	٠,٥٢	٢٧	٠,٦٢	٠,٤٨
٨	٠,٤٢	٠,٣٨	٢٨	٠,٦٤	٠,٣٢
٩	٠,٥٤	٠,٤٣	٢٩	٠,٦٥	٠,٣٨
١٠	٠,٦٥	٠,٣٦	٣٠	٠,٥٧	٠,٣٤
١١	٠,٥٥	٠,٤٠	٣١	٠,٣٧	٠,٤١
١٢	٠,٦٥	٠,٣٢	٣٢	٠,٦٢	٠,٥٠
١٣	٠,٤٦	٠,٣٨	٣٣	٠,٦٣	٠,٣٩
١٤	٠,٦١	٠,٣٥	٣٤	٠,٥٦	٠,٣٩
١٥	٠,٦٣	٠,٤٣	٣٥	٠,٦٠	٠,٤٦
١٦	٠,٣٩	٠,٤٤	٣٦	٠,٦٢	٠,٥٣
١٧	٠,٥٠	٠,٤٣	٣٧	٠,٦١	٠,٦١
١٨	٠,٥٤	٠,٦٢	٣٨	٠,٤٩	٠,٥٣
١٩	٠,٦٦	٠,٣٩	٣٩	٠,٥٩	٠,٥١
٢٠	٠,٦٣	٠,٤٢	٤٠	٠,٦٣	٠,٤٥

الفقرات من (٣٠– ٤٠) هي الفقرات المقالية .

فاعلية البدائل الخاطئة

تم حساب فعالية البدائل الخاطئة لكل فقرة من فقرات الاختبار التحصيلي وتبين انها تتراوح ما بين (–٠,٢٦ و– ٠,٤).

جدول (٦)فاعلية البدائل للفقرات الموضوعية الخاصة بالاختبار التحصيلي

ت	نسبة اختيار البدائل				ت	نسبة اختيار البدائل			
	أ	ب	ج	د		أ	ب	ج	د
١	-٠,١٨	√	-٠,١٥	-٠,١٩	١٦	-٠,٢٥	√	-٠,١٧	-٠,٢١
٢	√	-٠,٨	-٠,١٣	-٠,١٥	١٧	-٠,٩	-٠,٢٥	-٠,٢٠	√
٣	-٠,١٧	-٠,٢٦	√	-٠,٢٠	١٨	-٠,٢٦	-٠,٩	-٠,٢٠	√
٤	√	-٠,٧	-٠,٢١	-٠,١٩	١٩	-٠,٢٣	-٠,٨	√	-٠,١٢
٥	-٠,٢٢	√	-٠,٢١	-٠,٢٤	٢٠	-٠,١٥	-٠,١٧	√	-٠,٢٤
٦	-٠,١٦	-٠,١٩	√	-٠,١٧	٢١	√	-٠,٦	-٠,١٢	-٠,١٥
٧	-٠,١٧	√	-٠,٢٥	-٠,٢٢	٢٢	-٠,٢٤	-٠,٢٦	√	-٠,١٧
٨	-٠,٢٢	-٠,١٢	√	-٠,١٩	٢٣	-٠,٢٠	√	-٠,١٧	-٠,١١
٩	√	-٠,٦	-٠,١٠	-٠,١٤	٢٤	-٠,١٨	-٠,٢٢	-٠,١٥	√
١٠	-٠,٢١	√	-٠,٢٢	-٠,١٧	٢٥	√	-٠,١٧	-٠,٢٦	-٠,١٥
١١	-٠,٩	-٠,١٢	-٠,١٤	√	٢٦	-٠,٢٢	-٠,١٥	√	-٠,٥
١٢	√	-٠,٢٦	-٠,٢٠	-٠,١٩	٢٧	√	-٠,٢٣	-٠,١٧	-٠,٢٥
١٣	-٠,٥	-٠,٢٣	√	-٠,١٩	٢٨	-٠,١٢	-٠,١٩	-٠,٢٤	√
١٤	√	-٠,٦	-٠,١١	-٠,١٧	٢٩	-٠,٢٢	-٠,٢٦	√	-٠,١٥
١٥	√	-٠,٢٥	-٠,١٠	-٠,١٣	٣٠	-٠,٢٠	√	-٠,٢٢	-٠,١٧

– ثبات الاختبار: اعتمد الباحث طريقه التجزئة النصفية في استخراج ثبات الاختبار التحصيلي للفقرات الموضوعية، وتتمثل هذه الطريقة بتقسيم فقرات الاختبار الى قسمين يضم القسم الاول درجات الفقرات الفردية والقسم الثاني يضم درجات الفقرات الزوجية لطلاب العينة الاستطلاعية، واستخرج الثبات بين نصفي الاختبار بمعامل ارتباط بيرسون وبلغ (٠,٨٣) ، وصحح بمعادلة سبيرمان براون اذ بلغ (٠,٩١) ويعد معامل ثبات جيد، اذ يرى (ابو علام ،٢٠٠٤) اذ بلغ معامل الثبات للاختبار (٠,٦٧) فما فوق يعد الثبات جيدا (ابو علام، ٢٠٠٤: ٣٢٤) اما فقرات الاختبارات المقالية، اعد الباحث معيارا للتصحيح و عرضه على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في طرائق التدريس والقياس والتقويم وكانت نسبة اتفاقهم (٨٠٪) لذا اعتمد الباحث في التصحيح على وفق هذا المعيار فكانت الدرجة الكلية للفقرات المقالية (درجتان) لكل فقرة مقالية.

بناء أداة البحث:

تطلب البحث الحالي بناء أداة لقياس المتغير التابع، وتمثلت بـ (بالتفكيرء الايجابي) وفيما يلي توضيح لإجراءات بناء هذا الاختبار:

تحديد الهدف من اختبار :

يعد تحديد الهدف من الخطوات الأساسية في اعداد هذا الاختبار, هدفه قياس مستوى التفكير الايجابي لدى طلاب الثاني متوسط.

صياغة فقرات الاختبار :

تم الاطلاع من قبل الباحث على الدراسات السابقة والاطر النظرية التي تخص التفكير الايجابي, إذ تم صياغة (١٥) فقرة, وتم اختيار فقرات الاختبار من نوع (الاختيار من متعدد) , اذ رأى الباحث عند صياغة الفقرات مراعات المستوى العقلي للطلاب, والدقة اللغوية والعلمية, وان تتناول الفقرة فكرة واحدة رئيسة, وكذلك وضوح الفقرة بحيث لا تحتمل التأويل, والتوازن بين البدائل كي تقلل من فرص التخمين .

تعليمات تصحيح الاختبار

وضع الباحث اجابات انموذجية لجميع الفقرات والتي عددها (١٥) فقرة من نوع اختبار من متعدد اذ اعد الباحث مفتاح للتصحيح , واعطت لكل فقرة من فقرات الاختبار (درجة واحدة) اذا كانت الاجابة صحيحة و (صفر) اذا كانت الاجابة خاطئة او متروكة.

صلاحية فقرات اختبار:

تم عرض فقرات المقياس على عدد من المحكمين في مجال علم النفس طرائق تدريس لبيان مدى ملائمة الفقرات للبدائل ومدى ملائمة الفقرات لمستوى الطلبة ومدى وضوح التعليمات, إذ تم الاخذ بملاحظات الخبراء وتم تعديل عدد من الفقرات ولم يتم حذف اي فقرة وكانت نسبة اتفاق الخبراء (٨٧٪)
, اذ تعد الفقرة صالحة اذا نالت موافقة (٨٠٪) او اكثر من المتخصصين .

صدق اختبار:

إذ يعد اختبار صادقا اذا كان يقيس ما اعد لقياسه (عودة, ٢٠١٥: ٣٢), وقد تم التحقق منه وكالاتي:

الصدق الظاهري :

قدرت الصدق الظاهري من خلال التقدير الكيفي لبنود الاختبار وتمثيلها للمفهوم المراد قياسه، وأيد ذلك بحساب تقديرات المحكمين لصدق الفقرات وتمثيلها للمفهوم وأبعاده، إذ عُرض اختبار للتحكيم على عدد من المحكمين وأظهر التحكيم تمتع جميع بنود اختبار بنسبة اتفاق (٨٧٪) بين المحكمين ما يدل على تمتع اختبار بدرجة مرتفعة من الصدق الظاهري, وفي ضوء الاجراءات والتعديلات السابقة اصبح اختبار جاهزا بصيغته الاولية التطبيق على العينة الاستطلاعية الاولى .

التطبيق الاستطلاعي الاول للاختبار :

والتأكد من وضوح تعليمات اختبار، وتحديد مدى ملاءمة الفقرات ووضوحها، وتحديد الزمن اللازم للإجابة عن فقرات اختبار، قام الباحث بتطبيق اختبار على العينة الاستطلاعية الأولى من الطلاب (٣٠) طالباً في الصف الثاني متوسط، وبعد تطبيق اختبار، بلغ متوسط الزمن المستغرق للإجابة ما بين ٥–١٥ دقيقة على التوالي، وقد تم حساب متوسط الوقت الذي استغرقه الطلاب للإجابة عن فقرة اختبار ليكون (١٥) دقيقة، ولم يواجه الباحث أي استفسار من الطلاب في العينة الاستطلاعية الأولى، مما يتضح منه أن فقرة اختبار الخاصة بالتفكير الايجابي تشير إلى الوضوح.

التطبيق الاستطلاعي الثاني :

قام الباحث بتطبيق اختبار على عدد من الطلاب بلغ عددهم (٦٥) طالب من طلاب الصف الثاني متوسط, وبعد اتمام تصحيح اجابات الطلاب قام الباحث بترتيب الدرجات الى مجموعتين عليا ودنيا بترتيب تنازلي ولكل مجموعة نسبة (٢٧٪), لإيجاد معامل الصعوبة والقوة التمييزية للفقرات وفعالية البدائل لكل فقرة من فقرات اختبار التفكير الايجابي.

التحليل الاحصائي لفقرات اختبار التفكير الايجابي.

معامل الصعوبة

طبق الباحث معامل الصعوبة على الفقرات وكانت النتائج بعدم الغاء اي فقرة من الفقرات, إذ تراوح معامل بين (٠,٣٢١–٠,٥٤٤), وهي جيدة.

معامل تمييز الفقرات

اظهرت نتائج معامل التميز لفقرات التفكير الايجابي (٠,٣١٠–٠,٦٥٥), إذ لم تلغى اي فقرة, وان قيمة معامل التمييز التي تساوي او تزيد عن (٠,٣٠) تكون مقبولة (الهويدي , ٢٠١٥ : ١١٩).

فعالية البدائل للفقرات :

تم استعمال معادلة فعالية البدائل الخاطئة لجميع فقرات اختبار لأنه من نوع الفقرات الموضوعية , ووجد ان معاملات فعالية البدائل الخاطئة فعالة .

صدق البناء :

تم التاكد من صدق البناء عن طريق الاتساق الداخلي والقوة التمييزية لفقرات اختبار التفكير الايجابي.

ايجاد معامل ارتباط كل فقرة بالدرجة الكلية للأختبار :

تم استخراج معامل الارتباط بين درجات كل فقرة من فقرات الاختبار ودرجات اختبار الكلي , واظهرت النتائج ان جميع الفقرات دالة احصائيا اذ تراوحت قيم معاملات الارتباط ما بين (٠,٤٣٣-٠,٦٢٢), ويعد مؤشر جيد على صدق البناء اختبار التفكير الايجابي.

ثبات اختبار :

استعمل الباحث لاستخراج الثبات معادلة (كيودر ريتشارد – ٢٠), اذ تم تطبيق اختبار على العينة الاستطلاعية الثانية البالغة (٦٥) طالب اذ بلغ معامل الثبات (٠,٨٥) , وهذا يدل على ان اختبار يحظى بدرجة جيدة من معامل الثبات .

تطبيق اختبار التفكير الايجابي:

قام الباحث بتطبيق الاختبار بصورته النهائية على طلاب الثاني متوسط لغرض التكافؤ, بعدها بفترة زمنية تم تطبيقه على مجموعتي البحث.

الوسائل الاحصائية:

استخدم الباحث الوسائل الاحصائية الاتية:

اولاً:- استخدم الباحث في هذا البحث الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية – SPSS لاستخراج الاتي:

١-الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين: استخدمت للتحقق من تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة في متغيرات (العمر ، والذكاء، التفكير الايجابي، كذلك في اختبار فرضية البحث.

ثانياً: برنامج Microsoft Office Excel ٢٠١٠ وذلك لاستخراج :

معامل صعوبة وسهولة الفقرة الموضوعية: استخدم في ايجاد سهولة وصعوبة الفقرات لاختبار التفكير الايجابي

الصعوبة = ١ – معامل السهولة.

معادلة تمييز الفقرات الموضوعية : استخدم في ايجاد تمييز الفقرات اختبار التفكير الايجابي

ثالثاً: معامل ارتباط بوينت بايسريال:

استخدم من اجل التحقق من الاتساق الداخلي للاختبار أي حساب معامل ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لاختبار التفكير الايجابي ، وايضاً حساب الارتباط بين درجة الفقرة ودرجة الكلية التي تنتمي اليها اختبار التفكير الايجابي

رابعاً:- معادلة كيودر- ريتشاردسون ٢٠:

أستخدم لحساب معامل ثبات اختبار التفكير الايجابي

عرض النتائج وتفسيرها:

يضم هذا الجزء من البحث عرضا للنتائج التي توصل إليها الباحث، ومناقشتها وتفسيرها في ضوء الإطار النظري والدراسات السابقة وتبعا للفرضية المعتمدة في البحث وعرض التوصيات والمقترحات.

أولاً: عرض النتائج

١-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون وفق استراتيجية الصراع المعرفي, وبين درجات المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في التحصيل.

جدول (٥) الاختبار التحصيلي لمجموعتي البحث التجريبية والضابطة

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	المحسوبة	الجدولية	الدلالة
التجريبية	٣٢	٣٤,٠٤	٤,٠٧	٦٣	٩,٢٥	٢	دالة
الضابطة	٣٣	٢٣,٤٦	٤,٩١				

يتضح من جدول رقم (٥) انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات المجموعة الضابطة في اختبار التحصيل لمادة (التاريخ) ولصالح المجموعة التجريبية.

وللتحقق من صحة هذه الفرضية استخرج الباحث المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات طلاب مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة في اختبار التحصيل ، إذ كان الوسط الحسابي لطلبة المجموعة التجريبية (٣٤,٠٤)، وبانحراف معياري مقداره (٤,٠٧)، في حين كان الوسط الحسابي لطلاب المجموعة الضابطة (٢٣,٤٦)، وبانحراف معياري مقداره (٤,٩١)، ولغرض تعرف دلالة الفرق بين متوسطي المجموعتين استعمل الباحث الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (test) إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (٩,٢٥) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) عند درجة حرية (٦٤) ومستوى دلالة (٠.٠٥) ومن طريق آخر يمكن الاعتماد على القيمة الإحصائية قيمة (P) حداً فاصلاً للدلالة الإحصائية ، والقيمة هي قيمة احتمالية تستعمل لتأويل مقايس الإحصاء الاستدلالي ، وما إذا كان الاختلاف يوافق الصدقة أم أنه فرق ذوات دلالة (Everitt &Skrondal,٣٠٤ :٢٠١٠)

ثانياً: لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون على وفق استراتيجية (الصراع المعرفي) ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون على وفق الطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير الايجابي.

وللتحقق من هذه الفرضية استخرج الباحث المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري الدرجات مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي ، ثم طبق الاختبار التائي (t–test) لعينتين مستقلتين ، والجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٦) القيمة التائية المحسوبة والجدولية والمتوسط والانحراف المعياري لدرجات طلاب المجموعتين

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٢	٣,٦٧٨	٠,٩٥٤	٦٣	٣,٦٧٢	٢	دالة
الضابطة	٣٣	٤,٥٢٢	٠,٩٧٤				

يتبين من الجدول اعلاه الاتي :

١. ان القيمة التائية المحسوبة للتجريبية بلغت (٣,٦٧٢) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٦٣) , وهذا يعني انه توجد فروق ذات دلالة احصائية بين المجموعة التجريبية التي تدرس وفق الاستراتيجية (الصراع المعرفي) والمجموعة الضابطة التي تدرس بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير الايجابي ولصالح المجموعة التجريبية.

مناقشة وتفسير النتائج:

يتضح من خلال نتائج البحث التي توصل اليها الباحث ان استراتيجية الصراع المعرفي لها اثر في رفع مستوى التحصيل لدى طلاب الثاني متوسط, ويعزو الباحث سبب ذلك الى :

ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن اهتمام استراتيجية الصراع المعرفي بتنوع أساليب التقويم المبدئي والبنائي والختامي، مما ساعد على زيادة تحصيلهم وتقدمهم في عمليات القراءة الناقدة والفهم, كل هذه العوامل أدت إلى فاعلية استراتيجية الصراع المعرفي في تنمية التفكير الايجابي لدى طلاب الصف الثاني متوسط «المجموعة التجريبية».

تفسير النتائج المتعلقة بالفرضية الصفرية الثانية :

١ – أدى عرض محتوى الدرس وفقًا لاستراتيجية الصراع المعرفي إلى زيادة التفكير الايجابي

٢ – أظهرت النتائج أن الطريقة المعتادة في التدريب لم تؤد إلى معالجة التفكير الايجابي لدى المجموعة الضابطة من الطلاب ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن المتدربين في هذه الطريقة يؤدون دورا محوريا في عملية التدريس، وأن وضع الطلاب هو وضع المتلقين للمعلومات والحفظ، دون إعطائهم الفرصة لطرح الأسئلة والمشاركة لزيادة المعلومات وزيادة التفكير الايجابي.

الاستنتاجات:

١ – جعل الطلبة من خلال خطوات استراتيجية الصراع المعرفي محوراً اساسياً في العملية التعليمية مما أثر بشكل كبير في زيادة التفكير الايجابي.

٢–استراتيجية الصراع المعرفي لها اثر مهم وهذا ما يدعو إلى أهمية توظيفها في تدرس مادة التاريخ للصف الثاني متوسط.

٣–إن التدريس باستخدام الاستراتيجية الصراع المعرفي تشجع الطلاب وتزيد من نشاطهم على طرح التساؤلات والمشاركة الإيجابية في التعلم، فهي مؤشر لحصولهم على تعزيز داخلي يدفعهم لتعلم المزيد.

٤ – استراتيجية الصراع المعرفي تجعل الطالب محور عملية التعلم والتعليم وتحتم عليه الانتباه والمتابعة واستنتاج الاسباب للتفكير الايجابي لايجاد اجابة صحيحة وواضحة ودقيقة لما يعرض عليه من مشكلات

التوصيات والمقترحات:

١–الاهتمام بتدريب الطلاب على بعض عادات العقل وعلى أساليب حل المشكلات باستخدام الصراع المعرفي لمواجهة مواقف عديدة.

٢ – الاهتمام بتدريب الاساتذ أثناء الخدمة على كيفية استخدام الصراع المعرفي في تدريس التاريخ، لإثراء خبراتهم بالمداخل والاستراتيجيات التدريسية الفعالة في تدريس وقياس الصراع المعرفي، وتوعيتهم بأهميتها، وتدريبه على ممارستها .

٣–التركيز على الصراع المعرفي وجعلها هدفا يتطلب السعي إلى تحقيقه واستراتيجية التعلم في ضوئها ومن خلالها.

٤ – الاهتمام بإعداد عدد من الدروس النموذجية التي تبرز كيفية تدريس مادة التاريخ باستخدام الصراع المعرفي لإكساب طلاب الثاني متوسط مهارات تحليل وتفسير واستيعاب شمولية الأشكال البصرية.

المصادر العربية والاجنبية:

- ابو سعد ، احمد عبد اللطيف (٢٠١١): علم النفس الإرشادي، ط دار المسيرة ، عمان – الاردن.

- أبو هاشم، رشا أحمد (٢٠١٤): فعالية استخدام الصراع المعرفي في تدريس مادة الفيزياء في تنمية التفكير الابتكاري والتحصيل لدى طلاب الفرقة الأولى من المعاهد الفنية الصناعية, رسالة ماجستير منشورة جامعة الزقازيق، مصر.
- الأنصاري ، بدر وكاظم ، علي مهدي (٢٠٠٨): قياس التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة الجامعة، دراسة ثقافية مقارنة بين الكونيتين ، مجلة العلوم والتربية والنفسية جامعة البحرين ٩٢ (٤).
- بركات, غانم زياد (٢٠٠٥): التفكير الايجابي لدى طلبة الجامعة، دراسة مقارنة في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية والتربوية ودراسات عربية في علم النفس.
- البلوشي، خديجة أحمد (٢٠٠٨): التدريس بالمتناقضات, عمان: دار النشر.
- قاسم عبد المؤيد (٢٠٠٩): ابعاد التفكير الايجابي في مصر, دراسة علمية دراسات نفسيه.
- التميمي، رضوى كمال محي الدين (٢٠١٣): استراتيجيات ما وراء المعرفة في تدريس التربية الموسيقية باستخدام الة العود كأداة تربوية ، دار العلم والإيمان ، بغداد ، العراق.
- الجمالي، أحمد كامل (٢٠١٤): معنى الحياة وعلاقته بالصراع المعرفي لدى طلبة الجامعة, (رسالة ماجستير منشورة الجامعة المستنصرية، العراق.
- حجازي، سناء محمد نصر (٢٠١٢): سيكولوجية الإبداع تعريفه وتنميته وقياسه لدى الأطفال، ط ١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي.
- الخالدي ، اديب محمد (٢٠٠٨): سيكولوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي ، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.
- درويش، زينب عبد المحسن (٢٠١٦): الانبساطية والمساندة الاجتماعية كمنبئات بالصمود النفسي لدى النساء الأرامل في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية, مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا ، (٣) ، (٢٩)
- ربيع ، هادي مشعان (٢٠٠٨): علم النفس التربوي، عمان ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
- سليجمان مارتن (٢٠٢): تفاؤل الأطفال، (ترجمة) محمود ، الفرحاني السيد؛ تقديم خير الله سيد محمد المنصورة، مصر : المكتبة العصرية.
- محمد، محمد عباس، وعبد الشهابي سلوى فائق (٢٠٢٠): تأجيل الإشباع الأكاديمي والصراع المعرفي بينهما لدى طلبة الجامعة، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، ٤٥ (٢).
- الوهابة, جميلة عبد الله علي (٢٠١٨): فاعلية أنموذج الصراع المعرفي على تنمية التفكر الابتكاري واستيعاب المفاهيم العلمية في مادة العلوم لدى تلميذات المرحلة المتوسطة. مجلة كلية التربية، الجامعة الإسلامية السعودية (٢٦).
- **Diante., R. (2015): The correlation Between critical thinking skills and critical Reading skills of the English Education study program students of sriwijay University, journal Pendidikan dan Pengiran.**
- **Festinger, L. (1957): A Theory of cognitive dissonance. Stanford, CA: Stanford University Press.**
- **Goodhart, D.E. (1999): «The effects of positive and negtive thinking on performance In an achievement situation». Journal of Per-sonality and so-cial Psychology, Vol. 51.**
- **Seligman, & csikzenthmihalyi (2000): «Helplessness: on depression devel-opments, and death» American psychologist copyright by American psy-chologist association-0003-06605- V no .**



أدلة وجوب الزكاة ومستحقيه في القرآن الكريم

أ.د. حيدر عيسى حيدر الباحثة: ضحى عبد الكريم
كلية الإمام الكاظم(عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

المستخلص:

الزكاة تعد واحدة من أبرز أركان الإسلام، وقد قرنها الله تعالى بالصلاة في عدة آيات، مما يدل على مكانتها العظيمة في الإسلام إذ نبحث في الأدلة القرآنية التي تؤكد وجوب الزكاة، ونستعرض الفئات المستحقة لها، حيث إن ادلة وجوب الزكاة كثيرة، ومنها قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» (البقرة: ٤٣) وقوله: «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» (المعارج: ٢٤-٢٥). تشير هذه الآيات إلى أن الزكاة فريضة مفروضة على المسلمين بالإضافة إلى اجماع فقهاء عامة المسلمين حيث أجمعوا على وجوب الزكاة، وهو ما يعزز موقف الزكاة، وكذلك الأحاديث النبوية التي تؤكد وجوب الزكاة وتعليم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). لأصحابه كيفية إخراجها، حيث حدد القرآن الكريم الفئات المستحقة للزكاة، وهي: الفقراء والمساكين والعاملون عليها، والمؤلفة قلوبهم، والعبيد والمعتقون، والمسافرون، هذا وتمثل الزكاة في الإسلام واجبًا شرعيًا يعكس قيم التعاون والتكافل الاجتماعي، إذ إن الأدلة القرآنية والنبوية توضح الفوائد الكبيرة المرتبطة بها حيث إن الفئات المستحقة تعكس اهتمام الإسلام بالاجتماع والتعاطف مع كل شرائح المجتمع، مما يسهم في تحقيق العدالة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية:الأدلة القرآنية، الوجوب، الزكاة، القرآن.

Abstract:

Zakat is one of the most prominent pillars of Islam, and God Almighty has associated it with prayer in several verses, which indicates its great position in Islam as we look at the Qur›anic evidence that confirms the obligation of zakat, and review the categories entitled to it, as the evidence for the obligation of zakat is many, including the Almighty›s saying: «And establish prayer and pay zakat» (Al-Baqarah: 43) and his saying: «And those who have in their wealth a known right to the questioner and the disadvantaged» (Al-Ma›arij: 24-25). These verses indicate that zakat is an obligation imposed on Muslims in addition to the consensus of the general Muslim jurists, where they unanimously agreed on the obligation of zakat, which strengthens the position of zakat, as well as the hadiths of the Prophet that confirm the obligation of zakat and the teaching of the Prophet, may God bless him and grant him peace, to his companions how to pay it, where the Holy Qur›an specified the categories entitled to zakat, namely: the poor, the needy, those working on it, the author of their hearts, slaves, the freedmen, and travelers, and this represents Zakat in Islam is a legitimate duty that reflects the values of cooperation and social solidarity, as the Qur›anic and Prophetic evidence illustrates the great benefits associated with it, as the deserving groups reflect Islam›s interest in meeting and empathizing with all segments of society, which contributes to achieving social justice.

.(Keywords: Quranic evidence, obligation, zakat, Qur›an.

المقدمة:

الزكاة تُعدّ واحدة من أركان الإسلام الخمسة، وهي عبادة مالية تحمل بُعدًا روحيًا واجتماعيًا عميقًا، تعكس قيم العدالة والتكافل الاجتماعي التي ينادي بها الإسلام فهي ليست مجرد ضريبة مالية تُفرض على الأغنياء، بل هي وسيلة لتنمية النفس وتطهيرها من الشح والبخل، كما تُعدّ أداة لتحقيق التوازن الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع.

لقد حرص القرآن الكريم على تسليط الضوء على أهمية الزكاة، وربطها بالصلاة في العديد من الآيات الكريمة، مما يُبرز مكانتها العالية في الدين الإسلامي، كما أنه وضع إطارًا دقيقًا لتحديد مستحقيها، وذلك لضمان وصولها إلى الفئات الأكثر احتياجًا ولتحقيق الأهداف المرجوة منها فالمستحقون للزكاة تم حصرهم في ثماني فئات ذكرها القرآن الكريم في سورة التوبة، حيث قال تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّ...كِيمٌ» [سورة التوبة: ٦٠]، وتُظهر هذه الآية شمولية الزكاة واهتمامها برعاية مختلف الجوانب الإنسانية والاجتماعية، ويُمكن اعتبار الزكاة وسيلة لتعزيز قيم التكافل والتضامن داخل المجتمع الإسلامي، حيث تسهم في تقليل الفجوة بين الطبقات الاجتماعية، وتخفيف معاناة الفقراء والمحتاجين، ودعم الجهود الرامية إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي. كما تُعدّ الزكاة دليلًا على أهمية الالتزام بمبادئ الأخوة الإنسانية والمسؤولية الجماعية.

إذ في هذا البحث، سنقوم بتناول موضوع الزكاة ومستحقيها من منظور القرآن الكريم، وذلك عبر استعراض الآيات المتعلقة بها وتفسيرها، مع تسليط الضوء على الدلالات التي تحملها هذه النصوص، وكيف يُمكن لتطبيقها أن يسهم في بناء مجتمع متكافل وعادل، بالإضافة إلى ذلك سنتناول الحكمة من تحديد الفئات المستحقة للزكاة، والآثار التي تنعكس على الفرد والمجتمع من خلال الالتزام بأداء هذه الفريضة حيث الهدف هو تقديم فهم عميق وشامل لدور الزكاة كمفهوم ديني واجتماعي يُعزز العدالة والتكافل في المجتمع، بالإضافة إلى بيان الأدلة القرآنية على الزكاة.

المبحث الأول:

وجوب الزكاة من القران الكريم

المطلب الأول : مفاهيم عامة :

ولكي نبين هذا المطلب نتكلم في أمرين :

الامر الأول : معنى الزكاة

أولاً:الزكاة في اللغة : بانها « مأخوذة من الفعل زكا يزكو وزكوا وزكا والمال: اذا نما والزكاة، صفوة الشئ وما اخرجته من مالك لتطهره به(١)، فالزكاة مأخوذة من الفعل «زكا» الذي يدل على النمو والزيادة، كما يُقال «زكا فلان» بمعنى أصبح الحًا. وبالتالي، فإن الزكاة تعني البركة والنماء والطهارة والصلاح (٢)، حيث أوضح ابن قتيبة أن الزكاة مشتقة من معاني الزكا والنماء والزيادة، وسُمّيت بهذا الاسم لأنها تؤدي إلى إنماء المال وزيادته يُقال: «زكا الزرع» عندما يكثر عطاؤه، و»زكت النفقة» حين تحل فيها البركة(٣)، فقد ذكر ابن منظور أن أصل كلمة «الزكاة» في اللغة يعود إلى معاني الطهارة والنماء والبركة والمدح، وهذه المعاني تم استخدامها جميعها في القرآن الكريم والحديث الشريف(٤) إذ عندما يُوصف الأشخاص بالزكاة بمعنى الصلاح، فإن ذلك يشير إلى وفرة الخير لديهم؛ كأن يُقال: «رجل زكي» للدلالة على شخص يتفوق على غيره في الفضل، ويُقال عن جماعة «أزكياء» كما يُقال: «زكّى القاضي الشهود» للإشارة إلى إثبات نزاهتهم وعدالتهم، ومن ذلك يتضح أن كلمة «الزكاة» في اللغة تحمل معاني متعددة، منها النماء والزيادة والطهارة وغيرها.

ثانياً: معنى الزكاة الاصطلاح: فتعرف الزكاة «اخذ شيئ مخصوص من مال مخصوص على اوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة (٥)، وعرفت أيضا بأنها «إيجاب طائفة من المال مخصوص لمالك مخصوص»(٦)، وكذالك قيل هوا حق يجب في المال(٧).

الأمر الثاني : معنى القران الكريم

القران الكريم في اللغة: اتفق العلماء على أن كلمة «قرآن» تُعد اسمًا، وليست فعلاً أو حرفًا، ولكنهم اختلفوا حول ما إذا كانت تُكتب بهمزة أو بدونها، وكذلك حول كونها تُعد مصدرًا أو وصفًا، ووردت في ذلك عدة آراء(٨)، القول الأول: إنه اسم علم أصلي، اختير منذ البداية ليكون علمًا على الكلام المنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وهو اسم جامد غير مهموز، مشابه في ذلك لكلمتي «التوراة» و»الإنجيل» وقد نُسب هذا الرأي إلى مجموعة من العلماء، من بينهم الإمام الشافعي وابن كثير وغيرهما.

القول الثاني: هم القائلون بأنه لفظ القران مهموز فقد اختلفو على رأين:

الأول: ان القران مصدر قرأ بمعنى تلا كالرجحان و الغفران ثم نقل من المصدر وجعل اسما للكلام المنزل على نبينا محمد(صلى الله عليه وآله) (٩) الثاني: ان القران وصف على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأ الماء في الحوض اذا جمعه وقرأت الشئ قرانأ جمعته وضممت بعضه الى بعض(١٠).

اما في الاصطلاح :هو الكلام الإلهي الذي نزل على خاتم الأنبياء وقد بلغه النبي (صلى الله عليه وآله) الى الامة ووصل الينا بالتواتر وقد تكفل الله بحفظه، قال الحكيم: القران الكريم هو الكلام المعجز المنزل وحيا على النبي (صلى الله عليه وآله) المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتورات المتعبد بتلاوته(١١)، قال العطار: ويمكن القول ان القران الكريم هو وحي الله المنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). لفظا ومعنى و أسلوبا المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر(١٢)، قال الفضلي: هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء باللفظ العربي المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول الينا نقلا متواترا(١٣).

المطلب الثاني : مستحقي الزكاة في القران الكريم

ولكي نبين هذا المطلب نقسمه الى امرين :

الأمر الأول: إن التفاوت بين الأفراد في المكاسب والثروات هو واقع ممتد عبر تاريخ البشرية، ويتطلب التعامل معه حلولًا عادلة لذا، أوجب الشرع على الأغنياء أن يمنحوا الفقراء حقًا مفروضًا وهو الزكاة، ولم يترك الشارع الحكيم مسألة توزيع الزكاة لاجتهادات البشر، حرصًا على تجنب الخلافات، بل وضّح الأصناف المستحقة لها بشكل دقيق فقال تعالى في محكم كتابه الكريم (إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)(١٤)، هؤلاء الثمانية هم الفئات المستحقة للزكاة، والمعروفون بالأصناف الثمانية، وقد ذكرتهم الآية الكريمة بصورة إجمالية، وهم بالترتيب: الفقراء، المساكين، العاملون على جمعها، المؤلفة قلوبهم، تحرير الرقاب، الغارمون، سبيل الله، وابن السبيل، وقد أكدت السنة النبوية الشريفة على كيفية توزيع الزكاة على هذه الفئات، حيث ورد أن رجلاً سأل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).عن الصدقة، فقال: «إن الله تعالى لم يترك أمر الصدقات لحكم نبي أو غيره، بل تولى تقسيمها بنفسه إلى ثمانية أجزاء، فإذا كنت ضمن أحد هذه الأجزاء، فسأعطيك حقك» (١٥)، وهكذا تحددت الأصناف المستحقة بأمر إلهي لا يمكن معه التغير حيث لا يجوز صرفها إلغيرهم.

الأمر الثاني : أصناف مستحقي الزكاة:

أولاًو ثانياً: الفقراء و المساكين : هم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم و الفقراء جمع فقير وهو ضد الغني في مختار القاموس : الفقر ضد الغنى(١٦)، وقال الراغب : الفقر عدم المقتنيات ومنه قوله تعالى (إنما الصَّدقات

للفقراء و المساكين) (١٧)، والفقير الأئمة الثلاثة مالك و الشافعي واحمد: من ليس له مال ولا كسب حلال ولمن تلزمه مؤنته كمن يحتاج إلى عشرة دراهم كل يوم ولا يجد إلا أربعة فأقل(١٨)، وعند أبي حنيفة الفقير: من يملك شيئا دون النصاب الشرعي في الزكاة زيادة على حوائجه الاصلية(١٩)، فالأئمة الثلاثة يدور تعريف الفقير عندهم على ملك الكفاية أو بعضها عند الأحناف على ملك النصاب أو عدمه.

والمسكين لغة مأخوذة من السكون وهو قلة الحركة و الاضطراب يقال: سكنت الريح إذا توقفت (٢٠) . وأطلق على المحتاج لأن الحاجة سبب سكونه.

والمسكين في الاصطلاح هو عند الائمة الثلاثة: من يملك من المال الحلال أو يكتسب من الكسب اللائق به ما يقع موقعا من كفايته ولكن لا تتم به الكفاية وحددوه بالصنف فأكثر إلى ما دون الكفاية التامة وذلك مثل من يحتاج إلى عشرة دراهم كل يوم فيجد خمسة فأكثر(٢١)، والمسكين عند أبي حنيفة: من لا يملك شيئا وهذا هو المشهور عنه(٢٢)، واختلف العلماء في صفة الفقير و المسكين والفرق بينهما حيث قال الجمهور هما صنفان لنوع واحد وهم اهل العوز و الحاجة وما قيل من انهما صنف واحد ليس بسديد لان الله عطف احدهما على الاخر والعطف دليل المغايرة.

ثالثاً: العاملين عليها : وهم الذين يوليهم الامام او نائبه عملا من اعمال الزكاة من جمع او حفظ او تفريق كالسعاة لتحصيلها و الخزنة و الكتاب و الحاسبين و الحراس و القائمين على نقلها ورعايتها وتوزيعها وغيرهم من العاملين في شئونها وكل من يحتاج اليه فيها وفي جعل الله نصيبا من الزكاة للعاملين عليها دليل على وجوب بعث السعادة لتحصيلها وجمعها وتفريقها وقد كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). يبعث السعادة لجباية الزكاة فقد بعث عليه الصلاة و السلام عمر بن الخطاب وأبا موسى الأشعري وابن اللتبية وغيرهم لأخذ الزكاة ودفعها إلى مستحقيها(٢٣)، وقد اختلف الفقهاء فيما يأخذه العاملون على الزكاة فقيل يعطون سهمهم من الزكاة هو الثمن وهو قول مجاهد و الشافعي وهو عنده مبنى على رأيه في التسويه بين لأصناف الثمانية فإن كان اجرهم اكثر من الثمن أعطوا من غيره الزكاة من بيت المال(٢٤).

رابعاً: المؤلفة قلوبهم : وهم السادة المطاعون في عشائرهم ممن يرجي إسلامه او كف شره أويرجى بعطيته قوة إيمانه اواسلام نظيرة اوجباية الزكاة ممن لا يعطيها أوالدفع عن المسلمين(٢٥).

وهم قسمان : كفار و مسلمون فالكفار ضربان : أحدهما من يرجع إسلامه فيعطى لتقوى نيته في الإسلام وتميل نفسه فسلم (٢٦)، وقد ثبت أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). اعطى قوما من الكفار يتألف قلوبهم ليسلموا ففي صحيح مسلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).اعطى صفوان بن امية من غنائم حنين وصفوان يومئذ كافر(٢٧) والضرب الثاني من الكفار: من يخشى شره فيرجى بعطيته كف شره غيره معه فروى ابن عباس ان قوما يأتون النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن اعطاهم مدحوا الإسلام وان منعهم ذموا وعابوا(٢٨) واختلف العلماء في إعطاء الكفار من سهم المؤلفة قلوبهم في الزكاة فروي عن الحسن وابي ثور واحمد:انهم يعطون وهو قول عند المالكية وذهب الحنيفة و الشافعية واكثر اهل العلماء ان اعطائهم انما كان في عهد الرسول في اول الإسلام وفي حالة قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم وقد اعز الله الأسلام وأهله واستغنى بهم عن تأليف الكفار(٢٩).

خامسا : الرقاب : فالعبد يعطى من مال الزكاة لفك رقبته من الرق ، فاذا كان مكاتبا يعطي من مال الزكاة ليستعين على فك رقبته قال تعالى:(فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً وأتوهم من مال الله الذي آتاكم)(٣٠)، والرقاب فسرها العلماء بثلاثة أشياء:

الأول: مكاتب اشترى نفسه من سيده بدراهم مؤجلة في ذمته ، فيعطى ما يوفي به سيده.

والثاني : رقيق مملوك اشتري من الزكاة ليعتق والثالث: أسير مسلم أسره الكفار فيعطى الكفار من الزكاة لفكهم

هذا الأسير وأيضا

الاختطاف فلو اختطف كافر أو مسلم أحد من المسلمين فلا بأس أن يفدى هذا المختطف بشيء من الزكاة ألان العلة واحدة وهي فكاك المسلم من الاسر وهذا إذا لم يمكننا أن نرغم المختطف على فكاكه بدون بذل المال إذا كان المختطف من المسلمين. فيجوز للإمام أن يشتري رقابا من مال الصدقة يعتقها عن المسلمين ، ويكون ولاؤهم لجماعة المسلمين(٣١).

سادساً: الغارمون :«الغارمون جمع غارم وهو الذي عليه دين عرف الحنفية الغارم بأنه الشخص الذي لزمه دين ولا يملك نصابا فاضا عن دينه»(٣٢).الغارمون نوعان: الأول، غارم لمصلحته الشخصية، كمن يستدين لتغطية نفقات المعيشة كالمأكل والملبس أو الزواج أو السكن أو العلاج والثاني، غارم لمصلحة المجتمع أو الغير، كمن يتحمل الديون لإصلاح ذات البين، بالنسبة للغارم لمصلحته الشخصية، من شروط استحقاقه للزكاة أن يكون بحاجة ماسة لسداد دينه، فيُعطى منها وإذا كان غير مالك لأي شيء لكنه قادر على العمل والكسب، فإن ذلك لا يمنعه من استحقاق الزكاة أما إذا كان غنيًا وقادرًا على سداد دينه بنفسه، فلا يُعطى من الزكاة، كما أن الغارم ليس شرطًا أن يكون معدمًا تمامًا حتى يستحق الزكاة؛ فقد أشار العلماء إلى أن امتلاك الضروريات الأساسية للحياة، كالمسكن أو الملبس أو الأثاث والأواني، لا يُعد عائقًا لتلقيه ما يسدد به دينه ويُشترط أيضًا أن يكون قد استدان في أمر مباح أو طاعة. أما إن كانت ديونه بسبب معصية، فلا يُعطى من الزكاة، لذا، يجوز لك أن تعطي زوج ابنتك من زكاتك إذا كان من ضمن الغارمين الذين تنطبق عليهم الشروط (٣٣).

سابعاً: في سبيل الله: الغازي في سبيل الله يشمل الغزاة المتطوعين الذين لا راتب لهم من الدولة، ويُعطون من أموال الزكاة ما يساعدهم على تحمل نفقات الجهاد، سواء كان ذلك لتوفير ثمن السلاح أو الدابة أو لتغطية نفقاته ونفقات عائلته، ليتمكن من التفرغ للجهاد ويشعر بالاطمئنان، إذ أوضح العديد من الفقهاء أنه يجوز إعطاء الزكاة لمن يتفرغ لطلب العلم، حتى إن كان قادرًا على العمل والكسب، لأن طلب العلم يُعد نوعًا من الجهاد في سبيل الله. كما أشاروا إلى جواز منح الفقير من أموال الزكاة لتيسير أدائه لفريضة الحج(٣٤).

ثامناً: بن السبيل: وهو الغريب المنقطع عن اهله وماله لأنه لا يتوصل الى الانتفاع بماله وإن كان غنيا فكان كالفقير ويشترط فيه ان لا يكون السفر سفر معصية لان الاعانة على المعصية معصية واباح بعضهم مطلق السفر وأتفق الفقهاء أن المسافر المنقطع عن بلده يعطي من الزكاة ما يستعين به على قضاء حوائجه إذا لم يتيسر اليه شيء من ماله ، نظرا لفقره العارض وسمي بابن السبيل للازمته الطريق وهذا من عناية الإسلام ورعايته لافراد الامة (٣٥) .

المبحث الثاني:

ادلة وجوب الزكاة واصناف مستحقيه في القران الكريم

المطلب الأول: ادلة وجوب الزكاة في القران الكريم

الزكاة تعد واحد من أهم أركان الإسلام حيث تمثل عبادة مالية تهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي و العدالة الاقتصادية بين افراد المجتمع وقد وردت ادلة وجوب الزكاة في القران الكريم بشكل واضح وصريح مما يدل على مكانتها العالية وأهميتها في بناء المجتمع الإسلامي ففي آيات القران يبرز الربط بين الايمان و العمل حيث تأخذ الزكاة مكانتها الخاصة بالمقارنة مع سائر العبادات إذ تتكرر الإشارة إليها بشكل متعاقب مع الصلاة مما يعكس ضرورة الالتزام بها إن فهم هذه الأدلة يساعد المسلمين على تقدير هذه العبادة وإدراك الأثر الإيجابي الذي تتركه في نفوس الأفراد و المجتمعات إن تناول ادلة وجوب الزكاة في القران الكريم ليس مجرد دراسة نصوص بل هوا استكشاف عميق لمفاهيم العطاء و الإيثار و التراحم التي يمتاز بها الإسلام و كيفية تطبيقها

في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في هذه المقدمة سيتم تسليط الضوء على ابرز الآيات و الأدلة التي تؤكد على فريضة الزكاة ودورها الكبير في تعزيز الروابط الإنسانية وبناء مجتمع متماسك اذ نجد ادلة وجوب الزكاة في القران الكريم كثيرة ومتنوعة ومنها:

١- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة ٤٣]، يأمر الله عز وجل بالصلاة جماعة، غير أن «الركوع» هو الذي ذكر دون غيره من أجزاء الصلاة، ولعل ذلك يعود إلى أنّ صلاة اليهود كانت خالية من الركوع، تماماً، بينما احتل الركوع مكان الرّكن الأساسي في صلاة المسلمين (٣٦)«وآتوا الزكاة» أي أعطوا ما فرض الله عليكم في أموالكم على ما بينه الرسول لكم وهذا حكم جميع ما ورد في القرآن مجملا فإن بيانه يكون موكولا إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).كما قال سبحانه وتعالى : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» فلذلك أمرهم بالصلاة والزكاة على طريق الإجمال وأحال في التفصيل على بيانه وقوله «واركعوا مع الراكعين» إنما خص الركوع بالذكر وهو من أفعال الصلاة بعد قوله «وأقيموا الصلاة» لأحد وجوه(٣٧)، يقول جعفر بن الحسن الهذلي (المحقق الحلي): أما الأول: فتجب الزكاة على: البالغ، العاقل، الحر، المالك، المتمكن من التصرف فالبلوغ يعتبر في الذهب والفضة، إجماعا نعم، إذا اتجر له من إليه النظر ، استحب له إخراج الزكاة من مال الطفل وإن ضمنه واتجر لنفسه وكان مليا ، كان الربح له ، ويستحب [له] الزكاة . وأما لو لم يكن مليا ، أو لم يكن وليا ، كان ضامنا ولليتيم الربح ، ولا زكاة [ها] هنا . ويستحب الزكاة في غلات الطفل ومواشيه ، وقيل: تجب ، وكيف قلنا فالتكليف بالإخراج يتناول الوالي عليه ، وقيل : حكم المجنون حكم الطفل، والأصح أنه لا زكاة في ماله، إلا في الصامت ، إذا اتجر له الوالي استحبابا(٣٨).

٢- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة ١١٠]، يقول الشيخ محمد حسن معلقاً على هذه الآية: ثم ليعلم أن الزكاة أخت الصلا، وقد قرنهما الله تعالى في كتابه مشعرا بعدم قيام الصلاة ممن لم يؤد الزكاة « وصلاة فريضة خير من عشرين حجة ، وحجة خير من بيت مملو ذهبا ينفقه في بر حتى ينفد ، فلا أفلح من ضيع عشرين بيتا من ذهب بخمسة وعشرين درهما ، فان من منع الزكاة وقفت صلاته حتى يزكي » « وبينما رسول الل(صلى الله عليه وآله وسلم). في المسجد إذ قال : قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان حتى أخرج خمسة نفر ، فقال : اخرجوا من مسجدنا لا تصلوا فيه وأنتم لا تزكون » بل « من منع قيراطا من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وسأل الرجعة عند الموت وهو قوله تعالى (رَبِّ ارْجِعُونِ) إلى آخره و « ليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا »(٣٩)، ذلك وأن إن الخطاب مقتضي لذكر الصلاة والزكاة هنا، قلنا: انه لما اخبرهم اشتعال عداوة اليهود وامرهم بالصفح عنهم قال: {وأقيموا الصلاة وتوا الزكاة } فان في ذلك معونة على الصبر مع ما تجزون بهما من الثوابت والاجر، كما قال في الموضع الأخير: { وعينوا بالصبر والصلاة }، وقاله: { وما تقدموا } معنى (ما) الجزاء وجوابه { تجدوه }. ومثله { ما يفتح الله الناس من الرحمة فلا ممسك لها } والخير في الآية هو العمل الصالح الذي يرضاه الله، ومعنى « ابحثوه». ألف تجدوا ثوابه(٤٠).

٣-﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة ٥٥]، إبتدأت هذه الآية بكلمة «إنّما» التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولاية أمر المسلمين في ثلاث هم: الله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)، والذين آمنوا وأقاموا الصّلاة وأدوا الزّكاة وهم في حالة الركوع في الصّلاة، إذ يتبيّن لنا من سياق هذه الآية أن كلمة «ولي» تشير إلى ولاية الأمر بما تشمل من إشراف وحق التصرف وزعامة مادية ومعنوية، خاصة وأنها وردت مقرونة بولاية النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وولاية الله، حيث اجتمعت الولايات الثلاث في سياق واحد، وبهذا الشكل تعد الآية نصاً قرآنياً يثبت ولاية وإمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام) على المسلمين(٤١) حيث يُعتبر هذا اليوم، الرابع والعشرين من ذي الحجة، مميزاً

لأنه اليوم الذي تصدّق فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) بخاتمه أثناء ركوعه، فنزل قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» وفيه أظهر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم). على خصمه، كما تجلّى فيه قرب الإمام علي (صلوات الله عليه) من ربه، وكونه نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولذلك يُعدّ هذا اليوم من أشرف الأيام التي يُستحب فيها الصيام(٤٢).

٤- ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، يقول محمد بن مكي الجزيني العاملي: و هم الفقراء و المساكين و يشملهما من لا يملك مؤونة سنة، و المروي أن المسكين أسوأ حالا، و الدار و الخادم من المؤونة، و يمنع ذو الصنعة و الضيعة إذا نهضت بحاجته و إلا تناول التتمة لا غير، و العاملون و هم السعاة في تحصيلها، و المؤلفة قلوبهم و هم كفار يستمالون إلى الجهاد، قيل: و مسلمون أيضا، و في الرقاب و هم المكاتبون و العبيد تحت الشدة، و الغارمون و هم المدينون في غير معصية، و المروي: أنه لا يعطى مجهول الحال و يقاص الفقير بها و إن مات أو كان واجب النفقة، و في سبيل الله و هو القرب كلها، و ابن السبيل و هو المنقطع به و لا يمنع غناه في بلده مع عدم تمكنه من الاعتياض عنه و منه الضيف. و تشترط العدالة فيمن عدا المؤلفة، و لو كان السفر معصية منع، و يعطى الطفل و لو كان أبواه فاسقين و قيل: المعتبر تجنب الكبائر. و يعيد المخالف الزكاة لو أعطاها مثله و لا يعيد باقي العبادات و يشترط أن لا يكون واجب النفقة على المعطي و لا هاشميا إلا من قبيله أو تعذر الخمس(٤٣).

٥-﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥]، قلت : فما ذا الحق المعلوم؟ فقال : هو الشيء يعمله الرجل في ماله فيعطيه في اليوم أو في الجمعة أو في الشهر قل أو كثر غير أنه يداوم عليه » وقال في خبره الآخر: « أترون أن ما في المال زكاة وحدها ما افترض الله في المال غير الزكاة أكثر فيعطى منه القرابة والمفترض يسألك» وقال عليه السلام أيضا في خبر سماعة بن مهران: « لكن الله فرض في أموال الأغنياء حقوقا غير الزكاة ، فقال : والذين في أموالهم حق معلوم والحق المعلوم غير الزكاة هو شيء يفرضه الرجل على نفسه وماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته ووسعته ، فيؤدي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل يوم ، وإن شاء في كل جمعة ، وإن شاء في كل شهر . إلى أن قال .: ومما فرض الله في المال غير الزكاة قوله عز وجل (الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) ومن أدى ما افترض الله عليه فقد قضى ما عليه وأدى شكر ما أنعم الله به عليه إذا هو حمده على ما أنعم الله عليه فيه مما فضله من السعة على غيره ، ولما وفقه لأداء ما فرض الله عزوجل عليه وأعانه عليه(٤٤).

٦- ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور ٣٧]، إذ تشير كلمة «التجارة» إلى عملية الجلب، بينما يعني «البيع» ما يقوم الإنسان بتداوله باليد، وفي تفسير آخر، يُعتبر {رجال} فعلًا مضمرًا في الجملة، ويُقدر أن هؤلاء الرجال يسبحون الله، ليصبح السياق كاملاً عند الجملة {وصال}، وذكر أبو علي أن الجار والمجرور يمكن أن يقوم مقام الفاعل، ليتضح أن معنى {رجال} هو أنهم يسبحون الله، أي أنهم لا تشغلهم تجارتهم أو بيعهم عن ذكر الله وتعظيمه، وروي عن الإمام أبي جعفر والإمام أبي عبد الله (عليهما السلام) أن الله مدح قومًا يتركون تجارتهم وبيعهم فور دخول وقت الصلاة لينشغلوا بها، ويُفهم من قوله تعالى: {وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة} أن هؤلاء الرجال لا تمنعهم تجارتهم عن ذكر الله، ولا تعيقهم عن أداء الصلاة وإيتاء الزكاة، وقد فسّر العلماء حذف التاء من كلمة «إقامة» بأن الإضافة تقوم مقامها، إذ لا يلزم قول: أقمته إقاماً، بل يمكن القول: إقامة، وتُعتبر الهاء عوضًا عن محذوف في أصل الكلمة، وعندما أُضيفت الكلمة صارت الإضافة كافية لتعويض الهاء، مثل قول {وإيتاء

الزكاة}، أي أن هؤلاء الرجال لا يصرفهم ذلك عن أداء الزكاة التي وصفهم الله بها(٤٥).

٧- ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وأما الذي تعطيه فقول الله عز وجل (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ) يعني من حضرك الشيء ، ولا أعلم إلا أنه قال : الضغث ثم الضغث حتى تفرغ » وصحيح شعيب العقرقوفي [٢] المروي عن تفسير علي بن إبراهيم « سألت أبا عبد الله(عليه‌السلام). عن قول الله (وَآتُوا) فقال : الضغث من السنبل ، والكف من التمر إذا حوصره ، قال : وسألته هل يستقيم إعطاؤه إذا أدخله البيت؟ قال: لا ، هو أسخى لنفسه قبل أن يدخله في بيته» وحسن زرارة ومحمد بن مسلم وأبي بصير عن الباقر عليه‌السلام في الآية ، قال: «هذا من الصدقة يعطي المسكين القبضة بعد القبضة، ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة ، ويعطي الحارس أجرا معلوما ، ويترك للحارس يكون في الحائط العذق والعذقان والثلاثة لحفظه إياه » وحسن أبي بصير [٥] عن الصادق عليه‌السلام « لا تصرم بالليل ، ولا تحصد بالليل ، ولا تضح بالليل ، ولا تبذر بالليل ، فإنك إن لم تفعل لم يأتك القانع ، وهو من يقنع بما أعطيته ، والمعتر ، وهو الذي يمر بك فيسألك ، وإن حصدت بالليل لم يأتك السؤال وهو قوله عز وجل (وَآتُوا حَقَّهُ) يعني القبضة بعد القبضة إذا حصدت ، وإذا خرج فالحفنة بعد الحفنة ، وكذلك عند الصرام ، ولا تبذر بالليل ، لأنك تعطي من البذر كما تعطي من الحصاد »(٤٦)

المطلب الثاني :أقسام الأشياء التي توجب الزكاة

يقول السيد علي الخامنئي في كتابه منتخب الأحكام: «والزكاة كالخمس تجب في موارد معينة، وهي على قسمين:

قسم من الزكاة يعطى ضريبة عن البدن في كل سنة مرة واحدة يوم عيد الفطر، وتجب على من كان قادرا على دفعها من الناحية المالية، وقد مر فيما سبق ذكر أحكامها في آخر باب الصوم وهي المسماة « زكاة الفطرة «.وقسم آخر من الزكاة، هو زكاة الأموال، ولكن ليس كل أموال الناس يجب فيها الزكاة وإنما في تسعة أمور فقط: (القمح، الشعير، التمر، الزبيب، الإبل، البقر، الغنم ، الذهب، الفضة)» (٤٧). حيث وفقًا لقول السيد السيستاني، تُفرض الزكاة على ثلاثة أنواع من الأنعام: الإبل، البقر، والغنم، وكذلك على أربعة أنواع من الغلّات: الحنطة، الشعير، التمر، والزبيب، كما تجب الزكاة على النقدين: الذهب والفضة، وأيضًا على أموال التجارة على الأحوط وجوبًا أما ما عدا ذلك، فلا تجب فيه الزكاة ومع ذلك، يُستحب إخراجها على بعض الحبوب التي تنبت في الأرض، غير المذكورة، مثل السمسم، الأرز، الدخن، الحمص، العدس، الماش، الذرة، وغيرها. أما الخضروات، كالبقل، القثاء، البطّيخ، وما يشابهها، فلا يُستحب فيها إخراج الزكاة(٤٨)، والأدلة على ذلك كثيرة جمة، منها: عن علي بن الحسن، عن محمد بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى عن عمر بن أُذينة، عن زرارة وبكير ابني أعين. في حديث. أنهما سمعا أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إنما الزكاة على الذهب والفضة الموضوع، إذا حال عليه الحول ففيه الزكاة وما لم يحل عليه الحول فليس فيه شيء(٤٩). وهي واجبة في المال الذي يحول عليه الحول، بدليل: عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن زرارة عن أبي جعفر(عليه السلام) إنه قال: الزكاة على المال الصامت الذي يحول عليه الحول ولم يحركه(٥٠).

وشروط المال الذي تجب فيه الزكاة؟

١ – كونه مملوكاً لمعين.

٢ – وكون مملوكيته مطلقة. (أي كونه مملوكاً رقبة ويداً).

٣ – وكونه نامياً.

٤ – وأن يكون زائداً على الحاجات الأصلية.

٥ – حَوَلان الحول.

٦ – وبلوغه نصاباً، والنصاب في كل نوع من المال بحسبه.

٧ – وأن يَسلم من وجود المانع، والمانع أن يكون على المالك دين يُنقص النصاب، وتجب الزكاة إذا بلغت الأعيان المذكورة حد النصاب، ونصابها كالآتي:

فتجب ففي الإبِل:

١– مرور سنة عليها.

٢– الرعي على عشب الصحراء وليس العلف الجاهز.

٣– لا يعمل الحيوان طول السنة.

٤– إذ عندما يبلغ العدد خمساً، تكون زكاتها شاة واحدة، وعند بلوغه عشراً، تكون الزكاة شاتين، وإذا وصل إلى خمس عشرة فتكون الزكاة ثلاث شياه، وعند عشرين تصبح أربع شياه أما إذا بلغت خمساً وعشرين، فتكون زكاتها خمس شياه، وإذا زاد العدد إلى ست وعشرين، تكون الزكاة ناقة في عامها الثاني وعند بلوغ العدد ستاً وثلاثين، تكون الزكاة ناقة في عامها الثالث وهناك أعداد أخرى لم تُذكر هنا لضيق المجال(٥١).

في الإبل اثناعشر نصاباً: الأوّل: خمس وفيها: شاة، ثُمَّ عشر وفيها: شاتان، ثُمَّ خمس عشرة وفيها ثلاث شياه، ثُمَّ عشرون وفيها أربع شياه، ثُمَّ خمس وعشرون وفيها: خمس شياه، ثُمَّ ستّ وعشرون وفيها: بنت مَخاض، وهي الداخلة في السنة الثانية – وإذا لم تكن عنده أجزأ عنها ابن لَبُون، وإذا لم يكن عنده تخيّر في شراء أيّهما شاء – ثُمَّ ستّ وثلاثون وفيها: بنت لبون، وهي الداخلة في السنة الثالثة، ثُمَّ ستّ وأربعون وفيها: حُقَّة، وهي الداخلة في السنة الرابعة عندما يبلغ العدد إحدى وستين، تكون الزكاة جَذَعة، وهي الناقة التي دخلت في عامها الخامس. وعند بلوغه ستّاً وسبعين، تكون الزكاة بنتا لبون، وإذا وصل العدد إلى إحدى وتسعين، فتكون الزكاة حِقّتين أما إذا زاد إلى مائة وإحدى وعشرين فما فوق، فتُفرض الزكاة بواقع حِقّة لكل خمسين، وبنت لبون لكل أربعين في حالة كان العدد متطابقاً مع الأربعين، بحيث إذا تم الحساب بها لم تكن هناك زيادة أو نقص (مثل مائة وستين)، يتم الاعتماد على قاعدة الأربعين أما إذا كان العدد متطابقاً مع الخمسين (كما في حالة المائة والخمسين)، يُعمل بقاعدة الخمسين، وإذا كان العدد يتطابق مع كلٍّ من الأربعين والخمسين (مثل مائتين)، يُخيَّر المالك بين العد بالأربعين أو الخمسين، وفي حالة كان العدد متطابقاً مع كليهما معاً (مثل مائتين وستين)، يتم العمل بكلتا القاعدتين، فيُحسب خمسونَين وأربعَ أربعينات أما ما كان أقل من النصاب الأول، فلا زكاة فيه، وما بين النصابين يُعامل وفقاً للنصاب السابق (٥٢)، وفي الغنم: إذا بلغ عددها أربعين فزكاتها شاة، وإذا بلغ مائة وواحد وعشرين فزكاتها شاتان، وإذا بلغ مائتين وواحد فزكاتها ثلاث شياه، وإذا بلغ ثلاثمائة وواحداً فزكاتها أربع شياه، وإذا بلغ أربعمائة أو أكثر فزكاتها عن كلّ مائة شاة واحدة مهما بلغ عددها(٥٣)، توجد خمسة نصب للغنم: عند بلوغ العدد أربعين، تكون الزكاة شاة واحدة وعند بلوغ مائة وإحدى وعشرين، تكون الزكاة شاتين وإذا وصل العدد إلى مائتين وواحدة، تكون الزكاة ثلاث شياه وعند بلوغ ثلاثمائة وواحدة، تُفرض أربع شياه وإذا زاد العدد إلى أربعمائة فما فوق، تُحسب الزكاة بواقع شاة عن كل مائة، بغض النظر عن العدد أما ما كان أقل من النصاب الأول، فلا زكاة فيه، وما بين النصب يُعامل وفقًا لحكم النصاب السابق(٥٤)، فيما يتعلق بالبقر والجاموس، إذا بلغ عددها ثلاثين، تكون زكاتها تبيعاً، وهو الذي أتمّ السنة الأولى ودخل في الثانية من عمره أما إذا وصل العدد إلى أربعين، فتكون زكاتها مسنّة، وهي التي أتمّت السنتين ودخلت في عامها الثالث(٥٥)، في البقر نصابان: الأوّل ثلاثون وفيها تَبيع – ولاتجزئ التبيعة على الأحوط وجوباً – وهو ما دخل في السنة الثانية، ثُمَّ أربعون وفيها: مُسِنّة وهي الداخلة في السنة الثالثة، وفيما زاد على هذا الحساب يتعيّن العدّ بالمطابق الذي لا عفو فيه، فإن طابق الثلاثين لا غير كالستّين

عدّ بها، وإن طابق الأربعين لا غير كالثمانين عدّ بها، وإن طابقهما كالسبعين عدّ بهما معاً، وإن طابق كُلّاً منهما كالمائة والعشرين يتخيّر بين العدّ بالثلاثين والأربعين، ولا شيء فيما دون الثلاثين، وما بين النصابين في حكم النصاب السابق(٥٦)، وأما نصاب الذهب والفضة:

١– أن يكونا من المسكوكات النقدية التي يتداول التعامل بها.

٢– مرور سنة عليهما.

٣–أن تبلغ كمّيّة الذهب خمسة عشر مثقالاً صيرفيّاً (٢٤ حبة) وزكاتها ربع العشر (٢,٥٪)، وكلّما زادت ثلاثة مثاقيل وجب إخراج (٢,٥٪) منها زكاة(٢).

وأما الفضّة فيجب أن تبلغ كمّيّتها مائة وخمسة مثاقيل وزكاتها ربع العشر (٢,٥٪)، وكلّما زادت كمّيّتها واحداً وعشرين مثقالاً وجب إخراج (٢,٥٪) منها زكاة(٥٧)، وأن يمضي عليهما أحد عشر شهراً ويدخل عليهما الشهر الثاني عشر وهما في ملك المالك(٥٨).

الأوّل: النصاب، ولكلٍّ منهما نصابان، ولا زكاة فيما لم يبلغ النصاب الأوّل منهما، وما بين النصابين بحكم النصاب السابق، فنصابا الذهب: خمسة عشر مثقالاً صيرفيّاً ثُمَّ ثلاثة فثلاثة، ونصابا الفضّة: مائة وخمسة مثاقيل، ثُمَّ واحد وعشرون فواحد وعشرون مثقالاً وهكذا، والمقدار الواجب إخراجه في كلّ منهما ربع العشر (٥و٢٪).

الثاني: أن يكونا من المسكوكات النقديّة التي يتداول التعامل بها سواء في ذلك السكّة الإسلاميّة وغيرها، وسواء أكانت السكّة بكتابة أو بغيرها، بقيت السكّة أو مسحت بالعارض، أمّا الممسوح بالأصل فالأحوط لزوماً وجوب الزكاة فيه إذا عومل به، وأمّا المسكوك الذي جرت المعاملة به ثُمَّ هجرت فلا تجب الزكاة فيه، وإذا اتّخذ المسكوك للزينة فإن كانت المعاملة به باقية فالأحوط لزوماً وجوب الزكاة فيه وإلّا لم تجب، ولا تجب الزكاة في سبائك الذهب والفضّة والحُليّ المتّخذة منهما وغير ذلك ممّا لا يكون من المسكوكات النقديّة(٥٩) وبذلك يعلم أنّه لا موضوع لزكاة الذهب والفضّة في العصر الحاضر الذي لا يتداول فيه التعامل بالعملات النقديّة الذهبيّة والفضيّة(٦٠).

الثالث: الحول، بأن يبقى في ملك مالكه واجداً للشروط تمام الحول، فلو خرج عن ملكه أثناء الحول أو نقص عن النصاب أو ألغيت سكّته ولو بجعله سبيكة لم تجب الزكاة فيه، نعم إذا أبدل الذهب المسكوك بمثله أو بالفضّة المسكوكة أو أبدل الفضّة المسكوكة بمثلها أو بالذهب المسكوك كُلّاً أو بعضاً بقصد الفرار من الزكاة وبقي واجداً لسائر الشرائط إلى تمام الحول فلا يترك الاحتياط بإخراج زكاته حينئذٍ، ويتمّ الحول بمُضِيّ أحد عشر شهراً ودخول الشهر الثاني عشر(٦١)، فقد ورد عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد، عن محمد بن حمزة، عن الإصبهاني، أنه قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن المال الذي يكون لي عند أحد وأقبضه منه، متى يجب أن أزكيه؟ فأجاب: إذا قبضته فعليك أن تزكيه فسألته: ماذا لو قبضت جزءاً منه في بداية السنة والجزء الآخر في وقت لاحق؟ فابتسم وقال: ما أجمل الطريقة التي طرحت بها السؤال. ثم أوضح: ما قبضته في الستة أشهر الأولى من السنة، زكه عن تلك السنة. أما ما قبضته في الستة أشهر الأخيرة، فابدأ به في السنة التالية.

وأوضح كذلك: إذا حصلت على مال بشكل متقطع طوال السنة، فإن ما تحصل عليه في الأشهر الستة الأولى يُزكى عن السنة نفسها. وما تحصل عليه بعد ذلك يدخل في حساب السنة القادمة.

يشترط في وجوب الزكاة في الغلّات الأربع أمران:

١– بلوغ النصاب، وهو أن تبلغ كمّيّة كلّ منها بعد جفافها ثلاثمائة صاع، وهذا يقارب – فيما

٢– قيل – (٨٤٧ كغم)(٣). ومقدار الزكاة الواجب فيها كما يلي:

أ– إذا سقيت بماء المطر أو بماء النهر أو ما شابههما بحيث لا يحتاج سقي الزرع إلى مجهود أو آلة تكون زكاتها حينئذٍ العشر (١٠٪)(٦٢).

ب– إذا سقيت باليد أو بالآلة كالمضخّات وما شابههما تكون زكاتها حينئذٍ نصف العشر (٥٪)(٦٣).
ت– إذا سقيت بالمطر تارة وباليد أو بالآلة أخرى تكون زكاتها حينئذٍ ثلاثة أرباع العشر (٧,٥٪)، إلّا إذا كان أحد السقيين قليلاً جداً بحيث لا يعتدّ به فينسب إلى السقي الغالب(٦٤).
٣– أن يكون المحصول مملوكاً للمكلّف حين تعلّق الزكاة به، فلو تملّكه بعد ذلك الحين لم تجب عليه أداء زكاته. نعم، إذا علم أنّ المالك الأول لم يخرج زكاته وجب عليه إخراجها، ويسعه الرجوع بها إليه إذا كان المحصول قد انتقل إليه بالشراء أو نحوه وغرّه بعدم إخباره بواقع الحال(٦٥)، بدليل: عن محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن البرقي، عن سعد بن سعد الأشعري قال: سألت أبا الحسن عن أقل ما تجب فيه الزكاة من البر والشعير والتمر والزبيب ؟ فقال: خمسة أوساق بوسق النبي (صلى الله عليه وآله)، فقلت: كم الوسق؟ قال: ستون صاعا، قلت: وهل على العنب زكاة أو إنما يجب عليه إذا صيره زبيبا؟ قال: نعم إذا خرصه أخرج زكاته.
وعنهم عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن أحمد بن أشيم، عن صفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن أبي نصر جميعا قالا: ذكرنا له الكوفة وما وضع عليها من الخراج، فقال: من أسلم طوعا يشترط في وجوب الزكاة في مال التجارة أمور:
١– بلوغ المالك وعقله .
٢– بلوغ المال حدّ النصاب، وهو نصاب أحد النقدين الذهب والفضّة، أي ما يعادل قيمة خمسة عشر مثقالاً صيرفيّاً من الذهب أو مائة وخمسة مثاقيل من الفضّة. ومقدار الزكاة الواجب فيه هو ربع العشر (٢,٥٪).
٣– تملّكه بعقد المعاوضة –كالشراء – ومضيّ الحول عليه بعينه من حين قصد الاسترباح.
٤– بقاء قصد الاسترباح به طوال الحول.
٥– تمكّن المالك من التصرّف فيه تمام الحول.
٦– أن لا تنخفض قيمته السوقيّة خلال العام عن سعر الكلفة(٦٦)، ولا تجب الزكاة على ما قل عن النصاب: بديل: محمد بن الحسن بإسناده عن علي بن مهزيار، عن احمد بن محمد ، عن حماد ، عن حريز ، عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر ولابنه (عليهما السلام): الرجل تكون له الغلة الكثيرة من أصناف شتى ، أو مال ليس فيه صنف تجب فيه الزكاة، هل عليه في جميعه زكاة واحدة ؟ فقالا : لا ، إنما تجب عليه إذا تم ، فكان يجب في كل صنف منه الزكاة ، يجب عليه في جميعه في كل صنف منه الزكاة ، فإن أخرجت أرضه شيئا قدر ما لا يجب فيه الصدقة أصنافا شتى لم تجب فيه زكاة واحدة . . . . الحديث(٦٧)، إذ يُشترط لمن تُدفع إليه الزكاة أن يكون مؤمناً، وألا يستخدم الزكاة في المعاصي ومن الأحوط وجوباً أن لا يكون من تاركي الصلاة، أو من شارب الخمر، أو ممن يجاهر بالمنكرات كما يشترط ألا يكون من الأشخاص الذين تُلزم دافع الزكاة بالإنفاق عليهم، كحال الزوجة كذلك، يُشترط أن لا يكون المستحق هاشمياً إذا كان دافع الزكاة غير هاشمي(٦٨).

النتائج:

الزكاة تعتبر واحدة من أهم الفرائض في الإسلام، وركناً أساسياً من أركانه، ورد ذكر الزكاة في مواضع عديدة من القرآن الكريم وهذا يدل على وجوبها، وكذلك بما يؤكد على مكانتها وأهميتها كعبادة مالية واجبة على المسلمين.
اولاً: الزكاة فُرِضَت كعبادة تهدف لتحقيق التكافل الاجتماعي والعدالة الاقتصادية، ومن أبرز الآيات التي تؤكد فرضيتها قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) [البقرة: ٤٣]، (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) [التوبة: ١٠٣]، حيث هذه الآيات تربط الزكاة بالطهارة

الروحية، مما يدل على أن إخراج الزكاة ليس مجرد إجراء مادي، بل هو عبادة تهدف لنقاء القلب والمال.

ثانياً: حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة بوضوح في قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ) [التوبة: ٦٠]، وهذا التفصيل يعكس عدالة الإسلام في توزيع الموارد المالية بما يحقق مصلحة المجتمع ككل.

ثالثاً: تعد الزكاة كأداة للتكافل وهذا ما ورد في قوله تعالى (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) [المعارج: ٢٤-٢٥]، تم التأكيد على أن الزكاة ليست تفضلاً، بل واجبًا يجب أداؤه للفئات المستحقة.

رابعاً: يُشير القرآن إلى خطورة الامتناع عن أداء الزكاة، كما في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [التوبة: ٣٤]، إذ تُبين هذه الآية أن الامتناع عن أداء الزكاة يُعتبر تقصيراً يُعرض صاحبه للعقاب.

خامساً: تعمل الزكاة على تعزيز التآلف بين أفراد المجتمع، وتساعد في تقليل الفوارق الاقتصادية، وهذا يجعلها أداة فعالة لتحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

الهوامش:

(١) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج٤، ص٣٤١.
(٢) إبراهيم انيس وعبد الحليم وعطية الصواحي، المعجم الوسيط، ص٣٩٨.
(٣) أنظر: ابن قدامة، عبد الله، المغنى في فقه الامام، ص٤٣٣.
(٤) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١٤، ص٣٥٨.
(٥) النوري، يحيى بن شرف أبو زكريا، المجمع شرح المهذب، ج٥، ص٣٢٥.
(٦) أنظر: الجيرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ص١١٤.
(٧) الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ص٣٦٧.
(٨) أنظر: ابن فارس، معجم مقايس اللغة، ج٢، ص٣٩٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٢٨.
(٩) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١، ص٢٨١.
(١٠) أنظر: الطريحي، ابي الفضل جمال الدين، مجمع البحرين، ج٣، ص٤٧٧.
(١١) الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص١٣٨.
(١٢) العطار، داود، موجز علوم القرآن، ص١٧.
(١٣) أنظر: الفضلي، عبد الهادي، دروس في أصول فقه الامامية، ص١٣٨
(١٤) سورة التوبة الآية: ٦٠.
(١٥) أبو داود؛ سليمان بن الاشعث؛ سنن ابي داود، ج٤، ص٤٣٧.
(١٦) الزاوي، الطاهر احمد، مختار القاموس، ص٤٨١.
(١٧) الراغب الاصفهاني، ابي القاسم الحسين بن محمد، المفردات، ص٣٨٣.
(١٨) أنظر: النوري، يحيى بن شرف، منهاج الطالبين، ص٩٤.
(١٩) أنظر: ابن الهمام احمد، شرح فتح القدير، ج٢، ص١٥.
(٢٠) أنظر: الفيومي؛ احمد بن محمد بن علي؛ المصباح المنير، ج١، ص٣٠٣.
(٢١) أنظر: النوري، يحيى بن شرف، منهاج الطالبين، ص٩٤.
(٢٢) ابن الهمام احمد، شرح فتح القدير، ج٢، ص١٥.
(٢٣) أنظر: الرافعي؛ ابي القاسم عبد الكريم؛ الشرح الكبير؛ المغني، ج٤، ص٦٩٤.
(٢٤) أنظر: القرضاوي، يوسف، ج٢، ٥٩٠.
(٢٥) أنظر: الحنبلي أبو يعلى؛ الاحكام السلطانية، ص١٣٤.
(٢٦) أنظر: الرافعي، ابي القاسم عبد الكريم ؛ الشرح الكبير، ج، ص٦٩٦.
(٢٧) المنذري؛ عبد العظيم بن عبد القوي؛ مختصر صحيح مسلم، ج١، ص١٤٠.
(٢٨) أنظر: الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير؛ جامع البيان عن تأويل القران، ج١٤، ص٣١٣.
(٢٩) أنظر: الشيرازي، يحيى بن شرف، شرح المهذب، ج٦، ص٢٠٢.

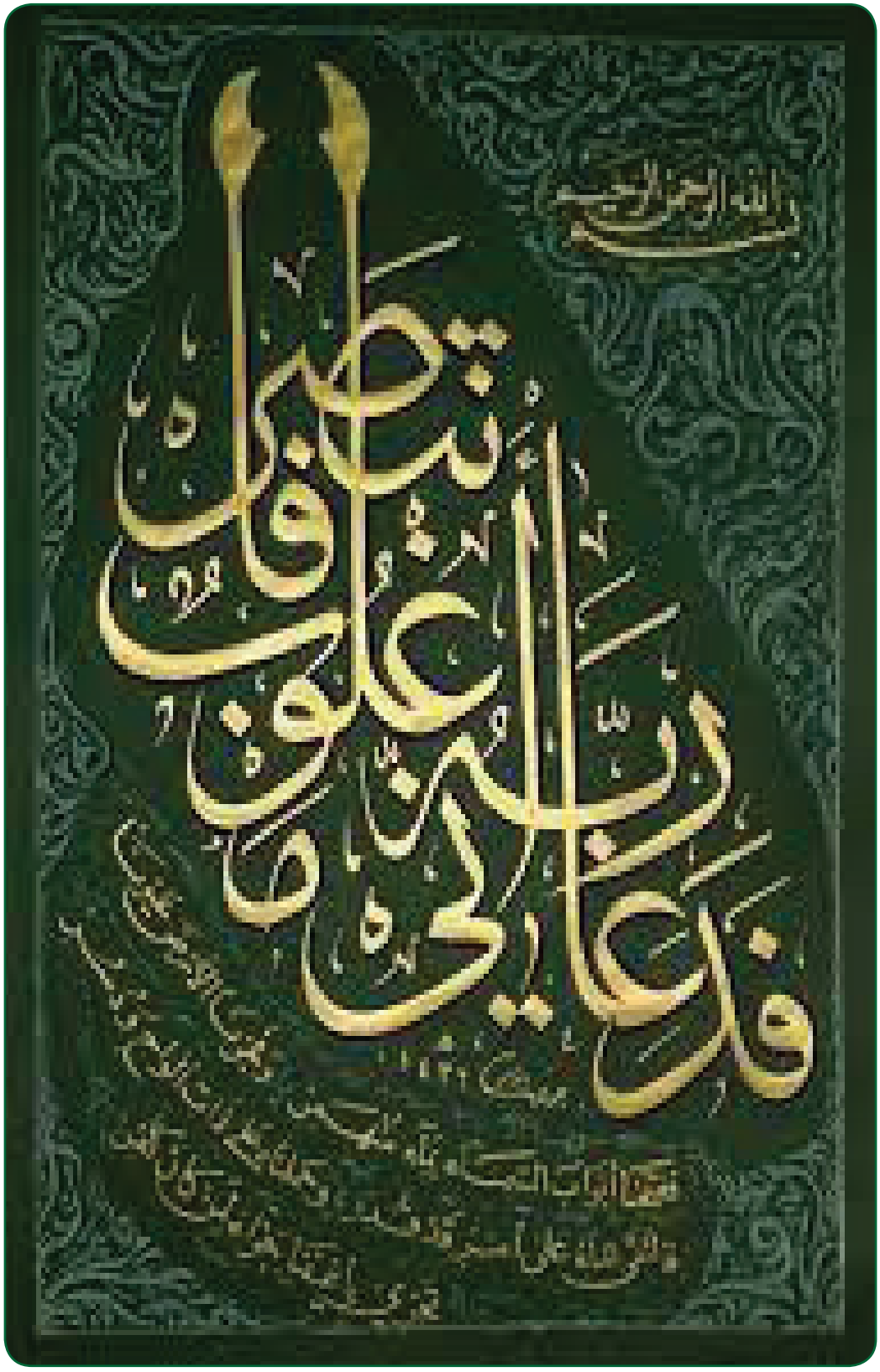
(٣٠) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٣١) أنظر: القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن احمد؛ الجامع لأحكام القران، ج٩، ص١٠٨.
(٣٢) السيواسي؛ كمال الدين محمد بن عبد الواحد؛ شرح فتح القدير على الهداية، ج٢، ص٢٠٤.
(٣٣) انظر: القريشي؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير؛ تفسير القران العظيم، ج٤، ١١٥.
(٣٤) أنظر: عبد الرحمن بن ناصر؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٤٥.
(٣٥) أنظر: الشعراوي؛ محمد متولي الشعراوي؛ تفسير الخواطر، ج٩، ص٥٢٢٧.
(٣٦) أنظر: الشعراوي؛ محمد متولي الشعراوي؛ تفسير الخواطر، ج٩، ص٥٢٢٧.
(٣٧) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تفسير مجمع البيان ١ :١٧٦
(٣٨) أنظر: الحلي، جعفر بن الحسن الهذلي، شرائع الإسلام في مسائل الحلال ١ :٢٧٦
(٣٩) النجفي الجواهري، الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام، ص١٦.
(٤٠) أنظر: الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن، ج١، ص١٩١.
(٤١) الشيرازي، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٤، ص٤٦.
(٤٢) النجفي الجواهري، الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام، ج١٧، ص١٠٩.
(٤٣) الشهيد الأول، محمد بن مكي الجزيني العاملي، اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية، ص٥٤.
(٤٤) النجفي الجواهري، الشيخ محمد حسن جواهر الكلام، ج١٥، ص٩.
(٤٥) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن، ج٦، ص١١٧.
(٤٦) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج١٠، ص٤١٩.
(٤٧) الخامئني ؛ السيد علي؛ منتخب الأحكام، ص ١٤٨.
(٤٨) الصدر؛ السيد محمد؛ منهاج الصالحين، ١ ج١، ص٢١١.
(٤٩) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن الحر؛ وسائل الشيعة، ج٩، ص١٧٠.
(٥٠) المصدر نفسه، ج٩، ص١٧٤.
(٥١) الشيخ الصدوق ؛ أبو جعفر محمد بن علي ؛ من لا يحضره الفقيه، ج٧، ص١٥٧٩.
(٥٢) الصدر؛ السيد محمد ؛ منهاج الصالحين، ج١، ص٢١٤.
(٥٣) الشيخ الصدوق؛ ابو جعفر محمد بن علي؛ علل الشرائع، ج٢، ص٣٦٨.
(٥٤) محمد، الصدر، منهاج الصالحين، ج١، ص٢١٥.
(٥٥) الصدر؛ السيد محمد؛ منهاج الصالحين، ج١، ص٢١٨.
(٥٦) النجفي ؛ محمد حسن ؛ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ج٧، ص٢٤٠.
(٥٧) المصدر السابق ٢٤١.
(٥٨) السيستاني ؛ للسيد علي الحسيني ؛ الوجيز في أحكام العبادات، ص٣٧٦ ، مسألة ١٣٧
(٥٩) السيستاني ؛ للسيد علي الحسيني ؛ الوجيز في أحكام العبادات، ص٣٧٧، مسألة ١٣٨
(٦٠) الصدر؛ محمد؛ منهاج الصالحين، ج١، ص٢١٨.
(٦١) أنظر: محسن قرائتي ؛ تفسير النور، ص٤٣.
(٦٢) ينظر المصدر السابق ٥١.
(٦٣) مغنية ؛محمد جواد ؛ لفقه على المذاهب الخمسة، ص١٣١.
(٦٤) الصدر؛ السيد محمد ؛ منهاج الصالحين، ج١، ص٢٢٥.
(٦٥) ينظر: مغنية؛ محمد جواد؛ الفقه على المذاهب الخمسة، ص٣٧٧.
(٦٦) الصدر ؛ السيد محمد ؛ منهاج الصالحين، ج١، ص٢٢٦.
(٦٧) حر العاملي ؛ محمد بن الحسن وسائل الشيعة، ج٩، ص١٨٠.
(٦٨) ينظر؛ نجم الدين جعفر بن الحسن ؛ المعتبر في شرح المختصر، ص٦١٣.

المصادر:

القران الكريم
١ ٤٥٨) دار النشر بيروت – لبنان ط٢ ١٤٢١–
٢٠٠٠م ٠
٢) أساس البلاغة ؛ أبو القاسم محمود بن عمر بن احمد الزمخشري ؛ تحقيق : محمد باسل عيون السود ط ١ سنة ١٤١٩–
١٩٩٨م ٠

٣) التعريفات ؛ علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ٨١٦-١٤١٣م المحقق: محمد صديق المنشاوي ؛ دار النشر دار الكتب العلمي بيروت – لبنان ط١سنة ١٤٠٣-١٩٨٣م ٠
٤) تفسير الأمثل؛ ناصر مكارم الشرازي؛ دار النشر بيروت–لبنان ط١ ١٤٣٤-٢٠١٣م ط ٣.
٥) تفسير الخواطر ؛ محمد متولي الشعراوي (المتوفي سنة ١٤١٨).
٦) تفسير القران العظيم ؛عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفي سنة ٧٧٤) دار النشر بيروت – لبنان ط ١ ١٤١٩-١٩٩٨م.
٧) تفسير كلام المنان؛ عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله (المتوفي سنة ١٣٧٦) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ؛ دار النشر مؤسسة الرسالة ط ١ ١٤٢٠-٢٠٠٠م.
٨) تفسير مجمع البيان؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفي سنة ٥٤٨) دار النشر دار الكتب العلمية، ط٣.
٩) جامع البيان عن تاويل القران ؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠)، الناشر: دار المعرفة ط٤.
١٠) الجامع لاحكام القران ؛ أبو عبدالله محمد بن احمد النصاري القرطبي ؛ المحقق: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش ؛ دار النشر القاهرة ط ٢ ١٣٨٤-١٩٦٤م
١١) دروس أصول فقه الامامية ؛ عبد الهادي الفضلي ؛ دار النشر بيروت ج١ ١٤٢٨-٢٠٠٧م
١٢) سنن ابي داود ؛ أبو داود سليمان بن الاشعث بن إسحاق (المتوفي سنة ٢٧٥) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد (المتوفي سنة ١٣٩٢) النشر بيروت٠
١٣) الشرح الكبير ؛ عبد الكريم بن محمد الرافعي (المتوفي سنة ٦٢٣) النشر دار الفكر .
١٤) شرح فتح القدير ؛كمال الدين محمد بن عبد الواحد (المتوفي سنة ٨٦١) دار النشر مصر ط١ ١٣٨٩-١٩٧٠م٠
١٥) شرح فتح القدير على الهداية ؛كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (المتوفي سنة ٨٦١) دار النشر مصر ط ١ ١٣٨٩-١٩٧٠م.
١٦) علوم القران ؛ السيد محمد باقر الحكيم ؛ ط ٣ سنة الطبع ربيع الثاني ١٤١٧ .
١٧) فقه الزكاة ؛ يوسف القرضاوي ؛ دار النشر بيروت ٤٤٧٩ ج ١ ط ٢ .
١٨) الفقه على المذاهب الخمسة؛ محمد جواد مغنية؛ دار النشر بيروت–لبنان ١٤٢١ .
١٩) القاموس المحيط ؛ مجد الدين الفيروزابادي (المتوفى سنة ٨١٧) المحقق : انس محمد الشامي وزكريا جابر احمد ؛ ط ٤ القاهرة سنة الطبع ١٤٢٩-٢٠٠٨م ٠
٢٠) لسان العرب ؛ ابن منظور محمد بن مكرم ؛ نشر ادب الحوزة ، سنة النشر ١٤٠٥.
٢١) اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية؛ محمد بن مكي الجزيني العاملي الشهيد الأول؛ دار النشر الاعلمي بيروت.
٢٢) مجمع البحرين الطريحي ؛ ابي الفضل جمال الدين ؛ المحقق : السيد احمد الحسيني ط٢ ج٣ سنة الطبع ١٤٠٨-١٣٦٧
.٢٣) المجمع شرح المهذب ؛ للامام ابى زكريا يحيى الدين بن شرف النووي ؛ محقق : محمد نجيب المطيعى ؛ دار النشر جدة المملكة العربية السعودية.
٢٤) مختار القاموس ؛الطاهر احمد الزاوي ؛ دار النشر تونس ٠
٢٥) مختصر صحيح مسلم ؛ عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله (المتوفي سنة ٦٥٦) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني ؛ دار النشر بيروت – لبنان ط٦ ١٤٠٧-١٩٨٧م٠
٢٦) المصباح المنير؛ احمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفي نحو ٧٧٠) دار النشر بيروت.
٢٧) المعجم الوسيط ؛ مجمع اللغة العربيه ؛ القاهرة سنة الطبع ١٤٢٥-٢٠٠٤م ٠
٢٨) المغنى ؛ عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة ؛ المحقق : د٠عبد الفتاح محمد و عبد الله بن عبد الحسن ؛ دارالحدث القاهرة ١٣٨٨-١٩٦٨م ٠
٢٩) المفردات في غريب القران ؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفي سنه ٥٠٢) المحقق : صفوان عدنان الداودي ؛ دار النشر بيروت ط ١ ١٤١٢.
٣٠) من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر محمد بن علي(المتوفي سنة ٣٨١) المحقق: علي اكبرالغفاري ؛ دار النشر قم القدسة، ط٢.
٣١) منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني؛ ١٤٤٥-٢٠٢٣.
٣٢) منهاج الطالبين ؛ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفي سنة ٦٧٦) المحقق : عوض قاسم احمد عوض ؛ النشر دار الفكر ط ١ ١٤٢٥-٢٠٠٥م .
٣٣) موجز علوم القران ؛ د٠داود العطار ؛ دار النشر بيروت ط ٣ ١٩٩٥م .
٣٤) وسائل الشيعة ؛ محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفي سنة ١١٠٤) المحقق : الشيخ عبد الرحيم الشيرازي ؛ دار النشر طهران ط٣.

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٧)
السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م



الابتلاء في القرآن والسنة النبوية

أ.م.د. إبراهيم سلمان قاسم الباحثة: عيدة قدوري جبار
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

المستخلص:
الابتلاء في القرآن الكريم والسنة النبوية يُعد موضوعًا هامًا يعكس العمق الروحي والأخلاقي في الإسلام حيث يظهر الابتلاء كوسيلة ربانية تهدف إلى اختبار إيمان العبد، وتقوية صبره، وتعزيز قربه من الله إذ إن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة قدمت رؤية شاملة لهذا الموضوع، مع التأكيد على أن الابتلاء لا يُعتبر عقوبة دائمًا، بل يمكن أن يكون نعمة لتحقيق الحكمة الإلهية.
حيث يأتي الابتلاء في صور متنوعة تشمل الخير والشر والمرض، الغنى والفقر، الأمان والخوف، بهدف تذكير الإنسان بالحكمة الإلهية والتوجيه نحو الاعتماد على الله فقد تكمن أهمية الابتلاء في توجيه الفرد والمجتمع نحو تطوير الصفات الروحية كالرضا والتوكل على الله، وكذلك لتعليم الدروس الأخلاقية التي تُساهم في بناء مجتمع قوي ومترابط.
إذ يتناول البحث أبعاد الابتلاء من خلال النصوص القرآنية التي تُبرز أهميته كوسيلة للتكفير عن الذنوب ورفع الدرجات، وكذلك الأحاديث التي توضح دور الصبر والتعامل الحسن مع الابتلاءات، ويسلط الضوء على الحكمة والغاية منه، ليبرز كيف يُمكن للابتلاء أن يكون محفزًا للنمو الروحي والأخلاقي.
الكلمات المفتاحية:الابتلاء، القرآن، السنة، العلاج.

Abstract:
Affliction in the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet is an important topic that reflects the spiritual and moral depth in Islam, where affliction appears as a divine means aimed at testing the faith of the slave, strengthening his patience, and enhancing his closeness to God, as the Holy Quran and the hadiths of the Prophet provided a comprehensive vision of this topic, while emphasizing that affliction is not always considered a punishment, but can be a blessing to achieve divine wisdom.
Where affliction comes in a variety of forms, including good, evil, disease, wealth and poverty, safety and fear, with the aim of reminding man of divine wisdom and guidance towards dependence on God, the importance of affliction may lie in directing the individual and society towards the development of spiritual qualities such as satisfaction and trust in God, as well as to teach moral lessons that contribute to building a strong and cohesive society.
The research deals with the dimensions of affliction through Quranic texts that highlight its importance as a means of atonement for sins and raise degrees, as well as hadiths that clarify the role of patience and good handling of afflictions, and highlights the wisdom and purpose of it, to highlight how affliction can be a catalyst for spiritual and moral growth.
Keywords: (affliction, Qur'an, Sunnah, treatment).

ال‌مقدمة:

إن الابتلاء في القرآن الكريم والسنة النبوية يمثل مفهومًا محوريًا في الإسلام إذ يعكس طبيعة الحياة الإنسانية كرحلة يتخللها اختبارات ودروس فقد يُعتبر الابتلاء كوسيلة ربانية تهدف إلى تقوية الإيمان وتربية النفس، حيث يُظهر حكمة الله في التعامل مع الإنسان بين السراء والضراء، حيث تناولت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية هذه القضية بإسهاب، موضحةً أنواع الابتلاءات وكيفية التعامل معها بروح من الصبر والتوكل على الله.

هذا ويهدف البحث إلى استكشاف مفهوم الابتلاء من خلال التأصيل الشرعي، من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتحليل أنواعه، آثاره، ودلالاته الروحية والاجتماعية، كما يسعى إلى بيان كيف يُمكن أن يُصبح الابتلاء وسيلة لتحفيز المسلم على التربية الأخلاقي والروحي، ليكون أكثر قربًا من الله وأكثر ارتباطًا بقيم الرحمة والتوكل، وقد يُبرز الابتلاء ليس كاختبار صعب فقط، بل كفرصة عظيمة للتأمل في الحكمة الإلهية والسعي نحو التغيير الإيجابي.

المبحث الأول: المفاهيم العامة

المطلب الأول: الابتلاء في اللغة والاصطلاح

أولاً: الابتلاء في اللغة:

عرف اهل اللغة الابتلاء بجملة من التعريفات إذ جاء لسان العرب قال ابن الاعرابي: أبلى بمعنى أخبر وابتلاه الله أمتحنه(١)، وقيل ايضاً أبليت فلاناً إذا اختبرتهُ(٢)، وعرف زهير البلوى حيث قال: اسم من بلاه الله يَبلُوه(٣)، وللأصمعي رأي آخر قال فيه بَلاه يَبْلُوه بلواً، إذا جَرّبه يُقال ايضاً اللهم لا تبْلنا إلا بالتي هي أُحسن(٤)، وعليه يكون الابتلاء في اللغة هو الامتحان أو التجربة بمختلف الصيغ، سواء في الإخبار أو الاختبار.

ثانياً: الابتلاء في الاصطلاح

اما بالنسبة للاصطلاح فقد أوضح العلماء ذلك من خلال قولة تعالى {فِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}(٥) .

(اسم ممدود من البلو، وهو الاختبار والتجربة) (٦)، إذ إن (الابتلاء الامتحان والاختبار أي ابتلاه بما أمره به)(٧)، (الابتلاء وهو الاختبار والامتحان ليعلم ما يكون من حال المختبر) (٨)، ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن الابتلاء يعني الاختبار الإلهي الذي يكشف حال المختبر في طاعته واستجابته.

المطلب الثاني: القرآن والسنة في اللغة والاصطلاح

أولاً: القرآن في اللغة

لقد وردت تعريفات للقران عند علماء اللغة كثيرة حيث يذكر صاحب لسان العرب قوله (قرأ: القران التنزيل العزيز وانما قدم على ما هو ابسط منه للشرف) (٩)، قال الفراء: (ظن ان القران سمي من القرائن وذلك أن الآيات يصدق بعضها بعضا ويشبه بعضها بعضا فهي قرائن فمذهب هؤلاء أنه غير مهموز(١٠)، وعرف الرازي بأنه: (القران اصلهُ قرأ يقرأ قراءة قرأناً قالوا ومنها القران كأنهُ سمي بذلك لجمعه ما فيه من الاحكام والقصص وغير ذلك) (١١)

ثانياً: القرآن في الاصطلاح

يُعرف القرآن الكريم بأنه كلام الله المُنزل على نبيه محمد(صلى الله عليه وآله) بالوحي، والمتعبد بتلاوته، والذي يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الناس، إذ يُعتبر دستوراً إلهياً يشمل الأحكام الشرعية، والقصص التاريخية، والمواعظ، وهو معجزٌ في لفظه ومعناه، ويتحدى البشرية جمعاء في أن تأتي بمثله، حيث يتميز القرآن بخصائصه الفريدة من البلاغة، والإعجاز، والقدرة على التوجيه الروحي والاجتماعي، حيث قال الجرجاني: القرآن (هو المنزل على الرسول (صلى الله عليه وآله) المكتوب بالمصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبه والقران عند اهل الحق: هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها) (١٢)، إذ هو (الكلام المعجز المنزل على النبي (صلى الله عليه

وآله) المكتوب بالمصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته) (١٣)، فالقران: (هو اللفظ العربي المعجز الموحى به الى محمد (صلى الله عليه وآله) بواسطة جبريل (عليه السلام) وهو المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس)(١٤)،القران: (كلام الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سوره)(١٥).

المطلب الثالث: السنة في اللغة والاصطلاح

أولاً: السنة في اللغة

جاءت بمعنى (الطريق) وهذا ما يذكره صاحب المعجم الوسيط(١٦)، والسنة أصلها (سن) السين والنون أصل واحد مطرد وهو جريان الشيء واطراده في سهوله مما اشتق منة السنة وهي السيرة، وسنة الرسول(صلى الله عليه وآله) سيرته (١٧)، وقال الازهري (السنة: الطريق المستقيم المحمود لذلك قيل فلان من اهل السنة معناها من اهل الطريق المستقيمة المحمودة)(١٨).

ثانياً: السنة في الاصطلاح

لقد جاء تعريف السنة في الاصطلاح بتعريفات كثيرة ومنها: (السنة هي مشتركه بينما يصدر عن النبي(صلى الله عليه وآله) من قول او فعل او تقرير وبين ما واظب النبي(صلى الله عليه وآله) عليه بلا وجوب)(١٩)، وذكر أيضا (السنة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب) (٢٠)، وجاء أيضا بمعنى (قول النبي(صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره وتطلق بالمعنى العام على الواجب وما فيه عرف اهل الفقه انما يطلقون على ما ليس بالواجب) (٢١).

المبحث الثاني: الابتلاء في القران والسنة

المطلب الأول: الابتلاء في القرآن

الابتلاء في القرآن الكريم موضوع غني وعميق يعكس أهمية التجارب في حياة الإنسان من منظور ديني وأخلاقي، إذ يتناول القرآن الابتلاء باعتباره جزءًا أساسيًا من رحمة الله وحكمته في تشكيل شخصية الإنسان وتقوية إيمانه. حيث ورد آيات كثيرة تتحدث عن الابتلاء في القران الكريم، نذكر جملة من هذه الآيات مع بيان كيفية الاستدلال بها.

أولاً: قولة تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}(٢٢).

هذه الآية من سورة البقرة تبرز واحدة من أعظم محطات الابتلاء التي مر بها النبي إبراهيم عليه السلام، وتُظهر مكانته الرفيعة عند الله عز وجل فقول: واذ ابتلى ابراهم ربه، الابتلاء والبلاء بمعنى واحد تقول: ابتليته وبلوته بكذا، أي امتحنته واختبرته، إذا قدمت ليه أمراً أو أوقعته في حدث فاختبرته بذلك واستظهرت عنده هن الصفات النفسانية الكامنة عنده الإطاعة والشجاعة والسخاء والعفة والعلم والوفاء أو مقابلاتها، ولذلك لا يكون الابتلاء إلا بعمل فإن الفعل هو الذي بظهر به الصفات الكامنة من الإنسان دون القول الذي يحتمل الصدق والكذب (٢٣)، وجه الاستدلال: ويمكن ان يستدل إلى اختبر الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) بمجموعة من التكاليف والاختبارات التي تنوعت بين العقائدية، والأخلاقية، والعملية، مثل هدم الأصنام، وإقامة التوحيد، وتنفيذ الأمر بذبح ابنه إسماعيل (عليه السلام) وقد أتم إبراهيم (عليه السلام) هذه الاختبارات بنجاح كامل، مما أظهر إيمانه وإخلاصه بالإضافة إلى نجاح إبراهيم في الابتلاء دليل على كماله واستعداده للمرتبة الأعلى وهي الإمامة.

ثانياً: قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلنَا مَا عَلَى ٱلأَرضِ زِينَة لَّهَا لِنَبلُوَهُم أَيُّهُم أَحسَنُ عَمَلاً} (٢٤)، حيث (تجسّد وضع هذا العالم وتكشف عن أنه ساحة للاختبار والتمحيص والبلاء، وتوضح الخط الذي ينبغي أن يسلكه الإنسان:

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا) قد ملأنا العالم بأنواع الزينة، بحيث إنّ كلّ جانب فيه يُذهب بالقلب، ويحير الأبصار، ويثير الدوافع الداخلية في الإنسان، كما يتسنى امتحانه في ظل هذه الإحساسات والمشاعر ووسط أنواع الزينة وأشكالها، لتظهر قدرته الإيمانية، ومؤهلاته المعنوية) (٢٥)، وجه الاستدلال: يوضح أن "ما على الأرض" من زينة هي أدوات اختبار لمعرفة مدى تعلق الإنسان بالدنيا أو توجهه نحو الآخرة. ويشير إلى أن الابتلاء هنا يختبر السلوك والنية معًا: هل الإنسان يطغى بسبب هذه الزينة أم يعتبرها وسيلة للتقرب إلى الله.

ثالثاً: في قوله تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا} (٢٦) (أي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي، فيجازي كل عامل بقدر عمله. وقيل: ليبلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا، وأحسن له استعداداً، وأحسن صبراً على موته وموت غيره، وأيكم أكثر امتثالا للأوامر، اجتناباً عن النواهي في حال حياته) (٢٧)، وجه الاستدلال: يمكن ان يقال ان الآية تربط بين نظام الحياة والموت والاختبار الإلهي للبشر، وتؤكد أن الابتلاء جزء أصيل من سنن الله في خلقه، وأن الهدف من هذا الابتلاء هو تمييز من يتفوق في إحسان العمل بإخلاص وتقوى.

رابعاً: في قولة تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}(٢٨)، (يقول الله تعالى مقسماً انا نبلوا هؤلاء الكفار ومعناها نختبرهم بما نكلفهم من الأمور الشاقة فالبلاء والاختبار واحد وإنما جاز في وصف الله ابتلاء، لأن المعنى أنه يعامل معاملة المبتلى المختبر مظاهرة في العدل بالجزاء لها. والجهاد احمال المشقة في قتال المشركين اعداء دين الله. وأفضل الأعمال علم الدين، والجهاد في سبيل الله لأن علم الدين يصح به العمل بالحق والدعاء اليه. والجهاد داع إلى الحق مع المشقة فيه، والصابر هو الحابس نفسه عمل لا يحل له، وهي صفة مدح ومع ذلك ففيها دليل على حاجة لموصوف بها، لأنه إنما يحبس نفسه ويمنعها من ما تشتهيها او تنازع اليه من القبيح ونبلو أخباركم، أي نختبر اخباركم ونعلم المطيع من العاصي)(٢٩)، وجه الاستدلال: ويمكن ان يستدل بالآية أن الابتلاء ضروري لتمحيص العباد، لإظهار المجاهدين والصابرين عملياً، ولإبراز حقيقتهم في الحياة. الابتلاء وسيلة إلهية لتمييز المؤمنين الصادقين عن غيرهم، مما يُبرز قيمة الصبر والجهاد كركيزتين أساسيتين في مواجهة اختبارات الدنيا.

خامساً: في قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (٣٠)، (ان التمحيص بالبلاء هو المحك الذي يظهر الانسان عل حقيقته، فالمؤمن العاقل لا يخرج عن دينه عند نزول المصيبة، ولا يتفوه بكلمة الكفر والسفه والجهل، بل يصبر ولا يذهب البلاء بعقله وايمانه، أما ضعيف العقل والايمان فيستولي عليه الشيطان، ويذهب به كل مذهب من الكفر والشم والبذاءة وينحدر الى هوة الرذالة والسفالة، وخير ما قيل في ذلك قول سيد الشهداء الحسين بن علي يوم الطف": الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درت معاشهم، فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون)(٣١)، حيث إن وجه الاستدلال: يوضح أن الابتلاءات جزء من الحكمة الإلهية لاختبار إيمان العباد وصبرهم. وهي تُظهر أن الصبر هو الطريق الأساسي للتعامل مع صعوبات الحياة، مع التأكيد على أن هذه الابتلاءات تأتي لتقوية الإيمان والاعتماد على الله.

المطلب الثاني: الابتلاء في السنة

الابتلاء في السنة النبوية له أهمية خاصة، حيث يركز الحديث النبوي على الحكمة من وراء الابتلاء، وكيف يمكن للمؤمن التعامل معه بروح إيمانية وصبر وثبات فالأحاديث النبوية جاءت لتكمل فهم الابتلاء الذي ورد في القرآن وتوضح أبعاده بشكل عملي ومؤثر، إذ وردت عده روايات تتحدث عن الابتلاء ومنها:

اولاً: عن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن زيد بن شحان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (ان عظيم الاجر لمع عظيم البلاء وما أحب الله قوم الا ابتلاهم (٣٢)، وجه الاستدلال: يمكن ان يستدل بان شدة البلاء تقابلها منزلة عظيمة واجر كبير عند الله هذا يعزز فكرة ان البلاء

ليس مجرد اختبار بل هو فرصه لمن يثبت ان ينال مقامات سامية في الاخرة.

ثانياً: عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (انهُ ليكون للعبد عند الله عز وجل منزله لا يبلغها الا بأحدي الخصلتين اما ببلية في جسمه، او بذهاب في ماله(٣٣)، وجه الاستدلال: يمكن ان يستدل بهذه الرواية هو عندما يبتلي الله عبده في جسده او ماله يختبر مدى صبره وثباته الصبر على هذه البلايا يظهر اخلاص العبد وتوكله على الله مما يجعله مؤهلا لنيل هذه المنزلة العالية .

ثالثاً: أخبرنا جماعة، عن أبي الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر الرزاز وابي العباس القرشي بالكوفة قال: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب قال: حدثنا محمد بن أبي عمير، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي حمزة: عن أبي الحسن موسى بن جعفر(عليه السلام) قال:(مثل المؤمن مثل كفي الميزان، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه، ليلقى الله عز وجل ولا خطيئة له) (٣٤)، وجه الاستدلال: يوضح ان الغاية الكبرى من البلاء هي اعداد المؤمن للقاء الله تعالى في حاله من النقاء التام فالبلاء يزيل إثر الذنوب ويعلي من مقام المؤمن ليقبل على ربه مبرا من العيوب.

رابعاً: عن عبد الأعلى بن أعين، عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: (ليس للعبد قبض ولأبسط مما أمر الله به أو نهى الله عنه إلا ومن الله فيه ابتلاء(٣٥)، وجه الاستدلال: يمكن ان يستدل من هذه الرواية ان كل شي يحدث للعبد سواء كان بالخير او بالشر هو ابتلاء من الله هدفه قياس صبره وشكره وإظهار مدى التزامه بما امر الله به او اجتنابه لما نهى الله عنه الابتلاء يعد أداة تربوية الهيه تهدف الى تكميل ايمان العبد وتهذيبه ليكون اهلا للقرب من الله.

خامساً: عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن زيد الزراد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله(ص) (إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، فإذا أحب الله عبدا ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله عند الله الرضا ومن سخط البلاء فله عند الله السخط) (٣٦)، وجه الاستدلال: يمكن ان يقال ان الابتلاء دليل على محبه الله لعبده وانه وسيله لتطهيره ورفع مقامه والجزاء الإلهي يعتمد على موقف العبد الرضا يؤدي الى رضا الله والجنة بينما السخط يؤدي الى غضب الله الابتلاء يعلم العبد الصبر والتسليم لقضاء الله وهو جزء من رحمه الله الله وحكمته في تربيه عباده.

سادساً: عن عمار بن مروان، عن بعض ولد أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: (لن تكونوا مؤمنين، حتى تعدوا البلاء نعمة، والرخاء مصيبة) (٣٧)، وجه الاستدلال: يوضح ان الايمان الحقيقي يتطلب قلبا واعيا يرى في البلاء فرصه للتزكية والقرب من الله ويرى في الرخاء اختبارا صعبا قد يؤدي الى الغفلة على المؤمن ان لا يجزع عند البلاء ولا يغتر عند الرخاء بل يبقى دائما مستقيما على منهج الله مدركا حكمه الابتلاءات والنعم.

سابعاً: عن أحمد بن يحيى العطار قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي، عن الحسن بن محبوب، عن سماعة بن مهران: عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: (إن العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفرها به، ابتلاه الله عز وجل بالحزن في الدنيا ليكفرها به، فإن فعل ذلك به وإلا أسقم بدنه ليكفرها به، فإن فعل ذلك به وإلا شدد عليه عند موته ليكفرها به فإن فعل ذلك به وإلا عذبه في قبره ليلق الله عز وجل يوم يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه) (٣٨)، وجه الاستدلال: ويمكن ان يستدل من الرواية ان الابتلاء ليس هدفه الاضرار بالعبد بل هو وسيله تطهير ورحمه من الله. الابتلاءات المدرجة (الحزن، الامراض، سكرات الموت، عذاب القبر) تعكس حكمة الله في منح العبد فرصاً متكررة لتكفير ذنوبه حتى يصل الى الاخرة طاهراً نقياً بلا ذنب. الابتلاء في الرواية يبرز كجزء من النظام الإلهي لتحقيق العدل والرحمة معاً.

المبحث الثالث: أنواع الابتلاء في القرآن والسنة

الابتلاء في القرآن الكريم والسنة النبوية يمثل أحد الجوانب المهمة في حياة الإنسان، حيث يعكس مفهومًا عميقًا يرتبط باختبار الإيمان وصقل النفوس وتهذيبها، لقد تنوعت أشكال الابتلاء في الشريعة الإسلامية، سواء على

مستوى الفرد أو الجماعة، وكانت دائمًا تهدف إلى تحقيق غايات ربانية من تصحيح المسار أو تعزيز الصبر والرضا أو تقريب العبد من خالقه، فالابتلاء قد يأتي في شكل الخير أو الشر، السراء أو الضراء، ليكون الإنسان دائمًا في حالة من التقرب إلى الله والتأمل في حكمته ورحمته.

المطلب الأول: أنواع الابتلاء في القرآن

النوع الأول: الابتلاء بالضراء كما في قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (٣٩)، يعني الابتلاء والخوف من العدو، وبالجوع – وهو قحط – لنختبرهم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم، وبسنة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة، وتتعذر المطالب عليكم، فتنقص لذلك أموالكم؛ وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار، فتنقص لها عددكم؛ وموت ذراريكم وأولادكم، وجدوب تحدث فتنقص لها ثماركم. كل ذلك امتحان مني لكم، واختبار مني لكم، فيتبين صادقوكم في إيمانهم من كأذبيكم فيه، ويعرف اهل البصائر في دينهم منكم، من أهل الفاق فيه والشك والارتياب (٤٠).

النوع الثاني: الابتلاء المادي والمعنوي: كما في قوله تعالى {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (٤١)، أي (البلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب، وفي الأموال: الإنفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات، وما يسمعون من أهل الكتاب، المطاعن في الدين الحنيف، وصد من أراد الإيمان) (٤٢).

النوع الثالث: الابتلاء في الخير والشر: كما في قوله تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (٤٣)، وهو ما يصيب الإنسان في أثناء الرحلة من خير وشر فهو فتنة له وابتلاء: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) الابتلاء بالشر مفهوم أمره، ليتكشف مدى احتمال المبتلى، ومدى صبره على الضر، ومدى ثقته في ربه، ورجائه في رحمته.. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان. إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر. إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة. ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم الجامحة في أوصالهم كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تهاوي نفوسهم ولا تذل. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان. وما يغريان به من متاع، وما يثير انه من شهوات وأطماع كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء فلا يخيفهم، ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الإغراء بالرغائب والمناصب والمتاع والثراء كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح، ولكن قليلين الذين يصبرون على الدعة والمراح) (٤٤)

النوع الرابع: الابتلاء في شكر النعم: كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٤٥).

(ويحصل من ذلك تذكير بعضهم قدرة الله عالي، وخاصة ما كان منها إيجاداً للأشياء وأضدادها من حياة الأرض وموتها المماثل لحياة الناس وموتهم، والمماثل لحياة المعنوية والموت المعنوي من إيمان وكفر، ونعمة ونقمة، كلها عبر لمن يعتبر التغير ويأخذ الأهبة إلى الانتقال من حال إلى حال فلا يثق بقوته وبطشه، ليقيس الأشياء بأشباهها ويعرض نفسه على معيار الفضائل وحسنى العواقب) (٤٦).

النوع الخامس: الابتلاء في تعدد النعم والمغريات: كما في قوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (٤٧)، أن يحقق الله له مطالبه على هذا النحو المعجز، واستشعر أن النعمة . على هذا النحو – ابتلاء ضخم مخيف، يحتاج إلى يقظة منه ليجتازه، ويحتاج إلى عون من الله ليتقوى عليه، ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم، ليعرف الله منه هذا الشعور فيتولاه، والله غني عن شكر الشاكرين،

ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، فينال من الله زيادة النعمة، وحسن معونة على اجتياز الابتلاء. ومن كفر فإن الله "غني" عن الشكر "كريم" يعطي عن كرم لا عن ارتقاب للشكر على العطاء (٤٨).

النوع السادس: الابتلاء في الغني والفقر: كما في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ (٤٩)، فهذا هو تصور الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال، ومن بسط وقبض، ومن توسعة وتقدير.. يبتليه بالنعمة الإكرام، بالمال أو المقام فلا يدرك أنه الابتلاء، تمهيداً للجزاء إنما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلا على استحقاقه عند الله للإكرام، وعلامة على اصطفاء الله له واختياره. فيعتبر البلاء جزاء والامتحان نتيجة! ويقيس الكرامة عند الله بعرض هذه الحياة! ويبتليه بالتضييق عليه في الرزق، فيحسب الابتلاء جزاء كذلك، ويحسب الاختبار عقوبة، ويرى في ضيق الرزق مهانة عند الله، فلو لم يرد مهانته ما ضيق عليه رزقه. وهو في كلتا الحالتين مخطئ في التصور ومخطئ في التقدير. فبسط الرزق أو قبضه ابتلاء من لله لعبده. يظهر منه الشكر على النعمة أو البطر. ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر. والجزاء على ما يظهر منه بعد وليس ما أعطي من عرض الدنيا أو منع هو الجزاء.. وقيمة العبد عند الله لا تتعلق بما عنده من عرض الدنيا ورضى الله أو سخط لا يستدل عليه بالمنح والمنع في هذه الأرض. فهو يعطي الصالح والطالح، ويمنع الصالح والطالح. ولكن ما وراء هذا وذلك هو الذي عليه المعول. إنه يعطي ليبتلي ويمنع ليبتلي. والمعول عليه هو نتيجة لابتلاء (٥٠).

المطلب الثاني: أنواع الابتلاء في السنة

الابتلاء في السنة النبوية يُعتبر جزءًا أساسيًا من حياة المؤمن، حيث يُختبر إيمانه وصبره على الشدائد. ينقسم الابتلاء في السنة إلى عدة أنواع منها:

النوع الأول: الابتلاء بالحب الإلهي

أولاً: (عن الحسين بن علوان عن أبي عبد الله(عليه السلام)آنه قال وعنده سدير: ان الله إذا أحب عبداً غته بالبلاء غتاً، وإنا وإياكم يا سدير لنصبح به ونمسى)(٥١).

ثانياً: (حدثنا أبي رَضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثني سهل بن زياد الادمي، قال: حَدثنا الحسن بن الحسين اللؤلؤي، عن محمد بن سنان، عن زيد أبي اسامه الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلة: ان عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، وإذاَ أحب الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله الرضا عند الله عزوَجلّ، ومن سخط البلاء فله السخط) (٥٢).

النوع الثاني: الابتلاء في الراحة والرخاء

اولاً: (ان الله يبغض العفرية النفرية الذي لم يزرء في جسمه ولا ماله)(٥٣).

ثانياً: (قال على بن الحسين عليهما السلام إني لأكره أن يعافي الرجل في الدنيا ولا يصيبه شيء من المصائب)(٥٤).

النوع الثالث: الابتلاء في المرض والعلل

اولاً: (عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي(صلى الله عليه وآله): لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة إلا حط الله به من خطاياه) (٥٥).

ثانياً: (عن عمر بن يزيد عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: ما من مؤمن الا وبه وجع في شيء من بدنه لا يفارقه حتى يموت يكن ذلك كفاره لذنوبه)(٥٦).

النوع الرابع: البلاء في التطهير والتزكية

اولاً: (البلاء زين للمؤمن، وكرامة لمن عقل لأن في مباشرته، والصبر عليه، والثبات عنده، تصحيح نسبة الإيمان) (٥٧).

ثانياً: (إن لله عزوجل عباداً في الأرض من خالص عباده، ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض إلا صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا بلية إلاّ صرفها إليهم) (٥٨).

النوع الخامس: البلاء في الحزن والهم

أولاً: (عن الأحمسي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لا تزال الغموم والهموم المؤمن حتى لا تدع له ذنباً) (٥٩).

ثانياً: (عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لا يمضي على المؤمن أربعون ليلة إلا عرض له أمر يحزنه يذكره ربه) (٦٠).

ثالثاً: (عن الحكم قال: قال أبوعبد لله(عليه السلام): إن العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها) (٦١).

النوع السادس: البلاء في النعم

اولاً: (لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمه والرخاء مصيبه وذلك ان الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة عند الرخاء) (٦٢).

ثانياً: (لا تكونوا مؤمناً حتى تعد البلاء نعمه والرخاء محنه لان بلاء الدنيا نعمه في الأخرة ورخاء الدنيا محنه في الأخرة(٦٣).

النوع السابع: البلاء في ذهاب المال

اولاً: (عن المفضل قال: قال ابي عبد الله (عليه السلام): كلما زاد العبد ايمانا ازداد ضيقاً في معيشته) (٦٤).

ثانياً:) عن ابن مسلم عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: المصائب محن من الله والفقر عند الله مثل الشهادة ولايعطيه من عباده الا من احب) (٦٥).

المبحث الرابع: كيفية التعامل مع الابتلاء وعلاجه في القران الكريم والسنه

المطلب الأول: كيفية التعامل مع الابتلاء وعلاجه في القرآن

في هذا المبحث سنتناول كيفية التعامل مع الابتلاء في ضوء القران الكريم مستعرضين اهم المبادئ والتوجيهات التي قدمها الله تعالى للمؤمنين مثل الصبر والصلاة والتوكل والرضا بقضاء الله والاستغفار والتوبة كذألك تحول هذه المبادئ الي وسائل علاجيه تهدف الى تهذيب النفس ورفع درجات المؤمن في الدنيا والأخرة مما يجعل القران الكريم منهجا عمليا وروحيا شاملا لمواجهه تحديات الحياة.

اولاً: الاستعانة بالصبر والصلاة

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٦٦)، (واستعينوا بالصبر والصلاة الاستعانة وهي طلب العون انما يتم فيما لا يقوى الانسان عليه وحده من المهمات والنوازل وإذ لا معين في الحقيقة الا الله سبحانه فالعون على المهمات مقاومه الانسان لها بالثبات والاستقامة والاتصال به تعالى بالانصراف اليه والاقبال عليه بنفسه وهذا هو الصبر والصلاة وهما أحسن سبب على ذلك فالصبر يصغر كل عظيمه نازله وبالأقبال على الله والالتجاء اليه تستيقظ روح الايمان وتنتبه ان الانسان متك علي ركن لا ينهدم وسبب لا ينفصم) (٦٧)، قال تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٦٨)، (قال إسحاق بن عمار: قال أبو عبد الله(عليه السلام): هذا إن أخذ الله منه شيئا فصبر واسترجع وعن الصادق (عليه السلام) ، قال الله عز وجل : (وبشر الصابرين) أي بالجنة والمغفرة) (٦٩)، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱستَعِينُواْ بِٱلصَّبرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (٧٠)، (من أعظم العبادات الي يحث عليها في القرآن حتى قيل فيها (إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر)العنكبوت٤٥ ، وما أوصى الله في كتابه بوصايا إلا كانت الصلاة رأسها وأولها، ثم وصف سبحانه الصبر بأن الله مع الصابرين المتصفين بالصبر، وإنما لم يصف الصلاة كما في قوله تعالى : وأستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة الآية ، لأن المقام في هذه الآيات ، مقام ملاقات الأهوال ، ومقارعة الأبطال ، فالاهتمام بأمر الصبر انسب بختلاف اية السابقة، فلذلك قيل : إن الله مع الصابرين، وهذه المعية غير المعية التي يدل عليها قولة تعالى(وهو معكم اين ما كنتم) فأنها معيه الإحاطة والقيمومية، بخلاف المعيه مع الصابرين فأنها معيه أعانه فالصبر مفتاح الفرج) (٧١).

ثانياً: التوكل

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٧٢)، (أي قل لهؤلاء المنافقين الشامتين الذين يفرحون بمصائب المؤمنين، لن صيبنا من قبل الله تعالى إلا ما كتب إله لنا، خيراً كان أو شراً فهو مما كتبه الله في اللوح المحفوظ وليس على ما تظنون وتُوهمون من إهمالنا من غير أن رجع في أمرنا الى تدبير ربنا هذا قول الحسن. وقال الجبائي والزجاج يحتمل أن يكون معنا لن يصيبنا في غاية أمرنا إلا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا، قيل يجوز أن يكون، كتب، بمعنى، علم أو حكم، وقوله: هو مولينا أي هو ناصرنا وحافظنا، أو مالكنا و سيدنا فيتصرف كيف شاء فيجب الرضا فيما يصدر من جهته. قال الله تعالى: (وعلى الله فليتوكَل المؤمِنون) قال الله تعالى:(ومن يتوكل على الله فَو حُسبه) والتوكل تفويض الأمر اليه والرضا بتدبيره والثقة بحسن اختياره) (٧٣).

ثالثاً: التوبة والاستغفار

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (٧٤)، (فقلت استغفروا ربكم) أي اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم (وإنّه كان غفارا) لكل من طلب منه المغفرة، فمتى رجعتم عن كفركم وأطعتموه (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) أي كثيرة الدرور بالغيث. وقيل: إنهم كانوا قد قحطوا، وأسنتوا، وهلكت أموالهم، أولادهم، فلذلك رغبهم في رد ذلك بالاستغفار مع الإيمان والرجوع إلى الله، وروى الربيع بن صبيح: أن رجلا أتى الحسن فشكا إليه الجدوبة، فقال له الحسن: استغفر الله، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر فقال له: استغفر الله، وأتاه آخر فقال: دع الله أن يرزقني ابناً، فقال له: استغفر إله، فقلنا: أتاك رجال يشكون أبواباً، ويسألون أنواعاً، أمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فقال: ما قلت ذلك من ذات نفسي، إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح، أنه قال لقومه: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا)(٧٥).

رابعاً: الرضا بقضاء الله وقدره.

﴿ما أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بإذن لله وَمَن يؤمن بالله يهد قلبه ولله بِكُلِّ شيء عَلِيم﴾(٧٦)، المضرة التي تلحق صاحبها، كالرمية التي تصيبه. وإنما عم ذلك سبحانه وإن كان في المصائب ما هو ظلم، وهو سبحانه لا يأذن بالظلم، لأنه ليس منها إلا ما أذن الله في قوعه أو التمكن منه، وذلك إذن للملك الموكل به، كأنه قيل: لا يمنع من وقوع هذه المصيبة، قد يكون ذلك بفعل التمكين من الله، فكأنه يأذن له بأن يكون. وقيل: معناه إلا بتخلية إله بينكم بين من يريد فعلها، وقيل: إنه خاص فيما يفعله الله تعالى أو يأمر به. وقيل: معناه حلم الله، أي لا يصيبكم مصيبة إلا ولله عالم بها (ومن يؤمن بالله) أي يصدق به ويرض بقضائه (يهد قلبه) أي يهد الله قلبه حتى يعلم أن ما أصابه بعلم الله، فيصبر عليه، ولا يجزع فينال ثواب والأجر. وقيل: معناه ومن يؤمن بتوحيد الله ويصبر لأمر الله – يعني عند نزول المصيبة يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول: (انا لله وانا اليه رجعون) (٧٧).

خامساً: اليقين بالفرج بعد الشده

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٧٨)، (ثم وعده سبحانه اليسر والرخاء بعد الشدة، وذلك أنه كان بمكة في شدة، قال: فَانَ مع العسر يسرا) أي مع الفقر سعة، عن الكلبي. وقيل: معناه أن مع الشدة التي أنت فيها م مزاولة لمشركين يسرا ورخاء، بأن يظهرك الله عليهم، حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به، طوعاً أو كرهاً، ثم كرّر ذلك فقال: (انَ مع العسر يسرا) روى عطاء عن ابن عباس قال: يقول الله تعالى: اخلقت عسراً واحداً وخلقت يسرين، فلن يغلب عسر يسرين . وعن الحسن قال: خرج النبي يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول: لن يغلب عسر يسرين، (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)(٧٩).

المطلب الثاني: كيفية التعامل مع الابتلاء وعلاجه في السنة النبوية

إن السنة النبوية تتناول الابتلاء من زاويتين: الأولى بيان حقيقته وحِكَمه، والثانية تقديم سبل التعامل معه من خلال الصبر، والدعاء، والتوكل على الله، والرضا بقضائه، وعليه، يسعى هذا المبحث إلى استجلاء معالم هذا التوجيه النبوي، من خلال استعراض الروايات التي تبيّن كيفية التعامل مع الابتلاء، وتحليل دلالاتها التربوية والروحية، مما

يسهم في بناء رؤية إسلامية متكاملة حول الصبر على المصائب وعلاجها بالإيمان والعمل الصالح.

اولاً: الصبر: علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبان بن أبي مسافر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) قال: (اصبروا على المصائب) (٨٠)، و(عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: ثلاث من أبواب البر: سخاء النفس، وطيب الكلام، والصبر على الأذى) (٨١).

ثانياً: التوكل: عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال سألته: عن قول إله عز وجل: (ومن وتوكل على الله فهو حسبه) فقال: (التوكل على الله درجات، منها ان تتوكل على الله في أمورك كلّها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه لا يلوك خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها)(٨٢).

ثالثاً: الصدقة تدفع البلاء: عن النبي (صلى الله عليه وآلة): (البلايا لا تتخطى على الصدقة، أن الصدقة لتدفع سبعين باباً من السوء) (٨٣)، وعن النبي (صلى الله عليه وآلة)، أنه قال ("يدفع بالصدقة الداء، والدبيلة، والغرق، والحرق، والهدم، والجنون" حتى عد سبعين نوعاً من البلاء (٨٤).

رابعاً: الدعاء يرد البلاء: عن محمد بن عيسى، عن أبي همام إسماعيل بن همام، عن لرضا (عليه السلام) قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): إن الدّعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة، إن الدُعاء ليرد البلاء وقد أبرم إبراماً) (٨٥).

خامساً: الرضا بقضاء الله واليقين بحكمته: عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه. عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن مسكان، عن ليث المرادي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله (عزوجل) (٨٦)، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: (الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلا ما هو خير له (٨٧).

سادساً: حسن الضن بالله: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: (أحسن الظن بالله فإن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخيرا وإن شرا فشرا) (٨٧)، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري. عن سفيان ابن عيينة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (حسن الظن بالله أن لا ترجوا إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك) (٨٩).

النتائج:

أولاً: التعزيز الروحي والأخلاقي حيث يُساعد الابتلاء المسلم على تقوية إيمانه وتعزيز صبره، مما يؤدي إلى نمو روحي وأخلاقي يعكس ارتباطه بالله.

ثانياً: التنوع في أشكال الابتلاء فقد يُظهر القرآن الكريم والسنة أن الابتلاء يأتي في صور متعددة، مثل الصحة والمرض، الغنى والفقر، الخير والشر، مما يدل على شمولية هذا المفهوم في الحياة الإنسانية.

ثالثاً: التكفير عن الذنوب ورفع الدرجات يُعتبر الابتلاء وسيلة للتكفير عن الذنوب وتقريب العبد من الله، بالإضافة إلى زيادة مكانته عند ربه.

رابعاً: إن الحكمة الإلهية في الابتلاء ليس بالضرورة هي عقوبة، بل هو تعبير عن الحكمة الإلهية ووسيلة لتحقيق أهداف ربانية تتعلق بالإصلاح والتعليم.

خامساً: التأثير الاجتماعي إن الابتلاء يُساهم في تعليم الفرد أهمية التضامن والتعاون، مما يُعزز الوحدة والتماسك داخل المجتمع.

سادساً: يتضح أن الابتلاء في الإسلام يُعتبر جزءًا أساسيًا من رحلة الإنسان الروحية والأخلاقية، وهو مُحفز للنمو الفردي والاجتماعي في ظل العلاقة مع الله.

الهوامش:

(١) ابن منظور، محمد بن جلال الدين بن مكرم، لسان العرب، ج١٤ ص٨٤ ,نشر أدب الحوزة، قم_ إيران ١٤٠٥هـ _١٣٦٣ق.
(٢) راغب الاصفهاني، ابا القاسم الحسين بن محمد، مفردات غريب القران، ص٦١ ,ت محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة بيروت _ لبنان.
(٣) ابن منظور، محمد بن جلال الدين بن مكرم، لسان العرب، ج١٤ ص٨٤ ,نشر أدب الحوزة، قم_ إيران ١٤٠٥هـ _١٣٦٣ق.
(٤) الازهري، لابي منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج١٥ ص٣٩٠ ,ت إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي ١٩٦٧.
(٥) سورة البقرة، الآية ٤٩.
(٦) النيسابوري، أبا الحسن علي بن احمد الواحدي، الوسيط في تفسير القران المجيد، ج١، ص١٣٥ , دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
(٧) الشوكاني، محمد بن علي بن علي، فتح التقدير الجامع بين فني الرواية الدراية من علم التفسير، ج١، ص٢٦٦.
(٨) الزحيلي، وهبت الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١ ص ٤٠٠ , دار الفكر– دمشق– البرامكة.
(٩) ابن منظور، محمد بن جلال الدين بن مكرم، لسان العرب، ج ١، ص ١٢٨ ، دار نشر الحوزة، قم – إيران.
(١٠) الواحدي، لابي الحسن علي بن احمد بن محمد، التفسير البسيط، ج ٣ ،ص ٥٧٧.
(١١) ابن فارس، لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٧٩.
(١٢) الجرجاني، ابي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني التعريفات، ص١٧٥.
(١٣) الديلمي، أكرم عبد حليفه، جمع القران دراسة تحليلية لمروياته، ص١٩.
(١٤) مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح بعلوم القران، ص١٥.
(١٥) الطيار، مساعد بن سلمان بن ناصر، المحرر في علوم القران، ص٢٢.
(١٦) الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، ص١٣٣.
(١٧) بن فارس، لابي الحسين احمد، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٦٠–٦١.
(١٨) الازهري، لابي منصور محمد بن احمد، تهذيب اللغة، ج ١٢، ص٢٩٨.
(١٩) الجرجاني، ابي الحسن علي بن محمد بن علي، التعريفات، ص ١٢٥.
(٢٠) الجرجاني، ابي الحسن علي بن محمد بن علي، التعريفات، ص ١٢٥.
(٢١) الشوكاني، محمد بن علي، ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، ج١، ص١٨٦.
(٢٢) سورة البقرة، الآية١٢٤
(٢٣) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران، ج١ ،ص٢٦٨ , منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة
(٢٤) سورة الكهف، الآية ٧
(٢٥) الشيرازي، ناصر بن محمد كاظم مكرم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٧ ،ص٤٥٤
(٢٦) سورة الملك، الآية ٢
(٢٧) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القران، ج١٠ ،ص٥٢
(٢٨) سورة محمد، الآية ٣١
(٢٩) الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران، ج٩ ،ص٣٠٦–٣٠٧,ت احمد حبيب قيصر العاملي، دار احياء التراث العربي– بيروت
(٣٠) سورة البقرة، الآية ١٥٥
(٣١) لعاملي، محمد جواد بن محمود بن إبراهيم مغنيه، تفسير الكاشف، ج١ ،ص٢٤٣,دار الانوار بيروت–لبنان
(٣٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، أصول الكافي، ج٢ ص٢٥١, دار التعريفات للمطبوعات بيروت–لبنان
(٣٣) الطبري، حسين بن محمد بن تقي النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٢، ص٤٣٣
(٣٤) المحمودي، محمد جواد، ترتيب الامالي، ج٦،ص١٨١.
(٣٥) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الانوار، ج٥ ،ص٢١٧ ت
(٣٦) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، أصول الكافي، ج٢، ص٢٥١، دار التعريفات للمطبوعات بيروت–لبنان
(٣٧) الطبرسي، حسين بن محمد بن تقي النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٢ ،ص٤٣٥.
(٣٨) المحمودي، محمد جواد، ترتيب الامالي، ج٦ ،ص١٨٢.
(٣٩) البقرة، الآية ١٥٥

(٤٠) الطبري، لابي جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القران ، ج١، ص ٤٣٧ ,٤٣٨
(٤١) أل عمران، الآية ١٨٦
(٤٢) الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر، الكاشف عن حقائق الغموض التنزيل وعيون الاقاويل في وجه التأويل، ج١، ص٦٧٠-٦٧١
(٤٣) سوره الأنبياء، الاية٣٥
(٤٤) سيد قطب، قطب إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القران، ج٤، ص٢٣٧٧_٢٣٧٨
(٤٥) سورة الكهف، الآية ٧
(٤٦) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، تفسير والتنوير، ج٦، ص٦٠٦
(٤٧) سورة النمل، الآية ٤٠
(٤٨) سيد قطب، قطب إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القران، ج٥، ص٢٦٤٢
(٤٩) سورة الفجر، الآية ١٥
(٥٠) سيد قطب، قطب إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القران، ج٦، ص٣٩٠٥
(٥١) الريشهوي، محمد بن حسن المحمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٩١
(٥٢) الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بأبويه القمي، الخصال، ج١، ص٧٧_٧٨
(٥٣) الريشهوي، محمد بن حسن المحمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٨٥
(٥٤) الريشهوي، محمد بن حسن المحمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٨٦
(٥٥) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه، تحف العقول عن ال الرسول، ص٤١٠
(٥٦) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه، تحف العقول عن ال الرسول، ص٤٠٩
(٥٧) الريشهوي، محمد بن حسن المحمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٨٧
(٥٨) الريشهوي، محمد بن حسن المحمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٨٨
(٥٩) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه، تحف العقول عن ال الرسول، ص٤١١
(٦٠) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه، تحف العقول عن ال الرسول، ص٤١١
(٦١) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه، تحف العقول عن ال الرسول، ص٤١١
(٦٢) الريشهوي، محمد بن حسن المحمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٨٦
(٦٣) الريشهوي، محمد بن حسن المحمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٨٧
(٦٤) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه، تحف العقول عن ال الرسول، ص٤١٢.
(٦٥) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه، تحف العقول عن ال الرسول، ص٤
(٦٦) البقرة، الآية ٤٥
(٦٧) الطباطبائي، محمد حسين بن محمد بن رضي، الميزان في تفسير القران، ج١، ص ١٥٢.
(٦٨) البقره، الآية ١٥٥-١٥٦
(٦٩) الدركاهي، حسين دركاهي،المستدرك على كنز الدقائق وبحر الغرائب،ج١ ،ص١٥٠
(٧٠) بقرة،الاية١٥٣
(٧١) الطباطبائي، محمد حسين بن محمد بن رضي ،الميزان في تفسير القران، ج١ ،ص ٣٤٤-٣٤٥
(٧٢) التوبة ،الآية ٥١
(٧٣) النقوي,محمد تقي، كتاب الضياء الفرقان في تفسير القران، ج٨ ، ص٢٦٨
(٧٤) نوح،الاية١٠
(٧٥) الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن الفاضل، مجمع البيان في تفسير القران،ج١٠، ص١٠٢
(٧٦) سورة التغابن، ايه ١١
(٧٧) الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن الفاضل، مجمع البيان في تفسير القران،ج١٠، ص٢٥
(٧٨) الشرح، الآية ٥-٦
(٧٩) الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن الفاضل، مجمع البيان في تفسير القران، ج١٠، ص٣٠٠
(٨٠) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي،ج٢ ،ص٩٩
(٨١) الطبرسي ، ميرزا حسين النوري ،مسترك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٢ ،ص٤١٥
(٨٢) الكليني، محمد بن يعقوب ، أصول الكافي،ج٢ ،ص٧١
(٨٣) الطبرسي ، ميرزا حسين النوري ،مسترك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٢ ،ص١٧٥
(٨٤) الطبرسي ، ميرزا حسين النوري ،مسترك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٢ ،ص١٧٢

(٨٥) الكليني، محمد بن يعقوب ، أصول الكافي،ج٢ ،ص٤٤٠
(٨٦) الكليني، محمد بن يعقوب ، أصول الكافي،ج٢ ،ص٦٦
(٨٧) الكليني ، محمد بن يعقوب ، أصول الكافي،ج٢ ،ص٦٦
(٨٨) الكليني، محمد بن يعقوب ، أصول الكافي،ج٢ ،ص٧٧
(٨٩) الكليني, محمد بن يعقوب , أصول الكافي,ج٢ ص٧٨

المصادر:

القرآن الكريم
١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار ابن حزم بيروت لبنان، طبعة الأولى ١٤٤٣هـ .
٢. ابن فارس، ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطبع والنشر.
٣. ابن منظور، محمد بن جلال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار نشر الحوزة قم – إيران،١٤٠٥ هـ.
٤. الازهري، لابي منصور محمد بن احمد، تهذيب اللغة، دار الكاتب العربي.
٥. الجرجاني، ابي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني، التعريفات، دار الكتب العلمية، لبنان _ بيروت، طبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.
٦. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه، تحف العقول عن ال الرسول، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت _ لبنان ، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ .
٧. الدركاهي، حسين دركاهي،المستدرك على كنز الدقائق وبحر الغرائب مؤسسة شمس الضحى ،الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ .
٨. الديلمي، أكرم عبد حليفه، جمع القران دراسة تحليلية لمروياته، دار الكتب العلمية، لبنان _ بيروت ،طبعة الأولى ١٤٢٧ هـ .
٩. الرازي، محمد بن أبى بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥ م
١٠. راغب الاصفهاني، ابا القاسم الحسين بن محمد، مفردات غريب القران، دار المعرفة بيروت _ لبنان.
١١. الريشهوي، محمد بن حسن المحمدي، ميزان الحكمة، مكتب الاعلام الحوزة العلمية _ قم.
١٢. الزحيلي، وهبت الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, دار الفكر– دمشق– البرامكة. الطبعة، ١٤٣٠ هـ
١٣. الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر، الكاشف عن حقائق الغموض التنزيل وعيون الاقاويل في وجه التأويل ، الطبعة ، ١٤١٨ هـ .
١٤. سيد قطب، قطب إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القران ،دار الشروق ،الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ،١٤٢٣ هـ .
١٥. الشوكاني، محمد بن علي بن علي، فتح التقدير الجامع بين فني الرواية الدراية من علم التفسير، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ.
١٦. الشوكاني، محمد بن علي، ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفضيلة، ١٤٢١ هـ .
١٧. الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بأبويه القمي، الخصال، مؤسسة الصادق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧ هـ .
١٨. الشيرازي، ناصر بن محمد كاظم مكرم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الامام علي بن ابي طالب (ع) قم إيران ،الطبعة الأولى ،١٤٢٦هـ .
١٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران, منشورات جماعة المدرسيين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
٢٠. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القران، دار المرتضى بيروت لبنان ،الطبعة الأولى هـ .
٢١. الطبرسي، حسين بن محمد بن تقي النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة ال البيت (ع) لإحياء التراث قم ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .
٢٢. الطبري، لابي جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القران ، مؤسسه الرسالة ، الطبعة الأولى ،١٤١٥ هـ .
٢٣. الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران، ، دار احياء التراث العربي– بيروت.
٢٤. الطيار، مساعد بن سلمان بن ناصر، المحرر في علوم القران ،مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الطبعة الأولى ،١٤٢٩ هـ .
٢٥. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، أصول الكافي, دار التعارف للمطبوعات بيروت–لبنان.
٢٦. لعاملي، محمد جواد بن محمود بن إبراهيم مغنيه، تفسير الكاشف ،دار الانوار بيروت–لبنان ، الطبعة الرابعة .
٢٧. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الانوار، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٢٨. المحمودي، محمد جواد، ترتيب الامالي، مؤسسة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ،١٤١٢ هـ .
٢٩. مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح بعلوم القران، دار العلوم الإنسانية، دار العلم الطيب، الطبعة الثانية ،١٤١٨هـ .
٣٠. النقوى ، محمد تقي، كتاب الضياء الفرقان في تفسير القران، الطبعة الأولى ،١٤٣٩ هـ .
٣١. النيسابوري، أبا الحسن علي بن احمد الواحدي، الوسيط في تفسير القران المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

مَسُّ المصحف في الشريعة الاسلامية

م. د. عدنان خابط سرحان
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة واسط

المستخلص:
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين محمد واله الطيبين الطاهرين...
أما بعد: فإن العناية بكتاب الله الكريم، ودراسة كل ما يتعلق به من علوم وخصوصاً الشرعية منه هي من اعلى وافضل الدراسات؛ كونها تتعلق بأشرف واعظم كتاب أُنزل من السماء، واصبح معجزة خالدة على مدى العصور والأيام، ومنهل لجميع من يطلب الكمال الإنساني، لهذا ارتأيت ان أبحث في جزئية شرعية فيه وهي «مس المصحف في الشريعة الاسلامية»؛ لكونها مسألة استحدثت فيها مسألة «المصحف الالكتروني»؛ لمواكبة التطور العلمي في المجال التكنلوجي لنظم المعلومات الرقمية التي حولت القرآن الكريم من ورقي الى الالكتروني، وبكونها ايضاً من التطورات التقنية التي تم استخدامها في تطوير «رسم المصحف» الامر الذي أدى الى ظهور ما يسمى بـ «المصحف الإلكتروني»، فظهرت مسائل تتعلق به –المصحف الالكتروني– بجانب المصحف الورقي التي كانت محل نقاش عند الفقهاء المعاصرين؛ لإن الأحكام المتعلقة بالمصاحف الإلكترونية ملحقة بأحكام المصاحف الورقية، ومن هذه الاحكام حكم اللمس من غير طهارة، ومن أجل بيان هذه الجزئية – مس المصحف الورقي والالكتروني–، والكشف عن أراء العلماء عُقد هذا البحث.
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين.
الكلمات المفتاحية: حكم، المصحف، الورقي، الالكتروني.

Abstract:
Praise be to God, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the most honorable of all creation, Muhammad, and his pure and virtuous family...
To proceed: Caring for the Noble Book of God and studying all the sciences related to it, especially the Shari›a, is among the highest and best studies. This is because it relates to the most honorable and greatest book revealed from heaven, and it has become an eternal miracle throughout the ages and days, and a source of inspiration for all who seek human perfection. Therefore, I decided to research a legal aspect of it, namely «touching the Qur›an in Islamic law». This is because it is an issue that has led to the introduction of the «electronic Qur›an» to keep pace with the scientific development in the technological field of digital information systems that have transformed the Holy Qur›an from a paper copy to an electronic copy. It is also one of the technological developments that have been used in developing the «drawing of the Qur›an This led to the emergence of what is known as the «electronic Qur›an.» Issues related to it—the electronic Qur›an—arose alongside the paper Qur›an, a subject of debate among contemporary jurists. This is because the rulings pertaining to electronic Qur›ans are subordinate to the rulings pertaining to paper copies. One of these rulings is the ruling

on touching without purification. To clarify this aspect—touching the paper and electronic Qur›an—and to uncover the opinions of scholars, this research was conducted. Our final supplication is that all praise is due to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon Muhammad and his pure and immaculate family..».

Keywords: ruling, Quran, paper, electronic.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين محمد واله الطيبين الطاهرين...

أما بعد: القرآن كتاب الله أنزله الله تعالى على صدر الرسول الأمين «صلى الله عليه وآله وسلم»، وقد حظا هذا الكتاب بقدسية كاملة مطلقة في جميع الأمور التي ترتبط به، ومن هذه الأمور التي تميز بها عن سائر الكتب الأخرى عدم جواز مس كلماته الا بطهارة من الحدثين الأصغر والاكبر، وانطلاقا من هذه الجزئيه التي تظهر قدسية المصحف حتى في لمس كلماته أرتأيت بأن أبحث عنها من خلال نافذة أطلقت عليها «مس المصحف في الشريعة الإسلامية»، واطلقت العبارة؛ لتكون لدي المساحة الواسعة للتطرق لهذا الحكم بواسطة دراسته بدراسة مقارنة بين المذاهب الإسلامية الفقهية، الامر الاخر أن الاطلاق بلفظة «المصحف» بعنوان البحث أعطاني الفسحة بالمقارنة بين المصحف الورقي والمصحف الالكتروني من حيث المس لكلماته، فاخترلت العنوان من أجل عدم التطويل بكلماته أولاً، وحب الاستطلاع من القارئ ثانياً.

وأهم ما سيبحث خلال هذه الدراسة إن شاء الله تعالى يتمثل في تحديد معنى المصحف الإلكتروني الذي يُعَدُّ تقنية معاصرة تعلقت بشأن القرآن الكريم، وأيضاً محاولة التكييف الفقهي لهذا المصحف، بأيراد احكام اللمس للمصحف الورقي اولاً بعدها احكام اللمس للمصحف الالكتروني، وذلك وفق الطريقة الآتية:

أولاً: التعريف باللمس لغة واصطلاحاً:

التعريف باللمس لغةً:

قال الخليل: «مس: مَسِستُ الشيءَ بيَدي مَسّاً، ومِسْتُ، مخفف، ورجل مَمْسُوسٌ من الجُنُون، وبه مَسٌّ، والمَسوسُ من المياه: ما نالته الأيدي» (١)، فهو أما مس مادي سواء أكان بجارحة كاليد «الْمس بِالْيَدِ مَسسْته أمسه مسا» (٢)، أو معنوي كمس الجن «المَسُّ: الجُنُونُ. وَالْعرب تَقول: رجل مَمْسوسٌ... المَأسُوس والمَمْسوس والمُدَلّس كُله الْمَجْنُون، والمَسُّ: مَسّك الشيءَ بِيَدَك» (٣)، والمعنى المراد في البحث اللمس المادي بجارحة.

وكذلك جاء في معناها مضافاً لما تقدم معنى المس باليد، او طلب الشيء، او معرفته، ولمس المرأة باشرها(٤)، وعليه فان اللمس في بعض معانيه هو اللمس باليد او باي جزء من بدن الانسان، وهو مضمار البحث.

التعريف باللمس اصطلاحاً:

عُرف اللمس في اصطلاح الفقهاء بأنه قوة منبثقة في جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ونحو ذلك عند التماس الاتصال به (٥)، وقيل هو: إلصاق الجارحة بالشيء وهو عرف باليد؛ لأنها آلته الغالبة، ويستعمل كناية عن الجماع (٦)، وقيل هو: أن يلمس الرجل بشرة المرأة والمرأة بشرة الرجل بلا حائل بينهما(٧)، وقيل: حقيقة اللمس ملاقاة البشرتين (٨)، مما تقدم فان اللمس هو التقاء، واتصال جارحة كاليد مثلاً بشيء اخر، وهذا ما سيتم دراسته بمعرفة حكم لمس غير المتطهر لكلمات المصحف الالكتروني.

ثانياً: الفرق بين اللمس والمس:

ذُكرت بعض الفروق بين اللمس والمس ومن ذلك(٩):

١- أن مطلق التقاء الجسمين يسمى مساً، فإن كان بالجسد سمي مباشرة، وإن كان باليد سمي مساً، وإن كان بالفم على

وجه مخصوص سمي قبلة(١٠).

٢- أن المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب شيء وإن لم يوجد والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس (١١).

٣- أن اللمس لصوق بإحساس، والمس أقل تمكناً من الإصابة وهو أقل درجاتها.

٤- أنه يكنى بالمس عن النكاح والجنون، ويقال في كل ما ينال الإنسان من أذى مس، ولا اختصاص له باليد لأنه لصوق فقط، وهذا بخلاف اللمس فإنه يكون باليد(١٢).

٥- أن اللمس أخص من المس إذ لا يطلق إلا على مس لطلب معنى من حرارة مثلاً.

٦- أن المس لا يكون إلا بباطن الكف، واللمس يكون بأي جزء من البدن.

٧- أن المس يكون من شخص واحد بخلاف اللمس فإنه لا يكون إلا بين اثنين.

٨- أن المس يختص بالفرج بخلاف اللمس فلا يختص به (١٣).

ثالثاً: مفهوم اللمس والمس في القرآن الكريم:

ورد ذكر اللمس والمس في عدة آيات من القرآن الكريم(١٤):

(١) قول الله تعالى:﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ...﴾ (١٥).

(٢) قول الله تعالى:﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (١٦).

(٣) قول الله تعالى:﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً...﴾(١٧).

(٤) قول الله تعالى:﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾(١٨).

واللمس في القرآن الكريم ليس مقصوراً على معنى واحد أو مفهوم واحد فإنه يكنى به عن النكاح حيث يقال مسَّها وماسها ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾(١٩) والمسيس كناية عن النكاح، ويكنى به عن المس بالجنون قال تعالى:﴿ألَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾(٢٠)، والمس يقال في كل ما ينال من أذى كقوله تعالى:﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾(٢١)، ويكنى باللمس عن الجس باليد كقوله تعالى:﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾(٢٢)، ويكنى باللمس عن الطلب كقوله تعالى:﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾ (٢٣)، ويطلق اللمس والمس على المباشرة في الفرج ومنه قوله تعالى:﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾(٢٤).

وبناء على هذا الاختلاف في مفهوم اللمس اختلف الفقهاء في أثر هذا اللمس للقرآن الكريم هل هو محرم ام مكروه من دون طهارة.

رابعاً: التعريف بالمصحف لغة واصطلاحاً:

(١) تعريف المصحف لغة:

المصحف بضم الميم وكسرها من فعل أُصحف أي جعلت فيه الصحف، والصُّحُف جمع صحيفة وهي المبسوط من الشيء، كصحيفة الوجه، والصحيفة التي يكتب عليها... ويجمع المصحف على مَصاحِف، والتصحيف: قراءة المصحف وروايته على غير ما هو لاشتباه حروفه (٢٥)، مما تقدم فان المصحف ما يكتب عليه وهذا يطلق على القرآن الكريم كونه في صحف قد كُتب عليها آيات الله النازلة على النبي محمد «صلى الله عليه وآله وسلم».

(٢) تعريف المصحف اصطلاحاً:

عرفه الأصفهاني بقوله: «المصحف هو ما جُعِل جامعاً للصحف التي كتب فيها القرآن الكريم»(٢٦)، وعَرَّفه الزرقاني بقوله: «الأوراقُ التي جُمع فيها القرآن مع ترتيب آياته وسوره جمعاً على الوجه الذي أجمعت عليه الأمة أيام عثمان» (٢٧)، وأضاف أن يكون ذلك واقعاً بين دفتين حافظتين لتلك الأوراق فقال: «فكأن المصحف ملحوظ في معناه اللغوي دفتاه، وهما جانباه أو جلداه اللذان يتخذان جامعاً لأوراقه، ضابطاً لصحفه، حافظاً لها» (٢٨)،

مما تقدم يُلحظ أن المصحف عبارة عن الأوراق التي جمعت آيات القرآن الكريم.

خامساً: التعريف بالمصحف الإلكتروني:

بعد بيان معنى المصحف الورقي نأتي الان لبيان حقيقة المصحف الإلكتروني، قال الدكتور رابح بن أحمد في بيان المصحف الالكتروني: «هو عبارة عن برنامج إلكتروني يعمل وفق مجموعة الوحدات الوظيفية، العاملة فيما بينها بأسلوب متناسق ومنظم، ويستعمل في معالجة الكلمات القرآنية وحروفها، وإظهارها مكتوبة عند طلبها، مرتبة الآيات والسور وفق ما جاءت عليه في المصحف العثماني» (٢٩).

سادساً: أنواع المصحف الإلكتروني:

المصحف الإلكتروني أنواع ثلاثة تختلف باختلاف الملفات التي يتم بها إعداد برامج المصحف وهي(٣٠):

النوع الأول: مصحف بِملفّ Word يُعَدُّ هذا الملفُّ برنامجاً معالجاً للنصوص من الناحية العلمية، وهو ملف يبرمج فيه المصحف غالبًا وفق الرسم الإملائي؛ وذلك لصعوبة إدخال الحروف العثمانية الاصطلاحية بواسطته، وأهم خصيصة في هذا الملف أنه يمكن التعديل فيه بالزيادة أو النقصان بسهولة تامة (٣١).

النوع الثاني: مصحف بِملفّ PDF وهو نوع مخصص للنشر الحاسوبي معتمد من طرف شركة أدوب، ومن فوائده تثبيت الملفات المبرمجة ببرنامج Word بعد إعدادها، بحيث لا يستطيع المتعامل مع النص أن يغير المكتوب بالزيادة أو النقصان(٣٢)، ولا يمكن تعديل الحروف والكلمات أو إسقاط بعضها سواء كان ذلك عن طريق الخطأ وعن طريق العمد والقصد.

النوع الثالث: مصحف مصور بواسطة الماسح الضوئي وهو نوع يعتمد أساساً على تصوير الصفحة من المصحف الورقي العادي، وحفظها بذلك الشكل، ويتم من خلاله عرضها عند الطلب، وذلك عن طريق استخدام صيغة من التمييز الضوئي الذي يقوم بتحليل آلي للوثائق، بغرض تحويلها إلى طبيعة رقمية بواسطة الشعاع الضوئي الذي يمسح الوثيقة (٣٣).

وهذا النوع الأخير هو أحسن الأنواع الثلاثة؛ إذ من خلاله تتفادى الأخطاء الواقعة في المصاحف الإلكترونية، وهذا النوع يتطلب حجمًا أكبر في ذاكرة الجهاز، وقد حمّل على منتدى الشيخ المصري الإلكتروني صفحات القرآن الكريم في ملف واحد بدقة عالية جدًا (٣٤).

سابعًا: احكام مس المصحف الورقي:

للمصحف الورقي احكاماً أوردها علماء الفقه، والبحث هنا هل تشترط الطهارة من الحدث الأصغر والاكبر للإنسان من اجل لمس المصحف الشريف، أم لا؟ وعليه فان للفقهاء في هذه المسألة اقوال يمكن بواسطتها التوصل الى احكام المصحف الالكتروني فيما لو قوبلت فيما بينها وبين احكام المصحف الورقي، وهذه الاحكام كالاتي:

يكره للجنب مسّ المصحف:

وهو قول الشّيخين(٣٥)، وابني بابويه(٣٦)، ودليلهم على هذا الحكم ما رواه الجمهور انّه «صلى الله عليه واله وسلم» كتب آية في كتابه إلى قيصر(٣٧)، وهو كافر لا ينفك عن الجنابة، ولا يرتفع عنه لكفره، ولأنّ الأصل الجواز، ورد العلامة الحلي عن هذا الدليل انّه إنّما يتناول القرآن العزيز ونحن نقول بموجبة، ولا شكّ في انّ الورق والجلد ليسا قرآنا، فلا يتناولهما النّهي(٣٨).

حرمة مسّ خطّ المصحف:

وقد ادّعي عدم الخلاف في حرمته على الجنب(٣٩)، بل ادّعي أنّ عليه إجماع علماء الإسلام(٤٠)، و حكى الشهيد الأوّل القول بالكراهة عن ابن الجنيد، إلّا أنّه قال بعد ذلك: إنّه ينبغي حمل كلامه على إرادة التحريم؛ إذ كثيراً ما يطلق الكراهة و يريد التحريم(٤١)، وقال المرتضى: لا يجوز للجنب مسّ المصحف(٤٢)،كما ذهب الى حرمة المس لكتابة القران الكريم للشخص المحدث بالحدث الأكبر او الأصغر السيد كاظم اليزدي(٤٣)، وكذلك

سماحة السيد السيستاني(٤٤)، وكذلك هو قول الجمهور وهو أبو حنيفة(٤٥) والمالكية(٤٦)، والحنابلة(٤٧)، والشّافعيّ(٤٨) واختاره ابن تيمية(٤٩).

واحتجّ المخالف(٥٠) بقوله تعالى:﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٥١)، وبما رووه عن النّبيّ«صلى الله عليه وآله وسلم». انّه كتب في كتابه لعمرو بن حزم: «لا يمسّ القرآن، إلا طاهر» (٥٢)، واحتجّ السّيّد المرتضى بما رواه الشّيخ، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن «عليه السّلام»، قال: «المصحف لا تمسّه على غير طهر، و لا جنبا، ولا تمسّ خطّه ولا تعلّقه، إنّ الله تعالى يقول:﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾(٥٣)، واورده دليلاً على ما ذهب اليه من عدم جواز مس الجنب للقران الكريم، ودليلهم أيضاً كتاب النبي«صلى الله عليه وآله وسلم». لعمرو بن حزم: «لا يمس القرآن إلا طاهر» (٥٤)، وقال فيه ابن عبد البر: «لاخلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث وقد روي مسندًا من وجه صالح، وهو كتاب مشهور، وعند أهل السير معروف ثم أهل العلم معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد لأنه أشبه المتواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول، ولا يصح عليهم تلقي ما لا يصح» (٥٥)، كذلك جاء في ادلة عدم الجواز: الأولوية القطعية حيث إنّ المحدث بالحدث الأصغر إذا حرم عليه مسّ الكتاب فالمحدث بالحدث الأكبر يحرم عليه مسّه أيضاً بطريق أولى(٥٦)، وكذلك إطلاق موثّقة أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عمّن قرأ في المصحف وهو على غير وضوء، قال: «لا بأس، و لا يمسّ الكتاب»(٥٧)؛ فإنّ الجنب بنفسه من مصاديق من لا وضوء له، حيث إنّ سبب الجنابة أمران كلاهما ناقض للوضوء، و هما: الجماع و الإنزال، فمسّ الجنب محرّم بما أنّه لا وضوء له، نعم، إذا اغتسل من الجنابة يجوز له المسّ، لا لأنّه ليس بجنب بل لأنّه على وضوء حيث إنّ غسل الجنابة يغني عن الوضوء(٥٨).

(٣) أن الطهارة لمس المصحف مستحبة:

يجوز أن يُمس ولو بلا طهارة، وهذا مذهب داود الظاهري(٥٩)، وتابعه على القول به أهل الظاهر ونصره ابن حزم(٦٠)، واختلفوا في المحدث حدثًا أصغر، فذهب الصحابة، وكثير من التابعين والأئمة الأربعة إلى تحريمه، بينما ذهب بعض التابعين إلى جوازه، وهو مذهب الظاهرية (٦١).

واستدلوا على ذلك بما يلي:

١- «أنه لا يوجد دليل لا من الكتاب ولا من السنة الصحيحة يدل على المنع، ومس المصحف لقراءة القرآن من أفعال الخير المندوب إليها مأجور فاعلها، فمن ادعى المنع فيها في بعض الأحوال كلف أن يأتي بالبرهان»(٦٢).

٢- حديث عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش... الحديث وفيه: ثم دعا بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»، و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾....(٦٣)، قال ابن حزم « فهذا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم». قد بعث كتابا وفيه هذه الآية إلى النصارى وقد أيقن أنهم يمسون ذلك الكتاب»(٦٤).

والجواب عن هذا الدليل: أن الآية الموجودة في الكتاب ليست قرآناً بل هي آية في خطاب أو كتاب فهو يشبه ما يذكر من الآيات في كتب التفاسير(٦٥).

واستدلوا ايضاً بأن «المطهرون» في الآية هم الملائكة وليسوا المؤمنين من البشر فلا يشملهم، وأما الحديث فإنه لا يصح، وبالتالي لا دليل على تحريم مس المحدث المصحف (٦٦)، والراجح في هذه المسألة تحريم مس المصحف بالنسبة للمحدث حدثًا أصغر أو أكبر، وذلك لما جاء في كتاب النبي« صلى الله عليه وآله وسلم». لعمرو بن حزام،

ولتلقي الأئمة هذا الحديث بالقبول على رغم روايته مرسلاً، وكان عليه العمل عند جمهور الفقهاء.

الاجزاء التي يتحقق بها اللمس:

ومسّ كتابة المصحف يتحقّق بمسّ جزء منه و لو قليلاً، فيحرم مسّ كلّ آية منه و أبعاضها و لو كلمة، بل ولو حرفاً، ولو مثل المدّ والتشديد، وفاقاً للأكثر؛ لصدق المسّ للمصحف(٦٧).

لا فرق في حرمة مس كتابة القرآن على المحدث بين ان يكون باليد أو بسائر أجزاء البدن و لو بالباطن كمسها باللسان أو بالأسنان والأحوط ترك المس بالشعر أيضا و ان كان لا يبعد عدم حرمته (٦٨)، كما صرح بذلك السيد كاظم اليزدي بقوله: لا فرق في حرمة مس كتابة القرآن على المحدث بين أن يكون باليد أو بسائر أجزاء البدن ولو بالباطن كمسها باللسان أو بالأسنان، والأحوط ترك المس بالشعر ايضاً وإن كان لا يبعد عدم حرمته»(٦٩)،وعلق عليها سماحة السيد السيستاني في اللمس بالشعر بعد ان وافقه على ما ذكره من الأجزاء بقوله:«اذا لم يكن من توابع البشرة»(٧٠).

ثامنًا: حكم اللمس للمصحف الإلكتروني:

بعد بيان معنى المصحف الالكتروني وانواعه فهل يعد مصحفاً له أحكام المصحف الورقي، أم هو مجرد ملف إلكتروني مساعد على القراءة والحفظ والاسترجاع، وبالتالي فهو لا يحظى بأحكام المصحف الورقي؟

ولقد كان لبعض الفقهاء المعاصرين نظر في هذه المسألة فذهب بعضهم إلى أن المصحف الإلكتروني لا يُعَدُّ مصحفاً، وإنما هو مجرد آلة يستعان بها على تذكُّر الآيات، ولا يمكن أن يأخذ أحكام المصحف بحال لأنه إذا أغلق الجهاز أو تم انتهاء البرنامج ينتهي ظهور الآيات(٧١)، وذهب آخرون إلى عَدِّه مصحفاً حال التشغيل فقط؛ لأن الآيات تكون ظاهرة في هذه الحالة (٧٢).

بعد ان فصلنا القول في تعريف المصحف الإلكتروني ومعرفة حقيقته، وانواعه، وبعد بيان الاحكام الفقهية المختصة بالمصحف الورقي نبين الان جملة الأحكام الفقهية التي تتعلق به مراعاة لطبيعته الإلكترونية، وكيفية استغلال فوائده والانتفاع بها، دون المساس بحرمة القرآن الكريم، وما ينبغي في حقه من آداب.

تاسعًا: حكم مس المصحف الإلكتروني للمحدث والجنب:

وأما بالنسبة لحكم مس المصحف الإلكتروني فبعد ما تبين «إن المصحف الإلكتروني مهما كان نوعه لا يتصور مسه حقيقة، كما يتصور ذلك في المصحف الورقي الذي يكون مَسُّ أوراقه وحروفه بشكل مباشر، ومن دون أي حائل؛ إذ ما يظهر على شاشة المصحف الإلكتروني من كلمات قرآنية ما هو إلا ذبذبات إلكترونية معالجة وفق برنامج إلكتروني، ولا ظهور لها إلا عند انعكاسها على الشاشة، وليس مس الشاشة الزجاجية مَسّاً للمصحف الإلكتروني» (٧٣).

عاشرًا: مسّ المحدث كتابة المصحف بحائل:

من جملة ما يحرم على المحدث هو مسّ كتابة القرآن بأحد أعضاء بدنه مع عدم الحائل –على اختلاف فيه–، قال تعالى:﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾(٧٤)، و أمّا إذا مسّه بحائل كغلاف ونحوه فقد اختلف الفقهاء في حكمه، فقد صرّح بعض فقهاء الإمامية بجواز مسّه مع الحائل(٧٥)، وكذا الصحيح عند الحنابلة هو جواز مسّه للمحدث بحائل ممّا لا يتبعه في البيع ككيس وكم؛ لأنّ النهي ورد عن مسّه، ومع الحائل إنّما يكون المسّ للحائل دون المصحف(٧٦)، وبمثله قال الحنفية إلّا أنّهم فرّقوا بين الحائل المنفصل والمتّصل، فقالوا: يحرم مسّ المصحف للمحدث إلّا بغلاف متجاف – أي غير مخيط – أو بصرّة، والمراد بالغلاف ما كان منفصلاً كالخريطة ونحوها؛ لأنّ المتّصل بالمصحف منه، وعلى ذلك الفتوى عندهم(٧٧).

وأمّا المالكية والشافعية فقد قالوا بتحريم مسّه مطلقاً ولو بحائل(٧٨).

كما اشار الى جواز اللمس السيد كاظم اليزدي بقوله: «لا يحرم المس من وراء الشيشة وإن كان الخط مرئياً، وكذا إذا وضع عليه كاغذ رقيق يرى الخط تحته، وكذا المنطبع في المرآة، نعم لو نفذ المداد في الكاغذ حتى ظهر الخط من

الطرف الآخر لا يجوز مسه، خصوصاً إذا كتب بالعكس فظهر من الطرف الآخر طرداً»(٧٩)، وعلق سماحة السيد السيستاني على الفتوى في حالة نفوذ المداد في الكاغد بانة على نحو الاحتياط الوجوبي بحرمة المس(٨٠).

الخاتمة:

من خلال ما تقدم من دراسة لإحكام اللمس للمصحف، يمكن أن أُشير إلى عدة نتائج لمستُها، أوجزها بنقاط أهمها:

١- القرآن الكريم فرق بين اللمس الذي يكون بجارحة، والمس الذي الذي هو معنوي كمس الجن، والأول هو كان مضمار البحث.

٢- اللمس يشمل جميع أجزاء البدن، ولا يقتصر على اليد فقط، فقط اخرج الشعر.

٣- المصحف الورقي: هو الأوراق التي جُمع فيها القرآن الكريم الذي هو في متناول المسلمين حالياً.

٤- المصحف الالكتروني: هو عبارة عن وحدات وظيفية عاملة فيما بينها بأسلوب متناسق ومنظم يعالج الكلمات القرآنية وحروفها، واظهارها مكتوبة عند طلبها.

٥- المصحف الالكتروني أنواع منها Word، ومنها PDF، ومنها مصور بالماسح الضوئي، والأخير افضل أنواع المصاحف الالكترونية.

٦- للعلماء إتجاهان في المصحف الالكتروني منهم من لا يعده مصحفاً، ومنهم من عده مصحفاً في حال التشغيل للبرنامج فقط.

٧- للمصحف الورقي احكام من حيث اللمس بدون طهارة رأي قال بكراهة اللمس للمحدث، والرأي الاخر بحرمة اللمس.

٨- للمصحف الالكتروني احكام من حيث اللمس بدون طهارة الامامية والحنابلة جوزوا اللمس للمحدث لوجود الحائل، اما الاحناف يحرم اللمس إذا كان الحائل متصل، أما إذا كان منفصل فلا أشكال باللمس، اما المالكية والشافعية فحرموا اللمس مطلقاً ولو بحائل.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطاهرين.

الهوامش:

(١)العين، الخليل، مادة (لمس)، ٧/ ٢٠٨.
(٢) جمهرة اللّغة، ابن دريد، مادة (لمس)، ١/ ١٣٥.
(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، مادة (لمس)، ١٢/ ٢٢٦.
(٤) يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي،٣٤٣/٤، معجم مقاييس اللّغة، أبن فارس، ٢١٠/٥، لسان العرب، ابن منظور،٢٠٩/٩. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ، ٧٤٧، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيُّوميّ، ٦٧٧/٢، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٨٣٨/٢.
(٥)يُنظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، ١٩٣.
(٦) يُنظر: أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر، ٤٤٣/١.
(٧) يُنظر: المهذب في فقة الإمام الشافعي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي، ٢٣/١.
(٨) يُنظر: المغني، ابن قدامة المقدسي، ٢٥٨/١. أحكام اللمس في الطهارة، عبد الله بن معتق السهلي، ٢١٢.
(٩) أحكام اللمس في الطهارة، عبد الله بن معتق السهلي، ٢١٣.
(١٠) يُنظر: تاج العروس، ٣٤٣/٤.
(١١) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، ٧٦٦ و ٧٦٧. المصباح المنير، ٦٧٧/٢.
(١٢) يُنظر: الكليات، الكفوي، ١٧٥/٤، الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدّين السيوطي، ٥١٥ و ٥١٦.
(١٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، الرازي، ٢٧٦/٢-٢٧٧.
(١٤) أحكام اللمس في الطهارة، عبد الله بن معتق السهلي، ٢١٤ و٢١٥ و٢١٦.
(١٥) سورة النساء، آية: ٤٣. سورة المائدة، آية: ٦.
(١٦) سورة الأنعام، آية: ٧.
(١٧) سورة الحديد، آية، ١٣.

(١٨) سورة الجن، آية، ٨.
(١٩) سورة البقرة، آية، ٢٣٧.
(٢٠) سورة البقرة، آية، ٢٧٥.
(٢١) سورة البقرة، آية، ٨٠.
(٢٢) سورة الأنعام، آية، ٧.
(٢٣) سورة الحج، آية، ٤.
(٢٤) سورة البقرة، آية، ٢٨٧.
(٢٥) يُنظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادى، مادة (صحف)، ١٠٦٧-١٠٦٨.
(٢٦) يُنظر: المفردات في غريب القرآن، ٢٧٥
(٢٧) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ٢٧٧/١.
(٢٨) المصدر نفسه، ٢٧٧/١.
(٢٩) المصحف الالكتروني واحكامه الفقهية المستجدة، د. رابح بن أحمد دفرور، ١٣ و١٤.
(٣٠) المصدر نفسه، ١٥ – ١٩.
(٣١) يُنظر: أساسيات الحاسوب، يورك برس، ١٩٥؛ والمهارات الحاسوبية الأساسية والبرمجيات الجاهزة، صالح أرشيد العقيلي و د. مصطفى محمود ياسين، ٧١.
(٣٢) أساسيات الكوريل دور، انيس حلبي، ١٩٨.
(٣٣) يُنظر: الحاسبات والاتصالات والإنترنت، كابرون، ترجمة: سرور علي إبراهيم، ٢٩٨
(٣٤) المصحف الالكتروني واحكامه الفقهية المستجدة، د. رابح بن أحمد دفرور.
(٣٥) يُنظر: المبسوط، الطوسي، ٢٩/١.والخلاف، الطوسي، ١٨/١،مسألة٤٦، والمقنعة، الشيخ المفيد، ٦.
(٣٦) يُنظر: الهداية، الصّدوق، ٢٠، وقول والده نقله المحقّق في المعتبر، المحقق الحلي، ١٩٠/١.
(٣٧) صحيح البخاري، البخاري، ٥٤/٤-٥٧، سنن البيهقي، السنن الكبرى، البيهقي، ١٧٧/٩-١٧٨.
(٣٨) منتهى المطلب في تحقيق المذهب، العلامة الحلي، ٢٢٢/٢.
(٣٩) نهاية الإحكام، العلامة الحلي، ١٠١/١، وجواهر الكلام، صاحب الجواهر، محمدحسن بن باقر، ٤٥/٣، وفقه الصادق، محمد صادق الروحاني، ٤٢٧/١.
(٤٠) المعتبر، المحقق الحلي، ١٨٧/١. المنتهى ٢٢٠/٢. و يُنظر: الخلاف ٩٩/١-١٠٠، م ٤٦.
(٤١) موسوعة الفقه الإسلامي طبقا لمذهب أهل البيت عليهم السلام،جماعة من المحققين، ٣٠٧/٣٥.
(٤٢) يُنظر: المعتبر، العلامة الحلي، ١٩٠/١.
(٤٣) العروة الوثقى، السيد محمد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧هـ)، علق عليه السيد السيستاني، ١/ ١٤٣، باب الطهارة/ غايات الوضوء.
(٤٤) تعليقة السيد السيستاني على كتاب العروة الوثقى للسيد كاظم اليزدي، ١٤٣/١، باب الطهارة/ غايات الوضوء.
(٥٥) المبسوط، السرخسي، ١٥٢:٣، بدائع الصّنائع، الكاساني الحنفي، ٣٧:١، الهداية في شرح بداية المبتدي، أبو الحسن برهان الدين، ٣١:١، المغني ١٦٨/١، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد، ٤٩/١، أحكام القرآن، ابن العربي ١٧٣٩/٤، مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح، الشرنبلالي المصري، ٦٠.
(٤٦) بلغة السالك لأقرب المسالك الصاوي المالكي، ١٤٩/١، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب الرُّعيني،١/ ٣٠٣.
(٤٧) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف المَرْداوي، ١/ ٢٢٣. شرح منتهى الإرادات، ابن إدريس البهوتي، ٧٧/١.
(٤٨) المهذب في فقة الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، ٣٠/١، المجموع شرح المهذب، النووي، ٦٧/٢، ٧٢، فتح العزيز بشرح الوجيز، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، ٩٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، الشربيني، ٣٦/١، ٧٢، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، زين الدين أبو يحيى السنيكي، ٨/١، المغني، ١٦٨/١، بداية المجتهد ٤١/١، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٢٦/١٧.
(٤٩) مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، ٢١/ ٢٦٦.
(٥٠) المغني، ١٦٨/١.
(٥١) سورة الواقعة: آية ٧٩.
(٥٢) موطأ مالك، ١٩٩/١، حديث ١. يُنظر: أحكام القرآن، الجصاص، ٣٠٠/٥، وسنن البيهقي ٨٧/١-٨٨، ونيل الأوطار، الشوكاني اليمني، ٢٥٩/١. ومنتهى المطلب في تحقيق المذهب،الحسن بن يوسف العلامة الحلي، ٢/ ٢٢١.
(٥٣) التّهذيب ١٢٧/١، حديث ٣٤٤، الاستبصار ١١٣/١، حديث ٣٧٨، الوسائل ٢٦٩/١، الباب ١٢ من أبواب الوضوء، حديث٣. يُنظر: تنقيح مباني العروة (الطهارة)،٢٠٨/٤.

(٥٤)رواه مالك في الموطأ:[١٩٩/١]. وهو حديث مرسل، لكن تلقاه جمهور العلماء بالقبول، التمهيد: [٣٩٧/١٧.
(٥٥)شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني، ١٠/٢.
(٥٦) موسوعة الفقه الإسلامي طبقا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، جماعة من المحققين، ٣٥/ ٣٠٨. يُنظر: مستمسك العروة ٤٢/٣.
(٥٧) الوسائل ٣٨٣/١، ب ١٢ من الوضوء، ح ١.
(٥٨) انظر: شرح العروة (الحائري) ٢٣٦/٤. التنقيح في شرح العروة (الطهارة) ٣٨٢/٥-٣٨٣.
(٥٩) يُنظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، أبو المظفر الشيبانيّ. ٧٦/١. والمغني،/١٤٧، ونيل الأوطار، الشوكاني، ٢٦٠/١، وموسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، ٢/ ٨٧٨.
(٦٠) المحلى بالآثار، أبن حزم الأندلسي، ١/ ٩٥.
(٦١) يُنظر: المغني: [٩٨/١]، المجموع: [٤٠٤/١]، المنتقى شرح الموطإ، القرطبي الباجي الأندلسي، ٣٤٤/١، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، ٦٧/١.
(٦٢) المحلى بالآثار، ابن حزم الاندلسي، ١/ ٩٥.
(٦٣) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).
(٦٤) المحلى بالآثار،١/ ٩٨.
(٦٥) المغني، ابن قدامة ١/ ١٠٩، نيل الأوطار، الشوكاني،١/ ٢٦١.
(٦٦) ينظر في تفصيل الأدلة: المصادر السابقة.
(٦٧) مستند الشيعة ٢١٩/٢.
(٦٨) الآملي، محمد تقي اليزدي، ٣/ ١٥٢و١٥٣.
(٦٩) العروة الوثقى، السيد كاظم اليزدي، ١/ ١٤٥/ مسألة ٣، باب الطهارة/ غايات الوضوء.
(٧٠) تعليقة السيد السيستاني على كتاب العروة الوثقى، ١٤٥/١، تعليقة رقم ٤٨٢.
(٧١) ينظر: منع القراءة من الجوال، أحمد بيومي، مقال إلكتروني
(٧٢) ينظر: المصحف المطبوع بطريقة برايل للمكفوفين، الدكتور حسام الدين عفانة، مقال إلكتروني.
(٧٣) المصحف الالكتروني واحكامه الفقهية المستجدة، د. رابح بن أحمد دفرور، ٢٤ و٢٥.
(٧٤)سورة الواقعة: ٧٩.
(٧٥) العروة الوثقى ١:١٨٩، ١٩١، ٢٨٥.
(٧٦) كشّاف القناع كشاف القناع عن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي الحنبلي، ١:١٣٤، ١٣٥.
(٧٧) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، ١:١١٧.
(٧٨) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، حطاب الرُّعيني المالكي، ١:٣٠٣. حاشيتا قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، ١:٣٥. موسوعة الفقه الإسلامي المقارن، محمود الهاشمي الشاهرودي، ٧/ ٢٩.
(٧٩) العروة الوثقى، السيد كاظم اليزدي، ١/ ١٤٦ و ١٤٧/ مسألة ١٢، باب الطهارة/ غايات الوضوء.
(٨٠) يُنظر: تعليقة السيد السيستاني على كتاب العروة الوثقى، ١٤٧/١، تعليقة رقم ٤٨٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي «ت ٣٧٠هـ»، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
(٢) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي «ت:٥٤٣هـ»، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:٣، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
(٣) أحكام اللمس في الطهارة، عبد الله بن معتق السهلي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. «د.ط»، «د.ت».
(٤) أساسيات الحاسوب، يورك برس، مكتبة لبنان، طبع سنة ٢٠٠١م.
(٥) أساسيات الكوريل دور، انيس حلبي، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
(٦) الاستبصار، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي «ت: ٤٦٠هـ»، المطبعه: دار الكتب الاسلاميه_ طهران، د.ط، دت.
(٧) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي «ت ٩٢٦هـ»، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت.
(٨) الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدّين السيوطي «٩١١.٨٤٩هـ»، تحقيق: ابراهيم محمّد عبد الله، ومختار الشريف، مجمع اللُّغة

العربيّة، دمشق، «١٤٠٧هـ.١٩٨٧م».
(٩) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن «هُبَيْرَة بن» محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين «ت ٥٦٠هـ»، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ.
(١٠) الآملي، محمد تقي. المؤلف محمد كاظم بن عبد العظيم اليزدي.، ١٣٨٤ الهجري.
(١١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف «المطبوع مع المقنع والشرح الكبير»، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المَرْداوي «ت ٨٨٥ هـ»، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.
(١٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد «ت ٥٩٥هـ»، الناشر: دار الحديث –القاهرة، د.ط، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
(١٣) بدائع الصّنائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي «ت ٥٨٧هـ» الناشر: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
(١٤) بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير «الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ»، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي «ت ١٢٤١هـ»، الناشر: دار المعارف، د.ط، د.ت.
(١٥) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي «ت ١٢٠٥هـ»، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د ت.
(١٦) التعريفات، علي بن محمد علي الشريف الجرجاني «ت٨١٦هـ»، ضبطه وفهرسه: محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
(١٧) تفسير القرآن العظيم، الرازي، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، «ت:٣٢٧هـ»، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط:٣، ت:١٤١٩ هـ. ٢/٢٧٦–٢٧٧.
(١٨) التنقيح في شرح العروة الوثقى، تقرير بحث السيد الخوئي كتبه الشهيد الشيخ علي الغروي، مؤسسة احياء آثار الامام الخوئي، قم المقدسة، ط٢، «١٣٢٦هـ».
(١٩) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري «ت ٣٧٠ هـ»،علق عليه عمر السلامي،وعبد الكريم حامد،دار احياء التراث العربي،بيروت، لبنان،ط١٤٢١،١هـ،٢٠٠١م.
(٢٠) تهذيب الأحكام، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي «ت ٤٦٠هـ»، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، نشر: دار الكتب الاسلامية، ايران طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ.
(٢١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفي، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.
(٢٢) جمهرة اللّغة، لابن دريد أبي بكر محمّد بن الحسن الأزدي البصري «ت٣٢١هـ»، دار صادر، بيروت.
(٢٣) جواهر الكلام، صاحب الجواهر، محمدحسن بن باقر «ن ١٢٦٦هـ» محقق ومعلق: رضا الأستادي، وعباس القوجاني، وعلي الآخوندي، وإبراهيم الميانجي، ومحمود القوجاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي مكان النشر: بيروت.
(٢٤) الحاسبات والاتصالات والإنترنت، كابرون، ترجمة: سرور علي إبراهيم، دار المريخ الرياض،ط سنة ٢٠٠٣م.
(٢٥) حاشيتا قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، الناشر: دار الفكر – بيروت،ب.ط، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.
(٢٦) الخلاف، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي «ت ٤٦٠هـ»، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ايران، قم، ١٤٠٧هـ، د.ط.
(٢٧) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي «ت ١٢٥٢ هـ»، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر «وصورتها دار الفكر – بيروت»، ط٢، ١٣٨٦ هـ، ١٩٦٦م.
(٢٨) سنن البيهقي، السنن الكبرى المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي «ت ٤٥٨ هـ»، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
(٢٩) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
(٣٠) شرح العروة الوثقى، الشيخ مرتضى الحائري «ت: ١٤٠٦هـ»، تحقيق: الشيخ محمد حسين اليزدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط١، ١٤٣١هـ.
(٣١) شرح منتهى الإرادات – المسمى: «دقائق أولي النهى لشرح المنتهى»، منصور بن يونس بن بن إدريس البهوتى، فقيه الحنابلة «ت ١٠٥١ هـ»، الناشر: عالم الكتب، بيروت «وله طبعة مختلفة عن عالم الكتب بالرياض؛ فلْيُنتبه»، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.
(٣٢) صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء،

الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.
(٣٣) العروة الوثقى، السيد محمد كاظم اليزدي «ت ١٣٣٧هـ»، علق عليه السيد السيستاني، نشر: مكتب السيد السيستاني، ط٢، ١٤٢٥، مطبعة: تيز هوش/قم.
(٣٤) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي «ت ١٧٥ هـ»، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
(٣٥) فتح العزيز بشرح الوجيز = الشرح الكبير [وهو شرح لكتاب الوجيز في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي «ت ٥٠٥ هـ»]، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني «ت ٦٢٣هـ»، الناشر: دار الفكر.
(٣٦) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب «هو شرح للمؤلف على كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهاج الطالبين للنووي»، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي «ت ٩٢٦هـ»، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
(٣٧) فقه الصادق، محمد صادق الروحاني، الإعداد: جماعة من الفضلاء الناشر:آيين دانش، مكان النشر:، قم المقدسة، سنة النشر: ١٤٣٥هـ.
(٣٨) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى «ت ٨١٧هـ»، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
(٣٩) كشّاف القناع كشاف القناع عن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي الحنبلي «ت ١٠٥١ هـ»، تحقيق وتخريج وتوثيق: لجنة متخصصة في وزارة العدل، الناشر: وزارة العدل في المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨م.
(٤٠) الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي «ت: ١٠٩٤هـ»، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع حواشيه: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، «١٤١٩هـ.١٩٩٨م».
(٤١) لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الخزرجي الأفريقي «ت: ٧١١هـ»، نشر دار صادر، لبنان، ط:١، د.ت.
(٤٢) المبسوط، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي «ت٤٦٠هـ»، الناشر دار الكتاب الاسلامي، ط١/ ١٩٩٢م.
(٤٣) المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي «ت ٤٨٣هـ» الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
(٤٤) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني «ت ٧٢٨هـ»، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
(٤٥) المجموع شرح المهذب «»مع تكملة السبكي والمطيعي»»، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي «ت ٦٧٦هـ»، الناشر: دار الفكر.
(٤٦) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي [الظاهري]، المحقق: عبدالغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الفكر – بيروت، د.ط،د.ت.
(٤٧) مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي «ت ١٠٦٩هـ»، اعتنى به وراجعه: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م.
(٤٨) مستند الشيعة في احكام الشريعة، المولى احمد بن محمد مهدي النراقي «ت ١٢٤٥هـ»، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، «د.ط»، «د.ت».
(٤٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن عليّ الفيُّوميّ «ت ٧٧٠ هـ»، تح د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٩٧٧م.
(٥٠) مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، محمد تقي الآملي «ت ١٣١٩هـ»، [بلا مكان]، [بى نا]. الكتاب قيد التحقيق.
(٥١) المصحف الالكتروني واحكامه الفقهية المستجدة، د. رابح بن أحمد دفرور، ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
(٥٢) المصحف الالكتروني واحكامه الفقهية المستجدة، د. رابح بن أحمد دفرور.
(٥٣) المصحف المطبوع بطريقة برايل للمكفوفين، الدكتور حسام الدين عفانة، مقال إلكتروني.
(٥٤) المعتبر، جعفر بن الحسن المحقق الحلي «ت٦٧٦هـ»، المساهمون في إعداد الكتاب: ناصر مكارم الشيرازي: جمع من الكتّاب، الناشر: مؤسسة سيد الشهداء «ع»، مكان النشر: قم المقدسة سنة النشر: ١٣٦٤ الهجري الشمسي ١/١٨٧.
(٥٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطابع الاوفست، القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.
(٥٦) معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس بن زكريا «ت:٣٩٥هـ»، تح: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، الطبعة الثانية، «١٣٩٩هـ .١٩٧٩م».
(٥٧) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي «ت ٩٧٧هـ»، الناشر: دار

الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
(٥٨) المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي «٥٤١ – ٦٢٠ هـ»، تح: الدكتور عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.
(٥٩) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانيّ «ت ٥٠٢ هـ»، تح محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م.
(٦٠) المقنعة، الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقّب بـ الشيخ المفيد، «ت٤١٣هـ»، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٠هـ.
(٦١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني «ت١٣٦٧هـ»، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
(٦٢) المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي «ت ٤٧٤هـ»، الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.
(٦٣) منتهى المطلب في تحقيق المذهب، الحسن بن يوسف العلامة الحلي «ت ٧٢٦هـ»، قدم اليه: محمود البستاني، وصفاء الدين البصري، المحقق: مجمع البحوث الإسلامية، قسم الفقه الناشر: آستانة الروضة الرضوية المقدسة. مجمع البحوث الإسلامية، مكان النشر: مشهد المقدسة سنة النشر: ١٤١٢هـ.
(٦٤) منع القراءة من الجوال، أحمد بيومي، مقال إلكتروني.
(٦٥) المهارات الحاسوبية الأساسية والبرمجيات الجاهزة، صالح أرشيد العقيلي و د. مصطفى محمود ياسين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط سنة ١٩٩٩.
(٦٦) المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي «ت ٤٧٦هـ»، الناشر: دار الكتب العلمية.
(٦٧) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي «ت ٩٥٤هـ»، الناشر: دار الفكر، ط٣، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
(٦٨) موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.
(٦٩) موسوعة الفقه الإسلامي المقارن، محمود الهاشمي الشاهرودي، نشر: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
(٧٠) موسوعة الفقه الإسلامي طبقا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، جماعة من المحققين. المؤلف مؤسسة دائرة المعارف للفقه الإسلامي.
(٧١) موطأ مالك؛ مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي «دار إحياء التراث العربي»، سنة النشر: ١٤٠٦/ ١٩٨٥م.
(٧٢) نهاية الإحكام، الحسن بن يوسف العلامة الحلي «ت ٧٢٦هـ»، المحقق: مهدي الرجائي، الناشر: إسماعيليان، مكان النشر:قم المقدسة،سنة النشر: ١٤١٠هـ.
(٧٣) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني «ت ١٢٥٠هـ»، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
(٧٤) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني «ت ١٢٥٠هـ»، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
(٧٥) الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين «ت ٥٩٣هـ»، المحقق: طلال يوسف، الناشر: دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
(٧٦) الهداية، محمّد بن عليّ بن بابويه «الصّدوق»«ت٣٨١هـ» مؤسسة اتلامامخ الهادي، ط١، ١٤١٨هـ.
(٧٧) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي «ت ١١٠٤هـ»، تحقيق مؤسسسة آل البيت «ع» لاحياء التراث، مطبعة مهر/ قم، ط٢، ١٤١٤هـ.



الخصائص البَصَريّة والجماليّة لعمارة المتحف البغدادي دراسة تحليلية

م. وداد أحمد كاظم
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الأولى

المستخلص:

يتناول البحث دراسة تفصيلية للخصائص البصرية والجمالية لعمارة المتحف البغدادي والتي تعتمد على العناصر المعمارية والإنشائية التي تأسس عليها البيت البغدادي حيث تم استحضار كافة الأفكار المعمارية والوظيفية من تفاصيل فضاءات البيت البغدادي ومكونات السوق الشعبي وأماكن العمل والمهن الشعبية والتقليدية وتوظيفها في التعبير عن المجتمع البغدادي وطبقاته الاجتماعية والمهنية والعادات والتقاليد الشعبية في بانوراما ديناميكية ثلاثية الأبعاد بمؤثرات صوتية معبرة خاصة بمواقف مختلفة تعكس بحرفية مميزة تلك الصورة المطلوب نقلها لزائر المتحف وتنقله إلى زمن اختفت ملامحه مع التطور العمراني والحضري.

الكلمات المفتاحية: الخصائص, البصرية, الجمالية, المتحف, البغدادي

Abstract:

The research deals with a detailed study of the visual and aesthetic characteristics of the Baghdad Museum architecture, which depends on the architectural and structural elements on which the Baghdad House was founded, where all architectural and functional ideas were evoked from the details of the spaces of the Baghdad House, the components of the popular market, workplaces, popular and traditional professions, and their employment in expressing the Baghdadi society and its social and professional classes, and popular customs and traditions in a three-dimensional dynamic panorama with expressive sound effects specific to different situations that reflect with distinctive craftsmanship that image required to be conveyed to the museum visitor and transport him to a time whose features disappeared with urban .and urban development

Keywords: characteristics, visual, aesthetic, museum, Baghdadi

الفصل الأول:

١. مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن إنشاء المتاحف في عالمنا العربي لا يسبقه مخطط معماري تصميمي يقوم على أسس علمية تؤهله لأن يكون مزاراً سياحياً تعريفياً بحضارتنا العربية الإسلامية ؛ حيث أقيمت هذه المتاحف في مبانٍ قد بنيت لغرض آخر، وبذلك فقد لوحظ أن هناك افتقار في التصميم المعماري الهندسي ، وعدم ترابط الخصائص البصرية والجمالية مع بعضها البعض, مما ينعكس بشكل سلبي على عمارة المتحف ,ويعد المتحف البغدادي من اهم واشهر المتاحف في بغداد ومن هنا يمكن تلخيص مشكلة البحث : ما الخصائص البصرية والجمالية لعمارة المتحف البغدادي .

٢. أهمية البحث :

يعد المتحف البغدادي أحد أبرز المتاحف الموجودة في مدينة بغداد فيقصده العديد من زوار ذوي مختلف الأعمار وخاصة طلاب المدارس والجامعات و بذلك يعطي صورة واضحة للحياة الاجتماعية وأسلوب العيش ويعكس الهوية الوطنية لكي تبقى في ذاكرة الأجيال، و أن أهمية البحث تكمن في إمكانية إعطاء المتلقي فكرة

واضحة وصورة قريبة من الواقع عن خصائصة البصرية والجمالية المستخدمة في المتحف والتي دمجت في مختلف المجالات عامة و البيت البغدادي خاصة.

٣. أهداف البحث :

١. التعرف على الجوانب البصرية والجمالية من خلال تحليل العناصر المعمارية في المتحف البغدادي.

٢. الكشف عن النواحي الإبداعية للخصائص البصرية والجمالية الذي يستنبط مفرداته من الفن الإسلامي.

٤. حدود البحث :

١. الحدود الموضوعية : تحليل الخصائص البصرية والجمالية لعمارة المتحف البغدادي.

٢. الحدود المكانية : المتحف البغدادي ، منطقة الرصافة ، بغداد – العراق.

٣. الحدود الزمانية : (١٨٦٩ – ٢٠٢٥) م.

٥. منهجية البحث :

اعتمدت الدراسة على منهجين رئيسين لتحقيق الأهداف هما :

١. المنهج التاريخي

٢. المنهج الوصفي

٦. تحديد المصطلحات :

الخصائص Characteristics

لغوياً:

عرفة المعجم الوسيط : الخصيصة : الصفة التي تميز الشيء وتحددة , والجمع خصائص حصه بالشيء خصاً وخصوصا وخصوصية، فضلة.

أصطلاحاً:

عرفها الزبيدي: التخصيص ضد التعميم وهو التفرد بالشيء مما لاتشاركه فية بالجملة , ويقال (أختص فلان بالأمر)(٣).

التعريف الأجرائي:

هي التوصيفات الشكلية والمضامينية المحمولة في بنية العمل الفني والتي تأخذ بعدين (جمالي وتاريخي) في النتاجات البصرية .

الجمالية Aesthetic

لغوياً:

عرفه ابن منظور: جمل الشيء , أي أجمعه بعد تفوق , أجمل : أعتدل , تجمل : تزين , الجمال : هو الحسن في الخلق .

اصطلاحاً:

عرفه افلاطون : أنة ظاهرة موضوعية لها وجودها سواء شعر بها الانسان أم لم يشعر , فهو مجموعة خصائص اذا توافرت في الجمال , عد جمالا , وهكذا تتفاوت نسبة الجمال في الشيء بحسب مدى أشتراكه في مثال الجمال الخالد

اما هربرت فيرى :ان الجمال هو وحدة العلاقات التشكيلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا .

وعرفتها الباحثة أجرائيا : هي وحدة العلاقات التشكيلية التي توحي للمتلقي بالتناغم والتناسق والأنسجام الناتج عن طريق تنظيم العناصر البصرية .

تعريف اجرائي:

الخصائص البصرية: هي دراسة الخصائص العمرانية , ومن ثم دراسة التكوين البصري للمتحف من حيث العناصر التي تؤثر في تكوين الصورة التي من شأنها أن تضفي المظهر الجميل .

١.مصطفى , الابراهيمي وأخرون (ب.ت) : المعجم الوسيط , تحقيق : مجمع اللغة العربية , دار الدعوة (ص١/ ٢٣٨).

٢.أبادي, للفيروز :(١٤٢٦) : القاموس المحيط , تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة , ط ٨ , مؤسسة الرسالة ,بيروت (ص٦١٧)

٣.المنجد في اللغة العربية (٢٠٠٠) : طبعة جديدة ومنقحة ,ط٨, مراجعة : مأمون الحموي , دار المشرق , بيروت . (ص٣٩٠)

٤.أبن منظور , جمال الدين بن مكرم الأنصاري : لسان العرب , طبعة مصوره عن طبعة بولاق , ج١٣, القاهرة . (ص٣٨٤)

٥.شلق , علي (١٩٨٢) : الفن والجمال ,المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع , القاهرة ,(ص٤٩)

٦. ريد , هربرت (١٩٨٦) : معنى الفن , ترجمة : سامي خشبة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر (ص ٤٣)

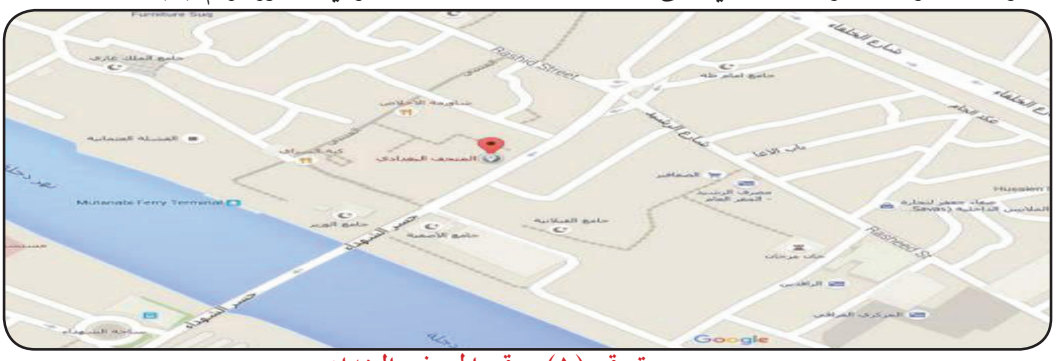
المتحف البغدادي : هو متحف تاريخي ومعلم سياحي يقع في العاصمة بغداد تأسس في عام ١٩٤٠ , ويضم ٧٠ مشهداً من مراحل مختلفة يستخدم نماذج بالحجم الطبيعي , تمثل حياة بغداد وخاصة الحرف والمهن اليدوية والعادات المحلية .

الفصل الثاني:

المبحث الأول:المتحف البغدادي:

أولاً: نشأة المتحف البغدادي وتطوره

شرعت أمانة بغداد عام (١٩٦٨م) بإعادة تأسيس المتحف البغدادي ، حيث ترجع فكرة إنشاء المتحف الشعبي في بغداد إلى أمين بغداد الأسبق السيد مدحت الحاج سري ، وتم افتتاحه عام (١٩٧٠م) على ضفاف نهر دجلة قرب جسر الشهداء في مبنى مطبعة ولاية بغداد ، كما يظهر في الصورة رقم (١).



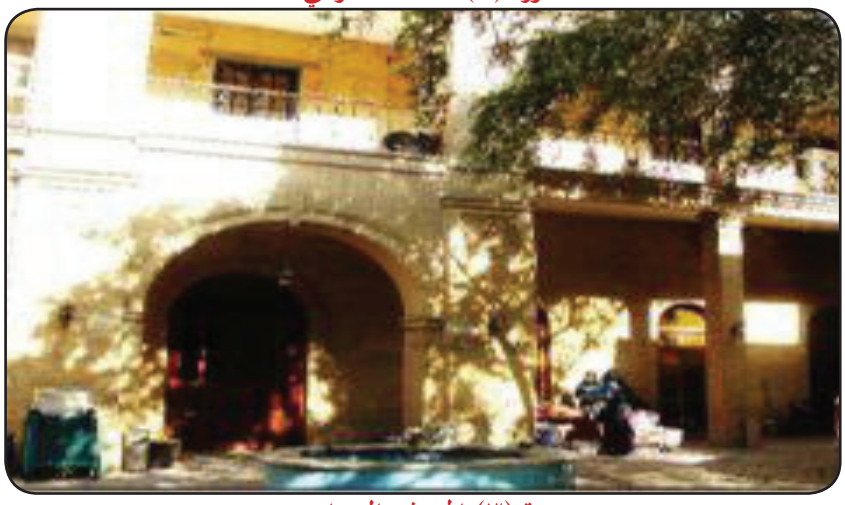
صورة رقم (١) موقع المتحف البغدادي

عد بناية المتحف من المباني التراثية القديمة حيث يعود إنشاؤها إلى عام (١٨٦٩م) في زمن الوالي العثماني مدحت باشا، الذي يُعد من أبرز أعماله تأسيس أول مطبعة آلية في إصدار أول صحيفة باسم الزوراء، وقد جلب لها مطبعة من باريس سماها بمطبعة (الولاية) ، وتم إصدار الزوراء وبعددها الأول باللغتين العربية والتركية وبالحجم المتوسط بثماني صفحات، ثم بأربع صفحات، حتى عام (١٩٠٨م) ، ومع جريدة الزوراء، وبعدها تم تأسيس صحيفتين (الموصل) و (البصرة) وقد سميت نسبة إلى المدن التي تأسست فيها (١) ، ويعتبر مدحت باشا أعظم والي عثماني أرسل إلى بغداد واعظم الولاة العثمانين الذي استمرت ولايته ٣ سنوات(٢).

ومن ثم أصبح يشغل المتحف العراقي الذي افتتحه الملك فيصل الأول – رحمه الله – سنة (١٩٢٥م) ، وكما يظهر في الصورة (٢) المبنى عندما كان يشغل المتحف العراقي ويظهر في الصورة (٣) المبنى حاليا وهو يشغل المتحف البغدادي .



صورة (٢) المتحف العراقي



صورة (٣) المتحف البغدادي

وقد تم تكليف الجهات الفنية في جامعة بغداد لإنجاز التماثيل موزعة بين ٤٥ مشهد يعطي صورة واضحة عن العادات والتقاليد والصناعات التقليدية ، عن طريق عرض مجسمات إنسانية ونماذج واقعية كما هو موضح بالصورة رقم (٤).



صورة رقم (٤) مشهد احتفال زكريا

وفي عام (١٩٨٥م) جرت عليه عملية تطوير كبرى لكافة ارجاء المتحف ؛ تعلقت بالأعمال الإنشائية ، وإنشاء الزقاق البغدادي الذي ضم ٣٩ مشهداً جديداً انتشرت فيما بينها مائة وسبعة شخصية لم تكن موجودة سابقاً ، وفي عام (١٩٨٩م) تم استحداث مرافق جديدة في المتحف أكسبته هوية شعبية أكبر بعد أن شيد داخله السوق البغدادي والمطعم البغدادي ، إضافة إلى تهيئة قاعة مناسبة لإقامة الحفلات الغنائية والموسيقية والمقام العراقي ، وقد تعرض المتحف إلى أضرار كبيرة وأغلق أبوابه بعد الغزو الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣م) ، إلا أنه أعيد ترميمة وافتتاحه رسمياً في الثامن من أب عام (٢٠٠٨م) (٣) .

ثانياً: تصميم المتحف البغدادي :

يتكون المتحف من مبنيين يربط بينها جسر داخلي صغير، جمع المتحف أغلب العناصر المعمارية الداخلية للعمارة البغدادية وخاصة البيت البغدادي ، فكان تصميم المتحف فريد من نوعه في القطر العراقي ؛ من تكامل تصميمه من حيث البناء والاستعانة بمشاهد تصويرية لنمط حياتي في فترة زمنية معينة لإدخال الزوار في تلك الحياة بتفاصيلها ، ومما ساعد في ذلك أن مبنى المتحف يتواجد فيه بعض العناصر البنائية القديمة مثل الأبواب والأعمدة والزخارف ، مما أدى إلى توافق تام مع متطلبات البيت البغدادي ، إن المبنى الأول تم المحافظة على تصميمه الداخلي مع قليل من التحويرات لمتطلبات المشاهد ، فكان أكثر شمولية من حيث مواضيع المشاهدة وتصميمه الداخلي لكل مشهد ، وقد تم استغلال الجزء الأكبر من المبنى الثاني في تصميم الزقاق والسوق البغدادي، ويعتبر عمل متكامل من حيث العناصر المعمارية والفنية وتم إظهارها في المحلات والمهن الشعبية والبيوت.

ومن أبرز المشاهد للمتحف البغدادي

١. مشهد المقهى الشعبي :

ويظهر فيه النشاطات والأعمال التي تجري في المقهى والاثاث المستخدم انذاك كما في تبين الصورة رقم (٥).



صورة رقم (٥) يظهر فيها المقهى الشعبي في المتحف

٢. مشهد الغزل والنسيج : يظهر في الصورة (٦)

كيف تعرض آلة النسيج لعمل السجاد اليدوي ، وصور قديمة لأشخاص امتهنوا هذه المهنة ، ومن الجدير بالذكر أن آلة النول تستخدم في المتحف إلى حد الآن ويتواجد شخص الذي يقوم باستخدامها ، أما البسط المنتجة منها ما يستخدم في المتحف ومنها ما يعرض في المعارض للبيع .



الصورة رقم (٦) يظهر فيها النول في المتحف البغدادي

٣. مشهد الزفة والعرس :

يجسد عادات ومراسيم العرس التقليدي واللباس كل من الحاضرين كما هو موضح بالصورة رقم (٧)



الصورة رقم (٧) ويظهر فيها مراسيم العرس التقليدي

٤. مشهد الحوش:

يعرض الحياة التقليدية في كيفية استخدام الحوش من قبل البغداديين كما في الصورة (٩) و (١٠).



الصورة رقم (٩)



الصورة رقم (١٠)

٥. الزقاق والسوق البغدادي :

وهو مشهد مقسم إلى غرف صغيرة كل واحدة منها تشمل مهنة أو حرفة معينة كما في الصورة (١١) و (١٢)

.



الصورة رقم (١١) يظهر فيها الزقاق في المتحف



الصورة رقم (١٢) ويظهر فيها الحرفة

ومن أهم الأماكن في المتحف :

١. قاعة المقام العراقي : يتواجد فيها فرقة لعزف وغناء الأغاني التراثية القديمة الصورة (١٣) يظهر بها شكل المسرح .



الصورة رقم (١٣) المسرح في المتحف البغدادي

٢. قاعة الهدايا: وتوجد بها بعض الهدايا التي اهديت الى المتحف من مداليات و اوسمة قديمة كما يظهر في الصورة (١٤).



الصورة رقم (١٤) قاعة الهدايا في المتحف البغدادي

٣. صالات العرض: وهذا هدف لتكوين المتحف البغدادي مشاهدة متعددة في الحياة البغدادية وبتأثيرات صوتية والصورة (١٥) نموذج عن صالات العرض.



الصورة رقم (١٥) صالة عرض في المتحف البغدادي

٤. الصور التذكارية : يوجد في المتحف مصور وله مكان مخصص للصور وطباعتها ويوفر أزياء مختلفة لعدة محافظات عراقية ليتسنى التقاط الصور بها كما في الصورة (١٦) و (١٧).



الصورة رقم (١٦) مكان مخصص للصور التذكارية



الصورة رقم (١٧) مكان للصور التذكارية

٥. المكتبة: يوجد بها مجموعة بسيطة من كتب ومجلات قديمة مبينة في الصورة (١٨).



الصورة رقم (١٨) ويظهر فيها المكتبة في المتحف البغدادي

٦. المطعم: في الوقت الحالي المطعم مغلق كما ان له باب مخصص لزوار المطعم.

٧. يحتوي المتحف على ورش عمل للصيانة والتطوير الدائم للموجودات كما تبين الصورة (١٩).



الصورة رقم (١٩) مكان الصيانة في المتحف البغدادي

هدفت التحويرات للمتحف إلى أن يكون قريباً من الداخل للبيت البغدادي واستعمالاته وموقعه، وأبعاده، وتختلف الفضاءات فيما بينها من خلال ترتيب الشبابيك، أو ارتفاع السقف، أو تفاصيل الزخرفة والزينة فيتكون منه عدة فضاءات ومنها:

١. فضاءات مغلقة ويتمثل كالأرسى (٤)، الحجرة السرداب بالإضافة إلى فضاءات الخدمات.

٢. فضاءات أخرى أحد أطرافها مفتوحة دون جدار مثل الطارمة(٥)، الطلار(٦) ، الإيوان .

٣. فضاءات أخرى مكشوفة وليس لها سقف كالسطح وفناء الباحة الداخلية(٧).

٤. المسقفات الخارجية او الداخلية البارزة أو الجزء المسقوف من البيت وفي الغالب تكون في المداخل أو الأحواش.

المبحث الثاني: الخصائص البصرية والجمالية لعمارة المتحف البغدادي

كان اليونانيون من الأوائل الذين اعتنوا بالفنون وتذوقوها وشرحوا علاقتها بالخير والحق والجمال وتوصلوا الى نظريات جمالية ساهمت في تطوير الفن وتأثيرها بشكل كبير على آثارهم الفنية ، كما وقد ظهرت الفلسفة الجمالية

عند المسلمين في نهاية العصر الأموي والتي تأثرت بأربعة مدارس فنية رئيسية وهي المدرسة الإيرانية، والمدرسة الهندية المغولية، والمدرسة التركية العثمانية، والمدرسة العربية ، فبرزت المدرسة الفنية العربية بعدة أساليب مختلفة ومراكزها (بغداد ، موصل ، دمشق ، غرناطة) .

فكان التصوير العباسي في العراق يمتاز « برسم اللمحة العربية من خلال الوجوه ذات اللحى والشوارب وظهور الهالات المستديرة حول رؤوس الأشخاص وظهرت فيها البساطة والتحوير في رسوم الأشجار والنباتات والعناصر الزخرفية ولم يراعو الواقع في نسب الأحجام والأبعاد في تشريح الإنسان والحيوان ، و أتسم رسم المباني بالشفافية عن طريق رسم الغرف وحذف الحائط الأمامي منها، فيها المخططات المصورة وفن تزيين الصفحات ومن الأمثلة (كتاب كليلة ودمنة ،كتاب مقامات الحريري ، وكتاب الحيوان للجاحظ) ، وامتازت هذه الفترة بالزخارف الهندسية بسيطة التكوين على الجص(٨).

صنف الفارابي الجميل الى صنفين ؛ صنف هو علم فقط وصنف هو علم وعمل وصارت صناعة الفلسفة صنفين :

- الصنف الأول : (الفلسفة النظرية) وهي الأشياء ليست من صنع الإنسان.
- الصنف الثاني : (الفلسفة العملية) وهي الأسس المعرفة التي من شأنها أن تفعل وتشمل العلوم هي علم التعاليم, وعلم الطبائع وعلم ما بعد الطبيعيات(٩).

اتفق ابن سينا مع الفارابي في أن إيمانه بالعقل هو مصدر العلم والمعرفة ومصدر الإلهام الروحي، وكما ربط الغزالي جميع أنواع الجمال بالجمال الإلهي .

وقد» ميز الغزالي الظواهر الطبيعية بطائفتين :

١ . طائفة تدرك بالحواس لها علاقة بتناسق وانسجام الصورة الخارجية سواء كانت بصرية أم سمعية أم غير ذلك .

٢ . طائفة ظواهر الجمال المعنوي التي تتصل بالصفات الباطنة، وأداة إدراكها القلب (الوجدان) وهو قوة إدراك الجمال في المعنويات (١٠).

يشير الغزالي إن الظواهر الجمالية :

- ظواهر جمالية حسية.
- ظواهر جمالية وجدانية.
- ظواهر جمالية عقلية.

وعرف هيجل الجمال بأنه التحلي المحسوس بالفكرة ، و مضمون الفن هو الأفكار والصورة هي الأثر الفني و بنيته من المحسوسات والخياليات وبهذا يتحول المضمون إلى موضوع ، وعلم الجمال هو علم قائم على مجموعة من النظريات وهو علم يعنى بدراسة كل ما هو جميل

وعرفت بنية الشكل الجمالي هو مفهوم العلاقات الباطنة الثابتة التي تقدم الكل على أجزائه بحيث لا يفهم هذا الجزء بصورة مستقلة خارج الوضع الذي يشغله داخل المنظومة الكلية، وعملت على كشف البنيات العميقة والأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء وحدة العمل الفني(١١).

قال هوكز : إن طبيعة كل عنصر لا أهمية لها، ما لم تدرك طبيعة علاقتها مع العناصر الأخرى ولا يمكن إدراك الأهمية الكاملة مالم يتفاعل العنصر مع البنية التي يكون هو جزءاً منها، كما وأكد سوسير أن البنية تعتمد على تكوينها بالاهتمام لكل الأجزاء وبانتظام الوحدة الداخلية في البنية تكون بين الدال والمدلول للشكل وبهذا تؤكد العلاقات بين الأجزاء.

يرى J.Baget بأن البنية قانون يفسر تكوين الشي ومعقوليته وتتميز بخصائص ثلاث:

١ . الكلية Totality: وتعني أن الكل يسيطر على الأجزاء وبهذا يكون انتظام الكيانات كاملا بنفسه ، و تترابط هذه الأجزاء فيما بينها بموجب قوانين ذاتية تحدد طبيعة البناء والأجزاء المكونة له و تضيف هذه

العناصر المكونة للبنية خواصا أكبر من الخواص أذا كان العنصر بمفردة خارج هذا الكيان ؛ أي ان الكل لا يساوي مجموع أجزائه.

٢. التحولات :Transformations تعني أن البنية متحوله ؛ فأي تغيير بسيط في أحد العناصر أو تغيير علاقة رابطة بين الأجزاء يتم تحويل مفهوم البنية من حاله معينة إلى حالة أو صورة أخرى مغايرة ، إذ أن المجاميع الكلية تنطوي على ديناميكية وهي سلسلة التغييرات الباطنة التي تحدث داخل المنظومة خاضعة في الوقت نفسه لقوانين البنية الداخلية حيث أن البنية ليست جامدة ، فالقوانين التي تقوم ببنائها وتجعلها بنائية تكون قادرة على العمليات التحويلية التي تستوعب من خلالها المادة الجديدة باستمرار.

٣. التنظيم الذاتي Self Regulation: ويعني اكتفاء البنية بالعناصر الموجودة لأنها مكتفية بذاتها ولا تحتاج إلى إضافة عناصر خارجية لها لكي يتم تغير مفهومها (١٢).

التصميم في المتحف:

تعمل التصاميم الإسلامية إلى تحويل المواد البنائية إلى تحف فنية جميلة وثمينة دون التمييز بين فنون العمارة أو الفنون التطبيقية الأخرى، فهو يعمل على جعل كل قطعة فنية موضوع بحد ذاته بأسلوب تنظيم الزخرفة، وتزيين السطوح بأشكال هندسية، أو نباتية، أو خطية جميلة، و يظهر براعة التصميم بملئ الفراغ أيا كان حجم الفراغ، وهذا يؤكد على العلاقات الجمالية التوازن السيادة الإيقاع الوحدة التنوع ، و إن شكل التصميم بالمنظور الإسلامي يستند إلى ثلاث مستويات :

وجود تجريدي مثالي (رمزي)

وجود علمي مجرد (فكر رياضي)

وجود علمي محسوس وملموس وقابل للقياس(١٣).

ويرتبط تنظيم الشكل المجرد لدى المسلمين بتصميمه لإعطاء المعنى الجمالي والرمزي المطلوب ايصاله للناظر و هي بالأصل مستوحاة من مادة الموضوع و تمازج العلاقات الجمالية ومميزاتها الحسية والرمزية لهذه الاشكال لتعكسها كمميزات فكرية تتمثل في الفضاء الداخلي بتلك العناصر التصميمية المكونة للفضاء بأبعاد و تجسيدات تتسم بمهارات حسية و نفسية متممة بشكل متناسب مع وظيفة الفضاء الداخلي.

و تتغلب الرموز التعبيرية والقيم الاعتبارية العالية للأشكال في الفضاءات الداخلية على الجانب الوظيفي لتظهر العناصر التكوينية عاكسة للقيم الجمالية و التعبيرية.وفيما يلي سنوضح ابرز الخصائص البصرية والجمالية المستخدمة في عمارة المتحف البغدادي:

١. الأبواب :



صور رقم (٢٠) باب ذو درفة واحدة تعد كبيرة بالنسبة لمقياس الأبواب الاعتيادية و قد زين بمسامير نحاسية كبيرة بارزة مرتبة وتتوسطه مطرقة نحاسية، ويعتبر الخشب المصنوع منه ذات نوعية جيدة، وتعلوه زخرفة هندسية أجرية ، يعد متينا فلهذا وضع الباب مدخلا رئيسيا للسوق البغدادي .



صورة رقم (٢١) باب خشبي جيد ذو متانة عالية

وهناك باب خشبي جيد ذو متانة عالية كما يظهر الصورة رقم (٢١) في وهو مكون من درفتين ، وتتوسط كل درفة زخرفة نباتية بارزة فوق كل افريز، وهي مثبتة باطار المدخل الخشبي ذات زخرفة نباتية غائرة، ويتوسطه دعامة خشبية ذات تاج له نفس الزخرفة ، وزين أسفل التاج بخمسة مسامير نحاسية بارزة ويعلوه عقد مدبب والزخرفة تغطي باطن العقد واطاره بارز عن الباب ذو زخرفة نباتية مشابه لاطار الباب ، وهو في الأصل باب المدخل بيت الشاعر الملا عبود الكرخي(١٤). كما ورد في البطاقة التعريفية بجانب الباب وذكرت معلومات عن الشاعر و أن هذا المشهد يمثله وتم استخدامه في مشاهد السوق البغدادي.



صورة (٢٢-أ)



صورة (٢٢-ب)

باب خشبي له عقد مدبب من الاجر بزخرفة هندسية صورة (٢٣).

باب بسيط بدرفتين بزخارف هندسية مفرغة ومعشقة بالزجاج صورة (٢٤).



باب خشبي متوسط المتانة له اطاره ساده مثبته به درفتين تتوسطها زخرفة نباتية بارزة ويتوسط الاطار دعامة خشبية رفيعة ذات تاج له نفس الزخرفة و هذا الباب قاعة المقام البغدادي المؤدي الى الفناء الداخلي كما في الصورة (٢٥).



صورة رقم (٢٥)

في الصورة (٢٦) باب الشرفة خشبي صغير الحجم نسبيا مقسم بأشكال هندسية ٣ مستطيلات ومربع اعلاها و يتوسط المربع زجاج وتم اظهار الاشكال بالتضاد (غائر و بارز).



صورة (٢٦)



صورة رقم (٢٧) باب خشبي لونه أزرق له درفتين استخدمت الاشكال الهندسية (المربع والمستطيل) في زخرفته الغائرة والمفرغة ومعشقة بالزجاج الملون (الأزرق، الأحمر ، الأخضر) ويعلوه عقد مدور منخفض وبداخله زجاج ملون اخضر ومزين بقضبان حديدية بيضاء بشكل عمودي وفوقه زخرفة هندسية (سداسية) اجرية يقع الباب في الفناء الخارجي للمبنى الأول .



صورة رقم (٢٨) باب خشبي بلون ازرق بدرفة واحدة استخدم المربع كشكل هندسي مفرغة وعشق بالزجاج المظلل ، يعلوه شباك مزين بقضبان حديد بشكل عمودي ويعطي الاستطاله للجدار ويقع هذا الباب في الفناء الخارجي للمبنى الأول.



صورة رقم (٢٩) باب خشبي له درفتين استخدم فيه الاشكال الهندسية غائرة وعشق بالزجاج الملون المرسوم وفوقه عقد دائري مقسم بشكل طولي عرضي وملئت بالزجاج الملون ويقع مكان الباب في الفناء الداخلي للمبنى الثاني.

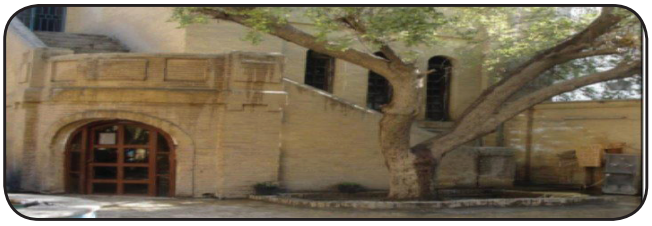
في الصورة (٣٠) أبواب بسيطة ذات درفة تتوسطها مطرقة على شكل راس أسد، واحدة ذات عقود دائرية منخفضة داخلها زجاج ملون وتعلوها زخارف هندسية أجرية .



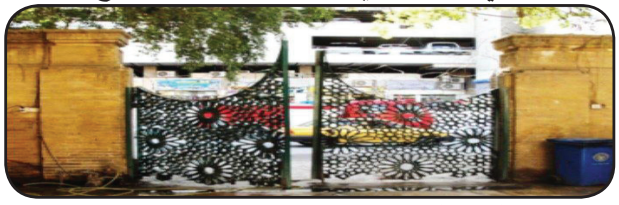
صورة (٣٠)



صورة رقم (٣١) باب خشبي ذو درفتين غير متساويين يخلو من الزخارف فوقة عقد مدور داخلة عقود مدببة مفرغة وخلفها زجاج ملون.



صورة رقم (٣٢) باب خشبي له اطار عقد مدور من درفة واحد ومقسم بإطارات خشبية طولي وعرضي وداخلة زجاج عاكس يقع في الفناء الخارجي للمبنى الثاني ويسمى موقعة بيت الدرج.



صورة رقم (٣٣) باب خارجي لمبنى المتحف حديد لونة ازرق علية زخرفة هندسية (الانثى عشري) مفرغة ومقوسا الى الاعلى.



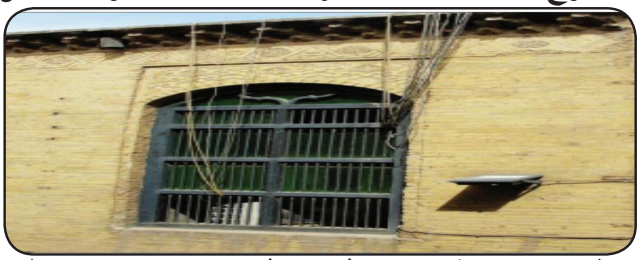
باب المدخل الرئيسي للمتحف البغدادي في الصورة (٣٤) باب ضخم يتكون من درفتين ذات لون الخشب الفاتح وتتوسط كل منها زخرفة نباتيه بلون بني غامق، وثبتت الدرفتين باطار تتوسطه دعامه خشبية لها تاج حمل نفس الزخرفة وأسفل التاج توجد مسامير نحاسية خمسة و تتوسط كل درفة مطرقة نحاسية ويعلو الاطار مستطيل غائر زخارف متماثلة وبمنتصف المستطيل شكل بيضوي بارزا نوعا ما ، وفوقه عقد مدبب مزين بقضبان حديدية أفقية ومائلة ويتوسطه زخرفة ويتوسط العقد ورقة نباتية ولها نفس لون الاطار وأعلى العقد مزين بزخرفة هندسية أجرية (اثنا عشرية) ، وهذا الباب لدار بالبصرة لعائلة الحاج عبد الرزاق السبتي وتم إهدائه ١٩٧٦-٣-١٥ كما ورد في البطاقة التعريفية على الباب .

٢. الشبابيك:

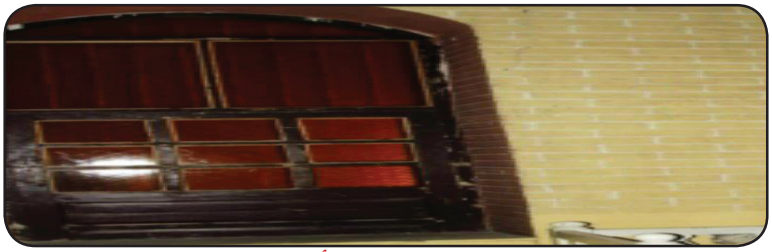
الصورة رقم (٣٥) شباك خشبي ازرق اللون



كما نلاحظ في الصورة (٣٥) شباك خشبي ازرق اللون له عقد مدور داخله زجاجة له درفتين داخلها قطعة زجاجية ملونه يفصل بينها خمسة الواح خشبية ومثبت بالاطار قضبان حديدية عمودية الشكل ويعلو الشباك زخرفة هندسية من الاجر.



صورة رقم (٣٦) شباك خشبي له عقد مدور في واجهة المدخل المتحف وهو عبارة عن اطار مستطيل مفرغ داخلة زجاج ملون ويقسمه لوح خشبي بالطول الى نصفين وبالعرض يقسم ٣ الواح خشبية و مثبت بالاطار الخشبي قضبان حديدية طولية وداخل العقد زخرفة نباتية مفرغة تقسم العقد الى ٣ اجزاء ويعلو الشباك زخرفة نباتية وهندسية من الاجر ونهاية الجدار مقرنصات.



صورة رقم (٣٧-أ)



الصورة رقم (٣٧–ب)

شباك خشبي ذو عقد مدور له درفتين مقسمة الى مربعات صغيرة داخلها زجاج ملون كما في الصورة رقم (أ–٣٧) ، شباك خشبي له عقد مدور مفرغ بأشكال هندسية داخلها زجاج ملون كما في الصورة (٣٧–ب) .

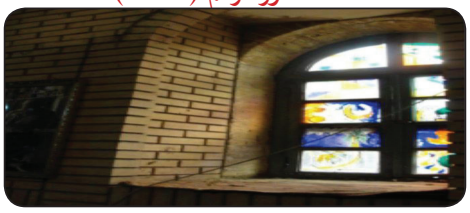


صورة رقم (٣٨) شبابيك خشبية ذات عقد طويلة مدور على واجهة البناء.

شباك له إطار خشبي داخله زجاج ملون مرسوم عليه رسم تراثي له عقد مدور له درفتين ومن الخارج له قضبان حديدية عمودية ويقع هذا الشباك في واجهة المبنى وشكله من الخارج في صورة رقم (أ–٣٨) ومن الداخل صورة رقم (٣٨– ب).



صورة رقم (٣٨–أ)



صورة رقم (٣٨–ب)

٣. وحدات الانارة :

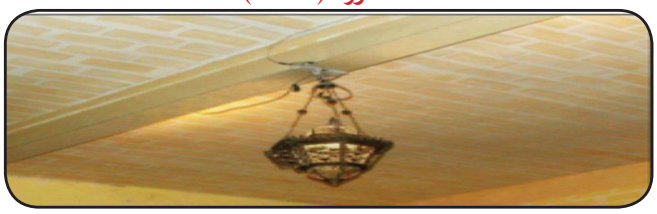
استخدمت هذا الوحدات في المتحف لإعطاء جمالية للمكان وليست عليها اعتماد تام ، و هذه القناديل معلقة بالسقف بواسطة سلسلة وصنعت كلها من النحاس، وتأخذ أشكالا هندسية كما في الصورة (٣٩) أو تأخذ شكلا سداسيا وعليه شكل مدبب الى الاسفل كما في الصورة (أ–٤٠) صورة رقم (٤٠– ب)



صورة (٣٩)



صورة (٤٠-أ)



صورة رقم (٤٠-ب)



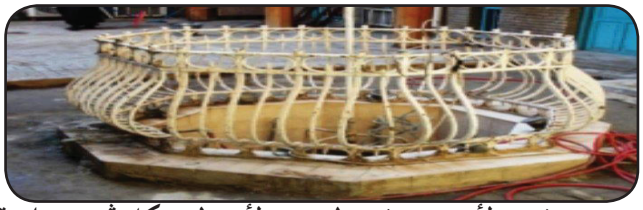
صورة رقم (٤١) جانبية مثبتة بالجدار مباشرة وغالبا ما تستخدم هذه الانواع من الوحدات بالممرات.



صورة رقم (٤٢) انارة على شكل نجمة ثمانية مجسمة

٤. البركة (النافورة) :

حوض في وسط الغناء تأخذ شكل الدائري أو الثماني أو السداسي لاكتساب المظهر الجمالي وامتزاج وتلطيف الهواء بالماء ومن ثم انتقاله إلى الفضاءات الداخلية(١٥).



صورة رقم (أ-٤٣) حوض محفور بالأرض ويرتفع إطار من الأجر له شكل ثماني ويعلو قضبان حديدية له شكل مقعر إلى الخارج ارتفاعه متر يأخذ شكل دائري فهي تعمل كدور حماية من السقوط.

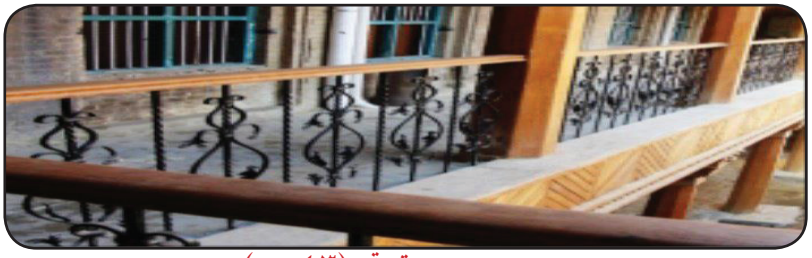


صورة رقم(٤٣-ب) حوض مرتفع نص متر عن الأرضية مغلف بالسيراميك الأزرق تعلوها دائرة تحيط الحوض من الرخام ويتوسط الحوض تمثال السقى.

٥. الدربزين: هو قضبان حديدية غالبا ما تأخذ الزخرفة النباتية وهي عبارة عن شكل واحد يتكرر كل ٣٠-٤٠ سم ارتفاعها متر، ويفصل بينهم قضبان حديدية عمودية وكلها داخل إطار من الحديد ومن الأعلى والجوانب مغلف بالخشب ، غير أنه يعطي جمالية وتحديد للفراغ كما ويعطي حماية من السقوط من الأعلى عادة يوضع في الطابق الأول المطل على القناء كما في الصور (٤٣).



صورة رقم (٤٣-أ)



صورة رقم (٤٣-ب)



صورة رقم (٤٣-ج)

٦. الرازونة :

وهي كوة صغيرة تفتح في الجدار وتكون بدون أبواب توضع فيها السراج(١٦).



الصورة رقم (٤٤) هي جدارية متعددة على شكل عقد دائري غائر في الجدار تخفيف سمكه والاستفادة منها كدواليب او رفوف او لاستعمالات أخرى يفرضها التصميم الداخلي للغرفة وتقع في مشهد العرس في الطابق الاول للمبنى الاول للمتحف.

٧. العناصر التاثيثية :



صورة رقم (أ–٤٥) صندوق مصنوع من الخشبي مستطيل الشكل له زاوية منحنية .



صورة رقم (٤٥–ب) صندوق خشبي له زاوية قائمة زخرفت واجهته بالمسامير النحاسية البارزة بزخرفة هندسية.



صورة رقم (٤٦) طاولة خشبية منخفضة على شكل نجمة ثمانية حفر داخلها مضلع ثماني مزخرفة بزخرفة نباتية حملت على اربع قوائم.



صورة رقم (٤٨) طاولة ذات هيكل خشبي لها قاعدتين تأخذ شكل مضلع الثماني بشكل افقي ويصل بين قاعدتين اعمدة ذات خرط عرضي ونهايته اشبه بكرة وتتوسط القاعدة العلية صينية فضية.

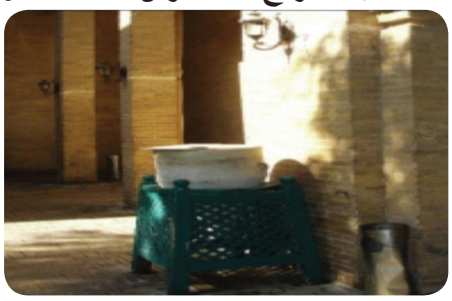


صورة رقم (٤٩–أ) كرسي من الخشب البني الغامق ثقيل الوزن له قوائم مربعة واستخدم الخرط في عمل تفاصيله.



صورة رقم (٤٩-ب) كرسي من الخشب له لون الازرق استخدم الخرط في ظهر وجانبين الكرسي ووضع عليه بساط صوفي مخطط بالألوان البني والأصفر والأزرق.

يظهر بالصورة (٥٠) الحب وهو إناء من الفخار توضع في زوايا معينة في الفناء مظللة وبعيدة عن أشعة الشمس ومتجهة نحو الشمال وهو الاتجاه المناسب لمهب الرياح ذلك لغرض تصفية الماء وتبريده ليجهز للشرب(١٧).



الصورة رقم (٥٠)

البسط صنع من صوف ذو وبر طويل يغلب عليه اللون الأحمر أو البرتقالي يتداخل به خطوط بالوان متباينة مثل : الأسود، الأزرق الأخضر وخطوط لها لون فاتح على الجانبين عند الحاشية ويستخدم الفرش الأرض واستخدمت فوق الكراسي و نقلل من الانزلاق و تفيد اعطاء اتجاهية للحركة في الممرات وكما هو عازل للحرارة وتظهر نماذج من البساط في صور (٥١).



صورة رقم (٥١-أ)



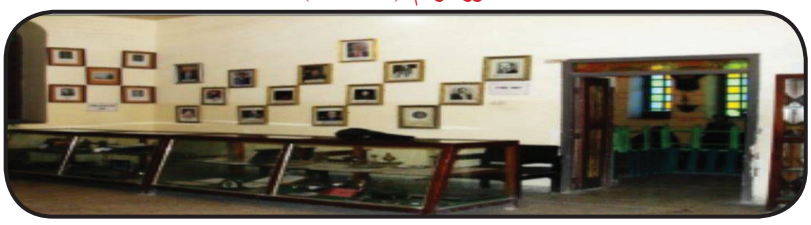
صورة رقم (٥١-ب)



الصورة رقم (٥٢-أ)



الصورة رقم (٥٢-ب)



الصورة رقم (٥٢-ج)

عارضات خشبية مزججة تعرض بيه تحفيات قديمة مداليات او اواني في قاعة الهداية في صورة (٥٢-ج).

٨. الشناشيل :

وهي كلمة محرفة عن الفارسية (شاه نشين) وتعني جلوس الملكة وتكون دائما في الطابق الأول من البيت وتطل على الطريق وتبرز عن مستوى واجهة البيت بحوالي نصف متر»، ويصنع من قطع خشبية مخروطة ومتداخلة ومجمعة ضمن إطار، وكما لها معالجات معمارية تسمح بدخول الرياح الملطف ولا تسمح بدخول اشعة الشمس وعادة ما تغطى السطح الخارجي للشبابيك وتعطي قدر كبير من الخصوصية(١٨).

وبرزت الشناشيل متدرجة الى جانب بعضها البعض بزاوية قائمة ومتقابلة بشكل منتظم متناسق مع مساحة الزقاق في السوق البغدادي ، كما ويحتوي على شبابيك جانبية بنسق متماثل لتظهر وظائف الشناشيل في البيت البغدادي من حيث أن لها إمكانية توسعة الزقاق ، وضعت الشناشيل في المتحف كما في الصور (٥٣) تحمل اللون البني.



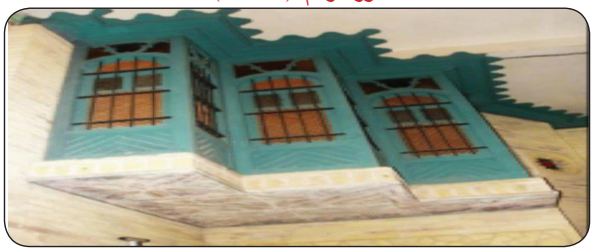
الصورة رقم (٥٣-أ)



الصورة رقم (٥٣-ب)



الصورة رقم (٥٤-أ)



الصورة رقم (٥٤-ب)

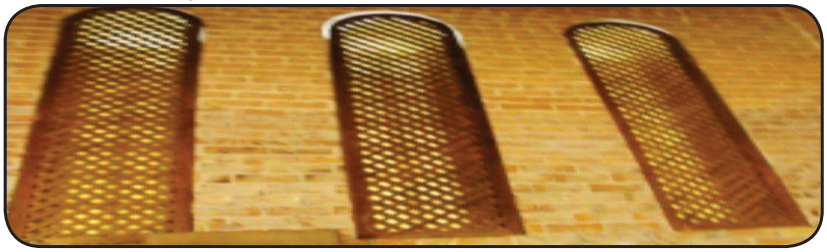
وفي الصور (٥٤) تم استخدام شناشيل لها لون الأخضر الفاتح واللون الفيروزي ، في الصورة (٥٥) يظهر التدرج بين الغائر والبارز في وضع الشناشيل لإعطائها الواقعية في التصميم كما تم وضعها في البيوت البغدادية انذاك.



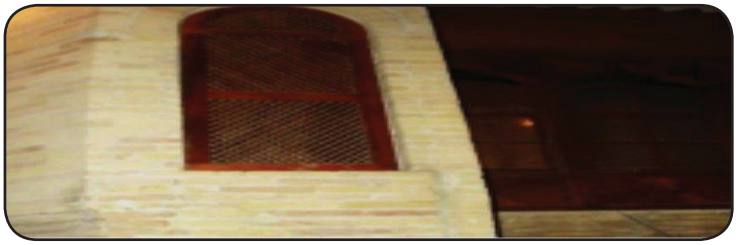
الصورة رقم (٥٥)

٩. فواصل خشبية (مشبكات خشبية) :

استخدمت هذه الفواصل الخشبية في تصميم الشناشيل ، أو تم استخدامها في أجزاء معينة في الشناشيل بهذا الشكل الذي يساعد على التهوية وحجب الرؤية والعزل عن الزقاق ، وقد استخدمت في زقاق السوق البغدادي لإعطاء جمالية للجدران ومنها لها عقد مدور ومنها عقد مدبب كما في الصور (٥٦).



الصورة رقم (٥٦-أ)



الصورة رقم (٥٦-ب)



الصورة رقم (٥٦-ج)

مؤشرات الأطار النظري

١. أنطوت نتاجات المتحف البغدادي على معالجات فلكلورية أرتبطت بالأعراف والعادات والتقاليد

٢. يتم تنفيذ التصميم الداخلي بحذر من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية ةالتاريخية .

٣. اختيار الخامات المناسبة والمستدامة التي تستخدم في الحوائط والأسقف والأرضيات والأثاث والتي تعكس الطابع المميز للعناصر الزخرفية والسمات التاريخية للمبنى .

٤. مراعات قيم التصميم الوظيفية والجمالية التي تعزز الحياة بتفاصيلها والاستعانة بمشاهد تصويرية لنمط الحياة في فترة زمنية معينة

٥. استخدام الانظمة البيئية المختلفة او التكنولوجيا المعاصره بحذر لتلبية المتطلبات الحديثة دون التأثير على طابع المبنى الأثري وتساهم في المحافظة على الهوية الثقافية .

٦. اظهار الطابع الخاص لكل فراغ بما يتلائم مع الجانب الوظيفي للعناصر التكوينية عاكسة للقيم الجمالية والتعبيرية لأبرز الخصائص البصريو والجمالية المستخدمة في عمارة المتحف

الدراسات السابقة :

بعد الاطلاع على الرسائل الجامعية والتي تعنى بموضوع البحث ، تستعرض الباحثة أهم الدراسات :

أولاً : رساله ماجستير بعنوان اعادة تأهيل الفضاءات الداخلية للأبنيه التراثية في العراق مقدمة الى قسم الهندسة المعمارية في جامعة بغداد ، تقدمت بها الطالبة نشوى عبد العزيز عبد الرحمن النجار (٢٠٠٩م)

تطرقت الدراسة الى ثلاثة جوانب رئيسية ، هي عملية إعادة تأهيل الفضاءات الداخلية في الأبنية التراثية وقد اعتمدت في طرح مشكلة إعادة تأهيل الفضاءات الداخلية للأبنية التراثية على جانبين رئيسين ، الجانب **الأول**: أهمية المباني التراثية بما تحويه من قيم معنوية ومكانية وزمانية والجانب الثاني : الأهمية الوظيفية وطبيعة ونوع الاختلاف بين وظيفة المبنى القديم والوظيفة الجديدة وما يرافقهما من تغييرات في الفضاءات الداخلية الضرورية للحياة العصرية، و هدف البحث إلى طرح صيغ وأساليب ممكنة لإعادة تأهيل الفضاءات الداخلية للأبنية بشكل عام وللأبنية التراثية بشكل خاص بما ينسجم مع المتطلبات المعاصرة، ويضمن الحفاظ على

قيمتها التراثية والمعمارية، ويقوم على توفير النظم الهندسية الملائمة وفق الأسس الجمالية والوظائف المطروحة خلال إعادة التأهيل.

أهم النتائج التي توصلت اليها الباحثة :

١. إن نجاح عملية إعادة التأهيل يعود لشخصية المصمم ونوع الأفكار الموظفة بالإضافة إلى جودة التقنيات الموظفة في المبنى.

٢. أن فعالية إعادة التأهيل لا يمكن وضعها بمواصفات رقمية، لأنها تمثل فكرا تصميميا معماريا وداخليا خالصا، تعود به الأفكار وحتى المدرج منها ضمن مؤشرات التطبيق للمصمم والمفاهيم التصميمية.

ثانياً : رساله بعنوان (الفضاءات الداخلية لقاعات العرض في متاحف مدينه بغداد) مقدمة الى مجلس كلية الفنون الجميلة قسم التصميم الداخلي في جامعة بغداد ، وتقدمت بها الطالبة اسيل عبد السلام عبد الرحمن عياش النعيمي (١٩٩٩م).

بحثت الدراسة في موضوع المتاحف الموجودة في مدينه بغداد من خلال محورين أحدهما نظري والآخر تحليلي، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على متطلبات الفضاءات الداخلية العرض من حيث المواصفات الفضائية وعناصر التصميم الداخلي من ضوء وخامات وحركه ولون وعناصر مكملة وكذلك واقع فضاءات العرض من حيث التصميم الداخلي.

أهم النتائج التي توصلت اليها الباحثة :

١. أن جميع المتاحف لم تخصص من البداية لتكون متحفا اذ لم تتوفر فيها الشروط المتحفية من التصميم المعماري والتصميم الداخلي ماعدا متحف التاريخ الطبيعي.

٢. أغلب المتاحف خالية من فضاءات العرض المؤقت ماعدا المتحف الوطني للفن حيث تم تخصيص الطابق الأرضي للعرض المؤقت.

٣. تم الاعتماد على الذوق الشخصي لمدير المتحف أو المسؤولين فيه في تصميم فضاءات العرض مما ولد ضعفا في التصميم الداخلي فلا يحقق نتائج ايجابية ما عدا متحف التاريخ الطبيعي إذ تم اعتماد مصمم في تصميمه .

٤. أظهرت النتائج النهائية فيما يخص الفضاءات الهندسية بأنها لم يتم الاهتمام بتوفيرها في المتاحف من كافتيريا، ومكتبه و ورش صيانه، وقاعة للمحاضرات التي تعد من الفضاءات المكملة لفضاءات العرض.

المبحث الثالث: نتائج البحث والتوصيات

أولاً: نتائج البحث

١. إن المتحف البغدادي هو توثيق لهوية وشخصية البيت البغدادي و مركز مرجعي و ثقافي و تراثي مهم، لما للبيت البغدادي من خصائص و قيم عمرانية و اجتماعية و اقتصادية.

٢. إن استخدام التصميم الداخلي للمتحف البغدادي بالصيغة المنشأ بها هو تعريف وافي للتراث البغدادي ؛ من حيث عمارته، وأزيائه و مهنه و مقتنياته، و عاداته و تقاليده مما يسهل التعرف على الهوية التراثية والشعبية و المهنية المتميزة للمجتمع البغدادي القديم.

٣. التصميم الداخلي للمتحف البغدادي هو امتداد لأصالة الفن الاسلامي بكافة مدلولاته الفكرية والفنية.

٤. إن الاختيار الموفق للعناصر الجمالية و الانشائية المقتبسة من البيت البغدادي وظهور علاقة عناصر

التصميم الداخلي للبيت البغدادي مع تقسيم الفضاءات في المتحف البغدادي بشكل متناسب و منسجم مع المشاهد المعروضة فأعطت لها قيمة جمالية خاصة مع المحافظة على العناصر الفنية للمبنى.

٥. إن توظيف العناصر التصميمية الانشائية والعناصر الجمالية في البيت البغدادي في التصميم الداخلي للمتحف البغدادي من خلال استخدامها بشكل وظيفي او جمالي لاستيعاب كافة العناصر و شمولها ضمن التصميم الداخلي و التناسق المميز و التناغم في استخدام مزيج العناصر ذات البعد الوظيفي و الجمالي في بناية المتحف البغدادي بشكل اخاذ يجذب المشاهد.

٦. تميز التصميم الداخلي للمتحف بطابع تشكيلي من حيث الخامات والزخارف لما لها من قيمة بصرية، ووظيفية ونفسية مستوحاة من الاستخدام التقليدي و التراثي للون و الخامات في البيت البغدادي.

ثانياً: توصيات البحث

١. دراسة و تطوير عنصر الإضاءة في التصميم الداخلي للمتحف البغدادي حيث أن الإضاءة الحالية لم تراع فيها القوانين الخاصة بها بشكل عام.

٢. دراسة إعادة بعض جوانب التصميم الداخلي للمتحف البغدادي ؛ مثلاً استخدام التقنيات الحديثة في اظهار العناصر الفنية كأسلوب حديث في عرض الصور التراثية بشكل رقمي متطور، وكذلك تطوير أرشفة المكتبة الملحقة بالمتحف و المكاتب الادارية باستخدام التقنيات الحديثة.

٣. دراسة إمكانية الاستغناء عن الدليل الارشادي في المتحف البغدادي في تحديد خطة سير الزائر والتعريف بالمشاهد التراثية و التقليدية المعروضة في المتحف البغدادي مثل اللوحات التعريفية الالكترونية.

٤. استخدام الطرق الحديثة في حماية المعروضات وخاصة المشاهد التمثيلية للمحافظة عليها من العبث.

ثالثاً: المقترحات

تقترح الباحثة مايلي :

١.اجراء دراسة تتناول الاثر الجمالي والفلكلوري لاشكال الدمى وعلاقتها بالتصميم العام للمتحف العراقي

٢.اجراء دراسة مقارنه بين المتحف العراقي ومتحف الشارقة للدراسة الاسلاميه

الهوامش:

(١) النجار، جميل موسى (١٩٩١): الادارة العثمانية في ولاية بغداد– مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ص١٥٧.

(٢) النجار، جميل موسى، المصدر السابق، ص١٥٨.

(٣)https://www.wikipedia.org

(٤) الأرسي : هو نوع من الغرف الواسعة ذات الواجهات الخشبية الجميلة المطلة على فناء البيت والمزخرفة وداخلها زجاج ملون تستخدم الاستقبال الضيوف وتكون من ٣ جدار من الأجر والرابع الواجهة الخشبية.

(٥)الطارمة : المسافات الخارجية أو الداخلية البارزة أو الجزء المسقوف من البيت وفي الغالب تكون في المداخل أو الحواش.

(٦)الطلار : حجرة مغلقة بثلاث دران لكنها مفتوحة على الطامة بضلع فيه أعمدة ويتم الدخول لها غير الضلع ذو الأعمدة .

(٧)الحيدري على (٢٠٠٨) : البيت البغدادي – العراق ، بغداد ، دار المدى للثقافة والنشر، ص ٧٢، ١٥.

(٨) ابو شيخة، ياسمين نزية وعدلي محمد عبد الهادي (٢٠١١): نظريات علم الجمال–الاردن، عمان، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ص ٩٠، ط١.

(٩) ابو شيخة، ياسمين نزية وعدلي عبد الهادي، مصدر سابق، ص٨٨.

(١٠)ابو شيخة، ياسمين نزية وعدلي عبد الهادي، مصدر سابق، ص٧٥.

(١١) امام، علاء الدين كاظم، (٢٠١٤)، بنية الشكل الجمالي في التصميم الداخلي، الاردن، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ص٥٩.

(١٢) الامام، علاء الدين كاظم، المصدر السابق، ص٦.

(١٣) الامام، علاء الدين كاظم، المصدر السابق، ص٦.

(١٤) عبود الكرخي: شاعر شعبي عراقي نظم الشعر اللهجة العراقية حيث عبر بشعرة ، مرارة الواقع وتقلبات السياسة حب وتفاعل العراقيين وما زال البعض من قصائده خالدة مثل المجرشة.

(١٥) الزعفراني، عباس محمد (١٩٩): العمارة الشمسية السالبة في المناطق الحارة– مصر، القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة.

(١٦) هلال، زينب عبد الله (٢٠١٣): اضواء على تفاصيل العمارة التراثية ومصطلحاتها– العراق، بغداد، دار الجواهري، ط١.

(١٧) الحيدري، علي (٢٠٠٨): البيت البغدادي– العراق، بغداد، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ص ١١٣.

(١٨) غالب، عبد الرحيم (١٩٨٨): موسوعة العمارة الاسلامية– لبنان، بيروت، ص٣٦٣.

المصادر:

- أبادي للفيروز (١٤٢٦) :القاموس المحيط , ط ٨ ,تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة مؤسسة الرسالة , بيروت .
- أبن منظور, جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ب.ت) : لسان العرب , طبعه مصوره عن طبعة بولاق , ج١٣, القاهره .
- ابو شيخة، ياسمين نزية وعدلي محمد عبد الهادي (٢٠١١): نظريات علم الجمال– ط١ مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع . عمان , الاردن .
- امام، علاء الدين كاظم، (٢٠١٤)، بنية الشكل الجمالي في التصميم الداخلي، الاردن، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١.
- الحمودي , مأمون (٢٠٠٠) : المنجد في اللغة والاعلام , طبعه جديده منقحه ط٨ , دار المشرق , بيروت .
- الحيدري على (٢٠٠٨) : البيت البغدادي – العراق ، بغداد ، دار المدى للثقافة والنشر.
- الحيدري، علي (٢٠٠٨): البيت البغدادي– ط١ , دار المؤمون للثقافة والنشر , بغداد , العراق .
- ريد , هربرت (١٩٨٦) : معنى الفن , ترجمة :سامي خشبة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر
- الزعفراني، عباس محمد (١٩٩): العمارة الشمسية السالبة في المناطق الحارة– مصر، القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة.
- شلق , علي (١٩٨٢) الفن والجمال , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع , القاهره
- غالب، عبد الرحيم (١٩٨٨): موسوعة العمارة الاسلامية– بيروت , لبنان .
- النجار، جميل موسى (١٩٩١): الادارة العثمانية في ولاية بغداد– مكتبة مدبولي ، القاهرة. مصر
- مصطفى الابراهيم واحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار (ب.ت) المعجم الوسيط , تحقيق : مجمع اللغة العربية , ار الدعوة.
- هلال، زينب عبد الله (٢٠١٣): اضواء على تفاصيل العمارة التراثية ومصطلحاتها– ط ١ , دار الجواهري , بغداد , العراق.



اتجاهات النقد التفسيري عند الشريف المرتضى

م.م. بيادر ادور مهدي كاظم
المديرية العامة للتربية في النجف الأشرف

المستخلص:

اتسم منهج الشريف المرتضى في النقد التفسيري بالاعتماد على العقل والمنطق إلى جانب النقل، حيث كان يؤمن بأهمية العقل كوسيلة لفهم النصوص القرآنية وتفسيرها تفسيرًا منطقيًا متسقًا مع أصول العقيدة الإسلامية. وقد اتجه إلى تفسير الآيات بناءً على المعاني الظاهرة للنصوص، مع مراعاة السياق القرآني واللغة العربية، إلا إذا وُجد دليل عقلي أو نقلي يدعو إلى التأويل. وقد أولى اهتمامًا كبيرًا بالجانب اللغوي والبلاغي للنصوص، معتبرًا أن فهم دلالة الألفاظ وأساليب البيان من أساسيات الوصول إلى المعنى الصحيح. كما كان الشريف المرتضى ناقدًا حذرًا للتأويلات المجازية المفرطة التي تعتمد على فرضيات غير مدعومة بدليل قاطع، حيث رفض التفسيرات التي تتجاوز حدود المعنى الظاهر دون وجود مبرر قوي يستند إلى العقل أو النقل ومن أبرز توجهاته أيضًا نقده لتفسيرات المفسرين الذين خالفوا أصول العقل أو تناقضت آراؤهم مع النصوص الصريحة والواضحة، حيث كان يؤمن بأن التفسير يجب أن يكون متماشيًا مع المبادئ العقلية التي يقرها المنطق السليم. إضافة إلى ذلك، شدد الشريف المرتضى على أهمية تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الصفات التي لا تليق بجلاله وكماله، فكان يرفض أي تفسير يُنسب إلى الله صفات التجسيم أو التشبيه، معتبرًا أن ذلك يخالف عقيدة التوحيد الخالص وقد اعتمد أيضًا على منهج نقدي دقيق في تقييم الروايات والأقوال المنقولة عن الصحابة والتابعين، حيث كان يدقق في صحة الأسانيد ومضمون الروايات بما ينسجم مع العقل والمنطق، مما يعكس منهجًا نقديًا متوازنًا بين العقل والنقل. وتجلت هذه الاتجاهات في تفسيراته القرآنية التي اتسمت بالتحليل العميق والدقة في تناول المعاني، مما جعله من أبرز أعلام التفسير العقلي في المدرسة الإمامية.

الكلمات المفتاحية : الشريف المرتضى، النقد التفسيري، اتجاهات.

Abstract:

Al-Sharif al-Murtada›s approach to interpretive criticism was characterized by its reliance on reason and logic, alongside religious tradition. He believed in the importance of reason as a means of understanding Quranic texts and interpreting them logically, consistent with the fundamentals of Islamic doctrine. He tended to interpret verses based on the apparent meanings of the texts, taking into account the Quranic context and the Arabic language, unless there was rational or religious evidence calling for interpretation. He paid great attention to the linguistic and rhetorical aspects of the texts, believing that understanding the connotations of words and rhetorical devices were essential for arriving at the correct meaning. Al-Sharif al-Murtada was also a cautious critic of excessive metaphorical interpretations based on assumptions unsupported by conclusive evidence, rejecting interpretations that went beyond the apparent meaning without a strong justification based on reason or religious tradition. Another prominent trend was his criticism of the interpretations of commentators who violat-

ed the principles of reason or whose views contradicted clear and explicit texts, believing that interpretation must be consistent with rational principles established by sound logic. In addition, Al-Sharif Al-Murtada emphasized the importance of absolving God Almighty of attributes that are inconsistent with His majesty and perfection. He rejected any interpretation that attributed to God attributes of anthropomorphism or likeness, considering this to be contrary to the doctrine of pure monotheism. He also relied on a meticulous critical approach to evaluating the narratives and sayings transmitted from the Companions and Followers, scrutinizing the authenticity of the chains of transmission and the content of the narratives in accordance with reason and logic, reflecting a balanced critical approach between reason and tradition. These trends were evident in his Quranic interpretations, which were characterized by profound analysis and precision in their interpretation of meanings, making him one of the most prominent figures in rational interpretation in the Imami school.

Keywords:Al-SharifAl,Murtada,InterpretiveCriticism- Trends

المقدمة:

يُعدّ الشريف المرتضى (٣٥٥هـ – ٤٣٦هـ) من أبرز أعلام الفكر الإسلامي في العصر العباسي، ومن كبار علماء الشيعة الإمامية كان له إسهام واسع في مجالات متعددة، من أبرزها علم الكلام، وأصول الفقه، والأدب، بالإضافة إلى التفسير القرآني، حيث قدّم اجتهادات مهمة تمثّل منهجًا نقديًا متفردًا في فهم النصوص القرآنية.

لقد تميز منهج الشريف المرتضى في التفسير بالنقد العقلي والتحليل المنطقي، حيث اعتمد على أدوات متعددة مثل اللغة، والعقل، والرواية، لكنه كان ناقدًا للأقوال التي لا تتفق مع الأسس العقلية أو القواعد اللغوية وقد كان حريصًا على تنقية التفسير من الإسرائيليات والمرويات غير الموثوقة، مع إظهار موقف نقدي تجاه بعض آراء المفسرين السابقين.

وتكمن أهمية دراسة اتجاهات النقد التفسيري عند الشريف المرتضى في الوقوف على ملامح منهجه التفسيري، وفهم كيفية تفاعله مع النصوص القرآنية، إلى جانب إبراز إسهاماته في إثراء الفكر التفسيري وتطوير أدواته النقدية. ويسعى هذا البحث إلى تحليل هذه الاتجاهات وتوضيح أسسها، مع بيان أثرها في الفكر الإسلامي عامة، والفكر الشيعي خاصة.

وقد اتسم هذا البحث على أربعة مباحث.

المبحث الأول : التعريف بالشريف المرتضى وفيه:

أولاً:نبذة مختصرة عن حياة الشريف المرتضى ونشأته العلمية عند الشيعة

الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٥هـ – ٤٣٦هـ)، هو علي بن الحسين بن

موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) المولود سنة(٣٥٥ هـ) والمعروف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى والمكنى بأبي القاسم وهو الأخ الأصغر للسيد الرضي(١). هو من كبار أعلام الشيعة الإمامية، ومن أبرز فقهائهم ومتكلميهم في القرن الخامس الهجري وُلِد في بغداد في أسرة علمية شريفة تنتسب إلى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، ولهذا حمل لقب «الشريف».يقول النجاشي: مات لخمسٍ بَقَيْنَ من شهر ربيع الأول سنة (٤٣٦ هـ) وصلّى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتولّيتُ غسله ومعي الشريف أبو يعلي محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز قيل ونُقل جثمانه بعد ذلك من بغداد إلى كربلاء ليُدفن بالقرب من مرقد الإمام الحسين (عليه السلام)، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن ميثم (المتوفى ٦٧٩ هـ). إذ يقول في شرحه لنهج البلاغة: دفن السيد الرضي مع أخيه المرتضى إلى جوار جده الحسين(عليه السلام) (٢)، وكان أخوه هو الشريف الرضي، جامع كتاب «نهج البلاغة».

نشأ المرتضى في بيئة علمية غنية، حيث تلقى تعليمه على يد كبار علماء الشيعة:

ثانياً: من أبرز أساتذته:

لقد دَرَس هو وأخوه الشريف الرضي اللّغة والمبادئ عند ابن نباتة السعدي والفقه والأصول لدى الشيخ المفيد وتتلمذ على يد أبي عبد الله المرزباني في الشعر والأدب ويروي عنه أكثر رواياته في كتاب الأمالي ويروي كذلك فيه عن أبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقّاق ، وأبي الحسن علي بن محمد الكاتب .وله أساتذة وشيوخ آخرون في الحديث والفقه والعلوم الأخرى نذكر بعضهم(٣). أبو علي الفارسي: وهو أحد كبار علماء النحو واللغة.

تأثر كذلك بالمدارس الكلامية المعتزلية، مما جعل منه مفكرًا يمزج بين الفقه والكلام والتفسير بأسلوب عقلاني نقديويقوم منهجه في الأصول على الدليل العقلي ومن هنا لا يختلف مع الأشاعرة فقط وإنّما مع أهل الظاهر من الإمامية ولم يعمل في الفقه بخبر الواحد وكان يستفيد في استنباط الأحكام من الأدلة الأصولية اللفظية والعقلية وهذا ما يميزه عن المحَدِّثين والأخباريين من الإمامية (٤)، وبعد وفاة الشيخ المفيد، تولى الشريف المرتضى زعامة الطائفة الإمامية، وكان له دور مهم في نشر العلوم الإسلامية وتخريج كبار العلماء، مثل الشيخ الطوسي، الذي أصبح من أبرز أعلام الشيعة فيما بعد.

ثالثاً: أبرز مؤلفات الشريف المرتضى في التفسير وعلوم القرآن:

رغم أن الشريف المرتضى لم يترك تفسيرًا كاملاً للقرآن، إلا أن مؤلفاته مليئة بالآراء التفسيرية المهمة، خصوصًا في الدفاع عن العقائد الإمامية وتوضيح المفاهيم القرآنية من منظور عقلاني. ومن أبرز مؤلفاته:

١ . أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) :يحتوي على دروس ومحاضرات ألقاها في تفسير بعض الآيات القرآنية، وبيان العقائد الإسلامية وفق رؤية الإمامية، إضافة إلى مناقشات كلامية وردود على المخالفين وترجع أهمية هذا البحث الى كون الشخصية التي يتناولها، شخصية مفكر ومجتهد مسلم وعالم ومصلح كبير، وتبرز أهمية هذا البحث أيضاً في كون هذه الدراسة أول دراسة متخصصة في التفسير تتناول دراسة الآراء التفسيرية مقارنة مع آراء المفسرين، على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت حياة المؤلف وفكره (٥).

٢ . الذخيرة في علم الكلام :يضم هذا الكتاب أبحاثًا كلامية مهمة تتعلق بالعقيدة، وتفسيرًا لبعض الآيات المرتبطة بمسائل التوحيد، والعدل الإلهي، وصفات الله، بما ينسجم مع أصول المذهب الشيعي.

٣. الانتصار: كتاب في الفقه يتضمن ما انفرد به الإمامية من أحكام قطعا أو ظنا. ويشتمل على ٣١٩ مسألة فقهية ويعتبر أقدم كتاب فقهي شيعي يتعرض إلى المسائل الخلافية. كما أنّه بنى فقه الإمامية على أساس محكم وحجج قوية. وقد اتّبع الفقهاء من بعده كالشيخ الطوسي والعلامة الحلّي وغيرهم هذا الأسلوب. لقد ألف السيد المرتضى هذا الكتاب بعد سنة ٤٢٠ هـ(٦).

٤. الشافي في الإمامة :من أهم كتبه الكلامية، حيث يناقش قضية الإمامة ويعتمد على أدلة قرآنية وعقلية لإثبات أحقية الأئمة من آل البيت (عليهم السلام)، وانقاذ البشر من الجبر والقدر: وهي رسالة صغيرة في الكلام درس فيها السيد مسألة القضاء والقدر بأسلوب خطابي بليغ ويذكر آيات كثيرة من القرآن في مقام الاستدلال لإثبات وجهة نظره (٧).

٥. الناصريات: يتضمن هذاالكتاب ٢٠٧ مسألة فقهية وعقائدية وقد كتبه السيد المرتضى كشرح ونقد وتسديد فقه جده حسن الأطروش صاحب الديلم وطبرستان (٨). أسهمت هذه المؤلفات في إثراء الفكر التفسيري عند الشيعة، حيث جمع الشريف المرتضى بين التفسير النقلي والعقلي، واهتم بتنقية التفسير من الروايات غير الموثوقة والإسرائيليات، مما رسخ منهجًا نقديًا واضحًا في تفسير القرآن الكريم ويقول النجاشي: حاز من العلوم ما لم يُدَانه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر وكان متكلماً شاعراً أديباً عظيمَ المنزلة في العلم والدين والدنيا (٩).

المبحث الثاني : منهجه في التفسير

منهج الشريف المرتضى اللغوي والنحوي في تفسير القرآن.

كان للشريف المرتضى اهتمام بالغ باللغة العربية وعلومها، وقد اعتمد في تفسيره للقرآن الكريم على قواعد النحو والصرف والبلاغة لفهم معاني النصوص القرآنية بدقة وقد تأثر في هذا الجانب بأستاذه أبي علي الفارسي، أحد كبار علماء النحو في عصره والتحليل:((ردّ الشئ إلى عناصره الأساسية (الأولية) أي ردّه إلى أصله)(١٠)، وذلك يدل على أن المنهج التحليلي يقوم بتفكيك النص وإعادة موضوعاته إلى عناصره الأساسية التي تكون ذلك النص واعتمد المرتضى على التحليل اللغوي لتوضيح دلالات الألفاظ القرآنية، وتفسير الآيات بناءً على معاني الكلمات وسياقها.

كان يولي أهمية كبيرة للإعراب النحوي، معتبرًا أن اختلاف الإعراب يمكن أن يغيّر المعنى بشكل جذري، لذا كان يفسر الآيات بناءً على قراءة دقيقة للغة مدحه لأبي العباس المهدوي (ت – ٤٤٠هـ): عندما ذكر منهجه الذي سار عليه أكد أن من ضمن منهجه قصد ((تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر كما في كتب المفسرين ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع المهدوي رحمه الله مفرق للنظر مشعب للفكر...)) (١١)، فإنك تجده قد مدح المهدوي من خلال تفسيره.

رفض الاعتماد على التفسير بالذوق أو الظن، وأكد على ضرورة الاعتماد على قواعد اللغة الصحيحة لفهم النصوص بدقة اعتبر أن الفهم الصحيح للغة هو أساس لمعرفة مراد الله تعالى من الآيات، خاصة في المسائل العقائدية والفقهية واعتماد الشريف المرتضى على العقل والمنطق في فهم النصوص إن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو العقل، ولا يجوز أن يكون السمع، لأن السمع لا يكون دليلا على الشئ إلا بعد معرفة الله وحكمته، وأنه لا يفعل القبيح ولا يصدق الكذابين، فكيف يدل السمع على المعرفة(١٢).

كان الشريف المرتضى من العلماء الذين قدموا العقل كأداة رئيسية لفهم النصوص القرآنية، خاصة في القضايا العقائدية والفكرية، وقد تأثر بمنهج المعتزلة في اعتماده على العقل والمنطق رأى أن العقل هو الحاكم الأول في فهم النصوص، وأن كل نص يخالف العقل لا بد من تأويله أو فهمه بطريقة تتوافق مع الأحكام العقلية فهو على ما فيه من شمولية أدبية وفنون العلوم إلا ان الجانب التفسيري لآيات الكتاب العزيز يكاد (يطغى على ما في كتاب الأمالي من موضوعات، حتى إن القارئ ليعتقد أن الغرض الأساس منه هو تفسير عدد كبير من الآيات) (١٣).

كان يؤكد أن القرآن لا يتناقض مع العقل، وأن الشبهات التي قد تظهر في بعض الآيات يمكن حلها من خلال النظر العقلي المتأمل.

استخدم المنهج العقلي لتفسير الآيات المتعلقة بصفات الله، مثل تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم، وفسر الصفات الإلهية بمعانٍ تليق بعظمة الله تعالى.

كان يرفض التفسير الحرفي أو الظاهري الذي يؤدي إلى نتائج مخالفة للعقل، ويؤكد على ضرورة التفسير العقلي المنطقي الذي يتماشى مع أصول العقيدة.

موقف الشريف المرتضى من الروايات والأحاديث في التفسير:

كان الشريف المرتضى ناقدًا صارمًا للأحاديث والروايات الواردة في تفسير القرآن، خاصة تلك التي تخالف العقل أو لا تنسجم مع أصول المذهب الإمامي.

رفض الروايات الضعيفة أو غير الموثوقة، وأكد على ضرورة التحقق من صحة السند والمتن قبل اعتماد الحديث في التفسير. وكما هو مقيد في عنوانه المنهج المقارن والذي مؤداه: الطريقة التي يتبعها الباحث في الموازنة بين الأشياء أو هو مقابلة الأحداث والآراء بعضها ببعض لكشف ما بينها من وجوه شبه أو علاقة (١٤).

كان ينقد الروايات الإسرائيلية التي دخلت إلى كتب التفسير، ويعتبرها من أسباب الانحراف في فهم النصوص القرآنية الإسلامي بتدوينها وجمعها وتبويبها ، إذ تعتبر السنّة عاملاً أساسيا لفهم وإدراك التشريع الإسلامي بصورة عامّة . ولهذا سعى جهابذة من الأعلام لوضع منهج دقيق وواسع الأطراف لفهم النصّ الدّيني بعيدا عن التحيزات والموضوعات والإسرائيليات الّتي تشوّه صفاء النصّ الدّيني .وكان هذا العلم لم تتضح معالمه في الوقت المتقدّم ، بل هو من انتاجات العصور المتأخّرة الّذي أضاف الصفات المنهجية والعلمية على التوجيه العام للمسيرة المعرفية (١٥).

اعتمد في تفسيره على الروايات المروية عن أهل البيت (عليهم السلام)، معتبرًا أن أقوالهم هي الأوثق والأدق في فهم معاني القرآن.

رأى أن الأحاديث التي تخالف العقل أو تعارض صريح القرآن لا يُعمل بها، وضرورة تأويلها أو رفضها عند تعارضها مع النصوص المحكمة.

وبهذا المنهج، رسّخ الشريف المرتضى رؤية نقدية عقلية في تفسير القرآن، قائمة على التحليل اللغوي والمنطقي، والتمحيص الدقيق للروايات، وهو ما أسهم في تأسيس مدرسة تفسيرية عقلانية داخل الفكر الشيعي. قال الشيخ ابو جعفر الطوسي : ولا يجوز لأحد أن يقلد أحداً منهم (المفسرين القدامى والمتأخرين) بل ينبغي أن يرجع الى الأدلة الصحيحة ، إما العقلية أو الشرعية ، من إجماع أو نقل متواتر عمن يجب اتباع قوله ، ولا يقبل في ذلك خبر واحد ، خاصة إذا كان [المجال] مما طريقته العلم . ومتى كان التأويل يحتاج الى شاهد من اللغة ، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة شائعاً بينهم . وأما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة والألفاظ النادرة ، فإنه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهداً على كتاب الله ، وينبغي أن يتوقف فيه (١٦).

المبحث الثالث : اتجاهاته النقدية وفيه.

أولا: انتقادته في التفسير

كان الشريف المرتضى ناقدًا جريئًا لآراء المفسرين السابقين، خاصة أولئك الذين اعتمدوا على الروايات غير الموثوقة أو التفاسير الظاهرية التي تخالف العقل والمنطق. وعدم معرفة واضحة لأحد طرفي التضادّ والنزاع ، وهنا لابدَّ على رأيه من الاحتفاظ بظاهر الأدلّة ولا نستسلم لطرحها ، إذا كان لها محمل صحيح ووجه جمع يمكن من خلاله تصحيح الواقع ورفع التناقض.

في قوله تعالى: (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)(١٧)، وقوله تعالى: (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)(١٨). من المعلوم ان لكل نبي مرسل آية مُسدد بها من السماء تكون معجزة له وحجة على قومه، فهي بهذا ظاهرة تعددت وتنوعت وجوهها في حياة الأنبياء : لتكون دليلاً

قاطعاً على صدق دعواهم، وهي بهذا المعنى تكون وظيفتها خاصة بمن له مهام متعلقة بمنصب إلهي، وقد عُرفت بتعريفات كثيرة من لدُن القدماء والمحدثين من المفسرين نختار منها تعريف الآلوسي من القدماء بما ينسجم وعنوان هذا المطلب، فقد عرفها الشيخ الالوسي: بانها (الأمر الخارق للعادة يظهر على من يدعي النبوة عند التحدي) (١٨).

وهذا المعنى ذاته نلحظه عند السيد المرتضى إذ اشار الى ارتباط المعجزة بالمنصب الإلهي، وإنها وظيفة داعية الى الله سبحانه بعد ان يُعلم ان مدعيها مرتبط بالسماء، فيقول الشريف المرتضى: (وكان لا سبيل الى العلم بكونه رسولاً إلا من جهة المعجز وجبت بعثةُ الرسول وتحميلُه ما فيه مصلحتُنا من الشرائع، وإظهار المعجز على يده لتعلُّق هذه الأمور بعضها ببعض) (٢٠).

وبهذا يكون الشريف المرتضى قد حدد وظائف المعجزة، وانها مما يُستدل بها على معرفة الرسول، ومن ثم يتحقق الإيمان الذي يحمل متبعي الرسول على العمل بالتكاليف الشرعية والالتزام بتعاليم السماء التي فيها مصالحنا في الدنيا والآخرة، فيكون الشريف المرتضى سابقاً في إيجاد معنى المعجزة والحاجة منها بالنسبة لمدعي النبوة الرسول الذي يعزز موقفه الإلهي وتسديده من السماء، وانعكاس هذا التسديد على ترسيخ الإيمان عند المؤمنين به وعامل دفع للناس عامة نحو الإيمان.

وقد أورد القرآن المجيد قصصاً تخبر عن المعجزات التي جاءت مصدقة لرسل الله المتقدمين، ومن هؤلاء الانبياء الكرام نبي الله موسى (عليه السلام)، وفي معجزات عدة كان منها قلب العصا الى حيّة، وفي هذا الانقلاب دلالتان (٢١)، فهذا المنهج العقلي هو الأساس في فهم النصّ الدّيني ، وهذا استمدّ شرعيته من كونه علما وموجبا لليقين وإرجاع نقد الحديث وعرضه على العقل ، ويكون العقل من الأدلّة القاطعة فإذا دلّ على أمر وجب إثباته والقطع عليه ، وألاّ يرجع عنه بخبر محتمل ، ولا بقول معترض للتأويل ، بل هو صرّح في مواضع متعددة ـ أنّ الأخبار يجب أن تبنى على أدلّة العقول ، ولا تقبل في خلاف ما تقتضيه أدلّة العقول ، فما ورد بخلاف ذلك من الأخبار لا يلتفت إليه ويقطع على كذبه إن كان لا يحتمل تأويلاً صحيحا لائقا بأدلّة العقول ، فإن احتمل تأويلاً يطابقها تأوّل ووافق بينه وبينها. ويتوّج الشريف المرتضى قدس سره هذا المنهج بقوله : «وبصحّة هذه الطريقة يرجع عن ظواهر آيات القرآن الكريم الّتي تتضمّن إجبارا أو تشبيها». وعن طريق هذا المنهج ينفتح على مناهج أُخرى ، تكون روافد لهذا المنهج الدقيق ، فهو يعتبر الحقيقة مقدّمة على المجاز ، ولذلك يحاول مهما أمكن ألاّ يبتعد عن الحقيقة خصوصا في القرآن الكريم الّذي نزل على الحقيقة دون المجاز (٢٢).

ثانياً: نقد المفسرين للفرق:

شغل هذا الموضوع مساحة واسعة في أغلب المقدمات منها ما جاء في مقدمة تفسير القمي(ت – ٣٢٩هـ), فبعد أن بيّن أن القرآن الكريم فيه بيان لكل شئ, وأن الله قد أمر نبيه ببيان ما في القرآن، وأن أهل البيت (عليهم السلام) هم عِدْلُ القرآن الذين أُمرنا بطاعتهم وسؤالهم عند الحاجة للمعرفة, تحدث عن أقسام القرآن وما يحويه من علوم وخصائص وردود, وهذه الردود منها ما يخص المسلمين, ومنها ما يخص غير المسلمين(٢٣)، وبما ان القرآن فيه كل شئ, لذلك استشهدَ القمي لكل منهج منحرف او عقيدة باطلة برد من القرآن الكريم الذي فيه رد على كل إنحراف حيث قال: ((منه رد على الزنادقة (٢٤) ، ومنه رد على الثنوية, ومنه رد على الجهمية، ومنه رد على الدهرية...)) (٢٥)، ففي هذا الموضع المتقدم من مقدمته بين أن في القرآن ردٌ على كل تلك الانحرافات، وذكر بعد ذلك ردودها من القرآن الكريم. بوصفه أصلاً نقدياً يعتمده في نقد الأباطيل (٢٦)، ومن الفرق التي قام بذمها القرطبي (ت– ٦٧١هـ) هي فرقة الخوارج (٢٧) والروافض(٢٨) – بزعمه – من ((أنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان

الكتاب)) (٢٩)، واستمر القرطبي في نقده للفرق الإسلامية ومنهم اتباع مذهب أهل البيت, الذين انتقدهم باسلوب لا يليق بعالم مسلم مفسر بمستواه الذي يعتمد على آرائه كثير من المسلمين فهو لم يكتفِ بردهم بل تعدى عليهم بقوله (قبحهم الله تعالى) على رأي إذا صح لا يستحق ماذهب إليه, وذلك لقولهم في قضية جمع القرآن إن الواحد يكفي في نقل الآية والحرف؛ لأن العامة قد اثبتوا بقول رجل واحد – وهو خزيمة (ت – ٣٧هـ) بن ثابت وحده – آخر براءة فقال القرطبي: بأن ذلك طعن لأن تلك الآيات ثبتت بالإجماع لأنها عندما جاء بها خزيمة تذكرها كثير من الصحابة ومِمّا هو معروف أساساً أن اتباع أهل البيت لا يقولون إن القرآن قد جمع بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله), بل إنه مجموع على عهده, وأكد ذلك كثير من علماء الإمامية منهم الطبرسي (ت– ٥٤٨هـ) الذي قال: ((أن القرآن كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) مجموعاً مؤلفاً على ما هو الآن))(٣٠)، وهو رأي السيد المرتضى (ت – ٤٣٦هـ) الذي نقله الطبرسي (ت – ٥٤٨هـ) عنه من جواب المسائل الطرابلسيات, الذي أكد أيضاً أن القرآن كان يدرس, ويحفظ جميعه في ذلك الزمان ومن الذين نقدهم القرطبي أيضاً هو النظّام (ت – ٢٢١هـ) وبعض القدرية (٣١).حول اعتقادهم بإن إعجاز القرآن. هو بصرف القوم عن معارضته وهو ما ((قاله النظّام وبعض أهل القدرية, أن الإعجاز هو المنع عن معارضته، والصرفة عند التحدي بمثله وأن المنع والصرفة هو المعجزة دون ذات القرآن، وذلك أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله))(٣٢)، وبعد ذكره لقولهم أكد فساده بقوله: لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: أن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً, وذلك خلاف

المبحث الرابع: أثر نقده التفسيري

كان للشريف المرتضى تأثير كبير في المدرسة الكلامية والتفسيرية، حيث أسهمت آراؤه في تطوير المناهج العقلية والمنطقية لفهم القرآن الكريم وتعزيز العقائد الإسلامية وفق رؤية عقلانية صارمة. ويتضح تأثيره في الجوانب التالية:

١. ترسيخ المنهج العقلي في التفسير:

ساهم المرتضى في ترسيخ المنهج العقلي في تفسير القرآن، حيث اعتبر أن العقل هو المرجع الأساسي لفهم النصوص، خاصة في القضايا العقائدية هذا التأكيد على العقل كان له أثر بارز في المدرسة الكلامية، حيث أصبح التفسير العقلي أحد أسس النقاش الكلامي لدى المتكلمين بعده يحظى منهج التفسير العقليّ بمنزلة خاصّة بين مناهج التفسير، وقد اتّخذت المذاهب الكلاميّة (الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة...) بإزاء هذا المنهج مواقف مختلفة، وقد يطلق عليه في بعض الأحيان منهج التفسير الاجتهاديّ، وقد يُذكر كأحد أقسام منهج التفسير بالرأي (٣٣).

٢. تأثيره على المدرسة الإمامية:

أثّرت آراؤه بشكل مباشر في تكوين المدرسة الكلامية الإمامية، حيث أكّد على ضرورة تنزيه الله تعالى وتأويل الصفات الإلهية بما يتناسب مع العقل وقد يُنظر إليه بنظرة مساوية للاتّجاه الفلسفيّ في التفسير (٣٤). ساهم في تطوير أصول الكلام الإمامي، خاصة في مباحث العدل الإلهي والإمامة، حيث اعتمد على منهج تفسيري متكامل يجمع بين النقل والعقل.

٣. نقد الروايات ودقّة التفسير:

ساعد نقده للروايات غير الموثوقة في رفع مستوى التمحيص العلمي لدى المدرسة التفسيرية والكلامية، حيث أصبح معيار صحة الرواية قائمًا على مدى توافقها مع العقل والنصوص المحكمة أرسى قواعد نقدية صارمة في قبول وتفسير الأحاديث، ما جعل المدرسة الإمامية أكثر تمسكًا بالتحقيق العلمي في تفسير الآيات

وقد عمّمه البعض إلى الاستفادة من قوّة الفكر في الجمع بين الآيات والروايات والقرائن اللغوية وغيرها في عملية الاستنباط العقليّ، بهدف توضيح آيات القرآن وفهم مقاصده. وهذا التعميم غير دقيق، لأنّ ما ذُكِرَ هو المنهج الاجتهاديّ الاستنباطيّ، وليس المنهج العقليّ الذي يقع في مقابل المناهج الأخرى (منهج تفسير القرآن بالقرآن/ منهج تفسير القرآن بالسنّة/...)، كما أنّ الاستنباط العقليّ ليس قسيماً لهذه المناهج، بل هو مستخدم في كلّ منها (٣٥).

٤. تأثيره على تلاميذه:

كان لتلاميذه، وعلى رأسهم الشيخ الطوسي، دور كبير في نشر آرائه وتوسيع تأثير منهجه، حيث أصبحت آراؤه أساسًا لكثير من الكتابات التفسيرية والكلامية لاحقًا.

أثر نقده في تطوير الفكر التفسيري الشيعي

لعب نقد الشريف المرتضى دورًا مهمًا في تطوير الفكر التفسيري الشيعي، حيث أحدث نقلة نوعية هذا ساعد في تنويع القراءات التفسيرية وتطويرها بما يتناسب مع التغيرات الفكرية والاجتماعية.

باختصار، كان لنقد الشريف المرتضى دور محوري في تطوير المدرسة التفسيرية والكلامية الشيعية، حيث رسّخ المنهج العقلي والنقدي، وأسهم في بناء فكر تفسيري يقوم على الدقة والتحقيق، مع التزام عميق بأصول العقيدة وأقوال أهل البيت (عليهم السلام). لذلك يعتبر البحث عن الحديث والرواية والمنهج الروائي بحثاً من أجل معرفة الواقع، وبالتالي من أجل صياغته بصورة جديدة تناسب تطوّرات الحياة، وهذا يعني أنّ هذا الكون يحتاج لمعرفة واقعية من خلال فرز الواقعي ونبذ الآخر (٣٦). نعم، واضع أسسه هو الشريف المرتضى (قدس سرّه) في كثير من كتاباته في جميع الحقول الإسلامية، إذ إنّه يعتبر العقل هو الركيزة الأساسية في المنظومة الإلهية، بل هو الحاكم والسيف البتّار في رفع الإبهامات والإشكالات بين الأدلّة بجميع أطرافها (قرآناً وسنّة)؛ لأنّه الدعامة الرئيسة في واقع التشريع الإسلامي، طبعاً أخذ في آلياته الصراحة والوضوح، فإذا احتمل الدليل العقلي الاحتمال والمجاز سقطت حجّيته عن الاعتبار (٣٧).

الخاتمة:

يمكن القول إن الشريف المرتضى كان من أعلام الفكر الإسلامي الذين أسهموا بشكل كبير في تطوير المنهج النقدي التفسيري، حيث جمع في تفسيره بين العقل والنقل، وحرص على تنقية التفاسير من الروايات غير الموثوقة، خاصة الإسرائيليات، مؤكدًا على ضرورة التفسير المبني على اللغة الصحيحة، والمنطق السليم، والنصوص الموثوقة.

لقد تميز منهجه بالاعتماد على العقل كمرجعية أساسية في فهم النصوص القرآنية، مع الحرص على تأويل الآيات التي قد تتعارض ظاهريًا مع أصول العقيدة والعقل السليم. كما شدد على أهمية التحليل اللغوي والنحوي للنصوص، واعتبر أن الفهم العميق للغة هو الطريق لفهم معاني القرآن الكريم.

وقد كان لنقده لآراء المفسرين السابقين، ومنهجه في التعامل مع الروايات، أثرٌ بالغ في تطوير الفكر التفسيري الشيعي، حيث أرسى قواعد منهجية صارمة تعتمد على التحقيق والدقة، مما ساعد في بناء مدرسة تفسيرية عقلانية راسخة.

وفي الختام، فإن إسهامات الشريف المرتضى في التفسير والنقد التفسيري تظل ركنًا أساسيًا في تطور الفكر الإسلامي الشيعي، ومنارة علمية تلهم الباحثين والمفكرين في كيفية التعامل مع النصوص القرآنية بفهم واعٍ، ومنهج علمي رصين.

الهوامش:

(١)آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، قم، اسماعيليان، ص ١٢٠–١٢١

(٢)ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، قم، مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي، ١٣٦٢ هـ ج١، ص٨٩.

(٣)الشريف المرتضي، علي بن الحسين، الانتصار في انفرادات الامامية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥ هـ. ص ٢٤.

(٤)الكرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها، سمت، طهران، ١٣٨٥ هـ. ص ١٤٩–١٤٨.

(٥)انتظار خضير القريشي، منهج التأويل في أمالي المرتضى، ص١٩

(٦)الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص ١٥٩–١٦٠.

(٧)الكرجي، تاريخ فقه وفقها، ص ١٦٢.

(٨)الكرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها، سمت، طهران، ١٣٨٥ هـ، ص ١٦٨

(٩)النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٣٦٥ هـ ص ٢٧٠.

(١٠) أحمد فتح الله – معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٠٠.

(١١)المحرر الوجيز: ٣٤/١.

(١٢)رسائل المرتضى – الشريف المرتضى نشر: دار القرآن الكريم – قم طبع: مطبعة سيد الشهداء – ١٤٠٥ هـ – ج ١ ص ١٢٧

(١٣)عمة رحيم العزاوي (الدكتور)، الجهد اللغوي في أمالي الشريف المرتضى، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، المجلد ٢٢، العدد ٢، ١٩٩٤م.، ص٣٤.

(١٤)ظ: عبد الهادي الفضلي(الدكتور)، أصول البحث، مؤسسة، دار الكتاب الإسلامي، قم، ايران، ص٦٢.

(١٥)تأمّلات في الحديث عند السنّة والشيعة زكريا عباس داوود, دار النخيل للطباعة والنشر لبنان: ص ١٤ .

(١٦)التبيان في تفسير القرآن ، للشيخ الطوسي ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي الطبعة: الأولى ج١ ، ص٧٠٦.

(١٧)سورة الشعراء – الآية ٣٢

(١٨)سورة القصص– الآية ٣١

(١٩)روح المعاني أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي, : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م ٢٨٥/١٦.

(٢٠)أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٣٥هـ , ٣٠٥/١

(٢١)ظ: الطوسي (ت٤٦٠هـ) ابي جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، الاميرة للطباعة، بيروت، ٢٠١٠م ,١٦/٨.

(٢٢)المناهج الروائية عند الشريف المرتضى : الخطاوي وسام الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر ج ١ ص ٦٢

(٢٣) أنظر: تفسير القمي: ١٤/١ – ١٧.

(٢٤) أنظر: الزبيدي – تاج العروس: ٢٠١/١٣.

(٢٥) تفسير القمي: ١٨/١.

(٢٦) انظر: تفسير القمي: ٢٩/١ – ٣٨.

(٢٧) الخوارج: هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى (خارجياً), وإن أول من خرج على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين: الأشعث ابن قيس الكندي، أنظر: الشهرستاني – الملل والنحل: ٩٢.

(٢٨) الرافضة: إنّ كلمة الرفض والرافضة ليستا من خصائص الشيعة، بل هي لغة عامة تستعمل في كلّ جماعة غير خاضعة للحكومة القائمة، وبما أنّ الشيعة منذ تكونها لم تخضع للحكومات القائمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ،

لذلك كان إذا أطلق مصطلح الرافضة, فإنه يدل على الشيعة الإمامية, أنظر: جعفر سبحاني – بحوث في الملل والنحل: ١٢٢/١ – ١٢٣.

(٢٩) الجامع لأحكام القرآن: ٦٦/١.

(٣٠) مجمع البيان: ١٧/١.

(٣١) القدرية: هم من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى, وهي أحد ألقاب المعتزلة, وكان ذمهم متفقاً عليه لقول النبي (صلى الله عليه وآله) بأن: (القدرية مجوس هذه الأمة), أنظر: الشهرستاني – الملل والنحل: ٣٤.

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن: ١١٩/١.

(٣٣)الذهبي، محمّد حسين: التفسير والمفسّرون، ط٢، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م، ج١، ص٢٥٥، العكّ، أصول التفسير وقواعده، م.س، ص١٦٧.

(٣٤)انظر: معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص٨٠١–٨٠٤

(٣٥)انظر: الرضائي، مناهج التفسير واتّجاهاته، م.س، ص١٥٢–١٥٥

(٣٦)تأمّلات في الحديث عند السنّة والشيعة، للأستاذ زكريا عبّاس داوود دار النخيل للطباعة والنشر,, ١٩٩٥: ص٧

(٣٧)المناهج الروائية عند الشريف المرتضى وسام الخطاوي مؤسسة الحسنين عليهما السلام لإحياء تراث أهل البيت (عليهم السلام) و علوم الإسلامية ص٦١

المصادر :

١. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، قم، مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي، ١٣٦٢ هـ
٢. أحمد فتح الله معجم ألفاظ الفقه الجعفري:
٣. آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، قم، اسماعيليان،
٤. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٣٥هـ
٥. انتظار خضير القريشي، منهج التأويل في أمالي المرتضى
٦. تأمّلات في الحديث عند السنّة والشيعة، للأستاذ زكريا عبّاس داوود دار النخيل للطباعة والنشر,, ١٩٩٥
٧. التبيان في تفسير القرآن ، للشيخ الطوسي ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي الطبعة: الأولى
٨. الذهبي، محمّد حسين: التفسير والمفسّرون، ط٢، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م،
٩. رسائل المرتضى الشريف المرتضى نشر: دار القرآن الكريم قم طبع: مطبعة سيد الشهداء١٤٠٥ هـ
١٠. الرضائي، مناهج التفسير واتّجاهاته، م.س،
١١. روح المعاني أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي, : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ١٩٩٤ م
١٢. الشريف المرتضي، علي بن الحسين، الانتصار في انفرادات الامامية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥ هـ
١٣. الطوسي (ت٤٦٠هـ) ابي جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، الاميرة للطباعة، بيروت، ٢٠١٠م
١٤. عبد الهادي الفضلي(الدكتور)، أصول البحث، مؤسسة، دار الكتاب الإسلامي، قم، ايران
١٥. عمة رحيم العزاوي (الدكتور)، الجهد اللغوي في أمالي الشريف المرتضى، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، المجلد ٢٢، العدد ٢، ١٩٩٤م
١٦. الكرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها، سمت، طهران، ١٣٨٥ هـ،
١٧. معرفة، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب،
١٨. المناهج الروائية عند الشريف المرتضى وسام الخطاوي مؤسسة الحسنين عليهما السلام لإحياء تراث أهل البيت (عليهم السلام)، و علوم الإسلامية
١٩. المناهج الروائية عند الشريف المرتضى : الخطاوي وسام الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر
٢٠. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٣٦٥ هـ



الاوضاع الصحية في كربلاء ١٩٣٩-١٩٥٨

م. م. حسن داخل عطية
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

المستخلص:
شهدت مدينة كربلاء خلال الفترة ١٩٣٩ – ١٩٥٨مثل العديد من المدن العراقية الاخرى تحديات صحية كبيرة انتشار الامراض والاوبئة عانت مدينة كربلاء من تفشي بعض الامراض المعدية مثل الملاريا والطاعون بسبب نقص المؤسسات الصحية كانت نقص في الخدمات الطبية من المستشفيات والعيادات الطبية في مدينة كربلاء محدودة الكفاءة مع نقص حاد في الادوية والمعدات الطبية .
عانت مدينة كربلاء من تدهور كبير في الوضع الصحي انتشار الاوبئة مثل الملاريا والطاعون نقص في المستشفيات والادوية مما جعل العلاج صعب مما جعل الفترة ١٩٣٩–١٩٥٨ من أصعب المراحل على سكان مدينة كربلاء من الناحية الصحية .

الكلمات المفتاحية : مدينة كربلاء, الاوضاع الصحية, الامراض المنتشرة, المؤسسات الصحية

Abstract:
The Karbala, like many other Iraqi cities, faced major health challenges during the period 1939–1958, including the spread of diseases and epidemics. Karbala suffered from the spread of infectious diseases such as malaria and plague due to the lack of health facilities. The city›s hospitals and clinics were inefficient, with a severe shortage of medicines and medical equipment. Karbala suffered from a significant deterioration in its health situation, with the spread of epidemics such as malaria and plague. A shortage of hospitals and medicines made treatment difficult, making the period 1939–1958 one of the most difficult periods for the residents of Karbala from a health perspective.

Keywords: Karbala city, health conditions, prevalent diseases, health facilities

المقدمة:
نظراً لقدسية مدينة كربلاء ومكانتها الدينية لدى المسلمين يقصد مدينة كربلاء الاف الزائرين من داخل العراق وخارجة لزيارة ضريح الامام الحُسين(علية السلام) واخيه الامام العَباس (علية السلام) على مدار السنة . تكتظ مدينة كربلاء في بعض الأوقات وخاصة في اوقات الزيارات الدينية تصل الزائرين الى الالف
كان الوضع الصحي في مدينة كربلاء لايختلف كثيرا عن الوضع العام الصحي في العراق, ومما زاد من تردي الاوضاع الصحية في مدينة كربلاء اعداد الزائرين الكبيرة للمدينة ,وعلى طوال أيام السنة وبأوقات مختلفة جعل مدينة كربلاء تكون مرضى لكثير من الامراض الاوبئة عن طريق هؤلاء الزائرين بالاضافة الى وجود مستنقع كبير من جهتها الجنوبية الشرقية عامل, مهما في انتشار الامراض في المدينة بالاضافة الى قلة المؤسسات الصحية في مدينة كربلاء كل هذه العوامل ادت الى انشار الامراض بشكل كبير في مدينة كربلاء وخلال الفترة الزمنية ١٩٣٩ – ١٩٥٨وكانت ازدياد اعداد المرضى بشكل كبير .
قسم البحث الى مقدمة وثلاث ابحاث, وخاتمة, تم التطرق في المبحث الاول عن اوضاع الصحية في مدينة كربلاءِ خلال

الفترة ((١٩٣٩-١٩٥٨)) اما المبحث الثاني تناول المؤسسات الصحية في مدينة كربلاء ((١٩٣٩-١٩٥٨)) اما المبحث الثالث، تناول الامراض المنتشرة في مدينة كربلاء ١٩٣٩-١٩٥٨.

اعتمد البحث على الكثير من المصادر والمراجع ،التي تناولت بشكل مفصل تاريخ مدينة كربلاء منها الصحف والمجلات ورسائل ماجستير واطاريح الدكتوراه والكتب.

المبحث الأول: الأوضاع الصحية في كربلاء ١٩٣٩ – ١٩٥٨

كانت الاوضاع الصحية في كربلاء طيلة مدة الانتداب البريطاني بوضع مأساوي مما جعلها غير قادرة على تقديم الخدمات الضرورية لسكان اللواء فالمستشفى الحسيني الوحيدة في المدينة كان يعوزها علاج لسكان قضاء كربلاء بعد تهديمه في الاحداث التي شهدتها مدينة كربلاء من عام ١٩١٦- ١٩٢٠ (محمد النويني ، ١٩٧١، صفحة ٦٣) .بالنسبة لمدينة كربلاء، فبسبب ضيق المدينة ونظراً للطبيعة الدينية وكثرة الوافدين عليها من داخل العراق وخارجه مما ادى الى السكن بأعداد كبيرة فقد ظهرت العفونات وبسبب انعدام الجو الصحي فضلا عن وجود مستنقع كبير يحيط بالمدينة من الجهة الجنوبية الشرقية مما ساعد على نمو الملاريا وتفشي الأمراض وهذا ما اكدت علية جريدة العراق في عددها المرقم ١٦٦٤ ((بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٥))، أذ اكدت ((على ضرورة ردم المستنقعات في أطراف مدينة كربلاء، وتخليص المدينة من هذه الأوبئة)) فضلا عن تحلل ارضية المباني بفعل عامل الرطوبة (النزيز)، مما يؤثر على الظروف الصحية داخل المباني نفسها ،وكانت طرق وازقة مدينة كربلاء مليئة بالحيوانات مثل الابقار والحمير أذ تأوى الى اصطبلات شيدت بجوار منازل اصحابها او داخل المنازل في بعض الاحيان والاسوأ من ذلك كله (جريدة العراق، ١٩٢٥).

ان بعض السكان كانوا يحتفظون بفضلات حيواناتهم على سطوح المنازل لتجفيفها من اجل وقودها فشكلت هذه الفضلات بيئة لتكاثر الذباب والحشرات والديدان ، فكانت سبب للعديد من الامراض بالإضافة الا ان الجزارون يقومون بعمليات جزر عشوائية للحيوانات في الازقة والشوارع، وقد لاحظ متصرف لواء كربلاء ما تعانيه شوارع المدينة من الاهمال عام (١٩٣٥) وتكدس الأوساخ والأقذار والروائح الكريهة مما تسبب بضجر الناس، ولاحظ انعدام النظافة في المقاهي ومنازل الزوار والحمامات (الخياط، ١٩٧١، صفحة ١٩٧).

لذا وجه كتاباً الى رئيس صحة لواء كربلاء ذكر فيه، بضرورة تنظيف الطرق ونزع البالوعات والمراحيض، ونقل الأوساخ، وانشاء مراحيض عامة في منعطفات الطرق لمنع التغوط في الأزقة وفحص جميع مستخدمي المطاعم والمقاهي والحمامات وبائعي المأكولات والمشروبات فحصاً طبيا شهرياً ومنع المصابين منهم بأمراض سارية من تعاطي مهنهم قبل أن يشفوا،ومنع استعمال فناجين القهوة من شخص لآخر دون غسلها، وتجهيز حبوب الماء بأغطية مقفلة ومع انعدام المتطلبات الأساسية من العناية الصحية، أذ لا يوجد في مدينة كربلاء مع ما يتناسب مع أهميتها من الأطباء والمراكز الصحية، مما جعل المواطن العراقي فريسة يبطش بها، مختلف الأوبئة (جريدة الغروب ، ١٩٣٥).

المستنقعات خلال مدة الأربعينيات من القرن العشرين تقع في باب السلالمة وباب الطاق فكانت بؤرة لانتشار الأمراض الملاريا والطاعون بالإضافة الى ان الجنائز كانت تدفن في مدينة كربلاء، مما ساعد في انتشار الأمراض في المدينة (علوان، كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩، ٢٠٠٤، صفحة ٣٣).

المبحث الثاني: المؤسسات الصحية في كربلاء١٩٣٩-١٩٥٨ .

كانت مدينة كربلاء تخلو من أي مستشفى فقط واحدة أذ تأسست، في مدينة كربلاء عام ١٩٠٨، أطلق عليها اسم (خستخانة سي) أي مستشفى الغرباء وتقع في نهاية شارع الإمام علَي (عليه السلام) وفي عام ١٩١٤أبدل

اسمها الى المستشفى الحسيني وكان تتألف من طبيب وجراح وعدد من موظفي الخدمة وطاقته الاستيعابية ٣٠ سرير وعند تفتيش مركز مدينة كربلاء أذ ذكر المفتش حول الوضع الصحي عندما زار المركز الصحي في المدينة، كانت البناية قديمة وكان فراش المرضى والأثاث نظيف، لكن البناية الخاصة بأمراض العزل غير جيدة ولا تصلح للعزل، ولا توجد حمامات للمرضى من النساء والرجال (دار الكتب والوثائق، ١٩٢٣، صفحة ١٥٩٧).

كانت باقي قرى ونواحي مدينة كربلاء تأتي الى هذه المستشفى حتى ذكر المفتش جميل العزاوي عام ١٩٣٨عندما رفع تقريره الى وزارة الداخلية، حول ناحية الحسينية فلا يوجد مستوصف صحي والوضع الصحي متدهور، ويجب انشاء مستوصف في قرية الدراويش (دار الكتب والوثائق، ١٩٣٨، صفحة ٤٠).

وفي نهاية عقد الثلاثينات عام ١٩٣٩، بدأت تفتح عدد من العيادات الخاصة خارج اوقات الدوام الرسمي كربلاءعلى ان القطاع الصحي في مدينة كربلاء عام ١٩٤١ كانت تعاني من قلة تنوع الاختصاصات الطبية, ونقص كبير في الكادر النسوي من الطبيبات والممرضات خلال عام ١٩٥٢،فالمرأة تتحمل الآلام الموجعة على ان لا يكشف عليها الرجال (بهجت، ١٩٨٠، صفحة ٨٦)

وبالنظر لتفشي مرض الجدري والحمى (التيفوس)، في كرمنشاه في ايران، فقد أصدرت وزارة الشؤون الاجتماعية، بياناً بتاريخ ٦ شباط ١٩٤٢ اشترط على أن القادمين الى العراق براً وبحراً يجب ان يحملوا شهادة التلقيح ضد الجدري وأن يبرزوا البراءة الصحية وإلا فيطبق بحقهم الحجر الصحي في المحاجر الصحية العراقية (علوان، ٢٠٠٤، صفحة ٢٧).

وكانت الأمراض منتشرة في مدينة كربلاء خلال مدة عقدي الاربعينات والخمسينات من القرن الماضي هي الجدري،والتراخوما،التدرن الرئوي (السل) الملاريا وكانت تكثر المستنقعات في المدينة مما تسبب بأنواع مختلفة من الحشرات (البك) (بهجت، ١٩٨٠، صفحة ٩٢).

الاطباء في كربلاء

١– الدكتور حنا ايوب مراد : وهو أول ، طبيب عمل في مستشفى الحسيني سنة ١٩٣٨ وهو مصري الجنسية وقام بأجراء (٥٢) عملية ثم استقال من المستشفى وفتح عيادة طبية في مدينة كربلاء وجاء بعده الطبيب السوري صبري القباني

٢– الدكتور حسن افضل : عمل في اربعينيات القرن العشرين وكانت عيادته في شارع الامام علي (عليه السلام) قرب(عكد الاخباري) وهو ذو شخصية مرموقة وكان يعالج المحتاجين والفقراء مجاناً ويذهب الى زيارة المريض في بيته (العلوجي، ١٩٦٧، الصفحات ٢٣–٢٤).

٣– دكتور كمال عبد الرزاق : وهو طبيب باطنية عمل في خمسينيات القرن العشرين وعيادته في حائر الحسين(عليه السلام) بداية سوق النعلجيه مجاور الصيدلية الهاشمية ثم انتقل الى شارع العباس(عليه السلام)

٤– دكتور احمد محبوبه : تقع عيادته في شارع الامام علي(عليه السلام)في مدينة كربلاء في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين

٥– سعيد غدير: لقب بشيخ اطباء التخدير في العراق عمل في كربلاء وكانت عيادته في شارع الامام علي(عليه السلام)

٦– عبد الرزاق عبد الشريفي : طبيب الامراض الباطنية مقيم في بغداد وكانت عيادته في حائر الحسين(عليه السلام) (النويني، ١٩٧١، صفحة ٦٣).

اما عدد المستشفيات – المستوصفات في مدينة كربلاء وناحية الحسينية وناحية عين التمر وكما موضح في الجدول رقم (١) ادناه.

جدول رقم (١)المؤسسات الصحية في كربلاء ١٩٣٩– ١٩٥٨.

ت	المستشفى	تاريخ تأسيسها
١	المستشفى الحسيني	تأسست مستشفى الحسيني في قضاء كربلاء المركز عام ١٩٠٨ ، في زمن العثمانيين ، وأطلق عليها اسم (خستخانة سي)، وتقع في شارع الإمام علي، وعندما زارها المفتش الإداري لوزارة الداخلية رفع تقرير، بان وضع المستشفى غير مناسب، وغير نظيف، وبحلول عام ١٩٣٦ تم ازالة المستشفى الحسيني القديم وانشاء بدلا عنه مستشفى ذات مواصفات جيدة يقع على نهر الهندية (حي البلدية حاليا)، وقد وافقت وزارة الإعمار بإجراء التوسيع في مستشفى الحسيني، حسب كتابها المرقم ١٧٤٢ والمؤرخ في ٢٢ / ١١ / ١٩٥٢،فقد خصص مبلغ ٤٤٠٠ دينار للقيام بالتوسعة وخصص مبلغ ٢٤٠٠ لاستملاك الأراضي المجاورة وقد حول المشروع الى وزارة المواصلات والأشغال لتنفيذ العمل.
٢.	مستشفى الأمومة والطفولة في مدينة كربلاء	كانت شريحة الأمومة والطفولة بحاجة ماسة الى العناية الصحية، وكانت الأمراض منتشرة في هذه الشريحة، لذا خطت وزارة الصحة، خطوة جيدة، فتم فتح مستشفى الأمومة والطفولة في مدينة كربلاء عام ١٩٥٣ من أجل مساعدة هذه الشريحة، من خلال الارشاد والمعالجة الصحية.
٣	المستوصف الحسيني	تأسس عام ١٩١٨ وكان يعرف بمستوصف البلدية وحسب التقرير المرفوع لعام ١٩٣٨ فأن المستوصف يتكون من بناية تتكون من ٦ غرف وسردابين وايجاره السنوي ٦٢ دينار.
٤.	المستوصف العباسي	وفي عام ١٩٥٣ قامت متصرفية لواء كربلاء بشراء قطعة أرض تبلغ مساحتها (٧٥٠ م٢)، في منطقة باب بغداد وكان من المقرر بنائه على نفقة وزارة الإعمار، وفي عام ١٩٥٦، استملكت متصرفية لواء كربلاء مساحة (٢٣٩٣) م٢ من المقاطعة المرقمة (٨٣) العباسية، لغرض انشاء مستوصف في مدينة كربلاء، وتم رفع كتاب رقم ١١٥٧٦ بتاريخ ١٩٥٧/٧/٤، من قبل وزارة الداخلية الى متصرفية يتضمن الموافقة على انشاء عيادة طبية (الاوسي، ٢٠١٧، الصفحات ٢١-٢٢).
٥.	مستوصف ناحية عين التمر	تأسس هذا المستوصف في عام ١٩٣٠، وحسب تقرير مفتش لواء كربلاء لعام ١٩٣٤ فأن المستوصف عبارة عن غرفة تابعة الى سراي الحكومة وقد ذكر المفتش الذي زار ناحية عين التمر، بأن الناحية تتكون من مستوصف واحد يقع في مركز الناحية، وان البناية قديمة وتحتاج الى اصلاحات.
٦.	مستوصف ناحية الحسينية	أ – مستوصف قرية الحر: وهذه القرية ضمن ١٨ قرية وكان ابرزها قرية الدراويش والأوبيتر والزغبية والبهادرية والوند والحر فضلا عن منطقة الرزازة، وكان المستوصف الذي افتتح عام ١٩٣٠ بعيد عن القرى الأخرى بـ ١٠ كم لذا واجه سكان الناحية معاناة في الوصول اليه. ب – مستوصف قرية الدراويش : عندما زار مفتش ناحية الحسينية أوصى بأنشاء مستوصف صحي على أن يختار موقع متوسط وأن يكون في قرية الداريوش لكثرة الزراع وأصحاب البساتين، وعلى أثر التوصية فقد اوصى بضرورة انشاء المستوصف وقد تأسس عام ١٩٣٨. (النويني، اضواء على معالم محافظةكربلاء، ١٩٧١، صفحة ٦٧)

أما اهم الصيدليات التي كانت في مدينة كربلاء :

١– الصيدلية الحسينية : فتحت سنة ١٩٢٦ وكان موقعها في باب السدرة ويديرها الحاج يحيى صائب الصيدلي ثم الحاج محسن الابن الاكبر

٢– الصيدلية الهاشمية : منحت الإجازة خلال مدة الاربعينيات من القرن العشرين وصاحبها السيد مهدي حيدر وموقعها في حائر الحسين(عليه السلام) (القزويني، صفحة ٥٧).

٣– صيدلية كربلاء : منحت اجازة ممارسة المهنة في خمسينيات القرن العشرين وصاحبها الصيدلاني طالب عبد الوهاب الدلال وموقعها في شارع الامام علي الاكبر(بين الحرمين) (الوهاب، ١٩٣٥، الصفحات ٤٧–٤٨) .

الطب الشعبي:

هي تلك الوصفات والمعلومات التي توارثها الاباء عن الابناء دون تدريب نظامي, او تلمذة في نظام طبي معترف به وهذه الوصفات قد يخص بها بعض كبار السن وبعضها تكون شائعة لدى عامة الناس أذ يذهبون الى العطار للحصول عليها وكان في مدينة كربلاء طبقة واسعة من الاهالي يلجؤون الى اساليب مختلفة للخلاص من الامراض المنتشرة, وذلك نتيجة انتشار الجهل والامية, فضلاً عن قلة المستشفيات والكوادر الطبية (الدين، ٢٠١٢، صفحة ٢٥)

اما المشعوذون في المدينة فقد استغلوا الناس السذج من خلال استخدام الاوهام والاساطير ولاسيما مع النساء الاميات وكان لهم مكانات خاصة وهي عبارة عن دكاكين معزولة يستغلون الناس فيها بإعمال لا اخلاقية, اما الشيوخ فاعتقد العامة من الناس بان لهم القدرة على استخراج الارواح فاستخدموا العوذة التي تكتب بحبر ملون وتوضع على صدر المريض ظهر في مدينة كربلاء حكماء يمارسون الطب القديم ويعالجون مختلف الامراض وكان للعطارين اثر كبير في معالجة الامراض بفعل الممارسة الطويلة والتعامل بالمواد العطارية لمعالجة المرضى (جريدة الغروب ، ١٩٣٦)

يعد الطب الشعبي من النوع الأول الذي يعُتمد علية اهالي مدينة كربلاء ولهذا النوع من الطرق الطبيعة القديمة أدوية يحصل عليها المريض من معشب الأطباء الشعبيين وهم العطارون إذ تميزت دكاكينهم باحتوائها على ادراج خشبية صغيرة الحجم تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية يحتوي كل قسم منها على نوع معين الاعشاب الطبية وتنقسم محتويات العطار الى ثلاث أقسام :

١– ما يتعلق بالأعشاب الطبية.

٢ – ما يخص زينة المرأة.

٣– ما يستخدم للطبخ من عطارين مدينة كربلاء (الفتال، ٢٠٠٧، الصفحات ٢٦–٢٧).

*خلال مدة الخمسينيات من القرن العشرين، سيد عباس العطار، سيد حسين العطار، حجي عبد الرسول العطار، جعفر العطار.

أما النوع الثاني: من الطب الشعبي فهو الطب الروحي اذ يقوم بعض الشيوخ بأعمال خاصة نيابة عن الطبيب لشفاء المريض مثل (قراء الأدعية والآيات القرآنية الكريمة)

فضلا من أن بعضهم كان يعالج مرضاه بالبخور أو بقدح ماء بعد قراءة الأدعية واعطاءه الى المريض وهذه الطريقة تسمى (التنشير) وهذا الطب يأتي من اعتقاد الناس بكرامة الأولياء والتعاويذ تشفيه (القزويني، مذكرات ابراهيم شمس الدين القزويني ١٩٠٠–١٩٨٢)

والنوع الثالث الجراحون الشعبيون وهم الحلاقون الذين اختصوا الى جانب الحلاقة بتضميد الجروح والحروق والقروح, بالإضافة الى قيامهم بعمل الختان والمجبرون الذين اختصوا بمعالجة الكسور والجوالونوكان هؤلاء يقومون ببعض الأعمال الجراحية كالحجامة والقص والكي وقلع الأسنان والختان والبواسير (بيضون، ٢٠٠٦، الصفحات ٧٧–٧٨).

المبحث الثالث: الأمراض المنتشرة في مدينة كربلاء ١٩٣٩– ١٩٥٨

للبيئة دور كبير في انتشار الامراض ليس في مدينة كربلاء فحسب, بل في اغلب مدن العراق بسبب قلة نظافتها ناهيك عن كثرة البرك والمستنقعات فيها, بالإضافة الى طول مدة الصيف وارتفاع درجات الحرارة مما يؤدي الى التلوث والتعفن ونموا الجراثيم في المستنقعات مما يؤدي الى كثرة الامراض وكذلك انعدام المستوى التعليمي الذي سبب قلة وعي الغالبية من السكان فهم كانوا ينظرون الى المرض على انه مقدر من الله ولا سبيل لعلاجه

شهد لواء كربلاء ابان الانتداب البريطاني عام ١٩٢٠–١٩٣٢ انتشار العديد من الامراض الفتاكة (كالملاريا – والتيفوئيد – والجدري), مما ادى الى ارتفاع نسبة الوفيات لا سيما بين الاطفال والنساء الحوامل بسبب انعدام العلاجات الصحية اثناء الولادة مما ادى الى وفاة العديد من الحالات وكان من اسباب انتشار الامراض عدم قدرة المؤسسات الصحية على تقديم خدماتها للمواطنين وذلك بسبب مشكلة البيئة الذي يعد من الاسباب المباشرة في الاصابة بالأمراض من عام ١٩٢١– ١٩٥٨ , مما ادى الى تلوث المياه المعدة لشرب سكان اللواء هذا بالإضافة الى دخول الجنائز من الدول الاسلامية وايران والهند, فبسبب التأخير في الطريق ولبعد المسافة ادى الى تعفن الجثث وعندما تصل الجنائز يعاد غسلها او تغسل من جديد, مما يؤدي الى انتشار الامراض والأوبئة وفيما يأتي ابرز الامراض المنتشرة في كربلاء وعدد المصابين وحسب الجداول المرقمة (٢–٣–٤–٥–٦) ادناه.

جدول (٢)
مرض الملاريا في كربلاء وعدد المصابين خلال المدة من ١٩٣٩– ١٩٥٨

ت	المرض	تعريف المرض					
		من الأمراض المعدية التي تُعد من أشد الأمراض فتكاً بالإنسان، وكلمة ملاريا تعني الهواء العفن، وذكر لنا السيد الخطيب مرتضى القزويني بأنه أصيب بهذا المرض خلال مدة الخمسينيات من القرن العشرين وأن أخته أصيبت بهذا المرض ولم تنجو منه فقد توفيت على أثره رحمها الله، وقد كانت بداية انتشار المرض بشكل كبير بكافة مناطق كربلاء عام ١٩٣٩،واتخذت صحة كربلاء كافة الاجراءات لمقاومته (عدد الاصابات المسجلة بمرض الملاريا في لواء كربلاء)					
		السنة	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣
		عدد الاصابات	٤٠٣٩٧	٦٧٨٢٣	٩٠١٣٥	٥٧٣٦٨	٨٣٤٠٨
		السنة	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨
		عدد الاصابات	٩٩٠٦٤	٦٨١٢٠	٨٤٩١٧	٦٨١٤٢	٨٤٢٣٣
		السنة	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣
		عدد الاصابات	٥١٧٧١	٧٢٠٣٨	٧٣٧٥٧	٥٦٥٩٥	٥٨١٢٢
		السنة	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨
		عدد الاصابات	٣٨٨٠٣	٣١١٦٤	٢٧٠٣١	١٣٦٦٠	٧٢٥٦
	الملاريا : يكثر هذا المرض بعد تجمع مياة الفيضانات في العراق مما ينتج عنة مستنقعات اورثت الكوارث من الامراض والابنة ابرزها الملاريا الذي ينتقل عن تطاير الهواء العفن وتدخل الى الدم وثبت ان اليعوض هو الناقل للمرض . (الاوسي، تاريخ الطب في كربلاء ، ٢٠١٧، صفحة ١٠)						

جدول رقم (٣)

مرض البلهارزيا في لواء كربلاء وعدد المصابين[١].

(١٩٣٩ - ١٩٥٨)

ت	المرض	تعريف المرض					
٢	البلهارزيا[٢]	وهو من الأمراض المنتشرة في العراق، وتمكن صعوبة معالجة المصابين بهذا المرض، كون أن معظم المصابين، لا يراجعون المؤسسات الصحية لتلقي العلاج، وبعد فترة طويلة تظهر اعراضه في بقية اعضاء الجسم كالكبد، والمثانة، والأمعاء، وكانت جريدة الغروب قد نشرت في عددها العشرون، لعام ١٩٣٦ أن مرض البلهارزيا أو البول الدموي قد انتشر في لواء كربلاء بشكل يفوق جميع الألوية في العراق حسب تقرير مديرية الصحة العامة. (عدد الاصابات المسجلة بمرض البلهارزيا في لواء كربلاء)					
		السنة	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣

		عدد الاصابات	١٣٨٥	٨٣٩	٦٤٢	١٣٧٧	١٠٩١
		السنة	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨
		عدد الاصابات	١٠٧٧	٩٣٠	١٤٧١	١٥٦٧	١٥٤٤
		السنة	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣
		عدد الاصابات	١٤٥٨	١٩٢٠	٩٤٤	٩١٤	١٣٥٧
		السنة	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨
		عدد الاصابات	١٤٣٠	١٧٨٦	٢٢٨٣	١٨٨١	٦٢١٢

جدول (٤)
(عدد الأمراض المسجلة بمرض السل الرئوي في لواء كربلاء)
(١٩٣٩ - ١٩٥٨).

٣-	السل الرئوي	تنتقل هذه الجرثومة الى الانسان عن طريق الجهاز التنفسي وقي بعض الأحيان عن طريق الجهاز الهضمي، ونادراً ما تنتقل عن طريق الجلد، وتصيب الرئة اذا انتقلت من شخص الى آخر وتصيب سائر أعضاء الجسم اذا انتقلت من الحيوان الى الانسان وتعمل على اعاقة وصول الدم الى أعضاء الجسم الأخرى كالكلية والمخ والسحايا والمفاصل، ويظهر التعب الشديد على المصاب بمرض السل الرئوي (الاوسي، تاريخ الطب في كربلاء ، ٢٠١٧، صفحة ٣٤)

(عدد الاصابات المسجلة بمرض السل الرئوي في لواء كربلاء)

السنة	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣
عدد الاصابات	٣٥٣	٣٨١	٣٨٧	٢٩٧	٢٣٣
السنة	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨
عدد الاصابات	٢٤٤	٤٠٨	٤١٦	٢٤٩	٢٠٠
السنة	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣
عدد الاصابات	٢٠٧	٤٤٠	٣١١	١٩٧٥	١١٥٣
السنة	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨
عدد الاصابات	١٩٧٥	١٤٤٣	٤١٧	٢٦٨٧	١٤١٦

جدول(٥)

مرض الانكلوستوما في كربلاء وعدد الاصابات

من عام ١٩٣٩- ١٩٥٨ .

٤-	الانكلستوما[١].	وهو من الأمراض المنتشرة بشكل واسع في العراق بين الفلاحين والعمال في المدن ولاسيما المناطق الشعبية بسبب انخفاض المستوى المعاشي وسوء التغذية وعدم التزام الاهالي بالتعليمات الطبية وبحسب الاحصائيات التي اجرتها مستشفى الملكي في بغداد فإن ٥٠ % مصابين بهذا المرض خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين.				
		السنة	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣
		عدد الاصابات	٣٧٤	٥٢٨	٤٧٨	٤٢٦	٤١٧
		السنة	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨
		عدد الاصابات	٤٥٠	٤٦٩	٩٠٨	٥٢٣	٤٣٥
		السنة	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣
		عدد الاصابات	٤٧٠	٣٩٩	٩٣٣	١٤٤٢	٢٥٨٣
		السنة	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨
		عدد الاصابات	١٩٥٧	٢٢٠٨	—	٣٧٢٤	٣٣١٠

جدول رقم (٦)

امراض الجدري والتراخوما والامراض الزهرية المنتشرة في لواء كربلاء من عام ١٩٣٩- ١٩٥٨.

٥	الجدري	كانت أول اشارة على حدوث هذا المرض في لواء كربلاء في العهد الملكي عام ١٩٢٢، ثم ظهر في مدينة كربلاء عام ١٩٤١ مع حلول زيارة الأربعينية، وقامت الدوائر الصحية باتخاذ كافة الاجراءات المشددة ضد المصابين بهذا المرض، وفي عام ١٩٤٩ قامت مديرية صحة لواء كربلاء بحملة تلقيح واسعة ضد مرض الجدري، وفي عام ١٩٥٧ قامت مديرية الصحة العامة في العراق ومنها لواء كربلاء بمكافحة المرض والقضاء عليه
٦	التراخوما	وهو من أمراض العيون المنتشرة في لواء كربلاء، ويؤدي تفاقم انتشاره بشكل واسع الى (العمى والعور)

الجدري : وهو على شكل زكام أذ تبدأ الجينات المائية بالظهور في جميع أعضاء الجسم ويكون انتشار المرض في البيئة القذرة المكتظة بالسكان، ويشعر المصاب بألم في رأسه مع شعور بالبرد وأوجاع في الأطراف وارتفاع في درجات الحرارة والهذيان، مع التهاب الدماغ وفقدان البصر. (شمخي، ١٩٦٨، صفحة ١٨)

التراخوما : وهو مرض متوطن مزمن، يصيب ملتحمة العين والقرنية وتحدث الإصابة عن طريق فايروس، ينتقل من شخص مصاب عن طريق تناول الأطعمة الملوثة أو عن طريق الملامسة أو عن طريق الذباب والغبار، ويتسبب

المرض، بحدوث التهاب في الجفن ينتج قيحاً وظهور حبيبات في النسيج المنظم للجفن، ويبقى الالتهاب في العين لمدة طويلة، قد يؤدي الى فقدان البصر أو التشوه. (شاكر، ١٩٣٢، صفحة ٣٦).

وهناك العديد من الامراض الاخرى التي تصيب الأطفال، منها النكاف، والحصبة، والسعال الديكي، وشلل الأطفال، والكزاز، ومرض اسهال الأطفال الصيفي اما الطاعون وهو من اخطر الامراض التي كانت منتشرة في كربلاء وتم السيطرة عليه وتم علاجه خلال عام ١٩٤٥، بعد أن فتك بالعديد من أبناء كربلاء ومنهم المرجع الديني ابراهيم القزويني

اما مرض الكولير (الهيضة), فقد تسببت بقتل العديد من أهالي مدينة كربلاء، أبرزهم الشاعر والأديب محمد علي كمونة ومنذ عام ١٩٠٤ فقد كانت دائرة صحة كربلاء تعاني من قلة الكوادر الطبية لذا فقد طلبت بضرورة تعيين عدد من الاطباء في مدينة كربلاء للقضاء على وباء الكوليرا ومن الامراض الاخرى مرض التيفؤيد، ومرض الحمى المخية الشوكية، ومرض الزحار ومرض الجذام، وأمراض أخرى كالسرطان، والتهاب المرارة

وفيما يلي نبين المهن الطبية قديماً والتي كانت منتشره في مدينة كربلاء

١– القبالة والتوليد : لم تكن في مدينة كربلاء أي طبيبة للأمراض النسائية بموجب العلوم الحديثة وكان اعتماد الناس على القابلات والمولدات حتى عام ١٩٥٣

٢– طب الاسنان : كان الطبيب يعالج امراض الاسنان وقلعها ولما كان الجهد علية كبيراً فقد قام بهذه المهمة الحلاقون (الدين، محطات في التراث الشعبي ، ٢٠١٢، صفحة ٥٤).

٣– الختان : وهي من العمليات الجراحية التي يقوم بها الحلاقون

٤– تجبير الكسور: ومن يقوم بهذه الخدمة يطلق علية المجبرجي

٥– الحجامة : ويقوم بهذا العمل في المحلة الرجل او المرأة على السواء

٦– العشابون : وهم العطارين اذ يحوي كل عطار في متجره على انواع الاعشاب والنباتات البرية كافة وما يلحق بها. (طعمة، ١٩٨٨، صفحة ٢٨١).

الخاتمة:

ان الاوضاع الصحية في مدينة كربلاء خلال الفترة ((١٩٣٩–١٩٥٨))عانا سكان مدينة كربلاء من سوء الاوضاع الصحية في المدينة اسباب عديدة منها كثرة الزائرين الى المدينة على مدار السنة من داخل المدن العراقية ومن خارج العراق وخاصة من دول ((ايران والهند وباكستان)) وهذه الدول هي موطن بعض الأمراض وخاصة الطاعون والدري المنتشر في تلك الدول عن طريق الزوار وكذلك قلة المؤسسات الصحية في المدينة وخاصة ان مدينة كربلاء من الناحية الجغرافية هي صغيرة وضيقة في شوارعها ومحلاتها السكنية الى وجود مستنقع قريب من المدينة كان عامل مهم في نقل الحشرات والامراض الوبائية الى المدينة .

خلال فترة ١٩٩٣–١٩٥٨, كانت اعداد المرضى كبيرة ولم تكن هنالك معالجات سريعة من قبل الجهات الحكومية في الحد من انشار بشكل فعال بل عانا اباء مدينة كربلاء من نقص في المستشفيات والعيادات الطبية وقلة الادوية والرعاية الصحية بل اخذ سكان مدينة كربلاء يعتمدون على الطب الشعبي في علاج بعض الأمراض التي يعاني منها سكان مدينة كربلاء .

الهوامش:

(١) البلهارزيا : وهو من الأمراض الذي يتسبب بنزول الدم مع البول بسبب انتقال ديدان البلهارزيا في الأوعية الدموية الى جسم الانسان ويسمى هذا النوع (البولي) . (حاتم، ٢٠٠٦، صفحة ٧٩)

(٢) الانكلستوما : وهي ديدان خيطية صغيرة الحجم تعيش في الأمعاء الدقيقة والاثني عشري وهي تلتصق في الغشاء المخاطي في الأمعاء، بواسطة جهازها القادر على الالتصاق والتنقل من محل الى آخر في الأمعاء وتعيش على دمها بل وتفرز مادة سامة تمنع تخثر الدم وتجعله يسيل من مكان التصاق الديدان به، مما تصيب فقر الدم وضعف القلب. (الحسني، ١٩٣٥، صفحة ٣)

المصادر والمراجع:

-(١٩٢٣). دار الكتب والوثائق. وزارة الداخلية.

-(٢٢ تشرين الاول, ١٩٢٥). جريدة العراق.

-(٢٤ كانون الاول, ١٩٣٥). جريدة الغروب .

-(٣٠ نيسان, ١٩٣٦). جريدة الغروب .

-(١٩٣٨). دار الكتب والوثائق. تفتيش لواء كربلاء: وزارة الداخلية.

-ابراهيم شمس الدين القزويني. (بلا تاريخ). مذكرات ابراهيم شمس الدين القزويني ١٩٠٠-١٩٨٢. مخطوطة غير منشورة .

-ابراهيم شمس الدين القزويني. (بلا تاريخ). مذكرات ابراهيم شمس الدين القزويني ١٩٠٠-١٩٨٢. مخطوطة غير منشورة .

-احمد باقر علوان. (٢٠٠٤). كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩. بغداد: معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا.

-احمد باقر علوان. (٢٠٠٤). كربلاء بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩. بغداد : معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا.

-جعفر الخياط. (١٩٧١). صور من تاريخ العراق في العصور المضلمة. بيروت: د.ط.

-حسن الحسني. (١٩٣٥). مرض الانكلستوما. بغداد: مطبعة الحكومة.

-سلمان هادي ال طعمة. (١٩٨٨). كربلاء في الذاكرة . بغداد: مطبعة العاني .

-عبد الجبار شمخي. (١٩٦٨). امراض الاطفال الشائعة . البصرة : مطبعة حداد.

-عبد الحليم ابو حاتم. (٢٠٠٦). المعجم الطبي . الاردن: دارس اسامة.

-عبد الحميد العلوجي. (١٩٦٧). تاريخ الطب العراقي . بغداد: مطبعة اسعد.

-عبد الرزاق الوهاب. (١٩٣٥). كتاب كربلاء في التاريخ . بغداد: مطبعة الشعب .

-علي الفتال. (٢٠٠٧). حرف يدوية وهوايات شعبية . بيروت: موسوعة الاعلمي .

-فائق شاكر. (١٩٣٢). التراخوما. بغداد : مطبعة بغداد .

-لبيب بيضون. (٢٠٠٦). موسوعة كربلاء . قم سلمازادة .

-محمد النويني . (١٩٧١). اضواء على معالم محافظة كربلاء . النجف الاشرف: مطبعة القضاء.

-محمد النويني. (١٩٧١). اضواء على معالم محافظة كربلاء. النجف الاشرف: مطبعة القضاء.

-محمد النويني. (١٩٧١). اضواء على معالم محافظة كربلاء. النجف الاشرف: مطبعة القضاء .

-محمد علي محي الدين. (٢٠١٢). محطات في التراث الشعبي . الحلة : دار الفرات.

-محمد علي محي الدين. (٢٠١٢). محطات في التراث الشعبي . الحلة: دار الفرات .

-مرتضى علي الاوسي. (٢٠١٧). تاريخ الطب في كربلاء . بابل: دار الفرات .

-مرتضى علي الاوسي. (٢٠١٧). تاريخ الطب في كربلاء . بابل : دار الفرات .

-مرتضى علي الاوسي. (٢٠١٧). تاريخ الطب في كربلاء . بابل : دار الفرات .

-مؤيد جواد بهجت. (١٩٨٠). مدينة كربلاء. جامعة عين الشمس.


حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

مقاصد الشريعة في ضوء سورة القمر

م.م. عبد القادر ناجي علي
جامعة الفلوجة / كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:
يعد القرآن الكريم هو المصدر الأصلي للمقاصد الشرعية، ومن هذا المنطلق ارتأيت أن يكون عنوان بحثي (مقاصد الشريعة في ضوء سورة القمر) ولذلك كانت البداية تعريف المقاصد، وبيان اهم مقاصد السور القرآنية، مع وقفات بين يدي سورة القمر، ومن ثَم بيان مقاصد سورة القمر بحسب الضروريات الخمسة، لما للمقاصد الشرعية الدور الفاعل في تحقيق مصالح الناس واسعادهم في الدارين، سواء أكان الأمر متعلق بالجانب الوجودي أو العدمي؛ لأن الحاجة قد تتحقق في الحياة الدنيا، وقد تتحقق في اليوم الآخر، وهذا ما تحققه سورة القمر في ضوء إمعان النظر في آياتها المباركات.
الكلمان المفتاحية: المقاصد، السور القرآنية، الضروريات الخمسة.

Abstract:
The Holy Quran is the primary source of Islamic objectives. Based on this, I decided to title my research «The Objectives of Islamic Law in Light of Surat Al-Qamar.» Therefore, I began by defining the objectives and explaining the most important objectives of the Quranic surahs, with pauses before Surat Al-Qamar. I then explained the objectives of Surat Al-Qamar according to the five essentials, given the effective role Islamic objectives play in achieving people›s interests and happiness in both worlds, whether related to existential or non-existent aspects. This is because a need may be fulfilled in this worldly life, or it may be fulfilled on the Day of Judgment. This is what Surat Al-Qamar achieves when carefully examining its blessed verses.
Keywords: objectives, Quranic surahs, the five essentials.

المقدمة:
الحمد لله الحكيم في كل أفعالهِ، والذي بين في شريعة العلل والمقاصد في كل أحكامه، والصلاة والسلام على المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، الذي رعى المقاصد في كل أقوالهِ وأفعاله وتقريراته، سيدنا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين حرصوا على تحقيق مقاصد الشارع الحكيم في جميع اجتهاداتهم.

أما بعد:
فمن المقرر شرعًا وعقلًا، اعتقادًا وعملًا، نصًا واجتهادًا، إجمالًا وتفصيلًا، إن القرآن الكريم فيه أرقى المقاصد وأكبرها، واسمى المصالح وأعظمها، فهو أصل الأصول ومصدر المصادر، وأساس النقول والعقول، وقاعدة أي بناء حضاري يهدف إلى الإعمار والتنمية والازدهار والتقدم والإصلاح، وغير ذلك من الغايات والمقاصد، والأسرار والحكم التي تحرص جميع الأمم والشعوب على تحقيقها وتحصيلها.

فمعرفة مقاصد السور تعين على فهم كتاب الله تعالى، وتفسير الآيات، وتعين على فهم السنة النبوية الشريفة؛ لأن «القرآن والسنة لما كانا عربيين لم يكن لينظر فيهما إلا عربي –أو من يتقن العربية–، كما أن من لم يعرف مقاصدهما لم يحل له أن يتكلم فيهما، إذا لا يصح له نظر حتى يكون عالما بهما، فإنه إذا كان كذلك، لم يختلف عليه شيء من الشريعة»(١)، ومن سور القرآن الكريم سورة القمر، فهي ذات بناء محكم، ورسالة واضحة ترتكز على تحذير المكذبين، وتثبيت المؤمنين، في ضوء استعراض مشاهد من العذاب الإلهي، الذي حل بالأمم السابقة؛ لأن سورة القمر تحمل في طياتها جملة من المقاصد التربوية والإيمانية، من ابرزها: بيان قدرة الله تعالى، وتأكيد صدق الرسالة، وصدق من جاء بها(صلى الله عليه وآله وسلم)، وتيسير القرآن للذكر، والدعوة إلى الاتعاظ بمصير الغابرين، ولذلك ارتأيت أن يكون

عنوان بحثي هذا: (مقاصد الشريعة في ضوء سورة القمر).

وقد استوى ساق البحث على مبحثين تسبقهما مقدمة وينتهيان بخاتمة:

أما المقدمة فقد وافيتكم بها،وأما المبحث الأول فكان في تعريف المقاصد، وبيان اهم مقاصد السور القرآنية، مع وقفات بين يدي سورة القمر.

أما المبحث الثاني فكان في بيان مقاصد سورة القمر بحسب الضروريات الخمسة

أما الخاتمة فكانت في أهم النتائج المستخلصة من البحث وبعض التوصيات

المبحث الأول:

تعريف المقاصد، وبيان اهم مقاصد السور القرآنية، مع وقفات بين يدي سورة القمر

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف المقاصد عند أهل اللغة: ذكر علماء اللغة بأنَّ المقصد في اللغة يأتي على عدة معان منها:

١ – المقصد بمعنى الطريق المستقيم: وهو مصدر ميمي من قَصَدَ يقصدُ قصداً، فهو قاصد، ومنه قوله تعالى: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ (٢)، أي: بمعنى استقامة الطريق(٣)، «والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه»(٤)، و»القصد في السبيل هو كونه موصلا إلى المطلوب فالمعنى وعلى الله بيان الطريق الموصل إلى المطلوب»(٥). ويقال طريق قاصد: أي: سهل مستقيم لا مشقة فيهِ، وسفر قاصد: أي سهل قريب(٦)، ومنه قول تعالى: لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ (٧) أي: موضعًا قريبًا سهلًا(٨).

٢ – الاعتماد، والأم، وإتيان الشيء: ويقال قصد فلان فلاناً، إذا توجه إليه وأمه وعمد إليه، وفي هذا المعنى جاء في الحديث: «... إِنَّ رَسُولَ اللهِ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ). بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ،... الحديث »(٩).

٣– الاعتدال والتوسط(١٠)، قال تعالى:(وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)(١١)، أي: «توسط فيه. والقصد، ما بين الإسراع والبطء»(١٢)، وكذلك قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)(١٣)، أي: جعلهم أمة وسطا لا تفريط عندها ولا إفراط(١٤)، وقوله(صلى الله عليه وآله وسلم).في الحديث: «... وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا »(١٥)، وعن جابر بن سمرة ، قال: «كنت أصلي مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فكانت صلاته قصدا، وخطبته قصدا»(١٦).

٤. ومن معانيهِ: الاكتناز في الشيء: يقال: ناقة قصيد، اي: مكتنزة، ممتلئة، كثيرة اللحم(١٧).

٥. ومن معانيهِ: الكسر: والقصدة من الشيء إذا تكسر، ومنه قصدت العود، أي: كسرته، وانقصد الرمح، أي تكسر(١٨).

أما تعريف المقاصد اصطلاحاً: فعند البحث والتقصي في كتب العلماء المتقدمين نجد أن المقاصد مبثوثة في كتبهم، من غير أن يضعوا لها تعريفاً اصطلاحياً جامعًا مانعًا؛ لأنهم عبروا عن المقاصد بتعبيرات كثيرة كانت تدل في مجملها بالتصريح أو التلميح أو التنصيص أو الإيماء على عنايتهم بالمقاصد لفهم النصوص واستنباط الأحكام والاجتهاد فيها(١٩)، حتى الإمام الشاطبي الذي كان له فضل سبق في المقاصد، ويعد أول من أبرز هذا العلم وأفرده بالتأليف، وأكثر العناية بهِ لم يعط تعريفاً للمقاصد الشرعية.

أما العلماء المعاصرون فقد ذكروا تعريفات عدة منها:

١. عرفها الإمام ولي الله الدهلوي (٢٠).(رحمه الله): بقولهِ: «هو علم أسرار الدين، الباحث عن حِكَم الأحكام ولميَاتها، واسرار خواص الأعمال ونكتها»(٢١).

٢. وعرفها الإمام الطاهر بن عاشور(٢٢).(رحمه الله): هي «المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أصول

التشريع أو معظمها»(٢٣).

٣. وعرفها العلامة علال الفاسي(٢٤)، فقال: «الغايات منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من احكامها»(٢٥).

٤. وعرفها الخادمي(٢٦) فقال: «المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تجتمع ضمن هدف واحد، وهو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين»(٢٧).

المطلب الثاني: مقاصد السور القرآنية

فعند البحث والتقصي بكتب الفقهاء يتضح لنا بأن مقاصد القرآن الكريم غير متناهية؛ لأن سر القرآن، ولبابه الأصفى، ومقصدهُ الأقصى، دعوة العباد إلى الجبَّار الأعلى، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، والأرَضين السُفلى، وما بينهما وما تحت الثَّرى، ويبقى هذا الحال ملازم للإنسان إلى آخر لحظة في حياته، ولكن يمكن أن نجعل مقاصد القرآن ونفائسه ستة أقسام على سبيل التمثيل لا الحصر، كما بينها حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله في الجواهر، ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المُهِمّة، وثلاثة: هي الرَّوادف والتوابع المُغنِيَة المُتِمَّة.

أما الثلاثة المُهِمَّة فهي:

١ – تعريف المدعو إليه، وهو شرح معرفة الله تعالى، وتشتمل هذه المعرفة على: معرفة ذات الحق تبارك وتعالى، ومعرفة الصفات، ومعرفة الأفعال.

٢ – وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وذلك بالتبتل كما قال الله تعالى:(وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) (المزمل:الآية :٨) أي: انقطع إليه، والانقطاع إليه يكون بالإقبال عليه، والاعراض عن غيره، وترجمته قوله:(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا).(المزمل:الآية :٩).

٣– وتعريف الحال عند الوصول إليه، وهو يشتمل على ذكر الروح والنعيم الذي يلقاه الواصلون، والعبارة الجامعة لأنواع روحها الجنة، وأعلاها لذة النظر إلى الله تعالى، ويشتمل أيضًا على ذكر الخزي والعذاب الذي يلقاه المحجوبون عنه بإهمال السلوك، والعبارة الجامعة لأصناف آلامها الجحيم، وأشدها ألما ألم الحجاب والإبعاد.

وأما الثلاثة المُغْنِيَة المُتِمَّة:

أحدها: تعريف أحوال المُجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم؛ وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب.

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق، وسره ومقصوده في جنب الباطل الإفضاح والتنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت والتقهير.

وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد، أن الدنيا منزل من منازل السائرين إلى الله تعالى، والبدن مركب، فمن ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره(٢٨).

أي إن مقاصد القرآن الكريم في ضوء استقراء نصوصه واستنباط أحكامه، فهي قائمة على أساس تحقيق جلب المنافع الدنيوية، التي أساسها السعادة والطمأنينة والأمان، والمنافع الأخروية القائمة على مرضاة الله تعالى ورحمته، ودرء المفاسد القائمة على الذنوب والمعاصي، ودفع الأضرار من أجل النجاة من النار، وهذا لا يكون إلا بفضل الله تعالى والعبادة النابعة من خلال امتثال أوامره الله سبحانه واجتناب نواهيه(٢٩).

وقد تتنوع المقاصد القرآنية؛ وذلك بالنظر إلى اعتبارات متعددة، فهي تكمل بعضها البعض باعتبار وحدة المصدر، فيمكن معرفة أهم تلك المقاصد وكما يأتي:

أولا: مقاصد السور باعتبار تقسيمها إلى مكية ومدنية

فمقاصد السور المكية والمدنية هي ما استنبط من القرآن في العهدين المكي والمدني؛ وذلك لاختلاف أزمنة التشريع،

فإن «السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد، والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء، وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ...»(٣٠).

ومن خلال التتبع والاستقراء يتضح لنا أن اعتناء السور المكية إنما يكون بأصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة، وأما تقرير الأحكام التكليفية والشرائع فمظنة السور المدنية(٣١). فسورة البلد مثلا: حوت أغراضًا عديدة منها: التنويه بمكة، وبمقام النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). بها، وبركته فيها وعلى أهلها، والتنويه بأسلاف النبي من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل أو من أتباع الحنيفية مثل: عدنان ومضر كما سيأتي، والتخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك، وإنكارهم البعث، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، ونعمة النطق، ونعمة الفكر، ونعمة الإرشاد فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه، ووعيد الكافرين وبشارة الموقنين(٣٢).

ثانيًا: باعتبار تحقيق الصلاح للفرد والمجتمع

إن المقصد الأعظم من الشريعة هو الأخذ بظر الاعتبار أحوال كل فرد على وجه الخصوص وأحوال المجتمع على وجه العموم لتحقيق مصالحهم والمحافظة عليها ودوداً وعدمًا، ولا يتحقق هذا الأمر إلا عن طريق: «جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفع فساده، فإنه لما كان هو المهيمن –أي: هو المخلوق المكرم الذي سخر له سائر المخلوقات– على هذا العالم كان في صلاحه صلاح العالم وأحواله، ولذلك نرى الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أفراد نوعه، وبصلاح مجموعه وهو النوع كله»(٣٣).

لأن المقاصد الأصلية والتابعة قصدها الشارع الحكيم في أحكامه وهديه؛ لأنها تشكل جوهر المقاصد وحقيقتها، وتفضي إلى تحقيق الصلاح والنفع والخير في الدنيا والآخرة، للفرد والمجتمع والأمة، بل وكافة الإنسانية وسائر المخلوقات(٣٤).

ولذلك فإن الصلاح بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين لا يتحقق الثاني إلا بصلاح الأول وكما يأتي:

١– صلاح الفرد: والمقصود به صلاح عمله، وهو من نتائج وآثار صلاح الاعتقاد؛ لأن «أعمال العاملين تجري على حساب معتقداتهم وأفكارهم، فحري بمن صلحت عقائده وأفكاره أن يصدر عنه العمل الصالح والنهي، والكف عن أضداده وأن يبتدئ بإصلاح العقيدة»(٣٥).

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على الفطرة قابل للتمييز بين الصالح والفاسد، كما قال الطاهر ابن عاشور: «فهدى الله الإنسان بأن خلقه قابلا للتمييز بين الصلاح والفساد ثم عزز ذلك بأن أرسل إليه رسلا مبينين لما قد يخفى أمره من الأفعال أو يشتبه على الناس فساده بصلاحه ومنبهين الناس لما قد يغفلون عنه من سابق ما علموه»(٣٦).

٢– صلاح المجتمع: وهذا الاعتبار يتحقق بصلاح الأسرة وأفرادها، ثم صلاح جماعة المسلمين، فإن الله عزوجل خلق الانسان محبًا للعيش مع الجماعة، فلا يمكنه العيش منفرداً، ومن آثار العيش في المجتمعات، تتزاحم الحقوق ووقوع النزاعات والخصومات، لذا نجد القرآن الكريم قد أعتنى بتنظيم حياة الأفراد من تشريع الأحكام، فنظم حياة الأسرة، قال تعالى:(يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(٣٧).

ثالثًا: باعتبار العموم والخصوص

عند النظر في كتب المقاصد نجد أن المقاصد بهذا الاعتبار تقسم إلى:

١– المقاصد العامة: والتي هي عبارة عن «المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها –والعمل على تحقيقها في كل أبوابه–، ويدخل في هذا أيضا معان من الحِكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها»(٣٨)؛ والمقاصد العامة لها علاقة بحقوق الله

تعالى لأن «المقصود من حقوق الله هو حقوق الأمة التي فيها تحصيل النفع العام أو الغالب، أو حق من يعجز عن حماية حقّه. فهذه الحقوق التي تحفظ المقاصد العامة للشريعة(٣٩). واهم المقاصد العامة الكلية: جلب المصالح ودرء المفاسد، والتيسير ورفع الحرج.

ومن مقاصد القرآن العامة: ما ذكره فخر الدين الرازي حيث قال: «ان معاني هذا الكتاب هي التوحيد، والعدل، والنبوة، والمعاد، وهذه المعاني لا تقبل النسخ، فهي في غاية الإحكام» (٤٠)، وما بينه الإمام الشوكاني في إيضاح هذه المقاصد حيث قال: «وأما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها ويشير إليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله فهي ثلاثة مقاصد يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبر وجودة تصور وفضل تفكر: المقصد الأول: إثبات التوحيد، المقصد الثاني: إثبات المعاد، المقصد الثالث: إثبات النبوات... لما في ذلك من عظيم الفائدة وجليل العائدة فإن من آمن بها كما ينبغي واطمأن إليها كما يجب فقد فاز بخيري الدارين وأخذ بالحظ الوافر من السعادة الآجلة والعاجلة ودخل إلى الإيمان الخالص من الباب الذي أرشده إلينا نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم). في جواب من سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال في الإيمان «... أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ...» (٤١)...، ولا ريب أن من آمن بالله وبما جاءت به رسله ونطقت به كتبه فإن إيمانه بهذه الثلاثة المقاصد هو أهم ما يجب الإيمان به وأقدم ما يتحتم عليه اعتقاده لأن الكتب قد نطقت بها والرسل قد اتفقت عليها اتفاقا يقطع كل ريب وينفي كل شبهة ويذهب كل شك»(٤٢).

ولعل من أهم مقاصد القرآن الكريم العامة ما ذكره الطاهر ابن عاشور بأنها ترجع إلى احد أمرين: «أحدهما كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين، وثانيهما تعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من... الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة– في كل زمان– لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية، ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بين أنظارهم في المطالعة الواحدة. من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين، قائمة مقام تلاحق المؤلفين في تدوين كتب العلوم، تبعا لاختلاف مراتب العصور»(٤٣).

٢– المقاصد الخاصة: وهي تلك المقاصد التي تميز كل ما يندرج تحتها من معاني ومدلولات الفرد أو الأفراد المعدودين بتخصيص المعنى المراد لهم، وهي «التي تهدف الشريعة إلى تحقيقها في باب معين، أو في أبواب قليلة متجانسة، من أبواب التشريع»(٤٤)، وكذلك كل سورة من سور القرآن الكريم لها مقاصدها ومعانيها ومدلولاتها الخاصة بها، وما تتميز به المقاصد الخاصة عن العامة لبيان دقة الفهم، حيث يقول الطاهر ابن عاشور عنها: «هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، كي لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيلهم مصالحهم العامة، إبطالًا عن غفلة أو عن استزلال هوى وباطل شهوة»(٤٥)، وقال «وتحفظ المقاصد الخاصة بحماية تصرفات الناس في اكتساب مصالحهم الخاصة، وحفظ حقّ كل من يظنّ به الضعف عن حماية حقّه؛ أوصى الشارع بها عباده، وحملهم على مراعاتها. ولم يجز لأي أحدٍ منهم إسقاطها، –لأن– المراد من حق العبد التصرّفات التي يجلب بها المرء لنفسه ما يلائمها أو يدفع بها عنها ما ينافرها»(٤٦). ومثالها: مقاصد أحكام العائلة (النكاح، والمصاهرة، والنسب)، والتصرفات المالية، والتبرعات، وأحكام القضاء، ومقاصد التعجيل بإيصال الحقوق إلى أصحابها، والمقصد من العقوبات.

ثالثاً: المقاصد الجزئية: هي «تلك المعاني الملحوظة في أجزاء السورة القرآنية سواء تعلق الأمر بالمقطع أو الآية القرآنية أو حتى الجزء منها»(٤٧)، «فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها، فسورة البقرة مثلا كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها

ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك»(٤٨).

وهي مقصود الشارع من كل حكم شرعي، من إيجاب أو تحريم، أو ندب أو كراهة، أو إباحة أو شرط أو سبب، فمقصد عقد الرهن التوثق، وعقد النكاح إقامة وتثبيت المؤسسة العائلية، ومشروعية الطلاق مقصودها وضع حد للضرر المستمر وهكذا، وأكثر من يعتني بهذا القسم من المقاصد هم الفقهاء؛ لأنهم أهل التخصص في جزئيات الشريعة ودقائقها، فكثيرًا ما يحددون، أو يشيرون إلى هذه المقاصد الجزئية في استنباطاتهم واجتهاداتهم، إلا أنهم قد يعبرون عنها بعبارات أخرى كالحكمة، أو العلة، أو المعنى، أو غيرها(٤٩).

ومما تقدم يتضح لنا علاقة المقاصد بالقرآن الكريم وتجمل هذه العلاقة بالنقاط الآتية:

١ – يعد القرآن لكريم دليلًا على مراعاة الشريعة للمقاصد والمصالح.

٢ – القرآن الضابط الأول من ضوابط المصلحة بحيث يشترط لاعتبارها عدم مخالفتها له.

٣ – كون حفظ القرآن الكريم، أو معرفة آيات الأحكام منه شرطا من شروط الاجتهاد.

٤ – فهم مقاصد القرآن على كمالها، وبحسب مراتبها (الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات) وانواعها(العامة، والخاصة، والجزئية) مما يدل على متانة علاقة المقاصد بالقرآن كونه المرشد والمنبع الأصيل لها.

٥ – تحديد القرآن لمقاصد المكلف على وفق القرآن ونهجه؛ لتستقيم حياته ويسعد في الدارين(٥٠).

المطلب الثالث: وقفات بين يدي سورة القمر

سأتناول في هذا المطلب بيان تصنيف سورة القمر بين المكي والمدني، وأسماء السورة، وترتيبها، وعدد حروفها وآياتها، وسبب نزولها.

أولا: تصنيف سورة القمر ما بين العهد المكي والمدني:

فإن سورة القمر من السورة المكية، وهي كسائر السور المكية التي تتميز بطابع القرآن المكي، والذي يتميز باسلوب القوة والتقريع؛ لأجل أن يكون المقال مناسباً للمقام، وهذا عين البلاغة، فالمخاطبون جاحدون، معاندون، مع علم كثير منهم بصدق النبي، فكان لابد من هذا الأسلوب التربوي(٥١).

فلقد دار الحديث بين آياتها عن أصول الدين العامة كالوحدانية، وبيان الدلائل على صحة نبوة النبي ، والحديث عن يوم القيامة، واشتملت أيضًا على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته والتذكير بنهاية بعض الأقوام الغابرة وما كان من تنكيل الله بهم بسبب تكذيبهم لرسل الله والتكبر على دعوتهم وبسبب عنادهم وإصرارهم على الكفر، كقصة نوح وعاد وثمود ولوط في كل واحدة منها من التخويف والتحذير ممَّا حل بهم فيتعظ بها حامل القرآن وتاليه ويعظ غيره(٥٢).

يرى جمهور العلماء بأن سورة القمر مكية كلها، وقال مقاتل: إلا ثلاث آيات(٥٣) من قوله:(أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ)(٥٤) إلى قوله:(وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)، قال: نزل يوم بدر (ولعل ذلك من أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تلا هذه الآية يوم بدر)، قال القرطبي: ولا يصح(٥٥)، وقيل: إلا سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ (٥٦)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله، وجميع آيات السورة فواصلها على الراء الساكنة(٥٧).

في حين يقول ابن الفرس: «هي مكية إلا آية واحدة اختلف فيها وهي: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ . وقال الجمهور هي مكية، وقال قوم هي مدنية، واختلفوا في موضع نزولها فقيل بالمدينة وقيل يوم بدر»(٥٨).

ثانيًا: تسميتها بهذا الاسم

سميت سورة «القمر» بهذا الاسم؛ لافتتاح السورة عن حادثة انشقاق القمر، حيث كانت معجزة من معجزات النبي ؛ وذلك تأييدًا له فيما يدعو إليه(٥٩).

وسميت أيضًا بسورة: «اقتربت الساعة»، حيث ذكر مسلم في صحيحه أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي : ما كان يقرأ به رسول الله في الأضحى والفطر؟ فقال: «كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر» وفي رواية أخرى «أن رسول الله كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الفطر والأضحى»، وبهذا الاسم عنون لها البخاري في كتاب التفسير، وبذلك ترجمها الترمذي (٦٠)، وتسمى «سورة اقتربت» حكاية لأول كلمة فيها(٦١).

ثالثًا: ترتيبها بين السور

وهي السورة الرابعة والخمسون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فكانت السابعة والثلاثون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، بعد سورة (الطارق)، وقبل سورة (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويغلب على الظن أن نزولها كان في السنوات الأولى من بعثته قال بعض العلماء: وكان نزولها في حدود سنة خمس قبل الهجرة(٦٢). ففي الصحيح أن عائشة –رضى الله عنها– قالت: أنزل على رسول الله بمكة، وإني لجارية ألعب، قوله – تعالى–:(بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)(٦٣) (٦٤).

رابعًا: عدد آياتها وكلماتها وحروفها

عدد آيها خمس وخمسون باتفاق أهل العدد، وكلمها ثلاث مائة وإحدى وخمسون كلمة، وحروفها ألف وست مائة وستة وثلاثون حرفًا، وهي سبعون وست بصري وسبع مدنيان ومكي وثمان كوفي وشامي(٦٥).

المطلب الخامس: سبب نزولها ومقصودها العام

أولاً: سبب نزول السورة

أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال رأيت القمر منشقا شقتين بمكة قبل مخرج النبي فقالوا: سحر القمر فنزل واقتربت الساعة وانشق القمر(٦٦) وأخرج الترمذي عن أنس قال سأل أهل مكة النبي آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت(٦٧):(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)(٦٨) إلى قوله:(سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ)، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا يوم بدر نحن جميع منتصر فنزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر وأخرج مسلم والترمذي عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). في القدر فنزلت: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ إلى قوله:(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)(٦٩)(٧٠).

ثانيًا: مقصود السورة العام

تخويف الناس بقرب يوم القيامة، والشكوى من عبادة أهل الضّلالة وذلّهم في وقت البعث وقيام السّاعة، وخبر الطُّوفان، وهلاك الأمم المختلفة، وحديث العاديّين ونكبتهم بالنكباءِ، وقصة ناقة صالح، وإهلاك جبريل قومه بالصيحة، وحديث قوم لوط، وتماديهم في المعصية، وحديث فرعون، وتعدّيه في الجهالة، وتقرير القضاءِ والقدر، وإظهارِ علامة القيامة، وبروز المتقين في الجنّة في مقعد صدق، ومقام القُرْبة في قوله: فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٧١)(٧٢).

ولذلك بدأ ربنا سبحانه وتعالى بقوله: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ، دنت القيامة وقربت، أي: دنت دنوا قريباً، واقترب أبلغ من قرب، لأن افتعل يأتي لطلب إعداد الشيء بالمبالغة فيه، ومثله: اقتدر. وسميت ساعة لقرب الأمر فيها، أو لمجيئها في ساعة من يومها وَانْشَقَّ الْقَمَرُ اتضح الأمر وظهر يضربون المثل بالقمر فيما وضح وظهر، أو انشقاقه انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما سمي الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه(٧٣).

المبحث الثاني

المقاصد في السورة بحسب مراتبها

المطلب الأول: مقصد حفظ الدين

قال تعالى:(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ)(٧٤). وقوله تعالى:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)(٧٥)، وقوله تعالى:(وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ)(٧٦).

فقد تضمنت هذه الآيات جملة من المقاصد منها: تكرار التذكير، وصدق النبي ، التذكير باقتراب الساعة، تسلية النبي ، اتباع، المراقبة الدائمة للنفس، وبيانها كما يأتي:

أولاً: تكرار التذكير بنعمة تيسير القرآن الكريم: قال تعالى:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)«تكررت هذه الآية أربع مرات، لأنها تضمنت حثًا على تلقي القرآن وتدبره وتذكره، فمضمونها يحمل معنى كليًا من كليات التكاليف الدينية التي تتطلب طبائع النفوس تكريرها، لكثرة شرودها عنها، ورغبتها في التفلت من واجباتها»(٧٧). وتكرار العبارة أو الجملة بيان للتوكيد والتذكير بأهمية المعاني والمقاصد القرآنية التي أرادها الله سبحانه وتعالى لبيان المقصود الحقيقي من مضمون الآيات ومعرفة الترابط بين معانيها التدبرية ومقاصدها المصلحية رحمة بعباده.

ثانيًا: صدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): فانشقاق القمر الذي هو معجزة حصلت في الدنيا، لذلك فقد أهتم القرآن بالموعظة والمقصود من تلك المعجزة، إظهار صدق النبي ، ومن آيات القرآن التي فيها إعجازها ودلائل على صدق الرسول فيما أخبر به من الوحدانية، وكذلك معجزات الرسول مثل انشقاق القمر(٧٨)؛ لأن الله تعالى لا يغير نظام خلقته في هذا العالم إلا إذا أراد تصديق الرسول ؛ لأن خرق العادة من خالق العادات وناظم سنن الأكوان قائم مقام قوله: صدق هذا الرسول فيما أخبر به عني(٧٩).

ثالثًا: التذكير باقتراب الساعة: فالمعجزة وسيلة للتذكير باقتراب الساعة، فإن القمر كائن من الكائنات السماوية ذات النظام المسايرلنظام الجو الأرضي فلما حدث فيه تغير في نظامه لم يكن مألوفا ناسب تنبيه الناس للاعتبار بإمكان(٨٠).

رابعًا: تسلية النبي ، وتهديدا للمشركين بحصول المشابهة بين تكذيب قوم نوح رسولهم وتكذيب المشركين محمدا في أنه تكذيب لمن أرسله الله واصطفاه بالعبودية الخاصة، واستدعاء لنظر المترددين الشاكين بصدق النبي أن إعراضهم عن الآيات وافتراءهم عليها بأنها سحر ونحوه وتكذيبهم الصادق وتمالأهم على ذلك لا يوهن وقعها في النفوس، فأمر النبي ظاهر، من انتصار الحق واتمام الدين واقتناع الناس به وتزايد أتباعه، وأن اتباعهم أهواءهم واختلاق معاذيرهم صائر إلى مصير أمثاله الباطلة من الانخذال والافتضاح وانتقاص الأتباع، وفيه تهديدا للمشركين واستدعاء لنظر المترددين(٨١).

خامسًا: اتباع الهوى: من المقاصد السلبية إتباع الهوى؛ لأنه من المهلكات التي تحبط عمل الإنسان وترشده إلى الإعراض عن الحق، وتضيع عليه حقيقة الاتباع، قال تعالى:(وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا)، وليس قصدهم اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى، ولهذا قال تعالى: وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وقال تعالى:(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(٨٢)، فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعا، واتبعوا محمدا(صلى الله عليه وآله وسلم)، لأن الله أراهم على يديه من البينات والبراهين والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ أي: إلى الآن، لم يبلغ الأمر غايته ومنتهاه، وسيصير الأمر إلى آخره، فالمصدق يتقلب في جنات النعيم، ومغفرة الله ورضوانه، والمكذب يتقلب في سخط الله وعذابه، خالدا مخلدا أبدا. وقال تعالى –مبينا أنهم ليس لهم قصد صحيح، ولا اتباع للهدى–:(وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ)أي: الأخبار السابقة واللاحقة والمعجزات الظاهرة مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ أي: زاجر يزجرهم عن غيهم وضلالهم، وذلك حِكْمَةٌ منه تعالى بَالِغَةٌ أي: لتقوم حجته على المخالفين ولا يبقى لأحد على الله حجة بعد الرسل» (٨٣).

سادسًا: المراقبة الدائمة للنفس: قال تعالى:(وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ)(٨٤)، فمن المقاصد التي ترتقي بالنفس وتربيها، وتعلمها الاهتمام بها وحفظها من الإتلاف، ويبعد عنها ارتكاب الاخطاء التي توجب الحد والتعزير في الدنيا، والخسران المبين في الآخرة، فما يفعله الانسان، فكل شيء من أعمال الخلق، أقوالهم وأفعالهم وما هو كائن، وكل شيء صغير وحقير لا يؤاخذ عليه مؤاخذة عظيمة، أو كبير عظيم من كبائر الإثم والفواحش فإنه مُسْتَطَرٌ ، أي: مكتوب مسطور في اللوح المحفوظ، أي: في علم الله تعالى فكل ذلك يعلمه الله ويحاسب عليه، وهذا المقصد جامعًا للتبشير والإنذار(٨٥).

يقول الامام الغزالي رحمه الله: «قوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فإن زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه»(٨٦)، ففي الآية مقصد حفظ النفس؛ لأن في قوله أكبر فائدة عظيمة وهي أن من يكتب حساب إنسان فإنما يكتبه في غالب الأمر لئلا ينسى فإذا جاء بالجملة العظيمة التي يأمن نسيانها ربما يترك كتابتها ويشتغل بكتابة ما يخاف نسيانه، فلما قال: ولا أكبر أشار إلى الأمور العظام التي يؤمن من نسيانها أنها مكتوبة أي ليست كتابتنا مثل كتابتكم التي يكون المقصود منها الأمن من النسيان(٨٧).

ثم بين أحوال العبد في طاعته حيث قال: «لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لابد من مراعاتها بدوام المراقبة وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة»(٨٨).

وذكر مآل محاسبة النفس بقوله: «فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله»(٨٩).

المطلب الثاني: مقصد حفظ النفس

أولاً: قال تعالى:(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)(٩٠). المقصد من الآية: هو أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الماء من أسباب الحياة، لكن في هذه الآية من بدائع المعاني، وهي أن يجعل المقصود مقدما في الوجود، ويقول كأن مقصودك جاء إلى باب مغلق ففتحه وجاءك، وكذلك قول القائل: لعل الله يفتح برزق، أي يقدر رزقا يأتي إلى الباب الذي كالمغلق فيدفعه ويفتحه، فيكون الله قد فتحه بالرزق... فأرسل الله سبحانه وتعالى من السماء ماء كما يسيل من أفواه القرب، وانفتحت الأرض بعيون الماء، حتى اجتمع الماءان، وهو قوله: فالتقى الماء يعني: ماء السماء وماء الأرض، عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ قضي عليهم(٩١)، فقد أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها فتفجرت بالعيون وسالت بالمياه فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وقرئ الماءآن وقرأ علي ومحمد بن كعب: الماوان أي التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قضى عليهم، أي كائناً على حال قدرها الله، وقضى بها في اللوح المحفوظ أنه يكون، والمقصد هو هلاك قوم نوح بالطوفان، قيل: كان ماء السماء أكثر وقيل: بالعكس(٩٢).

ثانيًا: قال تعالى: وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٩٣). فالمقصد من الشرب هو حفظ النفس؛ لأن ماء القرية الذي يستقون منه، فإن لكل محلة ينزلها قوم ماء لسقياهم، وأخبرهم أن الماء قسمة بينهم، يوم غب الناقة، وذلك أنها كانت ترد الماء يومًا، وتغب يومًا، فقال جل ثناؤه لصالح: أخبر قومك من ثمود أن الماء يوم غب الناقة قسمة بينهم، فكانوا يقتسمون ذلك يوم غبها، فيشربون منه ذلك اليوم، ويتزودون فيه منه ليوم ورودها(٩٤).

المطلب الثالث: مقصد حفظ النسل

قال تعالى:(وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ)(٩٥). المقصد الذي يتبين من الآيات هو من مقاصد حفظ النسل من جانب العدم، فتصرف قوم لوط كان خلاف الفطرة السليمة؛ لأنهم لما قصدوا دار لوط أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة في هيئة الأضياف طلبا للفاحشة، وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل للوط: خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عميا لا يبصرون. قوله: فطمسنا أعينهم، يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق،

فارتكبوا المكروه من إتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، ولهذا أهلكهم الله هلاكا لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبعت بحجارة من سجيل منضود (٩٦)، وهذا العذاب الفريد وهو نكسهم ناسب فطرتهم المنكوسة؛ لأنهم أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة، ليفجروا بهم، كما هو دأبهم، يقال: راودته عن كذا مراودة، ورواداً أي: أردته، وراد الكلام يروده رواداً أي: طلبه المرة بعد المرة، فالمعنى طلبوه المرة بعد المرة أن يخلي بينهم وبينهم، الطموس الدرس والانمحاء، أي: صيرناها ممسوحة، لا يرى لها شق، كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب، أي: أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها(٩٧)، فكان هذا لهم جزاء على ما أقدموا عليه من فعل شنيع، رادعًا لهم، وزاجرًا لغيرهم.

المطلب الرابع: حفظ العقل

العقل من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وميزه به عن الحيوان، فإذا فقد الإنسان عقله أصبح كالبهيمة يساق إلى حتفه وهو لا يشعر، وتختلط عليه الكثير من المفاهيم، وتتعطل أغلب جوانب حياته، ولذلك سنبين بعض المقاصد المتعلقة بحفظ العقل في ضوء بعض آيات سورة القمر وكما يأتي:

أولاً: الصدق والتصور الصحيح: قال تعالى:(وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)(٩٨).

العقل السليم الذي يتحلى بالتصور الصحيح، والفكر السديد، والتصديق الجازم لكل ما تألفه العقول الراجحة، هذا من الناحية الإيجابية، أما من الناحية السلبية، فعقول مريضة، تتحلى بالسفاهة، ذات أفكار مشوبة، أشربت من زيغ هواها، تظهر لها الحقائق أكاذيب مغلوطة.

ولذلك فإن الآية آنفة الذكر من أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به النبي محمد ، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار إلى القمر، فانشق بإذن الله تعالى فلقتين، فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخييل، فشاهدوا أمرًا ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرا، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم، وقالوا: سحرنا محمد، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل(٩٩).

وقال تعالى:(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)(١٠٠). فإن قوم نوح بعقولهم المريضة، كذبوا عبدنا نوحا إذ أرسلناه إليهم، كما كذبتك قريش إذ أتيتهم بالحق من عندنا وقالوا:(مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)(١٠١)، وأن هذا كان في الدنيا لا في القيامة انتهى، ولم يأت من خالف الجمهور وقال إن الانشقاق سيكون يوم القيامة إلا بمجرد استبعاد فقال: إنه لو انشق في زمن النبوة لم يبق أحد إلا رآه لأنه آية والناس في الآيات سواء، ويجاب عنه بأنه لا يلزم أن يراه كل أحد لا عقلاً ولا شرعاً ولا عادة، وأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون، والأبواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقَلَّ من يتفكر في السماء أو ينظر إليها(١٠٢).

ثانيًا: من مقاصد حفظ العقل عدم اذهابه بتعاطي المسكرات: قال تعالى:(فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ)(١٠٣).

«المعنى: نادى ثمود صاحبهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة يحضونه على عقرها، (فتعاطى) التعاطي تناول الشيء بتكلف، أي: تناول الناقة بسيفه (فعقر) أو اجترأ على تعاطي أسباب العقر فعقرها غير مكترث»(١٠٤). أي: «إنه تعاطى الخمر فسكر ليصير جريئا على الفعلة التي هو مقدم عليها، وهي عقر الناقة التي أرسلها الله آية لهم وحذرهم رسولهم أن يمسوها بسوء فيأخذهم عذاب أليم... وتمت الفتنة ووقع البلاء»(١٠٥).

ولذلك جعل الشارع الحكيم من مقاصد حفظ العقول من جانب العدم، تحريم المسكرات حيث ثبت بإجماع الشرائع

ويجب فيها الحد منعًا وردعًا لشاربها وزجرًا لمن تسول له نفسه، فيستحيل أن تشتمل عليه ملة من الملل، وشريعة من الشرائع، التي جاءت لإصلاح الخلقِ، فكما لم تختلف الشرائع جميعها في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة، كذلك لم تختلف في تحريم المسكر(١٠٦).

لأن من أهم المقاصد العامة للإسلام: تزكية الإنسان، وهو مقصد ثابت نصًا واستقراءً، قال تعالى:(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ)(١٠٧)، فكان من تزكية الإنسان تزكية عقله، بتنميته وترشيده وتشغيله، وهذا ما فعله الشرع، حيث عمل على تحرير العقول وإطلاقها من قيودها، ورفع عنها ما كان يعطلها من أوهام وخرافات، وطعمها بقيمه وأحكامه، ثم ترك لها المجال واسعًا لتعمل وتتزكى، وهذا وجه آخر من وجوه حفظ العقل، فحفظ الشريعة للعقل ليس منحصرًا في تحريم المسكرات والمعاقبة عليها، فكم من عقول ضائعة وهي لم تر ولم تعرف مسكرًا قط، ولكن أسكرها الجهل والخمول، والتعطيل، والتقليد(١٠٨).

فإذا كان الخمر يذهب بالعقل بالكلية، ويخرج من سكر به عن بشريته التي وهبها الله له؛ فإن الكبر والعناد يقتربان من الخمر –لغةً– في أنهما يخامران العقل أي: يغطيانه ويحجبانه عن إدراك الحق والنطق به ولو كان كالشمس في وضح النهار، قال ربنا عزوجل:(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...)(١٠٩)، وقال عزوجل:(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)(١١٠)، فإن اعتراض المشركين ليس على التنزيل بل على اختيار المُنزَل عليه، وهذا من الكبر والغرور، فإا كان الخمر حرام بالنص لعلة الإسكار؛ لأنه يذهب العقل الذي هو مناط التكليف، فالكبر والعناد يغطيان العقل حتى يجعلانه لا يرى الحق حقًا وإن كان بينً واضحًا، كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر» فأي: عناد أكثر من أن يعرف الإنسان الصادق من الكاذب ثم يدفعه كبره وعناده على اتباع الكاذب، فمن هذه الجهة كانت الآية دليل لمقصد حفظ العقل.

وعلى هذا، فإن إعمال العقل وفسح المجال له، ليس فحسب مساعدًا على تقدير المصالح وحفظها، بل هو نفسه مصلحة من المصالح الضرورية؛ لأن في إعماله حفظًا له. وحفظه هو أحد الضروريات المتفق عليها.

المطلب الخامس: حفظ المال

مقصد حفظ المال لا مناص للضروريات الأخرى بدونه؛ إذ كيف يتصور للإنسان وجود إذا لم يوجد مصدر عيشه وقوته الذي يبقى بقاء نفسه عليه؛ وإذا في النفس فالعقل تابع له، ولا وجود للنسل بدون منسله، وما لا تحصيل في الحياة للنسل فلا قائمة للدين(١١١). ولذلك يمكن أن نلتمس من سورة القمر بعض المقاصد المتعلقة بحفظ المال وكما يأتي:

أولًا: مقصد التوفير والترشيد وحسن التدبير(١١٢): بإنمائه وإثرائه وصيانته من التلف والضياع والنقصان(١١٣)، قال تعالى: وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ، نستنبط من هذه الآية الكريمة أهم مقصد من مقاصد المال هو تحصيل الوفرة المالية بالممكن المتيسر وحسن التدبير، فما كانت الألواح الخشبية والمسامير البسيطة لها القدرة على حمل هذا الكم الهائل من المخلوقات، ولكنها تصلح بأن تكون أداة ووسيلة لتحصيل المال فهي مورد من موارده، فلولا قدرة الله تعالى ما أغنت الألواح والمسامير بشيء، وإن كان المقصد الظاهر هو حفظ النفوس والإرساء بها إلى بر الأمان؛ ولكن بدون المال وحسن التدبير لا يكتمل المقصود، فهنا توجيه للأخذ بالأسباب وتعليقها على ستار القدرة وجعل الأمر لمسبب الأسباب، وعليه فما على الإنسان إلا السعي في مناكب الأرض بحسب الممكن المتوفر، قال تعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ)(١١٤).

ولذلك كان قضاء حاجات الناس مرهونة بقدرات من القيت على عاتقهم هذه المسؤولية، على وجه يحقق المصلحة والعدل والرحمة فيما بينهم، فلكل عمل من الاعمال، أو تصرف معتبر من التصرفات عقد خصه الشارع به، فاحتياجات الإنسان اليومية لا يمكن له وحده أن يقوم بأدائها لكثرتها، ولعدم قدرته على توفيرها كلها عمليا، واحتياجه إلى وجود سوق الشغل واستخدام الكثير من أصحاب القدرات والمواهب الراقية، دفعا للمشقة ورفعا للحرج، ولذلك اجيز عقد الاستصناع لتحقيق الغرض أعلاه، فهو عقدا يكون به تمليك المنفعة بعوض؛ لأن صناعة السفينة بالممكن

المتيسر، مع وجود عناية الله بأهل السفينة أمر متعلق بإجرائها وتجنيب الغرق عنها وسلامة ركابها واختيار الوقت لإرسائها وسلامة الركاب في هبوطهم(١١٥)؛ لأن المقصود من المال كل ما يتموله الإنسان لقيام مصالحه وسد حاجاته من متاع أو نقد أو مؤن أو آليات وغير ذلك، وليس هو خاصًا بالنقدين كما يظنه البعض(١١٦).

ثانيًا: العدل في قسمة الماء: قال تعالى:(وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ)(١١٧).

فإن مما جاءت به الشريعة من المحاسن قسمة الماء بين الناس، وهو نصيب من الماء أكان للأراضي أم لغيرها، قال الله تعالى:(قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ)(١١٨)،(١١٩)، كون الماء أصل قائم في تنمية الأموال وزيادتها، بل هو مال قائم بذاته لتحصيل المنافع، بالسقيا، (للبشر والحيوان والنبات)، ودخوله في كثير من مجالات الصناعة، وكذلك التجارة عن طريق الملاحة.

ومن مقاصد التقسيم العادل منع النزاعات والخصومات التي تفضي حصول الهرج في حياة الناس وعدم الاستقرار، وإقامة العدل بين الناس، وكما يأتي بيانه:

١ – منع النزاعات وقطع الخصومات: فإن الاصل في الماء أنه مباح، لكن لو ترك على اصل الإباحة ولم يقسم لأفضى إلى النزاع والفساد، فجعل لكل أحد نصيب من الماء لينتفع فيه ولا ينازع.

٢ – إقامة العدل: قال تعالى:(فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(١٢٠)، وقال تعالى:(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)(١٢١)، فمن أجل تحقيق العدل، ولكي يتساوى اصحاب الحقوق في الانتفاع ولا ينقص نصيب أحدهم عن الآخر، فيصطلحون على شيء من القسمة على قدر الأراضي، فيقدم أهل الحقوق فإذا أخذ حقه ترك الماء إلى من فوقه، حتى يتحقق معنى العدل، ولا يخفى ما في العدل من تحقيق المصالح وما فيه من الحسن الذي لا يخفى(١٢٢).

الخاتمة:

الحمد لله على ما أنعم، والشكر له على ما أتم وألهم، والصلاة والسلام على نبيه الأكرم وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

فبعد البحث والتأمل بمقاصد سورة القمر تتجلى لنا مجموعة من النتائج والتوصيات المهمة، أبرزها ما يأتي:

أولاً: أهم النتائج:

١ – إن علم المقاصد من العلوم الجليلة التي أهتم بها العلماء منذ زمن الصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى يومنا هذا.

٢ – إنَّ الاهتمام بدراسة مقاصد السور مما يعين المفسر للكشف عن الحكم والأهداف والغايات العظيمة التي جاء بها القرآن الكريم.

٣ – التحذير الشديد من الاستهزاء بالآيات والرسل؛ لأنه يوجب العذاب والهلاك كما حصل للأمم السابقة.

٤ – بيان ما تضمنته سورة القمر من المقاصد العظيمة التي تحقق مصالح العباد في الدارين في عاجلًا وآجلًا.

٥ – تؤكد سورة القمر أن القرآن الكريم ميسر للذكر، فقد تكرر هذا المعنى أربع مرات في السورة مما يثير انتباه القارئ على أنه مقصد مهم .

ثانيًا: أهم التوصيات:

١ – ضرورة إحياء روح تدبر القرآن الكريم والعمل به.

٢ – التمسك بالحق وعدم الاستهزاء به، فإن هذا كان سببًا لهلاك الأمم السابقة.

٣ – الاعتبار بقصص الأمم السابقة كوسيلة للاتعاظ، خشية الوقوع بما وقعوا به؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

٤ – تعظيم آيات الله تعالى ومعجزاته؛ فإن انشقاق القمر آية تدل على عظمة الله وقدرته، وتوجب الإيمان والتصديق.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الهوامش:

(١)الموافقات (٣/ ٢١٣).
(٢) سورة النحل من الآية: ٩.
(٣) يُنظر: الصحاح، للجوهري، مادة (قصد) (٢/ ٥٢٤)، ولسان العرب، ابن منظور، فصل القاف، مادة (قصد) (٣/٣٥٣).
(٤)تفسير الطبري (١٧/ ١٧٤).
(٥) تفسير فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ١٤٩).
(٦) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (قصد)(٣/٣٥٣), تاج العروس، للزبيدي، مادة (قصد)(٩/٤٣).
(٧) سورة التوبة: من الآية: ٤٢.
(٨)يُنظر: تفسير الطبري (١٤/٢٧١).
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه،(١/٩٧)، برقم (١٦٠-(٩٧))، باب تحريم قتل الكافر بعد ان قال لا إله إلا الله.
(١٠)يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، (٥/٣٢٩١), مختار الصحاح، للرازي، (١/٢٥٤).
(١١) سورة لقمان من الآية: ١٩.
(١٢) تفسير القرطبي (١٤/٧١).
(١٣) سورة البقرة من الآية: ١٤٣.
(١٤)يُنظر: تفسير المنار، للقلموني، (١/٢٥٧).
(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٩٨)، برقم (٦٤٦٣)، باب القصد والمداومة على العمل.
(١٦) أخرجه مسلم في صحيحه، (١/٢٨٧)، برقم (٨٦٦)، باب تخفيف الصلاة والخطبة.
(١٧) يُنظر: مجمل اللغة، لابن فارس، (١/٧٥٥).
(١٨) المصدر نفسه.
(١٩) يُنظر: علم المقاصد الشرعية، للخادمي (١/١٥).
(٢٠) هو الإمام احمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بشاه ولي الله الدهلوي العمري, ولد ونشأ في الهند, محدث أصولي فقيه حنفي, من أكابر العلماء (ت:١١٧٦هـ), من مؤلفاته: حجة الله البالغة والإنصاف في أسباب الخلاف وعقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد. ينظر ترجمته: معجم المؤلفين (١/٢٧٢)، أصول الفقه تاريخه ورجاله (١/٥١٨).
(٢١) حجة الله البالغة، لولي الله الدهلوي(١/٤).
(٢٢) هو الشيخ العلامة الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور (ت١٣٢٦هـ)، من مؤلفاته: التحرير والتنوير في التفسير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول الإنشاء والخطابة. ينظر ترجمته: الاعلام للزركلي (٦/١٧٤)، مسامرات الظريف بحسن التعريف (١/٢٥٣).
(٢٣)مقاصد الشريعة الإسلامية، لأبن عاشور (٢/١٢١).
(٢٤) هو: علال (أو محمد علال) بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري: زعيم وطني، من كبار الخطباء العلماء في المغرب. ولد بفاس وتعلم بالقرويين (١٣٢٦ - ١٣٩٤ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٧٤ م)، من مؤلفاته: هنا القاهرة مما ألقاه في اذاعتها، والنقد الذاتي، والمغرب العربيّ منذ الحرب العالمية الأولى، ودفاع عن الشريعة، ومقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. ينظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٦-٢٤٧).
(٢٥) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي (١/٧).
(٢٦) هو: نور الدين بن مختار الخادمي تونسي الجنسية من مواليد مدينة (تالة) بولاية (القصرين) يوم ١٨ مايو ١٩٦٣م، من مؤلفاته: كتاب الاجتهاد المقاصدي، كتاب تعليم علم الأصول، كتاب علم المقاصد الشرعية، الاستنساخ في ضوء الأصول والمقاصد الشرعية. ينظر: المعجم الجامع في تراجم المعاصرين (ص: ٣٦٢).
(٢٧) علم المقاصد الشرعية لنور الدين لخادمي (١/١٧)، الاجتهاد المقاصدي لنور الدين الخادمي(١/٤٣).
(٢٨)ينظر: جواهر القرآن، للإمام الغزالي (ص: ٢٣ - ٣٢) بتصرف، ولمعرفة المزيد مراجعة صفحات المصدر آنفة الذكر.
(٢٩)ينظر: أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة دراسة تحليلية (ص: ٤١).
(٣٠)شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (ص: ٦٥).
(٣١)يُنظر: التبيان في أقسام القرآن، لصديق حسن خان (ص: ٢٢٧).
(٣٢) يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور(٣٠/ ٣٤٥).
(٣٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور(٣/ ١٩٧).
(٣٤) ينظر: علم المقاصد الشرعية، نورالدين الخادمي (ص: ١٥٨).
(٣٥) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، لابن عاشور (ص: ٦٣).
(٣٦)التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٣٨٨).

(٣٧) سورة الحجرات الآية: ١٣.
(٣٨) مقاصد الشريعة الإسلامية، لأبن عاشور (٣/ ١٦٥)، وينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص: ٧).
(٣٩) المصدر نفسه (٢/ ١٢٣).
(٤٠) يُنظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٧/ ٣١٢).
(٤١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١/ ٣٧)، برقم (١-(٨)).
(٤٢) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، للشوكاني (ص: ٣ – ٤).
(٤٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (٣/ ١٥٨).
(٤٤) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للريسوني (ص: ٨).
(٤٥) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور(٢/ ١٢١).
(٤٦) المصدر نفسه (٢/ ١٢٣).
(٤٧) معالم الطريق إلى المعنى القرآني في كماله وامتداده (ص: ٦٦).
(٤٨)الموافقات، للشاطبي(٤/ ٢٦٨).
(٤٩)ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للريسوني (ص: ٨).
(٥٠)ينظر: مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية (ص: ٣٢).
(٥١)ينظر: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني:(٢٣٦)، وعلم المكي والمدني في عيون المستشرقين عرض ونقد، لزيد العيص (ص: ١٩).
(٥٢)ينظر: أسرار التكرار في القرآن، للكرماني: (٢٣٠).
(٥٣) سورة القمر مكية إلا الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦، فمدنية، ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٧٥).
(٥٤)سورة القمر من الآية (٤٤)، وبعدها من الآية (٤٦).
(٥٥) تفسير القرطبي (١٧/ ١٢٥).
(٥٦)سورة القمر من الآية (٤٥).
(٥٧)ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (٤/ ٤٣٠)، وفتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (١٣/ ٢٨١)، وتفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٢٥٤)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/ ١٦٥).
(٥٨)أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٥١٥).
(٥٩)ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي: (٣٠٧)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/ ١٦٥).
(٦٠)ينظر: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني:(٢٣٦-٢٣٧).
(٦١)ينظر: تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٢٥٤)، وفتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (١٣/ ٢٨١)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/ ١٦٥).
(٦٢)ينظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي: (١٣٤)، والبيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني:(٢٣٦)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/ ١٦٥).
(٦٣)سورة القمر الآية (٤٦).
(٦٤)اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي باب قوله تعالى: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ [القمر: ٤٦]: (١٧٩/٦) برقم (٤٨٧٦).
(٦٥)ينظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي: (١٣٥)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (٤/ ٤٣٠)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٧/ ١٦٥).
(٦٦) التفسير المظهري (٩/ ١٣٥).
(٦٧) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٨/ ١٩٦).
(٦٨)سورة القمر الآية (١)، الى نهاية الآية (٢).
(٦٩)سورة القمر الآيتان (٤٧ و ٤٩).
(٧٠)ينظر: أسباب النزول، للواحدي: (٢٦٨)، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي: (١٨٥)، والصحيح المسند من أسباب النزول، للوادعي (ص: ٢٠١).
(٧١) سورة القمر الآية: (٥٥).
(٧٢)ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي: (٤٤٥).
(٧٣) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، للقيرواني (١١/ ٧١٨٣)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (٢/ ١١٦١)، وتفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٢٥٤).
(٧٤) سورة القمر الآيات: (١ – ٦).

(٧٥) سورة القمر الآيات: (١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).
(٧٦) سورة القمر: الآيتان: (٥٢ – ٥٣).
(٧٧) البلاغة العربية، لابن حسن حَبَنَّكَة (٢/ ٧٤).
(٧٨) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(٧/ ١٣٤).
(٧٩) المصدر نفسه (٢٣/ ٩٧).
(٨٠) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/ ١٦٨).
(٨١) المصدر نفسه (٢٧/ ١٧٤).
(٨٢)سورة القصص الآية (٥٠).
(٨٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٨٢٤).
(٨٤) سورة القمر: الآيتان: ٥٢ – ٥٣.
(٨٥) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٢٦٠)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٣٠٩)، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٢٧/ ٢٢٤).
(٨٦) إحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ١٥٦).
(٨٧) مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٩/ ٣٣٠).
(٨٨)إحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ٤٠٣).
(٨٩) المصدر نفسه (٤/ ٣٩٤).
(٩٠) سورة القمر الآية: ١٢.
(٩١) يُنظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٢٠٩), مفاتيح الغيب، للرازي، (٢٩/ ٢٩٦).
(٩٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (١٣/ ٢٩٢).
(٩٣) سورة القمر الآية: ٢٨.
(٩٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٧/ ٢٠٠).
(٩٥) سورة القمر الآيات: ٣٧ – ٣٩.
(٩٦) يُنظر: تفسير البغوي (٤/ ٣٢٦)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٤٤)، تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٤).
(٩٧) يُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (١٣/ ٣٠٣)
(٩٨) سورة القمر: الآية: ٢.
(٩٩) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٨٢٤).
(١٠٠) سورة القمر: الآية٩.
(١٠١) يُنظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٦).
(١٠٢) يُنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (١٣/ ٢٨٤).،
(١٠٣) سورة القمر: الآية: (٢٩).
(١٠٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٥٢)، وفتح البيان في مقاصد القرآن، للقِنَّوجي (١٣/ ٣٠٠).
(١٠٥) تفسير السيد (٦/ ٣٤٣٣).
(١٠٦) يُنظر: مقاصد الشريعة الاسلامية وعلاقتها بالأدلة، لمحمد سعيد اليوبي (١/١٧٨).
(١٠٧) سورة البقرة: من الآية: (١٢٩).
(١٠٨) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للريسوني (ص: ٢٧٠).
(١٠٩) سورة النمل: الآيتان: (١٣، ١٤).
(١١٠) سورة الزخرف: الآية: (٣١).
(١١١) ينظر: التأمين التكافلي في ضوء مقاصد الشريعة (ص: ٢٤).
(١١٢) ينظر: المعاملات والمقاصد، د. عبدالله بن بيه (ص: ٢٨).
(١١٣) ينظر: علم المقاصد الشرعية (ص: ٨٤).
(١١٤) سورة الملك: من الآية: (١٥).
(١١٥) يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور(٢/ ٤٤٢), التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٧/ ٨٤).
(١١٦) يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، لليوبي (ص: ٢٤٩).
(١١٧) سورة القمر الآية: (٢٨).
(١١٨) سورة الشعراء آية: (١٥٥).
(١١٩) يُنظر: المبسوط، للسرخسي (٢٣/١٦١).

(١٢٠) سورة الحجرات، من الآية: (٩).
(١٢١) سورة الحديد آية: (٢٥).
(١٢٢) محاسن الإسلام، للبخاري الحنفي(١/١٠٩).

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم

١– الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، ط١، دار أبن حزم – بيروت– ٢٠١٠م.
٢– إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، ت، جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط، ١، دار الكتب العلمية – لبنان، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٣– أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: : ٤٦٨هـ)، د، ط، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، د، ت.
٤– أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)، ت، عبد القادر أحمد عطا، د، ط، دار الفضيلة، د، ت.
٥– أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، د، ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د، ت.
٦– أصول النظام الاجتماعي في الإسلامي، محمد الطاهر بن عاشور، ط، ٢، دار سحنون– ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.
٧– الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين– ٢٠٠٢م.
٨– الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
٩– إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، ت، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ١٩٨٢م.
١٠– البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، ت، صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٧ م.
١١– بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ت، محمد علي النجار، د، ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د، ت.
١٢– البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، ت، غانم قدوري الحمد، ط، ١، مركز المخطوطات والتراث – الكويت–١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.
١٣– تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، ت: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم– بيروت، ط: ١٤١٦،١هـ/ ١٩٩٦م.
١٤– تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، ت، محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار القلم – دمشق –١٩٩٢م.
١٥– تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ت، مجموعة من المحققين، د. ط، دار الهداية، د، ت.
١٦– التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ت، محمد حامد الفقي، د، ط، دار المعرفة– بيروت، د، ت.
١٧– التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، ط. التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م .
١٨– تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير–ط دار إحياء التراث العربي (٦٠٦)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٩– تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، ت محمد حسين شمس الدين، ط،١، دار الكتب العلمية –بيروت– ١٤١٩هـ.
٢٠– التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢هـ.
٢١– تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، د، ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب– ١٩٩٠م.
٢٢– تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٢٣– تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١٤٢٣،١هـ.
٢٤– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ت، عبد الرحمن بن معلا

اللويحق، ط.١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م.
٢٥– جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، ت، أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة – ٢٠٠٠ م.
٢٦– الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، د. ط، مير محمد كتب خانه –كراتشي، د.ت.
٢٧– حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم شاه ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)، ت، السيد سابق، ط١، دار الجيل– بيروت – ٢٠٠٥م.
٢٨– شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف (ت١٣٦٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٣م.
٢٩– شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ط، ١، دار ابن الجوزي– ١٤٣١ هـ.
٣٠– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ)، ت، محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة – ١٤٢٢هـ.
٣١– صحيح مسلم، أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، ط١، دار الغد الجديد – القاهرة– ٢٠٠٧م.
٣٢– علم المقاصد الشريعة، نورالدين بن مختار الخادمي– ط١، مكتبة العبيكان، ط: ١، الرياض– ١٤٢١ هـ–٢٠٠١م.
٣٣– فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري،المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، صَيدَا– بَيروت،١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.
٣٤– فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.
٣٥– الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، مطبعة النجاح – الدار البيضاء.
٣٦– القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، ت، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة– بيروت– ٢٠٠٥م.
٣٧– لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل (ت:٩١١هـ)، د، ط، دار إحياء العلوم – بيروت، د، ت.
٣٨– لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت٧١١هـ)، ط٣، دار صادر– بيروت – ١٤١٤هـ.
٣٩– المبسوط للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت٤٨٣هـ)، ت، خليل محي الدين الميس، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٢٠٠٠م.
٤٠– محاسن الإسلام وشرائع الإسلام، لأبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن البخاري (ت٥٤٦هـ)، د. ط، مكتبة القدس – ١٣٥٧هـ.
٤١– مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، ت، يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية – بيروت – ١٩٩٩م.
٤٢– مسامرات الظريف بحسن التعريف، محمد بن عثمان بن محمد السنوسي، أبو عبد الله (ت: ١٣١٨هـ)، د، ط، د، ت.
٤٣– مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، عبد السميع حسنين، د، ط، مكتبة المعارف– الرياض، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.
٤٤– معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨هـ)، د، ط، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د. ت.
٤٥– مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، ط٥، دار الغرب الإسلامي– ١٩٩٣م.
٤٦– مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ت، محمد الحبيب ابن الخوجة، ط، ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر– ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.
٤٧– مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، أبي أنس ماجد بن خنجر البنكاني.
٤٨– الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، ت، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط.١ دار ابن عفان، القاهرة، ١٩٩٧م.
٤٩– نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، أبو العباس أحمد بن أحمد السوداني الصنهاجي التنبكي (ت١٣٠٦هـ)، ط١،كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس –١٩٨٩م.
٥٠– نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط: ٢ – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

الفلسفة الأولى ونهج البلاغة

م.م. عدنان جحيل شدود الماجدي
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف/ وزارة التربية

المستخلص :

ابتدأ البحث الموسوم بـ (الفلسفة الأولى ونهج البلاغة) بخطة البحث مرورا عبر سطور بعلاقة الفلسفة الأولى بنهج البلاغة وهي علاقة متجذرة لانهما تهدفان الى معرفة المبدع الأول والايمان به وبوحدانيته وعدله، ثم دخل في المبحث الاول في تعريف للفلسفة الأُولى أي الفلسفة الالهية من خلال كلمات الفلاسفة والمفكرين، وإن كانت هي انتاج أنبياء الله ورسله(عليهم السلام)؛ لأنّهم هم الذين وضعوا أساسها. ورتَّبوا رُتبَها فجعلوها أولاً إذ أوّل الدين معرفته. ثم دخل البحث في المبحث الثاني وهو تعريف بنهج البلاغة في مجال الفلسفة الأولى من خلال الخطب التوحيدية والمعرفية التي طفحت أولاً وقبل كل شيء فيه لأجل الوقوف على الأسباب والعلل التي تنير الطريق امام المسلمين في اعتناق العقيدة الحقة المبتنية على الحكمة والفلسفة ، ومن ثم التعريف بنهج البلاغة من خلال ما قيل فيه ممّا له علاقة بالفلسفة والذي انتهينا فيه الى القول المشهور أن كلام نهج البلاغة دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وان المعرفة الفلسفية فيه يقينية، وقدَّمها الامام علي (عليه السلام). من خلال عبارات بليغة وفصيحة وفي غاية الاعجاب، وبدون عجز في تقرير الدليل ولا تعب كما هو شأن كثير من الفلاسفة في تقرير استدلالاتهم. ثم تناول البحث في المبحث الثالث إحاطة عَلَويّة معرفيّة فلسفية مع استدلال عقلي عليها، ومن أفضل الأدلة التي ذكرت هنا هو دلالة العلة على وجود المعلول، ودليل التمانع ثانياً. ثم انتهى المبحث في ذكر ما امتاز به نهج البلاغة في معرفته عن المعارف التي يتباهى بها الفلاسفة

الكلمات المفتاحية:البلاغة، المعرفة، العلة، الفلسفة الإلهية، وجود المعلول.

Abstract:

The research titled «First Philosophy and Nahj al-Balagha» begins with a research plan, progressing through the discussion of the relationship between first philosophy and Nahj al-Balagha. This relationship is deeply rooted, as both aim to understand and affirm belief in the First Creator, His oneness, and His justice.

The first chapter defines first philosophy, also known as divine philosophy, through the words of philosophers and thinkers. Although first philosophy is a product of divine prophets and messengers—since they laid its foundation and structured its ranks—it is considered the first discipline, as the essence of religion begins with knowing God.

The second chapter introduces Nahj al-Balagha in the context of first philosophy by analyzing its monotheistic and epistemological sermons, which primarily illuminate the reasons and causes that guide Muslims toward embracing the true doctrine based on wisdom and philosophy. Additionally, this section examines statements about Nahj al-Balagha that relate to philosophy, leading to the well-known conclusion that its discourse is «below the words of the Creator and above the words of creation.» The study asserts that the philosophical knowledge within Nahj al-Balagha is definitive, presented by Imam Ali (AS) in eloquent, highly expressive statements, without

deficiency in argumentation or exertion in reasoning—unlike many philosophers who struggle to articulate their arguments.
The third chapter explores Imam Ali's profound epistemological and philosophical insights, supported by rational arguments. Among the strongest proofs discussed are the argument of causality—which establishes the necessity of the effect's existence based on its cause—and the argument from mutual hindrance (tamānuʿ). This section concludes by highlighting the unique characteristics of Nahj al-Balagha's knowledge, distinguishing it from the philosophical insights esteemed by philosophers.

.Keywords: rhetoric, knowledge, cause, divine philosophy, existence of effect

المقدمة:

إنَّ الفلسفة الأولى هي الفلسفة الإلهية وهي الحكمة الإلهية، وهي العلم الباحث عن أحوال الموجود بما هو موجود، وتسمى أيضا بـ «العلم الأعلى»، ويطلق عليها في الرؤية القرآنية بالعقل النظري. وموضوعها: « الموجود بما هو موجود»، وغايته:«تمييز الموجودات الحقيقية من غيرها، ومعرفة العلل العالية للوجود – وبالأخص العلة الأولى التي إليها تنتهي سلسلة الموجودات، وأسمائها الحسنى، وصفاتها العليا، وهو الله عز اسمه(١)، وأوّل من سمّى هذا العلم بـ «الفلسفة الأولى». هو الشيخ الرئيس حيث قال:«وهو الفلسفة الأولى، لأنّه العلم بأول الأمور في الوجود، وهو العلة الأولى وأول الأمور في العموم». وقال صدر المتألّهين في وجه تسمية هذا العلم بالفلسفة الأولى – تعليقا على كلام الشيخ الرئيس: « إن المعلوم به ممّا له الأوليّة على كل شيء لوجهين. وهما الوجود والمعنى. فالأول كواجب الوجود، فإنّ وجوده أوّل الوجود. والثاني كالوجود في أوليّته فإنَّ معناه أوّل المعاني»(٢).
بل هي الحكمة النظرية التي وضعها الأنبياء (٣). التي تختَّص بكيفية العلم وحده (٤)، وعن الموجودات الخارجة عن قدرتنا وارادتنا (٥)، والتي يختص البحث فيها أيضاً عن المجردات مطلقاً، والعلم بما يفارق المادة، كالواجب وصفاته أي معرفة الاله، والعقول، والنفوس، ويتبعه الكلام في النبوة والإمامة والمعاد، وهي القسم الأول من أقسام الحكمة النظرية في معلوماتها (٦)، ويطلق عليها بالعقل النظري من وجهة نظر قرآنية (٧)، ويتوقّف الاستفادة من الحكمة النظرية التي قوامها بالعلم على العمل، والحكمة العملية التي قوامها بالعمل على العلم؛ لأنه لا قيمة للعلم إلا بعمل، ولا عمل إلا بمعرفة، وأن العلم بلا عمل وبال، والعمل بلا علم ضلال، والعالم التارك لعلمه أشد الناس حسرة يوم القيامة، وأن أهل النار ليتأذُّون من ريحه، وأن العامل على غير بصيرة كالساير على غير الطريق لا يزيده كثرة السير إلّا بعداً (٨)، وبعبارة أخرى ان الحكمة النظرية هي العلم بما يدفع الانسان عن فعل القبيح (٩)، وهي تقود الى العِبرة وهذه تقود الى العلم بالسُّنة والأخيرة تفيد المعاينة لأهلها(١٠)، وهي أشرف الكمال لأنه لا كمال أشرف من معرفته تعالى بصفاته ومعرفة أفعاله في المبدأ والمعاد(١١)، والقسم الذي تفرّد فيه البحث مهمٌّ جدّاً بأهمية موضوعاته والبرهنة عليها، وما أدراك ما البرهنة عليها، إذ البرهنة على أصلَي التوحيد العملي والعدل مثلا، هذين الاصلين اللذين افترقت فيهما طائفة المجبرة حيث انحازت الى أصل التوحيد فقط، وطائفة المفوِّضة التي انحازت الى العدل فقط من خلال التزام مبنى اهل البيت عليهم السلام في كون الحقّ مع الامر بين الامرين كما جاء عن الامام الصادق(عليه السلام):«لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين»(١٢) يدفع البدعة، ويثير العقل الذي تدعمه الرسالات الإلهية في الوقوف على الحقّ.
نعم تلتقي الفلسفة الإلهية بهذه الأمور المهمّة جدّاً التوحيد والعدل والنبوة والمعاد مع الامام علي(عليه السلام). على صعيد حقّ التوحيد وحقّ العدل وحقّ النبوة وحقّ الإمامة وحقّ المعاد؛ لأنه(عليه السلام) عَلَمٌ فيهنَّ مشهور.

فقد ثبت الخبر عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، اللهم أدِرِ الحقّ مع عليّ حيثما دار» (١٣)، أي في أي مسألة يختلف فيها، فأمّا التوحيد الحقّ فحسبنا من نهج البلاغة الخطبة الأولى من خطبه الشريفة التي أزاحت عنه كل شائبة شرك وتجسيد وتشبيه وجحود. وحسبنا في المعرفة اليقينية التي لا معرفة فوقها قوله(عليه السلام):«لو كُشِف لي الغطاء لما ازددتُ يقينا»(١٤) وأمّا عدله فهو كفصاحته فإن قلتُ فيه قولاً فهو معجزته حتى على المخالفين، جاء في شرح نهج البلاغة مقدمة المحقق١/ ٩ « أنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً ، ونفساً واحداً ، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الألفاظ في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوله كوسطه، وأوسطه كآخره، وكل سورة منه، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقي الآيات والسور» ١/ ٩ « أقول: لكن الأول كلام الخالق والثاني كلام المخلوق.

وقد جاء في عدله ممّا رواه الشعبي مع رعاياه(عليه السلام) من غير المسلمين:» خرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق فإذا هو بنصراني يبيع درعاً، قال: فعرف عليٌّ رضي الله عنه الدرع، فقال: هذه درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين ، قال: كان قاضي المسلمين شريح، كان علي استقضاه . . . فقال شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين ، قال: فقال عليٌّ رضي الله عنه : هذه درعي ذهبتْ منّي منذ زمان، قال: فقال شريح: ما تقول يا نصراني؟ قال: فقال النصراني: ما أكذب أمير المؤمنين، الدرع هي درعي، قال: فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده، فهل من بيّنة؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: صدق شريح، قال: فقال النصراني: أما أنا أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يجئ إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، هي واللهِ يا أميرَ المؤمنين درعك اتبعتُك من الجيش وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتُها، فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، قال: فقال عليٌّ: أما إذا أسلمتَ فهي لك، وحمله على فرس عتيق، فقال الشعبي: لقد رأيته يقاتل المشركين» (١٥).

وما سفينة الفلسفة التوحيدية وفلسفة العدل والنبوة والامامة والمعاد والحق والإنسانية والمعرفة المدعومة بالسيرة العملية المعصومة.. إلّا خير السفن التي رست على شواطيء عليٍّ(عليه السلام) الآمنة البليغة والملزمة بالآيات الكريمات. هذه المعرفة انطلق منها بعض الفلاسفة بإخلاص يرفعونَ رايتها ويرَوْنَ فيها كمال الإنسان.

سبب اختيار عنوان البحث:

وقد اخترنا البحث في هذا المجال لأهمية مضامينه بل هي الأساس في كلّ معرفة حقّة.

الهدف من البحث والدواعي:

الوقوف على الرابطة بين حكماء الفلسفة وعلم أمير المؤمنين علي(عليه السلام). أوضح مصاديق العلماء الراسخين في الملّة، والوقوف على ما يتحصّل منها في طريق كمال الانسان وتخليص نفسه مما يحجبها ويحط من قدرها. والربط بين المعرفة عندهما وبين السيرة العملية التي تقوم على تلكم المعرفة، ومعرفة دور العقل في أدراك الحق والباطل في كل زمان ومكان.

الجديد في البحث:

الوقوف على ما ينبغي القيام به في الفلسفة الالهية بعد البرهنة على موضوعاتها إن من خلال العقل الفلسفي وإن من خلال نهج البلاغة والوقوف على ما يحصِّل السعادة في الدنيا والآخرة من خلال التعاضد بين انتاجات عظماء الفلسفة الالهية وانتاجات العلماء الراسخين في الامة والذين يقف الامام علي (عليه السلام) على رأسهم في مجال تكميل النفس الانسانية.

السابقة في البحث:

لعلّ البحث بعنوانه الذي أخذ من الفلسفة جانبها الالهي ومن نهج البلاغة نفس الجانب يسجِّل سابقة في أسلوبه المتعاضد بين الفلسفة الإلهية ونهج البلاغة.

منهج البحث:

لا يناسب المقام الا المنهج التحليلي.

فرضية البحث:

ان الأسئلة المؤقتة التي تحمل في طياتها أجوبة مؤقتة عن مشكلة البحث هي:

١– هل ان البحث مرتبط بأقسام الحكمة العملية طرّاً؟

٢– هل ان الفلسفة الالهية تلتقي مع نهج البلاغة في الوفاء بما ينبغي القيام به مما تمّ التعرف عليه من الحق؟

٣– هل ان الفلسفة الأولى (الفلسفة الإلهية) في جانبها النظري المجرد على حدّ نهج البلاغة في ذات الجانب؟

٤– بم تتميز الفلسفة الاولى عند الفلاسفة عن نهج البلاغة في خطبه الإلهية؟ وبكلمة أُخرى هل ان وسائل اثبات الإله كطريق من طرق الفلسفة الالهية هي نفسها في نهج البلاغة؟

مشكلة البحث:

هل ان البحوث الإلهية في الفلسفة ونهج البلاغة كافية للعقول الفلسفية والعقول الايمانية في الوقوف على حقيقة موضوعات الفلسفة الإلهية ام لا زالت العقول تنهل من قوله تعالى (رب زدني علما)؟

هيكلة البحث:

وقد وقع البحث الموسوم بـ (الفلسفة الأُولى ونهج البلاغة) في ثلاثة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: تعريف بالفلسفة الأُولى من خلال كلمات الفلاسفة والمفكرين.

المبحث الثاني: تعريف بنهج البلاغة في مجال الفلسفة الأولى.

المبحث الثالث: الإحاطة العَلَويّة المعرفيّة الفلسفية والاستدلال العقلي في نهج البلاغة.

وقد انتهى البحث بالخلاصة، وجملة من التَّوصيات، وبفهرست لمصادره، والحمد لله رب العالمين، والحمد لله كما يحب الله ان يحمد، والحمد لله كما هو أهله، وصلّى الله على محمد واله الطاهرين.

المبحث الأول:

تعريف بالفلسفة الأُولى من خلال كلمات الفلاسفة والمفكرين

التعريف بالفلسفة الأولى

إنّ التعرف على الفلسفة الأولى وهي الفلسفة الإلهية يقود البحث الى التَّعرف على أقسام الحكمة النظرية، يقول ابن ميثم البحراني: «أما اقسام الحكمة النظرية فهي هذه:

١– حكمة تتعلَّق بما في الحركة والتغيّر من حيث هي في الحركة والتغير، وهي الحكمة الطبيعية إذ كان البحث الطبيعي لاعن ذات الجسم بل عن كونه متحركاً وساكناً.

٢– حكمة تتعلَّق بأمور من شأنها ان يُجرّدها الذهن عن التغيّر وإن كان وجودها مخالطاً للتَّغَيُّر وتسمّى حكمة رياضية.

٣– حكمة تتعلَّق بما وجوده مستغنٍ عن مخالطة التَّغير فلا يُخالطها أصلاً، وان خالطها فبالعرض لا أنَّ ذاتها مفتقرةٌ في تحقّق الوجود إليه، وتسمى الفلسفة الأولى والفلسفة الإلهية، وهي معرفة الإله من هذه.» (١٦) .

اذن فالفلسفة الأولى هي الفلسفة الإلهية، وتقدم انها أحد أجزاء الحكمة النظرية، والبحث فيها يدور حول الله الواجب الوجود وحول فردانيته، والتي هي ليست بمعرفة غريزية، بل متى حصلنا عليها كانت حاصلة لنا من حيث هي معرفة، وان لم نفعل فعلاً، ولم نتخلّق بخُلُق، كما هو حال الحكمة العملية في جزئها الأخلاقي (١٧)، والفلسفة الإلهية هي الحكمة العلمية (النظرية) التي وضع أنبياء الله حجر أساسها (١٨)، وهي ما كان اهتمامها بمطلوب الإنسان سيَّما الكامل منه، بل غاية مناه. وبعبارة أخرى لا فرق بين ما كان مطلوباً فيها للإنسان الكامل وغيره؛ لأنَّهما في الخَلْق والبَعث سواء، قال تعالى:(ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) ٢٨/ لقمان، هذا بالإضافة الى ان الإنسان الكامل كالنَّبي ووصيّه (عليهما السلام) هو مطلوب معرفته في مثل هذا البحث ولكن صفحات البحث

الأكاديمي لا تسع، فاقتصرنا على المطلوب الأول الذي لا زال كنزاً مخفياً تدور المعرفة حوله، وتَحارُ فيه، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)لأمير المؤمنين(عليه السلام): « لا يعرف الله الا أنا وأنت، ولا يعرفني إلّا الله وأنت، ولا يعرفُك إلّا الله وأنا»(١٩). نعم يحبُّ الإنسان أن يترقّى في معرفته فيحبّ وجود واجب الوجود، ويهرب من العدم، ويحبّ مُظهرِيّة واجب الوجود مَن ليس كمثله شيء، ويحبّ فردانيّة واجب الوجود، قال تعالى: (كل حزب بما لديهم فرحون)٥٣/ المؤمنون، بل يحبُّ الانسان ما كان وجوده تابعاً الى الله، ومن الله، والى الله كالحياة والعلم والقدرة والغناء، وغيرها من توابع الوجود كل ذلك لجهة نورانية المطلوب الأكمل، والمزية بين بني الانسان في ذلك بالاستشعار(٢٠). يقول صاحب شرح الأسماء:«مطلوب كلّ دان منهم عاليهم، ومطلوب كل عال أعلى منه، وهكذا إلى ربهم الاعلى فإنك ترى طالب العلم الرسمي يرجو ان ينال طرفا من علم الأدب فإذا نال يريد ان يبلغ كماله وإذا بلغ يشتاق ان يصير فقيهاً عالماً بالفروع، وإذا صار يحب ان يكون متكلِّماً عالماً بالأصول، وإذا كان يطلب أن يعلم حكمة المشائية، وإذا علم يتخطّى في الإشراق والتألّه، وإذا تألّه يقصد ان يتوغل في التأله، وإذا توغّل يعشق التمكّن في مقام حقّ اليقين، فالكلُّ متواجدون في عشق جماله، ولولاه لجاز الوقوف على مرتبة من المراتب، واطمأنوا بمطلب من المطالب، وليس كذلك (الا بذكر الله تطمئن القلوب)٢٨/ الرعد»(٢١)، ومن هذا المنطلق ربط الانسان أزمة نفسه وعقلها بمشيئته تعالى: ورد في دعاء الصباح المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام): «إلهي هذه أزمّة نفسي عقلتها بعقال مشيتك» (٢٢).

والفلسفة الإلهية التي قلنا عنها قبل قليل هي الحكمة النظرية وان كانت في قسم من أقسامها، فهي تقع من حيث الترتيب أولا وابتداءً، وتتلوها الحكمة العملية (٢٣) وهذا الترتيب ضروري؛ لأنّ العبادة عمل، ولا تقبل بدون معرفة، ألَا ترى إنَّ الله إنّما وجّه أمره بالسجود للملائكة بعد أن عرفوا علمه وقدرته، وضرورة « أنَّ مجرّد الإيمان لا يكفي، ولذلك لاحظ جانب الواقع، وأخذ بتوجيههم إلى الشرطين: الحكمة النظرية، والحكمة العملية»(٢٤). أي إلى أن يعرفوه بما هو يستحقّه وأن يطيعوه بما يناسب ذاته جلّ وعلا. وقضية الترتيب بين الحكمة النظرية والعملية مثلما هو منهج ملائكي كما تقدم فهو منهج نبوي فقد ورد في تفسير الأمثل إن إبراهيم(عليه السلام) طلب من الله قبل كلّ شيء المعرفة العميقة الصحيحة المقرونة بالحكمة(رب هب لي حكما) ٨٣/ الشعراء، لأنَّ المعرفة هي أساس الدين(الحكمة النظرية)، وقد سأل الله عزَّ وجلَّ أن يُلحقه بالصالحين، وفي هذا الدعاء إشارة الى الحكمة العملية التي سبقتها الحكمة النظرية، وليس للحكمة النظرية حدٌّ كما ليس للحكمة العملية حدٌّ، وبناء على هذا فقد طلب إبراهيم (عليه السلام) من ربّه تعالى رغم أنّه كان يتمتَّع بمقام الحكمة النظرية وأنّه في زمرة الصالحين أن يُلحقه بالصالحين؛ لأنّه ليس للحكمة حدٌّ معيَّن، ولا لصلاح الإنسان حدٌّ، فهو يطلب ذلك ليبلغ المراتب العليا من العلم(الحكمة النظرية) والعمل (الحكمة العملية) يوماً بعد يوم، حتّى وهو في موقع النبوّة ، وأنه من أُولي العزم . . لا يكتفي بهذه العناوين . . . وهكذا يترقَّى إبراهيم (عليه السلام). بالطلب من رُتبة إلى رُتبة أُخرى؛ لأنّه يعلم إنَّ من الممكن في أي لحظة أن تسلب هذه المواهب أو تزلَّ به القَدَم، بل يطلب دوامها من الله إضافة إلى التكامل، كما أننا نخطو ونسير –إن شاء الله – بمعرفتنا في الصراط المستقيم، ومع ذلك فكلّ يوم نسأل ربَّنا في الصلاة أن يهدينا الصراط المستقيم في الجانب العملي، وهكذا يتوسّع إبراهيم (عليه السلام) فلا يقتصر في طلبه في حدود زمانه بل يمتدّ الى زمان الأجيال القادمة فيقول (واجعل لي لسان صدق في الآخرين.)٨٤/ الشعراء، أي اجعلني بحال تذكرني الأجيال الآتية بخير، واجعل منهجي مستمرّاً بينهم فيتَّخذوني أسوة وقدوة لهم فيتحرّكون ويسيرون في منهاجك المستقيم وسبيلك القويم . . . فاستجاب الله دعاء إبراهيم(عليه السلام) كما يقول سبحانه في القرآن الكريم:(وجعلنا لهم لسان صدق عليا)(٥٠/ مريم)(٢٥). ثم ينظر إبراهيم إلى أفق أبعد من أفق الدنيا، ويتوجه إلى الدار الآخرة، فيدعو بدعاء رابع فيقول: واجعلني من ورثة جنة النعيم. « جنة النعيم». التي تتماوج فيها النعم المعنوية والمادية، النعم التي لا زوال لها ولا اضمحلال»(٢٦).

وسر هذا المنهج هو ان الكمال لا يتحقَّق إلّا من خلاله ولهذا لم يتخطه نبي من الأنبياء عليهم السلام، يقول الرازي في تفسيره: « فحكي عن إبراهيم(صلى الله عليه وآله) وسلم قوله (رب هب لي حكما) / ٨٣الشعراء، وهو الحكمة النظرية (وألحقني بالصالحين) ٨٣/الشعراء الحكمة العملية ، ونادى موسى عليه السلام فقال: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا)١٤/ طه وهو الحكمة النظرية، ثم قال : (فاعبدني) ١٤/ طه وهو الحكمة العملية ، وقال عن عيسى(عليه السلام) إنه قال: (إنّي عبد الله)٣٠/ مريم ، وكل ذلك للحكمة النظرية، ثم قال:(وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيّاً) ٣١ / مريم وهو الحكمة العملية، وقال في حقِّ محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم): (فاعلم أنه لا إله إلا الله) ١٩/ محمد، وهو الحكمة النظرية ، ثم قال: (واستغفر لذنبك) ٥٥ /غافر وهو الحكمة العملية ، وقال في جميع الأنبياء: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا) ٢/ النحل، وهو الحكمة النظرية ثم قال: (فاتقون) وهو الحكمة العملية، والقرآن هو من الآية الدّالة على أنّ كمال حال الإنسان ليس إلا في هاتين القوتين»(٢٧).

لقد تقدَّم أنَّ المنهج عند أصحاب الأفكار العقلية هو الترتيب بين الحكمة النظرية أوَّلا ثمّ العملية ثانياً، إلّا أنَّ المنهج عند أصحاب الرياضات بالعكس، فهم يمارسون الحكمة العملية أوّلاً حتّى يفتح الله عليهم الحكمة النظريّة، يقول الرازي في تفسير قوله تعالى: (آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين)٢٢/ يوسف تحت عنوان القول الأول: «إنَّ الحكم والحكمة أصلهما حبس النفس عن هواها، ومنعها مما يشينها، فالمراد من الحكم الحكمة العملية، والمراد من العلم الحكمة النظرية. وإنما قدّم الحكمة العملية هنا على العلمية؛ لأنَّ أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العملية ثمّ يترقُّون منها إلى الحكمة النظرية. وأمّا أصحاب الأفكار العقلية والأنظار الروحانية فإنّهم يصلون إلى الحكمة النظرية أولاً، ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية، وطريقة يوسف (عليه السلام) هو الأول، لأنّه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله عليه أبواب المكاشفات، فلهذا السبب قال: (آتيناه حكما وعلما) (٢٨).

المبحث الثاني:

تعريف بنهج البلاغة في مجال الفلسفة الأولى:

التعريف بنهج البلاغة:

وأمّا نهج البلاغة فهو كلام الامام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) بما فيه من العلم الكامل والبيان التامّ، وبما وصلنا فيه من حديث وادعية ومناظرات ووصايا وخطب هي في أعلى درجات البلاغة والفصاحة. ويمثل منهجه الوحيد الذي لا يتميّز به غيره، ولهذا السبب إذا عرض على كلام الامام عليّ (عليه السلام) كلامٌ لآخرين فإن كان مطابقاً لمنهجه كان منه وإلّا فهو ليس. فهو فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ومَئِنّةٌ وعلامة على علمه الإلهي وحكمته العلمية والعملية. ولا يهمُّ التعريف بنهج البلاغة في هذا المبحث الا المعرفة العَلوية منها بمقدار ما تلتقي بالفلسفة؛ لأنّها لا نظير لها. وقد جعلها (عليه السلام) أوّل الدِّين وأساسَه الذي يقوم عليه. قال (عليه السلام): « أوّلُ الدِّين معرفتُه»(٢٩).من خلال التأمّل والتدبّر والتفكير والتعقّل. وقد الزم كل ذلك ما يقوله الشرع الحنيف. ولأجل الوقوف على ذلك ينبغي للبحث ان يمرَّ على نبذ من كلامه وخطبه التي يلتقي فيها مع العقل الكلامي والفلسفي.

جاء في نهج البلاغة «لا يُشمَل بحَدٍّ، ولا يُحسب بعدٍّ، وإنما تَحُدُّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها». وهي خطبة طويلة فيها من اللاءات النافية وأدوات النفي الاخرى ومعانيها ما يناهز الثمانين وكلُّها يطرد عن الذات الإلهية كلَّ ما يقرِّب التجسيم والتشبيه والجحود، ويجمع فيها من أدلة العقل ما يتجلّى فيه المولى الى القلوب والابصار، وتعجز الفلاسفة بكل نظرياتها العقلية أن تأتي بمعارف إلهية يقينية مثلها، نأخذ منها المقاطع التي فيها اللاء النافية ومعانيها تاركين الاستدلال عليها لمن يراجع قراءتها في مضانّ خطبه (عليه السلام) في نهج البلاغة وفي كتب شرحها، هذا. وقد ألحقت بهذه المقاطع مقاطع أخرى من خطبه الشريفة التي تتضمن اللاءات المزبورة التي

تمنع المشبّهة والمُمثّلة والجاحدين والمشكّكين أن يقوم لهم قائم، وقد بلغ ما فيها –وهي بعض من كلّ لم نستوفِه في هذا البحث– ما يقرب من السبعين لاءً نافية وما يؤدي غرضها من أدوات النفي الاخرى. وهذه اللاءات كالتالي: (لا يشمل، ولا تجري، لا يحول، ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفول، لم يلد، ولم يولد، لا تناله الأوهام، ولا تتوهمه الفطن، ولا تدركه الحواس، ولا تلمسه الايدي، ولا يتغير بحال، ولا يتبدل بالأحوال، ولا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيّره الضياء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا يعرض من الاعراض بالغيرية والابعاض، ولا يقال له حد، ولا نهاية، ولا انقطاع، ولا غاية، ولا ان الأشياء تحويه، ولا ان الأشياء تحمله، ليس في الأشياء يوالج، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان، ويسمع لا بخروق، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة، يقول لما أراد كونه كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا نداء يسمع، خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، وانشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وارساها على غير قرار، واقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصَّنها من الأَوَد والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه، لا يعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج الى ذي مال فيرزقه، لا يستطيع الهرب من سلطانه الى غيره، ولا كفؤ له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه، وانه يعود سبحانه بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فناءها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات فلا شئ الا الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فنائها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاءها لم يتكاده صنع شئ منها إذا صنعه، ولم يؤده منها خلق ما برءه وخلقه، ولم يكوِّنها لتشديد سلطان، ولا خوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ند مكاثر، ولا للاحتراز بها من ضد مشاور، ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركته، ولا لوحشة كانت منه، فأراد ان يستأنس إليها، ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسام دخل عليه من تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شئ منها عليه، لا يملُّه طول بقاءها فيدعوه إلى سرعة افناءها، لكنه سبحانه دبَّرها بلفظه، وامسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منه عليها، ولا لانصراف من حدِّ وحشة إلى حال استيناس، ولا من حال جهل وعمىً إلى حال علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذل وضعة إلى عز وقدرة»(٣٠).

وفي النهج أيضا خطبته(عليه السلام): «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر»(٣١).

وفي نهج البلاغة ايضاً: من خطبة له: «لا يشغله شأن، ولا يغيّره زمان، ولا يحويه مكان، ولا يصفه لسان، لا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء، ولا سوافي الريح في الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء...الخ»(٣٢).

وخطبته: الحمد لله الذي بطن خفيّات الأمور، ودلت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره، سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنو، فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه، ولا قربهم ساواهم في المكان به لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته...» (٣٣).

وخطبته:«الحمد لله الذي لم تسبق له حالٌ حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»(٣٤).

وخطبته: «الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير روية ... الى قوله (عليه السلام) تعالى الله عما يقول المشبهون به، والجاحدون له علوا كبيرا» (٣٥).

وخطبته: الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول، فلم تجد مساغا إلى بلوغ غاية ملكوته، هو الله الحق المبين، أحق وأبين ممّا ترى العيون، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها، ولم تقع عليه الأوهام فيكون ممثلا، خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين»(٣٦).

وخطبته:» كلُّ شيء خاشع له. وكل شيء قائم به. غنيٌّ كل فقير، وعزّ كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سرّه... لم ترك العيون فتخبر عنك. بل كنت قبل الواصفين من خلقك لم تخلق الخلق لوحشة، ولا استعملتهم لمنفعة. ولا يسبقك من طلبت، ولا يفلتك من أخذت. ولا ينقص سلطانك من عصاك، ولا يزيد في ملكك من أطاعك، ولا يرد أمرك من سخط قضاءك، ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك»(٣٧).

وفي نهج البلاغة: من خطبة له:«وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول لا شيء قبله، والآخر لا غاية له، لا تقع الأوهام له على صفة» (٣٨).

...العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد، المقدر لجميع الأمور بلا روية ولا ضمير. الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضئ بالأنوار، ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار. ليس إدراكه بالأبصار ولا علمه بالأخبار» (٣٩).

وقد سأله ذعلب اليماني – فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أَفأعبدُ مالا أرى؟ قال: وكيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مبائن، متكلم لا بروية، ومريد بلا همة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته»(٤٠).

نهج البلاغة: من خطبة له: حتى بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيدا وبشيرا ونذيرا خير البرية طفلا وأنجبها كهلا..» (٤١).

نهج البلاغة: في ذكر النبي: اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء»(٤٢).

مع المفكرين وكلمات الفلسفة

وهنا نتعرّف عليه من خلال ما قيل في نهج البلاغة ممّا فيه علاقة مع الفلسفة، قال الشيخ الاميني في كتابه الغدير: «ألا وهو كتاب نهج البلاغة (للإمام أمير المؤمنين تأليف الشريف الرضي) الذي تراه فلاسفة الدنيا دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق»(٤٣). ومن نماذج هذه الفوقيّة قوله (عليه السلام) في نهج البلاغة ١٤-١٥:« الذي لا يُدركه بُعدُ الهِمم، ولا يناله غوصُ الفِطَن الذي ليس لصفته حدٌّ محدود، ولا نعتٌ موجود، ولا وقتٌ معدود، ولا أجلٌ ممدود... الى أن قال: أول الدين معرفته». فالمعرفة وهي الحكمة النظرية والعلمية في أحد أقسامها تحتل المرتبة الأولى في طلب الدين. وقد نفى (عليه السلام) إدراك الذات المقدسة مهما علت همة صاحب التفكير وغوص فطنته، ثمَّ تناول في خطبته عليه السلام مقيّدات تلكم المعرفة العقلية حتى يكون العارف عارفاً وبدونها ليسٌ، ثم تناول المراتب التي تأخذ بها الى أكمل الكمال، قائلاً: « وكمال معرفته التصديق به. وكمال التصديق به توحيده. وكمال توحيده الاخلاص له. وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله. ومن جهله فقد أشار إليه. ومن أشار إليه فقد حدَّه. ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن قال فيمَ فقد ضمَّنه. ومن قال علامَ فقد أخلى منه. كائنٌ لا عن حدث موجودٌ لا عن عَدَم. مع كلِّ شيء لا بمقارنة. وغير كلّ شيء لا بمُزايلة. فاعلٌ لا بمعنى الحَرَكات والآلة. بصيرٌ إذ لا منظورَ إليه من خلقه. متوحِّدٌ إذ لا سكنَ يستأنس به ولا يستوحش لِفَقْده» (٤٤).

والمعرفة ليست عملاً حتّى تكون عن تقليد، وأوّلها معرفة الله، وهي واجبة بلحاظ كونه متفضلاً على الانسان في كلِّ شيء. وها أنت –عزيزي القاريء– قد رأيت كم هي خطب نهج البلاغة طافحة بالمصطلحات والأفكار المنطقية والفلسفية وغيرها من المعارف السامية التي لم تفتضّ اسرارها، ولم تكشف رموزها الا بعد مرور مراحل زمنية، وبعد

ارتقاء الفكر البشري وثراء معلوماته، وربما ستمُرُّ أجيال طويلة بعد ذلك، ولا يتوصل إلى عمق أسرارها ومعطياتها الزاخرة (٤٥)، وفي هذا الصدد يقول محمد التيجاني: « لست مبالغاً إذا قلت بأنّ في نهج البلاغة كثيراً من العلوم والنصائح التي يحتاجها الناس على مرّ العصور، وفي نهج البلاغة علم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وإشارات قيّمة في علم الفضاء والتكنولوجيا إضافة إلى الفلسفة والسلوك والسياسة والحكمة»(٤٦).

وأما صالح الورداني فيقول: « والمتأمل في نهج البلاغة يكتشف أن هذا الكتاب يحوي طرحاً فلسفياً بالنسبة للإلهيات لا يفوقه أي طرح آخر.. وقد أخذت منه المدارس الفلسفية الإسلامية وارتوت من معينه وأسست عليه تصوراتها وأطروحتها.. ولا يزال أصحاب العقول يقفون في انبهار أمام هذا الكتاب ولسان حالهم يقول: إن مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يكون منسوبا إلا للإمام علي.. وإن ما يحويه هذا الكتاب بين دفتيه لا يمكن أن يكون إلا نتاج مدرسة النبوة.. والإمام في طرحه أعطى مساحة للعقل وألزمه بالنّص في آن واحد»(٤٧).

واما صاحب التفسير الأمثل فيحوّل الخطب الكلامية والفلسفية التي تطفح في كلمات وخطب نهج البلاغة بخصوص عدم رؤية الله عز وجل الى فكرة واقعية فيستشهد بقول بعض الفلاسفة وهو يقول: «كما أن شدّة البعد توجب الخفاء فإن شدة القرب كذلك، فمثلا لو كانت الشمس بعيدة عنا جدّاً لما رأيناها ولو كانت قريبة منّا جدّاً أو اقتربنا منها كثيرا فإنّ نورها سيذهلنا إلى درجة بحيث لا نستطيع رؤيتها. وفي الحقيقة إن ذات الله المقدسة كذلك»(٤٨).

ونور هذه الذات المقدسة ظاهر بنفسه مظهر لغيره لا يستند الى غيره كما هو نور الشمس والقمر ونور السراج والنجم ونور البرق أو نور محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، ونور عليّ (عليه السلام)، فإنَّ نورهما كما في الخبر مشتق من نور الله وهو أعلى الانوار الا انها انوار ممكنة مخلوقة بقدرته بل خلق منها كل الخلق، واما نور الله فمن شدته وقربه منا كما تقدم لا نستطيع رؤيته كما يُرى نور محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، ونور عليّ ونور الشمس والقمر يقول الشاعر:

يا من هو اختفى لفرط نوره الظاهر الباطن في ظهوره»(٤٩).

وقد تعرض نهج البلاغة الى هذا النور وسره ومنشأه فعن الثمالي، عن أبي جعفر(عليه السلام). قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: « إن الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرّد في وحدانيّته، ثم تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمدا « صلى الله عليه وآله»، وخلقني وذريتي، ثم تكلّم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته، وبنا احتجب عن خلقه»(٥٠)، وليس الاحتجاب هو الاختفاء ولا الجهل بوجوده كلّا بل احتجاب شدّة في النور وشدة في القرب، والذي تقدم في الفلسفة قبل قليل انها كانت تفسر عدم رؤية الذات المقدسة بهذه التوجيه وهو توجيه يلتقي مع توجيه علماء الدين.

المبحث الثالث:

الإحاطة العَلَويّة المعرفيّة الفلسفية والاستدلال العقلي في نهج البلاغة

لقد تقدم في المبحث الثاني عدة خطب للإمام عليّ (عليه السلام) تركزت على فلسفة التوحيد وابرازها بالشكل الذي تكون فيه ناصعة تامة كاملة وقد اتخذ هذا النشاط العلوي مكانا لانطلاق هذه المعارف الفلسفية التوحيدية والأخلاق الإسلامية ذلك هو جامع الكوفة وقد اعتمد الامام علي في نشر هذه الفلسفة التوحيدية»(٥١). على أدلة عقلية منها:

١ – الاستدلال بالعلة على وجود المعلول:

من الأمور العقلية التي يستدل بها في نهج البلاغة وعند الفلاسفة على وجود الله تعالى ووحدانيته هو الاستدلال بالعلّة على وجود المعلول أو بالعكس. وهذا المبحث يتكفّل نحواً من الإحاطة العلَوية المعرفيّة والاستدلال العقلي على وجود واجب الوجود والذي يلتقي فيه والفلاسفة الذين يعتمدون الدليل العقلي أيضاً ومن الفلاسفة الفارابي وهو من فلاسفة القرن الرابع الهجري « قسم الموجود الى واجب الوجود والى ممكن الوجود ولما كان كل ممكن الوجود لا بد له ان يتقدم

عليه علة لتخرجه الى الوجود وبالنظر الى العلل لا يمكن ان تتسلسل الى غير نهاية او تدور فلا بد لنا من القول بوجود موجود هو واجب الوجود لا علة لوجوده»(٥٢)، ومن هذه الأدلة التي ينقلها البحث ما استدلَّ به الدكتور عبد الهادي الفضلي معزّزاً بالآيات القرآنية: ورد في (نهج البلاغة) – الخطبة ١٨٥ – من قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا يحجبه السواتر، الدّال على قِدَمِه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده»(٥٣). حيث استدلّ على القِدم بحدوث الخلق، وبحدوث الخلق على وجود الله تعالى. وقد عزَّز ذلك باستدلال إبراهيم(عليه السلام) على وجود الله من خلال أُفول الآلهة المدعاة من قبل المشركين في عهده من قبيل الكوكب والقمر والشمس، وقد ذكر القرآن الكريم هذا الاستدلال العقلي الذي قدَّمه إبراهيم (عليه السلام) حيث استدلّ من الأُفول باعتباره أثراً حادثاً وأن لهذا الأثر الحادث مُحدثاً وهو الله تعالى:» قال تعالى: (وكذلك نُرِيَ إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريئ مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) ٧٥-٧٩/ الانعام. وفي سياق دلالة العلة الأولى للخلق وهي الله تعالى شأنه على المعلول وهو الخلائق جميعاً ذهب صدر المتألهين الشيرازي الى القول بأن (الوجودات وإن تكثرت وتمايزت إلا انها مَراتب تعيُّنات الحقّ الأول وظهورات نوره وشؤونات ذاته) (٥٤)، وقد استشهد على ذلك بكلمات أمير المؤمنين(عليه السلام) كقوله: « وهو مع كل شيء لا بمقارنة وفي كلمة أخرى لا بممازجة وغير كل شيء لا بمزايلة وفي حكمة كلمة أخرى لا بمباينة»(٥٥) لان وجوده منبسط على جميع الكائنات. وجميع الموجودات إنما هي رشحات نوره، وإن كان كل موجود بحدوده العدمية وبقيوده الامكانية غير الله تعالى»(٥٦).

وأمّا ابن ميثم فقد تناول في بعض فلسفته ما ينزّه المولى من جهة صفات ذاته فتعرض فيما تعرض الى النَّص العلوي الذي وقع مع ذعلب اليماني حيث سأل ذعلب الامام علي (عليه السلام) هل رأيت ربَّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أ فأعبُدُ مالا أرى؟ قال: وكيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مبائن، متكلم لا بروية، ومريد بلا همة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسَّة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته، وتَجِبُ(تخاف) القلوب من مخافته.

وقد شرح ابن ميثم الأمور الثمانية في جواب الامام علي(عليه السلام) الى ذعلب والتي نزّه(عليه السلام) فيها المولى تعالى شأنه ان تكون صفاته كصفات الاجسام ولواحقها؛ فنزَّهه أولا عن الرؤية بحاسة البصر لأن الرؤية بحاسة البصر من لواحق الجسمية، فالجسم لا يمكن ان يَرى الشيء الا بالعين، والعين لا تراه الا ان تتوجه اليه، وعليه فان المولى لا يُرى الا ببصيرة العقل وحقيقة الايمان. واما الامر الثاني وهو انه تعالى غير مباين لنا لان البينونة التي بمعنى البعد والتباعد من صفات الاجسام، والمولى عز وجل لا يشابه الاجسام في بعد بعضها عن البعض، فقد نزهه (عليه السلام) من هذا اللاحق الجسمي. نعم المولى يباين الاجسام ولواحقها بذاته. فهو بعيد عنها بلحاظ ذاته لا بلحاظ انه يبتعد عنها كالأجسام. واما الامر الثالث: « متكلِّم بلا رويَّة « فهو تنزيه له عن كلام الخلق؛ لكونه تابعاً للأفكار والتَّروّي وهكذا في الامر الرابع» مريد بلا همة « تنزيه لإرادته عن مثلية إرادتنا في سبق العزم والهِمّة لها. و» صانع بلا جارحة « خامساً يقول ابن ميثم هو تنزيه لصُنْعِه عن صُنع المخلوقين لكونه بالجارحة التي من لواحق الجسمية. واما سادسا « لطيف لا يوصف بالخفاء « فالمقصود من اللطيف انه تعالى لا يراد منه رقيق القوام ولا صغير الحجم المستلزمين للخفاء فهو منزَّه عن اطلاقه بأحد هذين المعنيين لاستلزام الجسمية والإمكان، فبقي اطلاقها عليه باعتبارين: أحدهما تصرّفه في الذوات والصفات تصرّفاً خَفِيّاً بفعل الأسباب المعدَّة لها لإفاضته كمالاتها. والثاني جلالة ذاته وتنزيهها عن قبول الإدراك البصري. وسابعا « رحيم لا يوصف بالرِّقة « تنزيه لرحمته

عن رحمة أحدنا لاستلزامها رقّة الطبع والانفعال النفساني. وأخيرا وثامنا كونه عظيما تخضع الوجوه لعظمته، إذ تفرَّد باستحقاق ذلّ الكلّ وخضوعه له، ووجيب القلوب واضطرابها من هيبته عند ملاحظة كلّ منها ما يمكن له من تلك العظمة » (٥٧).

ولم يقتصر منهج الامام علي (عليه السلام) على ذلك بل راح يضيف الى العقل النظري النظرة الأخلاقية العملية حتى راح بعض الفلاسفة ينتهجون نهجه في قراءة التاريخ بشكل واع ومحايد، وفي استدلالاتهم الفلسفية والاجتماعية والاخلاقية، وموافقة طريقة الاستدلال الفطري، والاستدلال بالآيات على انكار بعض الانحرافات العقائدية. ومن أمثال هؤلاء الشيخ المتكلم الفيلسوف المعلِّم الثالث أبو علي احمد الملقب بمسكويه(ت٤٢١هـ). حيث ذكر في كتابه تجارب الأمم: «أن الله تعالى بعث محمداً والعرب حينئذ قدريّة مجبرة، يحمّلون ذنوبهم على الله، ومصداق ذلك قوله تعالى (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءَنا والله أمَرَنا بها) ٢٧/ الأعراف، وقوله تعالى عنهم (ولو شاء الله ما أشركْنا)١٤٨/ الانعام»(٥٨).

٢– الاستدلال بدليل التمانع:

ودليل التمانع هو من الأدلة المعروفة عند العلماء والفلاسفة (٥٩)، والمتكلمين وقد ورد هذا الدليل في قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. . .)٢٢/ الأنبياء، وقوله تعالى: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض...)٩١/ المؤمنون، وهذا وأمثاله مما ورد في القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو المأثور عن أئمة وعلماء المسلمين مما يندرج في قائمة الاستدلال الفلسفي الذي يسير في تطبيقاته على ضوء المنهج العقلي.

وهذا الدليل هو طريق الفلاسفة وقد احتج به منهم الفيلسوف ارسطو (٦٠)، واحتج به أيضاً الفيلسوف ابن رشد وتقريره عنده كالتالي:» لو كانا اثنين فأكثر، لجاز أن يختلفا. وفي حالة الاختلاف، لا يخلو ذلك من ثلاثة أقسام: فأما أن يتم مرادهما جميعا، وإما أن لا يتم مراد واحد منهما، واما أن يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر.... ولما كان يستحيل ألا يتم مراد واحد منهما، لأنه في هذه الحالة يكون العالم لا موجودا ولا معدوما. ولما كان يستحيل أن يتم مرادهما معا، لأنه في هذه الحالة يكون العالم موجودا معدوما. فلم يبق إذن إلا الحالة الأخيرة، وهي أن يتم مراد الواحد ويبطل مراد الآخر، فالذي بطلت إرادته عاجز والعاجز ليس بإله»(٦١).

وأمّا الامام عليّ (عليه السلام) فقد استدل بهذا الدليل بشكل يسير يفهمه العالم والجاهل على سواء اذ ورد – في وصيته لابنه الحسن (عليهما السلام): «واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبدا» (٦٢)، وهو دليل منشأه القرآن الذي يقول (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) ٩١/ المؤمنون؛ لأنَّه لو كان لهذا الاله الآخر المدعى خلق مثلما لله خلق لما قبل بالشراكة بل يطمح الى قدر اكبر ينفرد به، وعليه فلا مفرَّ من هذا الفرض وهو ان ينفرد بالسلطان والخلق وان يعمل وحده ويرسل رسله وانبياءه الى خلقه ولمّا امتنع هذا الفرض واقعاً كانت الوحدانية مسلّمة.

وأخيرا لا يظن القاريء العزيز ان اهل الفلسفة على حد اليقينيات الموجودة في نهج البلاغة بل كثيرا ما انحرف الفلاسفة عن إصابة الحق واكتشاف الحقيقة، وكثيرا ما ابتعد اهل الفلسفة عن فكر أئمة العصمة والطهارة. قال ابن القيم(ت٧٥١هـ) في شرح المنظومة: «وقد نقلنا أنه ليس في أهل الأرض من أثبت للعالم خالقين متماثلين في الصفات والأفعال بل هذا ممتنع لذاته، وامتناعه ظاهر في العقول بخلاف ما يظنه كثير من أهل الكلام والفلسفة. نعم بعض أهل الضلال يزعم أنَّ ثَمَّ خالقاً لبعض العالم كالثنوية في الظلمة، وكالقدرية في أفعال الحيوان، وكالفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية، فان من هؤلاء الفرق الضالة من يثبت أموراً محدثة بدون إحداث الله تعالى إياها فهم المشركون في بعض الربوبية» (٦٣)، وقد نقل هذا البيان في التمانع مع

اختلاف في بعض الكلمات صاحب شرح العقيدة الطحاوية ابن ابي العزّ الحنفي (ت ٧٩٢هـ) فراجع ص٨٥، ولا يقولنَّ أحد إنّ معظم الفلاسفة يعتمدون على العقل والتفكير والتدبر، وقد جعل الله العقل حجّة، وحثَّ على التدبّر والتفكّر والتذكّر، وأراده من الناس في معرفة أمور دينهم، وامتدح ذوي النهى والعقول والألباب، فكيف يظِلُّ هؤلاء عن الحقيقة وهم لا يعتمدون في استدلالاتهم الّا على العقل؟ قلنا لو سلم هذا الحصر بالعقل نقول: إنّ العقل السليم حجّة لو اخذنا به، ولكن الاخذ به يدعو أحياناً الى تخريب الدنيا واهمالها، وعدم الاعتناء بها لو وزنت متع الدنيا ولذاتها بنعيم الآخرة، ومعظم الناس لا يلتزمون بهذا التخريب والإهمال ولا يعتنون به، ويهملون أحكام عقولهم، وهكذا يخضع العقل في كثير من الأحيان الى ضغوط شهوية تبتعد به عن الحكم الصواب والرأي الصواب.

قال ابن فهد الحلي رحمه الله: دلّ الحديث على أن العقل السليم يقتضي تخريب الدنيا، وعدم الاعتناء بها، فمن عني بها أو عمَّرها دلَّ ذلك على أنه لاعقل له، ورد عن الامام علي (عليه السلام) إنّه قال:«لو عَقَلَ أهل الدنيا خَرِبَتْ»( )، وعليه فلا بدَّ من الرجوع الى الجهة التي تمثل الصراط المستقيم في التعامل المتزن مع الدنيا والاخرة، وهي ليست في غير أهل بيت الرسالة المحمدية (صلوات الله عليهم اجمعين)، وعليه أيضا فالعقل السليم المنضبط تماما أمام النزوات والشهوات الدنيوية كافة ينحصر فيهم. ولكن لا يعني ذلك ان الشريعة تريد منا اهمال عقولنا بل ان العقل في ضبطه واستقامته وإصابته الواقع له درجات، فمن أراد الدرجة التامة يرجع الى ما عقلوه عليهم السلام تماما لكي يحظى بالصواب والاستقامة تماماً. ومن يعتمد على قواه الفكرية والعقلية والشخصية وهو امر يحث عليه الشرع وقد قلنا انها غير سالمة من ضغوط الشهوات فلا تتوازن في أحكامها، فقد تصاب قواه بالوهن والضعف، وقد تخطأ إن لم تخرّب، كما هو مدلول الحديث المتقدِّم. والفلاسفة لا يخرجون عن هذه النتيجة وان علت ممارستهم لقوى العقل ومهاراتهم ان لم نقل في بعض المرّات يخالفون العقل ويتَّبعون الظن (٦٤). روى أبو الحسن عن محمد بن علي المكي أن فارسيا قدم على النبي صلى الله عليه واله فقال له النبي(صلى الله عليه وآله):(أخبرني بأعجب ما رأيت) قال: «رأيت قوما ينكحون محارمهم ويقولون هي بقضاء الله وقدره، قال النبي(صلى الله عليه وآله)أما إنه سيكون في هذه الأمة قوم يقولون بمثل مقالتهم، فأولئك مجوس أمتي، وقيل لثمامة: تقدر أن تؤخر ما قدم الله أو تقدم ما أخر الله ، فقال : هذا على ضربين إن أردت أن أُصيِّر رأس الحمار ذنبه فلا ، وإن أردت أن أقدم معاوية على علي(عليه السلام)، وقد أخَّره الله تعالى فنعم»(٦٥)، ومقتضى هذه القدرة وإن كان صاحبها يعتقد عقلا وشرعاً ان علياً أفضل من معاوية لكنَّها لضغوط ترهيبية أو ترغيبية تعمل على خلاف ما عقلته. وما أكثر الناس الذين هم على هذه الشاكلة، ولا الفلاسفة الذين يعتمدون على العقل في إدراك القضايا بسالمين من الترهيب والترغيب.

الخاتمة:

ابتدأ البحث الموسوم بـ (الفلسفة الأولى ونهج البلاغة) بخطة البحث مرورا عبر سطور بعلاقة الفلسفة الأولى بنهج البلاغة وهي علاقة متجذرة لانهما تهدفان الى معرفة المبدع الأول والايمان به وبوحدانيته وعدله، ثم دخل في المبحث الاول في تعريف للفلسفة الأُولى أي الفلسفة الالهية من خلال كلمات الفلاسفة والمفكرين، وإن كانت هي انتاج أنبياء الله ورسله عليهم السلام؛ لأنّهم هم الذين وضعوا أساسها. ورتَّبوا رُتبتَها فجعلوها أولاً اذ أوّل الدين معرفته. ثم دخل البحث في المبحث الثاني وهو تعريف بنهج البلاغة في مجال الفلسفة الأولى من خلال الخطب التوحيدية والمعرفية التي طفحت أولاً وقبل كل شيء فيه لأجل الوقوف على الأسباب والعلل التي تنير الطريق امام المسلمين في اعتناق العقيدة الحقة المبتنية على الحكمة والفلسفة ، ومن ثم التعريف بنهج البلاغة من خلال ما قيل فيه ممّا له علاقة بالفلسفة والذي انتهينا فيه الى القول المشهور أن كلام نهج البلاغة دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وان المعرفة الفلسفية فيه يقينية، وقدَّمها الامام علي (عليه السلام) من خلال عبارات بليغة وفصيحة وفي غاية الاعجاب، وبدون عجز في تقرير الدليل ولا تعب كما هو شأن كثير من الفلاسفة في تقرير استدلالاتهم. ثم تناول

البحث في المبحث الثالث إحاطة عَلَويّة معرفيّة فلسفية مع استدلال عقلي عليها، ومن أفضل الأدلة التي ذكرت هنا هو دلالة العلة على وجود المعلول، ودليل التمانع ثانياً. ثم انتهى المبحث في ذكر ما امتاز به نهج البلاغة في معرفته عن المعارف التي يتباهى بها الفلاسفة.

التوصيات:

وإذا كان البحث الأكاديمي يهتم بفقرة التوصيات فالذي نوصي به الاخوة الباحثين خصوصا والقراء عموما ما يلي:

١– ان المعارف التوحيدية والمعرفية التي تندرج تحت الحكمة النظرية أي الفلسفة الأولى تحتاج الى التعمق والمذاكرة.

٢– ينبغي ان يكون من المسلَّمات ان المعلومات الفلسفية لا تخلو من نقاظ ضعف، وعليه لا ينبغي التعويل عليها بدون مرجعية أهل البيت (عليهم السلام).

٣– قد يكون الفيلسوف متكلِّما وقد يكون المتكلِّم فيلسوفاً، وعليه لا ينبغي التقليل من شأن أحدهما على حساب الآخر، واما اهل البيت (عليهم السلام) فلا يقاس بهم متكلم ولا فيلسوف ولا صاحب عرفان ولا متصوف؛ لأنّ علومهم لَدُنية وعلوم هذه الطوائف مكتسبة.

٤– ان البراهين التي يعرضها اهل البيت عليهم السلام تحكي روح الشريعة المحمدية في السهولة واليسر، واما أدلة واستدلالات وبراهين الفلاسفة وان كانت مصيبة في أكثر الأحيان الا انها تبقى متأثرة بعقول الفلاسفة، وتحكي عن الآفاق الغامضة عندهم أحيانا، وفرق كبير بين البرهان الذي ينسجم مع الفطرة وتتقبله العامة والخاصة، وبين برهان الفلاسفة الذي لا يُفهم أحيانا الا بعد معرفة الاصطلاحات الفلسفية والهيمنة عليها. فتوصية البحث هنا هي التعرّف بعمق على الاصطلاحات الفلسفية كأداة من الأدوات التي توصل الى معرفة الاستدلالات الفلسفية.

٥–وللاحاطة أكثر ان معظم الفلاسفة والمتكلمين من الديانات الأخرى يكتمون بعض الحقائق خشية الاعتراض عليهم. فلا ينبغي اخذ المعلومة الفلسفية او الكلامية او الدينية منهم الا بعد الاطلاع على ما هو مخفيّ لديهم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين.

الهوامش:

(١) راجع: الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة ٦
(٢) راجع: صدر المتألهين، تعليقات على الفصل الثاني من المقالة الأولى من إلهيات الشفاءهامش٧
(٣) راجع: الري شهري، محمد، العلم والحكمة في الكتاب والسنة ٨٢
(٤) راجع: المازندراني، مولى محمد صالح، شرح أصول الكافي ١/ هامش ١١٦
(٥) راجع: المصدر نفسه ١/ هامش ١١٦
(٦) راجع: الجزائري، عبد الله، التحفة السنية(مخطوط) ٤
(٧) راجع: الري شهري، محمد، العلم والحكمة في الكتاب والسنة ٨٢
(٨) راجع: الجزائري، عبد الله، التحفة السنية(مخطوط) ٥
(٩) راجع: العلامة المجلسي، بحار الانوار ٦٥ / ٣٦٨
(١٠) راجع: المصدر نفسه ٦٥ / ٣٦٩
(١١) راجع: الإيجي، المواقف ٢ / ١٦١
(١٢) الصدوق، الهداية ١٨
(١٣) المفيد، محمد، المسائل الصاغانية ١٠٩
(١٤) الفضل ابن شاذان، فضائل ابن شاذان ١٣٧
(١٥) راجع: السيستاني، علي، فقه للمغتربين/ ٢١١ – ٢١٢
(١٦) ابن ميثم البحراني، شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين(ع) ١٧
(١٧) راجع: السبزواري، الملا هادى، شرح الأسماء الحسنى ١ /٩٧
(١٨) راجع: الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلامية ٢ / ٧٥
(١٩) المقرم، عبد الحسين، مقتل الامام الحسين (ع) ٤٥

(٢٠) راجع: السبزواري، الملا هادى، شرح الأسماء الحسنى ١ /٧٢-٧٣
(٢١) راجع: المصدر نفسه ١ /٧٣
(٢٢) العلامة المجلسي، بحار الانوار: ٨٤/٣٤٠، وراجع: المصدر السابق ١ /٧٣
(٢٣) راجع: الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم ٤ /٣٣٧
(٢٤) راجع: المصدر السابق ٥ /٣٩- ٤٠
(٢٥) راجع: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١١/ ٤٠١
(٢٦) راجع: المصدر نفسه ١١/ ٤٠١- ٤٠٢
(٢٧) راجع: الرازي، تفسير الرازي ٧ - ٧٢ - ٧٣
(٢٨) راجع: المصدر نفسه ١٨/ ١١١
(٢٩) خطب الامام عليّ(عليه السلام) نهج البلاغة ١/ ١٥
(٣٠) المصدر السابق ٢/ ١٢٠ الميرجهاني، مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ٢ /١٧١ - ١٧٢
(٣١) المصدر السابق ٢/ ١١٥
(٣٢) المصدر السابق ٢/ ٩٧
(٣٣) المصدر السابق ١ / ٩٨
(٣٤) المصدر نفسه ١/ ١١٢
(٣٥) المصدر نفسه ١/ ١٥٨
(٣٦) المصدر نفسه ٢/ ٤٥
(٣٧) المصدر نفسه ١/ ١٠٤
(٣٨) المصدر نفسه ١/ ١٠٤
(٣٩) المصدر نفسه ١ / ١٤٨
(٤٠) المصدر نفسه ٢ / ١٩٤
(٤١) المصدر نفسه٢/ ٩٩-١٠٠
(٤٢) نهج البلاغة ١/ ٢٠٠
(٤٣) الاميني، الغدير ٢/ ١٥
(٤٤) المصدر نفسه١ / ٢٠٠
(٤٥) المصدر السابق ١/ ١٥- ١٦
(٤٦) راجع: مؤسسة آل البيت، مجلة تراثنا ١٣ /٤٣
(٤٧) الدكتور التيجاني، محمد فاسألوا أهل الذكر ٢٧
(٤٨) الورداني، صالح، عقائد السنة وعقائد الشيعة، التقارب والتباعد ٦٢
(٤٩) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ١٧ /٢٨
(٥٠) الأصفهاني، ميرزا محمد تقي، مكيال المكارم ١ /٢٢٧ - ٢٣١
(٥١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار ١٥ / ٩
(٥٢) راجع: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين (ع) ١ /٤١٧
(٥٣) الفارابي، حياة الفلاسفة والعرفاء١/ ٤٠٦
(٥٣) الدكتور عبد الهادي الفضلي، أصول البحث٤١
(٥٤) الشيرازي، صدر التأهين، الاسفار١٦
(٥٥) نهج البلاغة ٤٠/ الخطبة ١
(٥٦) القبانجي النجفي، حسن علي، حياة الفلاسفة والعرفاء أو الحكمة والحكماء٢/ ٣٨٦
(٥٧) راجع: العلامة المجلسي، بحار الأنوار ٤ /٥٢
(٥٨) راجع: العاملي،علي بن يونس، الصراط المستقيم ١ /٣٩ وراجع: الأمين ، حسن ، مستدركات أعيان الشيعة ٢/ ١٥
(٥٩) راجع: شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية ١٣٩ -١٤٠
(٦٠) راجع: الميلاني، علي، نفحات الازهار٦/ ٣٧٣
(٦١) راجع: شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية ١٣٩ -١٤٠
(٦٢) نهج البلاغة، الكتاب ٣١، الريشهري، محمد، ميزان الحكمة ٣/ ١٩٠٠
(٦٢) مركز المصطفى (ص) ١ / ٣٦٤
(٦٣) بحار الانوار: ١/ ٩٥، ٧٥/ ٣٧٩، ٩٠/ ٣٧٢

(٦٤) راجع: مركز المصطفى، توحيد الله، شرح منظومة ابن القيم١/ ٣٦٤
(٦٥) العاملي، علي بن يونس، الصراط المستقيم ١/ ٣٩، النوري، مستدرك الوسائل ١٢/ ٢٤٣

المصادر:

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. الإيجي (الوفاة ٧٥٦هـ) المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ – ١٩٩٧م، المطبعة: لبنان – بيروت – دار الجيل، الناشر: دار الجيل. ، شرح منظومة، مركز المصطفى (ص)
٢. الاصفهاني، محمد تقي (الوفاة: ١٣٤٨)، مكيال المكارم، تحقيق: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.
٣ ١٣٧١) مستدركات أعيان الشيعة، تحقيق: تحقيق وتخريج: حسن الأمين، سنة الطبع: ١٤٠٣ – ١٩٨٣، الناشر: دار التعارف للمطبوعات – بيروت – لبنان.
٤. الأميني، عبد الحسين، (الوفاة: ١٣٩٢) الغدير، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٣٨٧ – ١٩٦٧، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان
٥. البحراني، ابن ميثم (ت ٦٧٩هـ) شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين(ع) طبع ونشر وتعليق وتصحيح جلال الدين الحسيني الارموي، منشورات، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
٦. الجزائري، عبد الله (ت ١١ هـ) التحفة السنية (مخطوط)، تحقيق: شرح الجزائري الطبعة: نسخة مخطوطة.
٧. الخميني، مصطفى (الشهادة: ١٣٩٨) تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: جمادي الثاني ١٤١٨ – ١٣٧٦ ش، المطبعة: مطبعة مؤسسة العروج، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.
٨. الدكتور التيجاني، محمد(معاصر)، فاسألوا أهل الذكر، الناشر: مؤسسة الفجر، لندن.
٩. الدكتور الفضلي، عبد الهادي، (معاصر) أصول البحث، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي – قم – إيران.
١٠. الرازي، تفسير الرازي (الوفاة ٤١٣هـ)، مكتبة أهل البيت (عليهم السلام) الكومبيوترية.
١١. الريشهري، محمد (معاصر) موسوعة العقائد الإسلامية، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٥ – ١٣٨٣، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
١٢. الريشهري، محمد (معاصر) ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث.
١٣. السبزواري، الملا هادى (الوفاة: ١٣٠٠) شرح الأسماء الحسنى، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي – قم – إيران.
١٤. السيستاني، علي، فقه للمتغربين.
١٥. شمس الدين، محمد جعفر(معاصر)، دراسات في العقيدة الإسلامية.
١٦. الشيرازي، ناصر مكارم(معاصر) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل
١٧. الشيرازي، صدر المتألهين، تعليقات على الفصل الثاني من المقالة الأولى من إلهيات الشفاء
١٨. الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين، (٣٨١هـ)، الهداية، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام الهادي، مطبعة اعتماد قم، ط١ ١٤١٨.
١٩. الطباطبائي، محمد حسين، الوفاة: ١٤٠٢، نهاية الحكمة، تحقيق: تصحيح وتعليق: عباس علي الزارعي السبزواري، الطبعة: الرابعة عشرة المنقحة، سنة الطبع: ١٤١٧، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٠. العلامة المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (الوفاة: ١١١١هـ) بحار الأنوار، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.
٢١. القبانجي النجفي، علي(معاصر)، حياة الفلاسفة والعرفاء أو الحكمة والحكماء، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م، الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، إصدارات وحدة الدراسات والبحوث (٥٧).
٢٢. القرشي، باقر شريف (معاصر) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م، المطبعة: مطبعة الآداب – النجف الأشرف.
٢٣. المازندراني، مولي محمد صالح (الوفاة: ١٠٨١هـ) شرح أصول الكافي، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١ – ٢٠٠٠ م، المطبعة: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
٢٤. المفيد، محمد(ت٤١٣هـ)، المسائل الصاغانية، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣ م، تحقيق: السيد محمد، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
٢٥. مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، رعاية المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني.

الإدمان على مواقع التواصل الإجتماعي أضراره وعلاجه في الفكر الإسلامي

م.م. فاطمة صدام فنوص حمادي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:
ظهرت مشكلة الإدمان على مواقع التواصل الإجتماعي عند ظهور مواقع التواصل الإجتماعي فهي تهدد سلامة المجتمع، بس الإستخدام المفرط لهذه الوسائل حيث يقضي الشخص المدمن ساعات طويلة على الأجهزة ناسياً العبادة والأسرة والمسؤولية ومتطلبات الحياة اليومية، وهذا الإدمان له أضرار بالصحة والجسد ولا بد من الوعي بهذه الأجهزة وإتباع برامج علاجية في الفكر الإسلامي.
الكلمات المفتاحية: الإدمان، مواقع التواصل الإجتماعي، الفكر الإسلامي.

Abstract:
The problem of social media addiction emerged with the advent of social media, threatening the well-being of society. Excessive use of these platforms, where addicts spend long hours on devices, neglecting worship, family, responsibilities, and the demands of daily life, can have detrimental effects on health and the body. It is imperative to be aware of these devices and follow treatment programs based on Islamic thought .
Keywords: Addiction, social media, Islamic thought.

المقدمة:
الحمدلله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد...
تعد مواقع التواصل الإجتماعي وما تحويه من برامج وقنوات من الوسائل العصرية في وقتنا الحديث، ومع عظيم الفائدة التي تعود بها للمجتمع، ألا ان لها أضراراً كثيرة لمن يسيء الإستخدام.
ومن هذه الأضرار الإدمان فاليوم أصحبت هذه المواقع جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية، والشخص لا يستغني عنها فيضيع وقته دون الإستفادة منها بشكل مفيد ونافع لنفسه وللمجتمع. فلا بد من وضع الضوابط وتحديد الوقت المراد إستخدامه لكي يتجنب الإدمان.
وقد قسمت بحثي إلى، مقدمة ومبحثين، وكل مبحث يشتمل على مطالب:
المبحث الأول: مخاطر الإدمان على مواقع التواصل الإجتماعي.
المطلب الأول: الأضرار الجسدية والأمراض.
المطلب الثاني: الإضرار بالنفس والخصوصية لمدمني مواقع التواصل الإجتماعي.
المبحث الثاني: علاج مدمني مواقع التواصل الإجتماعي في الفكر الإسلامي.
المطلب الاول: التعامل النفسي والأسري لمدمني مواقع التواصل الإجتماعي.
المطلب الثاني: مواجهة الإدمان لمواقع التواصل الإجتماعي.
الخاتمة.
المصادر.

المبحث الأول: مخاطر الإدمان على مواقع التواصل الإجتماعي

المطلب الأول: الأضرار الجسدية والأمراض

هنالك العديد من الأضرار التي تصيب المدمنون على مواقع التواصل الإجتماعي ومنها:
١- أضرار تصيب العمود الفقري والرجلين نتيجة نوع الجلسة والمدة الزمنية لها مقابل أجهزة الحاسب وكذلك تصيب الأذنين لمستخدمي مكبرات الصوت، وأضرار مترافقة مثل البدانة وما تسببه من أمراض مرافقة, الأضرار

التي تصيب الأيدي من الاستخدام الكثير للفأرة وكذلك تصيب العين بسبب التعرض للإشعاع الذي تبثه شاشات الحاسوب(١).

٢٣- إن الإستخدام المفرط لوسائل التواصل الإجتماعي يترك آثاراً صحية سلبية على جسم الطفل مثل, مشاكل الرقبة والظهر, الإجهاد البصري, أثر الإشعاع الكهرومغناطيسي, كما تؤدي إلى الإجهاد المتكرر الذي قد ينتج عنه ملازمة العصب الرسغي حيث تفقد الأصابع والأيدي التزويد المنتظم للأكسجين, فينتج عنه حمض اللاكتيك, ومواد أخرى تسبب إعياء في العضلات, ثم ينتقل التأثير للخلايا المجاورة, مما يتسبب إلى ضمور في العضلة (٢).

٤- الإصابة بالأرق, وإحساس بأوجاع على مستوى الرأس, بسبب السهر والمداومة على مشاهدة بعض هذه الوسائل خلال ساعات متأخرة من الليل, كثرة النسيان وعدم التركيز أثناء حضور حصة أو مناقشة, بسبب الإعياء الشديد الذي تسببه قلة النوم , وعدم تمكين الجسم من حقه الطبيعي من هذا النوم, والإنصراف عن ممارسة الرياضة البدنية, والإصابة بالكسل والخمول والسمنة, لقلة الحركة, وإكتساب العادات السيئة, وتدهور الصحة العامة(٣).

٥- تسبب هذه الأجهزة الذكية الكثير من الأمراض, مثل السرطانات والعصبية, والتعب والإرهاق والصداع بسبب الإشعاعات التي تصدر منها, كما أنها تؤثر بشكل مباشر على العين فقد يشعر الطفل بقصر النظر أو بجفاف العيون, والتأثير السلبي على الذاكرة على المدى الطويل, فأصبح الأطفال يعتمدون على الأجهزة الحديثة في تذكر الأمور مما أدى إلى كسل في إستخدام الدماغ أو محاولة تدريب الذاكرة(٤).

٦- التبلد الذهني: سببت وسائل التواصل التبلد الذهني عند الكبار والصغار, وسببت ضعف التركيز وضعف الذاكرة, بحيث يكون في غفلة شديدة, وفي غيبوبة الهوى والتواصل, فلا يقبل النصح إلا ما اشرب من هواه, وكذلك يعتمد الشخص على حفظ الجوال أو الكمبيوتر لكثير من المعلومات, ويعتمد على (قوقل الخرائط) في السفر وفي الذهاب من مكان إلى مكان, فيتلبد ذهنه عن الحفظ والتركيز, لإعتماده على هذه الأشياء(٥).

فالإضرار مُحرم بالأدلة على وجه الإطلاق, كما جاء في الحديث الشريف, عن عُبادة بن الصامت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى أن: « لا ضرر ولا ضرار»(٦).

ومن القرآن الكريم هنالك آيات وردت في شأن المحافظة على الصحة : قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٧).

فيجب علينا المحافظة على هذه الصحة من خلال عدم إستخدام الأجهزة لفترات طويلة, وعدم السهر, والإهتمام بالإضاءة فيجب أن تكون طبيعية كي لا تضر بالعينين, وإبعادها مسافة عن الجسم كي لا يتأثر بالإشعاع, وكذلك إختيار وضعية الجلوس الصحيحة والتنبيه عليها بالنسبة للصغار, لكي لا يتقوس الظهر ويتعب الجسم.

المطلب الثاني: الآضرار بالنفس والخصوصية لُمدمني مواقع التواصل الإجتماعي:

الآثار النفسية أو المرض النفسي يمكن تعريفه: أنه إضطراب وظيفي في الشخصية, نفسي المنشأ، يبدو في صورة أعراض نفسية وجسمية مختلفة ويؤثر في سلوك الشخص فيعوق توافقه النفسي, ويعوقه عن ممارسة حياته السوية في المجتمع الذي يعيش فيه(٨).

يُعدّ الدور الذي يقوم به الإنترنت في عملية بناء الفرد لذاته وتشكيلها, في المجتمعات الحديثة, التي زاد الإعتماد فيها على إستخدام الإنترنت بشكل غير مسبوق, من أكثر الموضوعات التي تثير حيرة الباحثين الإحتماعيين والنفسيين وإرباكهم, فهم وإن كانوا متيقنين وواثقين من أن المعرفة التي يكتسبها الفرد من الإنترنت في هذه المجتمعات تحدث تغييراً جوهرياً في بنائه لذاته, وتثري خبرته في الحياة الإجتماعية, وتزيد من ثقته بنفسه أمام

الآخرين, إلا أنهم لم يتوصلوا بشكل دقيق بعد إلى الطريقة التي يعمل بها الإنترنت في عملية هذا التشكيل والبناء, وربما لا يتم إكتساب حالة الرضا عن النفس المتولدة من إستعمال الإنترنت(٩).

إن الناظر في أمراض العصر النفسية والتي تتعدى لتصبح جسدية, يرى بأن التكنولوجيا والتطور في وسائل الإعلام الأثر الكبير, فما كان في ميزان النفس أمراً ثقيلاً, أصبح اليوم تفصيلاً غابراً من الأمور الضخمة, التي نشاهدها ونصاب بها في كل المراحل العمرية, فمثلاً لقد صار المواطن العربي حين يسمع الآخبار من الإعلام الرسمي, ثم يسمعه من الإعلام الأكثر فضاءً يعيش في حالة من الذهول, ثم يصاب بالنكسة الكبرى حين يكون هو نفسه شاهداً على الأحداث في بلده(١٠).

ومن أكثر الآثار النفسية إنتشاراً ونشاهدها اليوم هي:

١- الإدمان على الإنترنت: وهذا المصطلح عبارة عن حالة سلوكية, يعتاد فيها الشخص أن يتعامل بشكل يومي- دون إنقطاع وبشكل متواصل- مع شبكة الإنترنت, ويشعر بتغيرات مزاجية, تصل إلى حد الكآبة والإنفعال, إذا حالت الظروف دون هذا الإعتياد, أم منع من ممارسة عادته اليومية مع شبكة الإنترنت, وهو مصطلح حديث يشير إلى الهوس المبالغ فيه بمدمني التكنولوجيا, والذي يبدأ في وقت مبكر في مجتمع المراهقين, وقد ظهر هذا

٢- النوع من الإدمان في بداية الثمانينيات, وهو ما يؤدي به إلى العدوانية والإنعزال(١١).

ومن أعراض الإدمان:

- العزلة الإجتماعية والشخصية الإنسحابية وإنخفاض مستوى الإندماج والمشاركة الإجتماعية, والإتصاف بالشخصية الإنسحابية التي يرافقها إحساس بضعف مهارات التواصل الإجتماعي.

- الشعور بالحاجة إلى المزيد من الوقت على وسائل التواصل الإجتماعي, حتى ولو سبق أنه قضى وقتاً طويلاً, فهو غير قادر على التحكم في الوقت الذي يقضيه (١٢).

- ويؤدي الإدمان على مواقع التواصل الإجتماعي إلى التشوش الذهني والعصبي, إذ إن الكم الهائل من المعلمات التي ينشر عليها يومياً, مع تعدد تلك الوسائل تؤدي بالمتابع والمشترك إلى مرحلة الإغراق المعلوماتي والمعرفي, والتشتت الذهني, وعسر الهضم تماماً كما يحدث للشخص إن هو أفرط في تناول الطعام والشراب(١٣).

كما يعد الإدمان من المشكلات الشائعة لمستخدمي شبكات التواصل الإجتماعي فقد أكدت دراسة أمريكية إن مستخدمي الإنترنت الأمريكيين يقضون ١٢٪ من وقتهم على الإنترنت بإستخدام شبكات لتواصل الإجتماعي(١٤).

- ومن الآثار النفسية أيضاً: تربية الطفل تربية مشوهة غير منتظمة, ضعف الشخصية وترددها في كل ما تقدم عليه, وعدم الرسوخ على موقف معين, بسبب الإستهلاك السلبي لوسائل الإعلام, وعدم التمييز بين ماهو أصل, ويجب التمسك به, وما هو طارئ ولا يجب الإلتفات إليه(١٥).

- ومن عواقب الإدمان على الصحة النفسية الإكتئاب: حيث يزيد التنمر ألالكتروني من خطر الإكتئاب والقلق في الأطفال, ويمكن أن يسبب الفيسبوك الإكتئاب إذا كان المستخدم يقوم بمقارنات سلبية بين نفسه والآخرين, وأيضاً يمكن أن يتسبب في الحسد الذي يؤدي إلى الإكتئاب(١٦).

- إهدار الخصوصية وإنعدامها: فمن سمات مواقع التواصل الإجتماعي أنها تشجع المستخدم على نقل ووضع معلومات, وذلك من خلال وضع صورة وإسمه الحقيقي, وقائمة أصدقاء, والأنشطة التي يشارك بها في وقت فراغه, ويؤدي إنعدام الخصوصية إلى أضرار معنوية ونفسية ومادية, كما تسبب العزلة فعند العمل على شبكة الإنترنت يجلس المستخدم عادةً وحيداً أما الحاسب, حيث يمكنه أن يقضي ساعات طويلة تعزله عن المجتمع والقريب والبعيد عنه, فالإبحار في الشبكة مصحوب بعزلة معينة عن المجتمع المجاور (العائلة- الأصدقاء) مما قد

يؤدي في حالات كثيرة إلى مشاكل إجتماعية, وأخرى نفسية(١٧).

وكل ما ذكر هو مخالف للقران الكريم فقد وردت آيات كثيرة تدل على محاسبة النفس وعدم تركها للملذات والشهوات, قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١٨). لذلك من الأفضل تحديد وقت لإستخدام الأجهزة سواء للأطفال أو للشخص نفسه لكي لا يتسبب لهم بالعزلة والإدمان, والقيام بالإنشطة مثل الرياضة والقراءة, والحث على صلة الرحم.

المبحث الثاني: علاج مدمني مواقع التواصل الإجتماعي في الفكر الإسلامي

المطلب الأول: التعامل النفسي والأسري مع الأشخاص المدمنين:

١- التعريف بتوابع السلوك: إن السلوك الإنساني هادف بطبيعته وهو يهدف إلى الحصول على التعزيز والمكافآت وتجنب التعرض إلى الألم والمعاناة, لذا فإن تعريف الأشخاص بخطورة هذه المواقع , وتعريفهم بالأخطار والسلبيات يمكن أن يؤدي إلى إقبال وتطوع الكثير في المساعدة من التقليل من أخطارها, يمكن أن يأخذ الطابع السيكولوجي كالشعور بوخز الضمير وإرتكاب الإثم.

٢- إختيار الإسلوب المباشر: فإن إختيار الإسلوب له دور في التأثير على الأشخاص, فلا يكون بالمهاجمة, ولكن يكون بمستوى وعي وثقافة بالمخاطر(١٩).

٣- إيجاد أماكن تضمن مجموعة من المتخصصين في مجال علم النفس والإجتماع والدين, الذين يتقبلون الشكاوى, ويقدمون النصائح, ويواكبون عمل المؤسسات لجهة توجيه إستخدام

٤- وسائل التواصل, وإيجاد حلول وقائية تحمي المجتمع المتدين قبل وقوع المشكلة(٢٠).

ثانياً: التنشئة الأسرية: تعتبر علاقة الوالدين بالطفل وما يمارسه الوالدين من أساليب في تنشئة أكثر أهمية في النمو الخلقي للطفل من أي عامل آخر, وتكون على أربعة أشكال محددة:

أ- أن الأنماط السلوكية في الأسرة تعمل كنوذج لسلوك الطفل الذي يقلد ما يلاحظه في الآخرين.

ب- أن الأسرة بإستخدام الإستحسان ودعم الإستحسان والثواب والعقاب تعلم الطفل أن يسلك

ت- تستطيع الاسرة تنظيم العقاب لكي يأتى متفقاً مع الأفعال الخاطئة وأن تعلم الطفل التبصر بسلوكه وبتوقع نتائج معينة لهذا السلوك.

ث- تستطيع الأسرة أن تفعل الكثير لإستثارة دافعية الطفل لكي يسلك على نحو يلقى إستحسان الجماعة.

وبذلك تعتبر الأسرة هي ناقل ثقافة الجماعة إلى الطفل, والمنزل هو مركز التدريب على القيم الخلقية السائدة في ثقافة الجماعة(٢١).

فإن نظرية التعلم الإجتماعي عند باندورا* هي نظرية تقول بأن الناس يتعلمون سلوكيات جديدة عن طريق التعزيز أو العقاب الصريحين أو عن طريق التعلم بملاحظة المجتمع من حولهم, فحين يرى الناس نتائج إيجابية ومرغوبة للسلوك الذي يلاحظونه من قبل غيرهم, تزداد إحتمالية تقليدهم, ومحاكاتهم , وتبنيهم لهذا السلوك(٢٢).

.

المطلب الثاني: مواجهة الإدمان لمواقع التواصل الإجتماعي

أولاً: التقليل من إدمان هذه المواقع

١- التفكير في الوقت الذي قد تحتاجه لهذه الأنشطة التي تسجل الدخول عليه, مثلاً تعطي فقط ١٥ دقيقة للرد على الإشعارات مثلاً و ١٠ دقائق لتحديد الملف الشخصي.

٢- حاول أن تتمسك بالوقت المتاح لك لتنجز أعمالك , وبعدها يمكنك أن تستخدم مواقع التواصل الإجتماعي, لا تعد نفسك إنك ستستخدم مواقع الإتصال لمدة ٢٠ دقيقة ثم تعود إلى العمل, لان الوقت

سيدركك بالساعات.

٣- إذا كان لديك بعض الأعمال والواجبات بإمكانك أن تقوم بتعطيل حساباتك, ثم تعود بعد الإنتهاء من عملك.

٤- التفكير في الأمور المفيدة التي ممكن أن تقوم بها عوضاً عن إضاعة الوقت على هذه المواقع, مثل الرياضة وقراءة الكتب, وغيرها(٢٣).

٥٦- كن صبوراً: أول ما ينتبه المدمنون للمشكلات الحادة التي أطلقتها عادة إستخدامهم المكثف, يصابون غالباً بالذعر, ويقررون الإنقطاع التام, وحتى أولئك الذين يفهمون بأن الإعتدال هو الهدف الأكثر ملائمة للإدمان ينزعون بفقدان الصبر عندما يستمر الأب أو الزوج بدفعهم للتوقف, عليك منح الأمر مزيداً من الوقت فالتغيير في الحياة يستغرق وقت أطول(٢٤).

٧- إطفاء الراوتر قبل النوم: يمكن أن يستخدم الآباء مثل هذا الأسلوب في بعض الحالات, التي يلاحظوا فيها أن أبناءهم غير قادرين على التحكم في أوقات الإنترنت.

٨- تدريبهم على تصفح المواقع المفيدة: يستطيع الآباء إرشاد أبنائهم لمتابعة المواقع التي يتضمنها الأنترنت, والتي تقع خارج إطار وسائل التواصل الإجتماعي, فهناك العديد من المواقع العلمية والصحية والإجتماعية, الغنية بالمعلومات والمفيدة(٢٥).

ثانياً: التربية النفسية للأبناء من خلال التنشئة الإجتماعية والحث على الصلاة التنشئة الإجتماعية هي العملية التي بواسطتها يتعلم الفرد طرق مجتمع ما, أو جماعة إجتماعية حتى يتمكن من المعيشة في ذلك المجتمع , أو بين تلك الجماعة أو هي بعبارة أخرى عملية تشكيل السلوك الإجتماعي للفرد, وإستدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية, وتحويل الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشر في محيط أفراد آخرين من البشر يتفاعلون بعضهم مع بعض, ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التي تبلور طرائقهم في الحياة(٢٦).

والتنشئة الإجتماعية من أهم العمليات تأثيراً على الأبناء في مختلف مراحلهم العمرة, لما لها من دور أساسي في تشكيل شخصيتهم وتكاملها, وهي تعد إحدى عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب الأبناء العادات والتقاليد والإتجاهات والقيم السائدة في بيئتهم الإجتماعية, التي يعيشون فيها, وعملية التنشئة الإجتماعية تتم من خلال وسائط متعددة, وتعد الأسرة أهم هذه الوسائط, فالأبناء يتلقون عنها مختلف المهارات والمعارف الأولية, كما أنها تعد بمثابة الرقيب على وسائط التنشئة الأخرى(٢٧).

ثانياً: الصلاة ودورها في التقليل من الإدمان: الصلاة لما لها من الأثر الكبير في نفس الإنسان كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية والحث على إقامة الصلاة: لإن الصلاة تعتبر منا لعبادات الأساسية التي فرضها الله تعالى على عباده لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتا﴾(٢٨).

وفي الحديث الشريف: عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله, وإقام الصلاة, وإيتاء الزكاة, والحج, وصوم رمضان)(٢٩). تعد الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام بعد إتيان الشهادة لأهميتها.

فمن الأثار التربوية والنفسية المترتبة على إقامة الصلاة:

- التدريب على إتقان الأعمال, فالصلاة تعود صاحبها على إتقان الأعمال, وذلك عندما أمرنا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).من أمر الصبي بالصلاة لسبع وضربه عليها لعشر, من أجل تعويده على إتقان الأعمال, ذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(٣٠). لأن من شروطها أن تؤدى بخشوع وهو الخشوع القلب والبصر(٣١).

- الصلاة وسيلة فاعلة في وقاية الأبناء من الإنحراف السلوكي, لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر, فمن يصلي

الصلاة الصحيحة أثمرت الكف والإنتهاء عن رذائل الأخلاق, الصلاة ثمرة من ثمار المعتقد, لأن العقيدة هي الدافع لأداء الصلاة وأنه لا صلاة تامة إلا بأخلاق حميدة , ولهذا تصبح مكارم الأخلاق ثمرة من ثمار العقيدة, وهذا كله يدل على التلازم بين جوانب التربية جميعاً, عقيدة وعبادة وأخلافاً وسلوكاً(٣٢)، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٣٣).

– تمثل الصلاة قوة روحية نفسية تعين الفرد على تحمل المصاعب , وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإستعانة بها, قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٣٤).أمرهم الله تعالى أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه, وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها والصبر عن معصية الله حتى يتركها, فالصبر وحبس النفس على ما أمر الله به معونة عظيمة على كل أمر من الأمور, وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان, وتنهى الفحشاء, يستعان بها بكل أمر من الأمور(٣٥).

–الصلاة من الأسباب الرئيسية المؤدية إلى الراحة النفسية,كما جاء في الحديث الشريف, عن سالم بن أبي الجعد : (قال رجل قال مسعر: أراه م خزاعة ليتني صليت فاسترحت. فكأنهم عابوا ذلك عليه, فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)(٣٦).

الخاتمة:

١– إن الإدمان على مواقع التواصل الإجتماعي نتيجة لتطور الوسائل الحديثة وعدم إستخدامها بالشكل الصحيح.

٢– ان للاسرة دور كبير في المراقبة وتوجيه الأبناء لإستخدام مواقع التواصل الإجتماعي بالشكل الصحيح.

٣– للصلاة أهمية روحية وجسدية لانها تعلم الشخص الإنضباط والإتقان.

٤– إن الإدمان على مواقع التواصل الإجتماعي له أضرار جسدية ونفسية وصحية نتيجة الجلوس الكثير والتعرض للإضاءة.

الهوامش:

(١) ادمان الانترنت، عمر موفق بشير العباجي، دار مجدلاوي – عمان ,الإصدار الثاني ط١ ٢٠١٠ , ص٨٧.

(٢) أثر إستخدام وسائل التواصل الإجتماعي على تنشئة الطفل في المجتمع العماني, أعضاء الفريق البحثي بجمعية الإجتماعيين العمانية, د. سلطان بن محمد الهاشمي– عالية هلال السعدية وآخرون, ٢٠٢٠, ص ٧٤.

(٣) الإعلام والمجتمع, علي عبد الفتاح كنعان, دار اليازوري– عمان, الطبعة العربية ٢٠١٤م, ص ١١٩– ١٢٠.

(٤) يُنظر التماسك الإجتماعي إلى أين الجانب المظلم لوسائل التواصل الإجتماعي, د هبة صبحي جلال إسماعيل،مكتبة زاد الراوي للنشر– الرياض، ط١ ٢٠٢١, ص ٢٠٢.

(٥) فوائد ومفاسد الإنترنت ووسائل التواصل الإجتماعي, ابو عبد الرحمن عبد الحكيم بن محمد بن حسن الريمي، كنوز الإسلام– اليمن، ط١ ١٤٤٠, ص ٣٤.

(٦) سنن ابن ماجه, أبو عبدالله محمد يزيد ابن ماجه الربعي مولاهم– القزويني (٢٠٩هـ– ٢٧٣هـ) , دار الصديق – السعودية, ط٢ ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م, أبواب الأحكام, ص ٥٠٠, رقم ٢٣٣٦, حكمه صحيح لغيره.

(٧) البقرة : الآية ١٩٥.

(٨) الصحة النفسية والعلاج النفسي, د. حامد عبد السلام زهران, عالم الكتب– القاهرة, ط٤ ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م, ص ٩.

(٩) ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الإجتماعي,د. حلمي خضر ساري، دار مجدلاوي– الإردن، ط١ ٢٠٠٥, ص ١٢٥– ١٢٦.

(١٠) وسائل التواصل الإجتماعي وأثرها على المجتمع, المؤتمر العلمي الدولي السنوي الرابع, جامعة النجاح الوطنية – فلسطين, ٢٠١٤م, ص ٣٥٦.

(١١) مواقع التواصل الإجتماعي بين التصرفات المرفوضة والأخلاقيات المفروضة, د. علي سيد إسماعيل–، دار التعليم الجامعي– الإسكندرية، ٢٠٢٠, ص ١٧٧.

(١٢) يُنظر العلاقات الأسرية في ظل الإدمان على وسائل التواصل الإجتماعي, عبد الغني أحمد علي الحاوري، المركز الديمقراطي العربي– برلين، ط١ ٢٠٢١, ص ٩٣–٩٤.

(١٣) المصدر نفسه, ص ٨٩.

(١٤) العلاقات العامة وشبكات التواصل الإجتماعي, أ. حسين محمود هتيمي، دار أسامة – الأردن، ط١ ٢٠١٥ ص ١٠٤.

(١٥) الإعلام والمجتمع, مصدر سابق, ص ١١٩.

(١٦) الفيسبوك تحت المجهر, د. حسان أحمد قمحية، دار النخبة للنشر– مصر، ط١ ٢٠١٧ م, ص ٨٢.

(١٧) تأثير شبكات التواصل الإجتماعي على الطفل والإستقرار الأُسري في المملكة العربية السعودية, فيصل محمد عيسى عسيري، دار النهضة العربية– الهرم، ط١ ٢٠١٩, ص ٨٤–٨٥.

(١٨) المائدة: الآية ١٠٥.

(١٩) يُنظر الأساليب الحديثة في التحصين النفسي والإجتماعي ضد الشائعات, د. نايل محمود البكور, جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, ٢٠٠١م, ص ١١١–١١٢.

(٢٠) شبكات التواصل الإجتماعي منصات للحرب الامريكية الناعمة, مؤمن قريش، مركز الحرب الناعمة للدراسات– بيروت،ط١ ٢٠١٦, ص ١٨٠.

(٢١) علم النفس النمو, حسن مصطفى عبد المعطي– هدى محمد قناوي, دار قباء, ج٢, ص ٣٩٢.

* ولد ألبرت باندورا في ٤ ديسمبر ١٩٢٥, لأبوين بولنديين من مزارعي القمح, في قرية صغيرة تسمى موندرلا, بولاية ألبرتا في كندا, وهو الإبن الأصغر والولد الوحيد, في أسرة مكونة من ستة أشخاص, يُنظر نظرية التعلم الإجتماعي/ باندورا, أ.د سعدي جاسم عطية, ٢٠٢١م, ص ٣.

(٢٢) المصدر نفسه, ص ٣.

(٢٣) مواقع التواصل الإجتماعي بين التصرفات المرفوضة, والأخلاقيات المفروضة, مصدر سابق,١٧٩.

(٢٤) مواقع التواصل الإجتماعي نظرة عن قرب, عثمان محمد الدليمي، دار غيداء للنشر– عمان, ص ٢٣١–٢٣٢.

(٢٥) العلاقات الأسرية في ظل الإدمان على وسائل التواصل الإجتماعي, مصدر سابق,ص١١١–١١٢.

(٢٦) الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة, حنان عطية الطوري الجهني, إصدار مجلة البيان– الرياض, ط١ ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م, ص ٢٣٩.

(٢٧) مهارات التواصل الإجتماعي أسس ومفاهيم وقيم, أ.د صالح العلي, دار حامد للنشر–الأردن,ط١ ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م, ص ١٩.

(٢٨) النساء: الآية ١٠٣.

(٢٩) صحيح البخاري, كتاب الإيمان, باب دعاؤكم إيمانكم, ج١, ص١١, رقم ٨.

(٣٠) المؤمنون: الآية ١–٢.

(٣١) روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي, زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي الحنبلي(ت: ٧٩٥هـ), جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد, دار العاصمة– المملكة العربية السعودية, ط١ ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م, ج٢, ص ٦.

(٣٢) المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليلي, عرفة بن طنطاوي, ص ٢٨٧.

(٣٣) العنكبوت: الآية ٤٥.

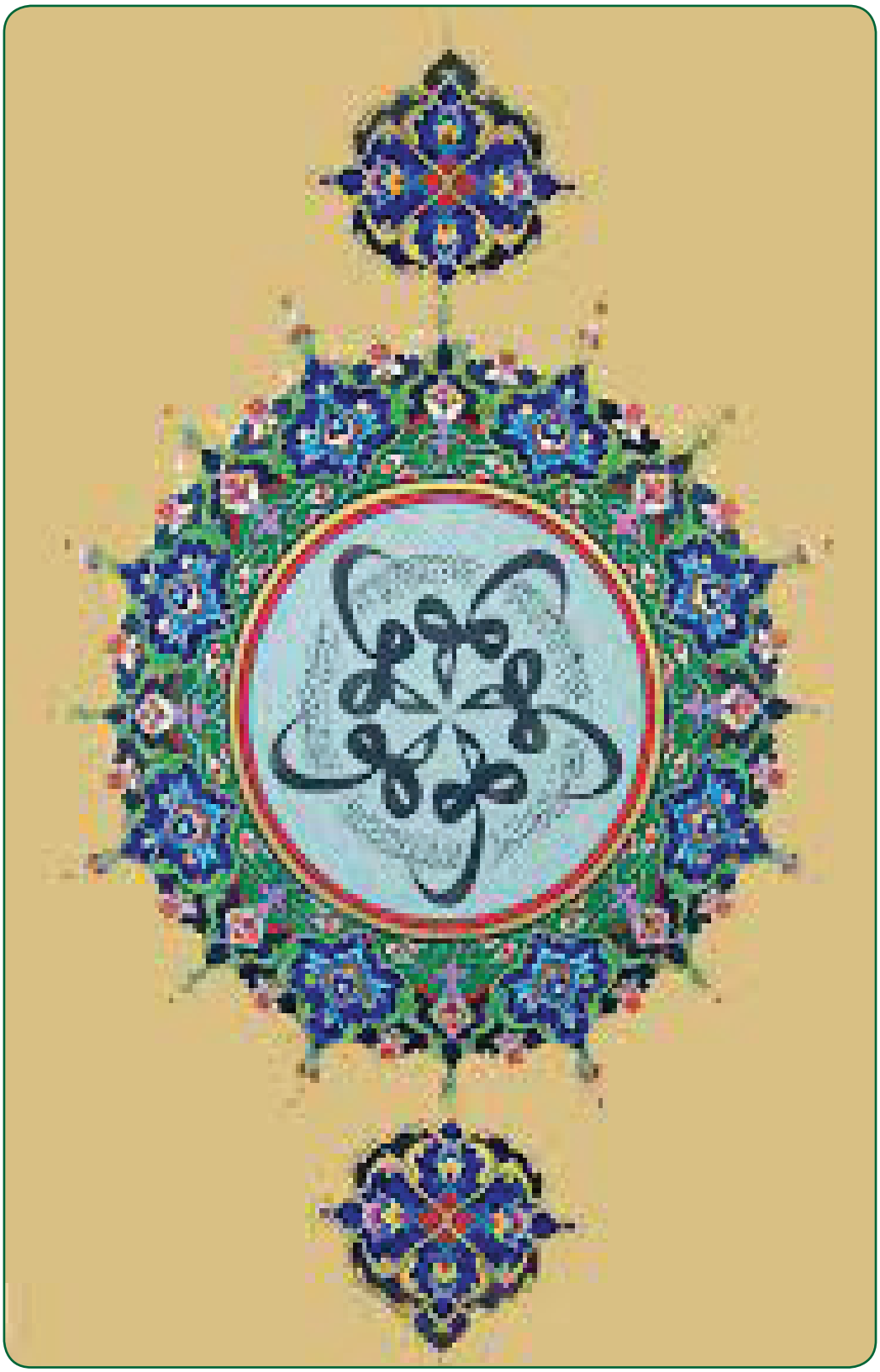
(٣٤) البقرة: الآية ٤٥.

(٣٥) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت: ١٣٧٦)، مؤسسة الرسالة،ط١ ١٤٢٠, ص ٥١.

(٣٦) سنن أبي داوود مع شرحه عون المعبود, أبو داوود سليمان بن الأشعث, بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ), والشرح عون المعبود لشرف الحق العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩), ضبط نص السنن: الشيخ تلطف حسين الدهلوي (ت ١٣٣٤هـ), المطبعة الإنصارية بدلهي– الهند, ١٣٢٣هـ,كتاب الأدب, باب في صلاة العتمة, ج٤, ص ٤٥٣, رقم ٤٩٨٥..

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
١) أثر إستخدام وسائل التواصل الإجتماعي على تنشئة الطفل في المجتمع العماني, أعضاء الفريق البحثي بجمعية الإجتماعيين العمانية, د. سلطان بن محمد الهاشمي– عالية هلال السعدية وآخرون, ٢٠٢٠.
٢) ادمان الانترنت، عمر موفق بشير العباجي، دار مجدلاوي – عمان ,الإصدار الثاني ط١ ٢٠١٠ .
٣) الأساليب الحديثة في التحصين النفسي والإجتماعي ضد الشائعات, د. نايل محمود البكور, جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, ٢٠٠١م
٤) الإعلام والمجتمع, علي عبد الفتاح كنعان, دار اليازوري– عمان, الطبعة العربية ٢٠١٤م.
٥) تأثير شبكات التواصل الإجتماعي على الطفل والإستقرار الأُسري في المملكة العربية السعودية, فيصل محمد عيسى عسيري، دار النهضة العربية– الهرم، ط١ ٢٠١٩.
٦) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت: ١٣٧٦)، مؤسسة الرسالة،ط١ ١٤٢٠.
٧) التماسك الإجتماعي إلى أين الجانب المظلم لوسائل التواصل الإجتماعي, د هبة صبحي جلال إسماعيل،مكتبة زاد الراوي للنشر– الرياض، ط١ ٢٠٢١.
٨) ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الإجتماعي,د. حلمي خضر ساري، دار مجدلاوي– الإردن، ط١ ٢٠٠٥.
٩) الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة, حنان عطية الطوري الجهني, إصدار مجلة البيان– الرياض, ط١ ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.
١٠) روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي, زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي الحنبلي(ت: ٧٩٥هـ), جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد, دار العاصمة– المملكة العربية السعودية, ط١ ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١.
١١) سنن ابن ماجه, أبو عبدالله محمد يزيد ابن ماجه الربعي مولاهم– القزويني (٢٠٩هـ– ٢٧٣هـ) , دار الصديق – السعودية, ط٢ ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م.
١٢) سنن أبي داوود مع شرحه عون المعبود, أبو داوود سليمان بن الأشعث, بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ), والشرح عون المعبود لشرف الحق العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩), ضبط نص السنن: الشيخ تلطف حسين الدهوي (ت ١٣٣٤هـ), المطبعة الإنصارية بدهلي– الهند, ١٣٢٣هـ.
١٣) شبكات التواصل الإجتماعي منصات للحرب الامريكية الناعمة, مؤمن قريش، مركز الحرب الناعمة للدراسات– بيروت،ط١ ٢٠١٦.
١٤) الصحة النفسية والعلاج النفسي, د. حامد عبد السلام زهران, عالم الكتب– القاهرة, ط٤ ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥
العلاقات الأسرية في ظل الإدمان على وسائل التواصل الإجتماعي, عبد الغني أحمد علي الحاوري، المركز الديمقراطي العربي– برلين، ط١ ٢٠٢١.
١٥) العلاقات العامة وشبكات التواصل الإجتماعي, أ. حسين محمود هتيمي، دار أسامة – الأردن، ط١ ٢٠١٥ .
١٦) علم النفس النمو, حسن مصطفى عبد المعطي– هدى محمد قناوي, دار قباء.
١٧) فوائد ومفاسد الإنترنت ووسائل التواصل الإجتماعي, ابو عبد الرحمن عبد الحكيم بن محمد بن حسن الريمي، كنوز الإسلام– اليمن، ط١ ١٤٤٠.
١٨) الفيسبوك تحت المجهر, د. حسان أحمد قمحية، دار النخبة للنشر– مصر، ط١ ٢٠١٧ م.
١٩) مهارات التواصل الإجتماعي أسس ومفاهيم وقيم, أ.د صالح العلي, دار حامد للنشر–الأردن,ط١ ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م.
٢٠) مواقع التواصل الإجتماعي بين التصرفات المرفوضة والأخلاقيات المفروضة, د. علي سيد إسماعيل–، دار التعليم الجامعي– الإسكندرية، ٢٠٢٠.
٢١) مواقع التواصل الإجتماعي نظرة عن قرب, عثمان محمد الدليمي، دار غيداء للنشر– عمان.
٢٢) نظرية التعلم الإجتماعي/ باندورا, أ.د سعدي جاسم عطية, ٢٠٢١م.
٢٣) وسائل التواصل الإجتماعي وأثرها على المجتمع, المؤتمر العلمي الدولي السنوي الرابع, جامعة النجاح الوطنية – فلسطين, ٢٠١٤م.



المسؤولية الجنائية الناشئة عن المخدرات

م. م. نيران خليل إبراهيم
وزارة التربية /مستشار قانوني مساعد

المستخلص:
لا يخفى على الجميع من أن الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ قد فتح الباب على مصراعيه للتنظيمات الإجرامية، والعادات السلبية الدخيلة على المجتمع العراقي الأصيل، فتغلغلت المجاميع الإرهابية وانتشرت عصابات الجريمة المنظمة في ربوع العراق، ورغم مقارعة أبناء هذا البلد الجريح لهذه العصابات والقضاء على الكثير من المنظمات الإرهابية وبالأخص الانتصارات المُشرّفة ضد تنظيم (داعش) الإرهابي في الآونة الأخيرة، إلا أن هنالك نوعاً من الجرائم يكون مقارعتها والسعي للحد منها أمراً ليس باليسير أو الهين بسبب ماهيتها وظروف ارتكابها المختلفة، وهذه الجرائم هي الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، حيث تُعد هذه الجرائم من أكبر المشاكل التي تواجه أي مجتمع من المجتمعات لأنها تستهدفه بالدرجة الأساس، وتنخر اللُّبنة الأساسية له المتمثلة بشبابه الذين يُعدون الركيزة الأساسية لنهوض المجتمع واستقامته في مختلف مناحي الحياة، فعندما يكون الشباب في حالة من التوجه الصحيح والتخطيط السليم لبناء المستقبل، يكون هذا الأمر أساساً لتطور المجتمع وتماسكه من التفكك فضلاً عن استقراره أمنياً واقتصادياً وعلمياً إلى غير ذلك من صور الاستقرار وهذا ما لا يريده من يسعى إلى أن يكون المجتمع مخدراً وفاتراً ومغيباً عن كل عوامل النجاح، لذلك استهدف الشباب بالدرجة الأساس في الترويج لهم وتسهيل تعاطيهم لهذه السموم المدمرة.

الكلمات المفتاحية: الغزو الأمريكي، المجاميع الإرهابية، المجتمع العراقي

Abstract:
It is no secret that the US invasion of Iraq in 2003 opened the door wide to criminal organizations and negative customs that were alien to authentic Iraqi society. Terrorist groups infiltrated and organized crime gangs spread throughout Iraq. Despite the people of this wounded country's struggle against these gangs and the elimination of many terrorist organizations, especially the honorable victories achieved against ISIS, Terrorism in recent times, but there is a type of crime that is not easy or simple to combat and seek to reduce due to its nature and the different circumstances of its commission, and these crimes are crimes arising from dealing in drugs and psychotropic substances, as these crimes are considered among the biggest problems facing any society.
Because it targets it primarily, and undermines its basic building block, represented by its youth, who are the basic pillar for the advancement of society and its rectitude in various aspects of life. When the youth are in a state of correct orientation and sound planning to build the future, this matter is the basis for the development of society and its cohesion from disintegration.
In addition to its security, economic, scientific, and other forms of stability, this is not what those who seek to make society intoxicated, listless, and devoid of all factors of success want. Therefore, youth are primarily targeted for promotion and facilitation of their use of these destructive toxins.

Keywords: US invasion, terrorist groups, Iraqi society

المقدمة:

الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً دائماً أبدا ، لا تحصي له الخلائق عددا، وصلاته وسلامه على خير خلقه احمدا، وعلى آله الغر الميامين صلاةً وسلاماً دائماً . سرمدا أما بعد.

في ضوء ما تقدم إرتأينا أن نبحث عن المسؤولية الجنائية الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية وفق أحكام قانون المخدرات والمؤثرات العقلية العراقي رقم (٥٠) لسنة ٢٠١٧ ، وفق تقسيم البحث إلى أربعة مباحث كما يأتي:

إذ تناولنا في المبحث الأول: التعريف بالمخدرات بشكل عام، وقد قُسم هذا المبحث إلى مطالب ثلاثة، تضمن المطلب الأول بيان تعريف المخدرات لغةً واصطلاحاً، أما المطلب الثاني فتناولنا فيه أنواع

المخدرات، وقد خُصص المطلب الثالث لبيان أسباب الجرائم الناتجة عن التعامل بالمخدرات.

المبحث الثاني خُصص لتسليط الضوء على أركان الجريمة الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، وقد قُسم إلى مطلبين، تناولنا في المطلب الأول الركن المادي، وخصصنا المطلب الثاني لبيان الركن المعنوي.

أما المبحث الثالث: فقد تضمن بيان الآثار الناتجة عن التعامل بالمخدرات، وقد قُسم أيضاً إلى مطلبين تضمن المطلب الأول بيان الآثار الخاصة بالأشخاص الطبيعية، اما المطلب الثاني فقد تضمن بيان الآثار الخاص بالدولة.

أما المبحث الرابع فقد بينا فيه موقف التشريعات من الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، وقد قسم إلى مطلبين، تناولنا في المطلب الأول بيان موقف التشريعات الدولية، أما المطلب الثاني فقد بينا فيه موقف التشريعات العراقية.

المبحث الأول:

التعريف بالمخدرات:

إن التعريف بالمخدرات يقتضي بيان تعريفها وأنواعها، فضلاً عن أسباب الجرائم الناتجة عن التعامل بها، وهذا ما سنبينه وفق المطالب الآتية :

المطلب الأول:

تعريف المخدرات:

المخدرات لغة: الخدر (بكسر الخاء وهو سترٌ يُمد للجارية في ناحية البيت، وكل ما وارى الإنسان من بيته ونحوه، وجمع. كلمة خدر خدور، والخَدر (بالفتح) الكسل وظلمة الليل والمكان المظلم، واشتداد الحر، واشتداد البرد، وتخدر اختدر استتر، وخدروا أي دخلوا في غيم مطير أو غيم فقط، أو ريح وكُلها تدل على معنى من معاني الستر، والخدر هو امذلال يغشى الأعضاء وفتور العين أو ثقل فيها(١)، والخدر فتور وكسل يعتري الشارب(٢).

أما اصطلاحا: فتعرف المخدرات من الناحية العلمية بأنها مجموعة من العقاقير التي تؤثر على النشاط الذهني والحالة النفسية لمتعاطيها، إما بتنشيط الجهاز العصبي المركزي، أو بإبطاء نشاطه أو بتسببها للهلوسة أو التخيلات، وهذه العقاقير تُسبب الإدمان، وينجم عن تعاطيها الكثير من مشاكل الصحة العامة، والمشكلات الاجتماعية) (٣)، كما عُرفت المخدرات بأنها: (مجموعة من المواد التي تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي، ويُحظر تداولها أو زراعتها أو تصنيعها، إلا لأغراض يُحددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص له بذلك، وتشمل الأفيون ومشتقاته والحشيش وعقاقير الهلوسة والكوكايين والمنشطات، ولكن لا تصنف الخمر والمهدئات والمنومات ضمن المخدرات على الرغم من إضرارها وقابليتها لأحداث الإدمان) (٤)، وعُرفت كذلك بأنها كل مادة تؤثر على الجهاز العصبي بدرجةٍ تُضعف وظيفته أو تفقدها بصورة مؤقتة) (٥).

ويذهب الكثير من الباحثين إلى تسمية أبحاثهم بجرائم المخدرات)، وهذا غير صحيح فالمخدرات ليست جريمة، وإنما التعامل بها خلافاً للقانون يعد جريمة فهي عبارةٌ عن مواد طبيعية أو صناعية تُسبب ضرراً بليغاً يستهدف الجهاز

العصبي للإنسان بسبب تعاطيها بشكل دوري، ويكون التعامل بها مشروعاً في المجالات الطبية وفق توصيف الطبيب المختص لتخفيف الآلام بشكل عام، أو للمساعدة على النوم في بعض الحالات النفسية).

المطلب الثاني:

أنواع المخدرات:

تنقسم المخدرات بصورة عامة فيما يخص بيان أنواعها إلى قسمين أساسيين وهما المخدرات الطبيعية، والمخدرات التخليقية أو الصناعية.

فالمخدرات الطبيعية ومشتقاتها هي:

١) الأفيون وما يتفرع منه ك (المورفين، والهيروين، والكوادين).

٢) الحشيش.

٣) الكوكايين.

٤) القات.

وتنتشر زراعة وإنتاج هذه الأنواع من المخدرات في مناطق تركيا وإيران وأفغانستان وباكستان، واليمن (للقات)، بالنسبة كذلك الجمهوريات الآسيوية (من الإتحاد السوفيتي السابق) وبورما ولاوس، المنطقة المسماة بالمثلث الذهبي التي تُعد أخطر مناطق زراعة الأفيون ومشتقاته في الشرق الأوسط وهي كما تكثر زراعة هذه الأنواع من المخدرات وبالأخص (الخشخاش) في بعض دول أوروباكيوغسلافيا(السابقة)، وبلغاريا، واليونان، وفي مناطق متفرقة من شمال أفريقيا، وأمريكا الجنوبية وأستراليا(٦).

وأما المخدرات التخليقية أو الصناعية فهي:

١) المهدئات: وهي التي تُستعمل في بعض الأحيان في الأغراض الطبية كـ(الفاليوم) ولها تأثير مهبط على الجهاز العصبي.

٢) المنشطات وتستعمل كمنشط للأعصاب مثل الماكستون (فورت)،و(الميثامفينامين) (٧)،و(اللاميفتامين) و(النزورين) و(الدكسامفينامين) و(الديفتامين)، وتدخل بعض هذه الأنواع في صناعة بعض الأدوية الطبية المشروعة مثل (الأبفيدرين)، وهي تؤثر على الجهاز العصبي المركزي، وتُسبب حالة من الهياج.

٣) المنومات: وهي العقاقير المستعملة في بعض الأغراض الطبية المشروعة ومنها (السيكونان) وغيرها، وتُعد هذه المواد التخليقية من المواد المؤثرة على المزاج النفسي للفرد وبسببها أبرمت اتفاقية المواد المؤثرة على الحالة النفسية في فيينا بالنمسا عام ١٩٧٢، أُدخلت ضمن جداول المخدرات، وهي تؤثر على الجهاز العصبي المركزي ويؤدي أثرها إلى إبطاء النشاط الذهني(٨).

٤) عقاقير الهلوسة: وهذه العقاقير تُعد أشد المخدرات الصناعية لخطورة جرعاتها قليلةً كانت أو كثيرة.

المطلب الثالث:

أسباب الجرائم الناتجة عن التعامل بالمخدرات

إن أسباب الجرائم الناتجة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية تتعدد وتختلف بحسب ظروف وطبيعة كل مجتمع، ومن ثم فإن الوقوف على الأسباب المؤدية إلى نشوء هذه الجرائم ليس بالأمر اليسير، و يحتاج إلى دراسة مفصلة لا يُمكن حصرها بمثل هكذا بحث مختصر، لذا سنسلط الضوء على أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار جرائم المخدرات وفق ما يأتي:

أولاً: الأسباب الاجتماعية:

وتتمثل بما تلعبه الأسرة من دور في ازدياد الجرائم الناتجة عن التعامل بالمواد المخدرة أو الحد منها، فالتفكك الأسري وعدم وجود مركزية في إدارة الأسرة يكون سبباً أساسياً ومباشراً لانحراف أبنائها وخاصة المراهقين منهم، حيث إن انهيار الأسرة وعدم أخذ دورها الأساسي كأحد وسائل الضبط الاجتماعي يُنذر بفوضى عارمة داخل نواة هذه

الأسرة ويُصبح المحظور مباحاً، فضلاً عن أصدقاء السوء الذين يستقطبون الأبناء المنضبطين بسبب عدم متابعة رب الأسرة لهم، أو اللامبالاة بمحيطهم الاجتماعي، فعندما يتصل الفرد بأصدقاء من فئةٍ أُخرى غير قويمة تسعى إلى سلوك أجرامي، وتعمل على مخالفة المبادئ القانونية التي يقرها المشرع، فإن ذلك سيؤدي حتماً بالفرد وبمن اختلط معه إلى سلوك ارتكاب الجريمة(٩).

ثانياً: الأسباب الاقتصادية:

إن انتعاش اقتصاد البلد يؤدي بشكل مباشر إلى رخاء أبنائه ورفاهيتهم، مما يجعل الغالبية منهم يتجهون نحو الخمور والمخدرات لوجود السيولة المالية لتعاطيها والترويج لها، وهذا بسبب عدم التخطيط السليم والصحيح في إدارة الجانب الاقتصادي من قبل أبناء هذا البلد، لذا نجد أن الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات موجودة في بعض المجتمعات المتمتعة باقتصاد جيدٍ يُلازمه عدم التدبر والتخطيط الصحيح لإدارة هذا الاقتصاد، كما أن للبطالة وسوء استغلال أوقات الفراغ لدى الأفراد سبباً رئيساً لارتكاب جريمة تعاطي المخدرات(١٠)، لأن ذلك يؤدي إلى فقدان الفرد لدخله مما يولد نوعاً من الحقد والنقمة والضغط النفسي لديه(١١)، على أمل واهٍ من أن هذا السلوك الإجرامي سيؤدي إلى تخفيف معاناته.

ثالثاً: الأسباب السياسية:

لقد تدخلت بعض العوامل السياسية في انتشار الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، فأصبحت هذه الجرائم وسيلةً جوهرية للقضاء على اللبنة الأساسية في أي بلدٍ وهي فئة الشباب والسعي لإنشاء مجتمع متفكك ، ولا يخفى على الجميع من أن المخدرات بشكل عام لم يكن لها أثر في المجتمع العراقي قبل غزوه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها عام ٢٠٠٣، حيث ترك الأمريكان بعد غزوهم للعراق الحدود العراقية مشرعة للتنظيمات الإرهابية بشكل عام، ولتجار المخدرات بشكل خاص مستهدفين بذلك فئة الشباب لإنهاك البلد، وجعله مشلولاً ومخدراً وعاجزاً عن النهوض بواقعه الأمني والسياسي والاقتصادي، وفي مثل هذه التجربة الإجرامية أصبحت بعض الدول تصدر هذه السموم إلى غيرها من المجتمعات مستهدفة بذلك شبابهم المراهقين وبنوع خاص أولئك الذين لم يتجاوزوا الثلاثين من العمر استغلالا لعدم نضجهم وعدم اتساع خبرتهم في الحياة(١٢).

المبحث الثاني:

أركان الجريمة الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية

إن أركان الجريمة بشكلها العام تتمثل في الركن المادي الذي يخص ماديات الجريمة، والركن المعنوي الذي يخص الجانب النفسي لمرتكب الجريمة ومؤهلاته العقلية، فضلاً عن الركن الشرعي الذي الصفة غير المشروعة للسلوك الإجرامي التي تأتي من خضوعه لنص القانون الذي يأمر يخص بالامتناع عنه.

ولكون قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (٥٠) لسنة ٢٠١٧ قد جرّم التعامل بهذه المواد الضارة، فإننا سنقتصر على بيان الركن المادي والمعنوي لهذه الجريمة وفق المطلبين الآتيين:

المطلب الأول:

الركن مادي:

إن الركن المادي للجريمة هو السلوك الخارجي الذي ينص القانون على تجريمه، إذ لا يعرف القانون جرائم بدون ركن مادي، ولذلك سماه البعض بماديات الجريمة(١٣).

وللركن المادي عناصر ثلاثة وهي: السلوك الإجرامي، والنتيجة الجرمية، والعلاقة السببية بينهما والجدير بالذكر أن النتيجة الجرمية الناشئة عن جرائم التعامل بالمواد المخدرة والمؤثرات العقلية تتحقق بمجرد ارتكاب الفعل المادي، لأنها من جرائم الخطر، كما أن العلاقة السببية لا تُثير أية صعوبة في مثل جرائم، فتحال دراستها إلى المبادئ العامة في قانون العقوبات. لذلك سنقتصر على بيان السلوك الإجرامي المتمثل بما ورد في قانون المخدرات والمؤثرات

العقلية هكذا ضمن الأفعال الآتية :

اولا: الاستيراد والتصدير:

يتمثل الاستيراد بإدخال المخدرات والمؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية إلى جمهورية العراق(١٤). أما التصدير فهو إخراج أو نقل المخدرات والمؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية من جمهورية العراق إلى دول أخرى أو بطريق المرور (الترانزيت) ويشمل تعبير التصدير إعادة التصدير، إلا إذا دلت قرينة على خلاف ذلك(١٥).

وجريمة استيراد وتصدير المواد المخدرة والمؤثرات العقلية ليست خاضعة لشروط معينة، بل هي واقعة قانونية تتضمن إدخال تلك المواد المخدرة إلى أراضي جمهورية العراق بأية وسيلة من الوسائل وتقدير ذلك يرجع إلى محكمة الموضوع. كما لا يعتد القانون لتحقق جريمة الاستيراد والتصدير أن يُقيد الجاني بتوزيع أو استهلاك المواد المخدرة داخل البلاد، فتُعد الجريمة متحققة حتى لو كان الجاني يهدف من إدخال المواد المخدرة إلى البلاد لغرض إرسالها إلى دولة أخرى.

والجدير بالذكر أن جريمة استيراد المواد المخدرة وتصديرها تُعد صورة من صور الحيازة أو الإحراز، إلا أن المشرع قد أفرد لهذا الفعل نصاً خاصاً به . والفرق الجوهري بين جريمتي (الاستيراد والتصدير) و (الحيازة) والإحراز) هو أن الأولى تقع على خط الحدود الگمركي، أو المنطقة الكمركية إدخالاً وإخراجاً أو نقلاً بطريق العبور، أما الحيازة والإحراز فتقع في أية بقعة من بقاع البلد.

ثانياً: الإنتاج:

ويُقصد به فصل المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية عن أصلها النباتي(١٦)، ويحصل الإنتاج العمليات كافة التي تنتهي بنتيجة الحصول على المادة المخدرة، ولا يعتني القانون بالطريقة التي تُنتج بها تلك المواد، فيكفي أن تكون هذه الطريقة منتجة للمواد المخدرة، سواء أكان فاعلها مختصاً كالصيدلاني المجاز بتحضير واستيراد المواد المخدرة بكميات محدودة، وقام بإنتاج مواد مخدرة عن طريق المستحضرات الكيميائية المستوردة أو الموجودة لديه خلافاً للغرض الذي أجيز له استيرادها، كخلط مادتي السومادريل(حبوب و البلموكودين (شراب)، وكلاهما مادة طبية تُعطي النشوة وتؤدي إلى النعاس، لكن التقارير الطبية أثبتت أنها قد تتحول إلى مواد مخدرة إذا تم تعاطيها بجر عات كبيرة(١٧).

ثالثاً: التصنيع:

ويُقصد به جميع العمليات التي يحصل بها على المخدرات أو المؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية ويشمل ذلك التنقية وتحويل المخدرات أو المؤثرات العقلية من شكل إلى آخر، وتُمثل عملية التحويل تحويلاً لأصل المادة في شكلها الأول وصُنعاً لها في شكلها الثاني(١٨)، وتُعد عملية التصنيع قائمة وتأخذ وصفها القانوني بغض النظر عن الطريقة التي أُنتجت بها المخدرات والمؤثرات العقلية، آليةً كانت أم يدوية، كما يدخل ضمن عملية التصنيع تخليص المواد المخدرة من الشوائب العالقة بالنباتات الطبيعية المؤثرة عقلياً، وذلك عن طريق فصل مادة مخدرة عن مادة مخدرة أخرى، أو تحويلها إلى مادة أخرى كتحويل الأفيون الخام إلى مورفين أو فصل الثاني عن الأول.

رابعاً: الزراعة:

ان عملية زراعة المواد المخدرة والتي تدخل ضمن مفهوم الإنتاج يُعاقب عليها القانون، سواء أكان الإنتاج يتم عن طريق الزراعة كالأفيون والحشيش، أم يحتاج إلى عمليات صناعية أيضاً كالمورفين والهروين والكوكايين وهي صورة من صور الإنتاج بمعناه الواسع، وقد فعل المشرع العراقي حسناً بشمول . جميع الأفعال الزراعية بالعقاب والتأثيم بأي طور كانت ومن ثم يُعد الركن المادي متحققاً حيث تتم الجريمة بمجرد فعل الزراعة، لأن هذا الفعل بحد ذاته جريمة سواء نبت الزرع أم جفت شجيراته، والنص الخاص بالزراعة فيه متسع من المعنى فهو يشمل نثر البذور وتوابع الزراعة كتقليم المزروعات المخدرة، واستئصال النباتات الطفيلية عنها لئلا تعيق عملية نموها بالشكل الصحيح، كما لا يقتصر التجريم على فعل زراعة النباتات المخدرة فقط، وإنما يشمل ذلك بيع وترويج وحيازة بذورها.

خامساً: استيراد أو جلب أو تصدير نباتات مخدرة:

وهذا الفعل يندرج تحت مفهوم المتاجرة التي تتمثل بالإنتاج والصنع والاستخراج والتحضير والحيازة والتقديم والعرض للبيع، والترويج والتوزيع والشراء والبيع والتسليم بأية صفة من الصفات والسمسرة والإرسال والمرور بالترانزيت والنقل والاستيراد والتصدير والتوسط مابين طرفين في إحدى العمليات التي ذُكرت في قانون المخدرات العراقي النافذ(١٩).

سادساً: إغواء الحدث أو تشجيع زوجه أو أحد أقاربه حتى الدرجة الرابعة على تعاطي المخدرات أو المؤثرات العقلية:

إن قيام الجاني بهذا السلوك وتشديد العقاب عليه من قبل المشرع العراقي كما سيأتي لاحقاً يتمثل في أن الجاني قد استغل محيطه الاجتماعي لترويج هذه المواد المخدرة والمؤثرات العقلية، من ناحية استغلال ضعف إدراك الأحداث لإشباع رغباتهم عن طريق هذه السموم، فضلاً عن تشجيع الزوج أو المقربين له بتعاطي المخدرات تحت أي ذريعة كانت، إما بعدها كوصفة طبية لإزالة الألم أو كتبرير استعمالها من الناحية الشرعية كما يحدث لدى الكثير من متعاطي المخدرات كونها مواد مسكنة، أو منبهة ومساعدة على إتمام الأعمال دون جهدٍ جسدي كبير، فيكون الجاني بهذا السلوك الإجرامي قد أحدث قاعدة كبيرة من المتعاطين والمروجين للمخدرات والمؤثرات العقلية، وساهم في تفكك الجانب الأسري بهذا السلوك الإجرامي المشين.

سابعاً: الحيازة والإحراز:

ويُقصد بها وضع اليد على المواد المخدرة والمؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية بأي صفة كانت ولأي غرض (٢٠)، وهذا التعريف يختلف عن تعريف الحيازة وفق نصوص القانون المدني النافذ حيث تُعرف الحيازة بأنها: (وضع مادي به يسيطر الشخص بنفسه،أو بالواسطة سيطرةً فعلية على شيء يجوز التعامل فيه، أو يستعمل بالفعل حقاً من الحقوق)(٢١).

وهذا الاختلاف في تعريف القانونين يعود إلى الذاتية الخاصة بقانون المخدرات بوصفه قانوناً يهدف إلى حماية المجتمع من الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، بينما يهدف القانون المدني إلى معالجة الحيازة بقصد تحديد آثارها وتقدير حمايتها كونها أحد مصادر الحقوق، من ثم فإن للحيازة وفق المفهوم الجزائي ثلاث صور كما يأتي:

١) الحيازة التامة أو الكاملة: ويُقصد بها السيطرة الفعلية على المواد المخدرة، و مباشرة سلطات المالك أو من ادعى ملكيته مع توافر نية الاستئثار به، أي أن المقصود هنا هو توافر عنصري الحيازة المادي والمعنوي، أو على الأقل المعنوي فقط.

٢) الحيازة المؤقتة أو الناقصة : وتعني توافر الحيازة في شقها المادي فقط دون المعنوي، حيث تكون عبارة عن مجموعة من الأفعال المادية التي يقوم بها الشخص على المواد المخدرة دون أن يكون مالكها، و دون أن يظهر عليها بهذا المظهر، و لذلك سميت بالحيازة الناقصة لنقصانها العنصر المعنوي، واقتصارها فقط على العنصر المادي فحسب، ومثال على هذه الصورة من الحيازة في قضايا المخدرات من يحتفظ بالمواد المخدرة كوديعة عنده أودعها لديه أحد الأشخاص دون علمه بماهيتها.

٣- الحيازة المادية أو حيازة اليد العارضة: تقوم هذه الصورة من صور الحيازة على وجود المخدر مادياً في يد الشخص دون أن يتوافر له أي حق يباشره على المواد المخدرة، لا باسمه هو ولا بالنيابة عن الغير، و لهذا فإن حيازة اليد العارضة تتوافر على المواد المخدرة والأسلحة والذخائر و المتفجرات أيضاً بصورة عارضة وعابرة ، دون أن تكون لا حيازة تامة ولا حيازة ناقصة ومثال هذه الصورة أن يُمسك أحد الأشخاص المادة المخدرة بيده بقصد شرائها، أو معاينتها أو لتجربتها أو لغرض المشاهدة فقط.

ثامناً: التشجيع على التعاطي:

إن التشجيع على التعاطي يندرج تحت مفهوم التحريض حيث تُعد جريمة التحريض والتشجيع على تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية تامة إذا ارتكبت بناءً على هذا التحريض(٢٢)، فيُفهم من ذلك أن المشرع قد عد مسؤولية المحرض والمشجع على تعاطي المخدرات هي نفس مسؤولية مرتكب الجريمة الواقعة بناءً على ذلك التحريض، وسبب ذلك يعود إلى أن الجريمة ما كانت تقع لولا عملية تحريضه لمرتكب الجريمة، ودفعه وتشجيعه لإيصاله إلى حالة العزم بارتكابها تحت أي أسباب و ومسو غات ارتكابها المقصودة من قبل المحرض نفسه، سواء كان هذا المحرض فرداً ، أو جماعةً أو فئةً أو أي جهةٍ كان نوعها أو صنفها.

تاسعاً: إدارة وإعداد وتهيئة مكان لتعاطي المخدرات:

إن إعداد وتهيئة مكان آمن لتعاطي المخدرات، فضلاً عن إدارته من قبل القائم المتكفل بالقيام بهذا الجُرم لا يختلف عن مسألة التحريض والتشجيع على تعاطي المخدرات، لأن الجاني في هذه الصورة يُعد شريكاً أساسياً في ارتكابها، وذلك عن طريق تهيئته لمكان ارتكاب جريمة تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية، لأنه بهذا التصرف يخلق بيئةً تجعل المتعاطي يشعر بالأمان والاندفاع نحو تناول هذه السموم، ولا يُشترط واقعاً أن يكون المكان المهيأ للتعاطي مكان مستقلاً وخاصاً بهذا الأمر، وإنما يكفي أن يكون مكاناً آمناً يستطيع المتعاطي أن يرتاد عليه، ويتعاطى المخدرات بعلم وترتيب صاحب هذا المكان كأن يكون مقهى شبابياً أو ما يعرف بـ (الكوفي شوب) حيث تُعد هذه الأماكن الأكثر رواجاً لانتشار المخدرات(٢٣).

المطلب الثاني

الركن المعنوي

في الوقت الذي يضم الركن المادي للجريمة عناصرها المادية فإن الركن المعنوي يضم عناصرها النفسية، فالجريمة ليست كياناً مادياً قوامه العناصر النفسية المكونة لها، وهو ما أصطلح عليه الركن المعنوي للجريمة، ويُراد به الأصول النفسية لماديات الجريمة(٢٤).

أولاً: القصد الجنائي العام (العلم والإرادة)

يعرف القصد الجرمي من الناحية القانونية بأنه: (توجيه الفاعل إرادته لارتكاب الفعل المكون للجريمة هادفاً إلى النتيجة الجرمية التي وقعت أو أية نتيجةٍ أُخرى)(٢٥)، أي أنه يتحقق بمجرد قيام الجاني عن إرادة واختيار بارتكاب الفعل الجرمي، و هو يعلم بأن المشرع يُجرم ذلك الفعل، أي علم الفاعل بأن المادة موضوع الركن المادي في الجريمة هي من المواد المخدرة المنصوص عليها في القانون، فإن كان يجهل طبيعة المادة أو كنهها فلا يتوفر في حقه الركن المعنوي، ويترتب عن ذلك عدم مسؤوليته.

كما أن العلم المكون للركن المعنوي لا يُفترض وإنما يجب إثباته بطرق الإثبات كافة من طرف القائمين بالتحقيق في جرام المخدرات، لأن القصد الجنائي هو من أركان الجريمة الذي يجب إثباته بصورة فعلية ولا يصح افتراضه، وإذا كان المتهم قد تمسك في دفاعه بأنه يجهل كون المادة المخدرة التي ضُبطت بحوزته هي من المواد المخدرة الممنوعة قانوناً، فيتوجب على المحكمة إذا أرادت إدانته أن تبين ما يُبرر اقتناعها بعلمه بأن ما يمسكه مخدر ، فالدفع المتمثل في جهل المتهم بأن ما بحوزته عبارة . عن مخدرة ، يُعد دفعاً جوهرياً منصباً على نفي توافر الركن المعنوي في الجريمة والتي لا تتحقق بدونه، ويؤثر ذلك على مصير الدعوى، ففي هذه الحالة يتعين على المحكمة المختصة أن تأخذ بهذا الدفع، أو أن ترد عليه بأسباب صحيحة وقانونية مستمدة من أوراق الدعوى و ملابساتها ووقائعها الثابتة.

وتوفر العلم من عدمه هو من المسائل الموضوعية التي يستقل بتقديرها قاضي الموضوع من مختلف الظروف التي تعرض عليه، كما لا يكفي لقيام الجريمة العلم بأن المادة هي من المواد المخدرة بل لا بد من أن يكون الجاني قد أتى أحد الأفعال المجرمة في جرائم المخدرات بإرادته و اختياره فالجريمة لا تتحقق إذا كان الفاعل قد أكره على إتيان

أحد الأفعال المجرّمة في القانون.

وعليه فإن الجريمة لا تتحقق ممن يُكره على إتيان فعلٍ من الأفعال المادية لإحدى جرائم المخدرات والجدير بالذكر أن صغر السن لا ينهض سبباً من أسباب انتفاء المسؤولية ، ولا يقوم مقام الإكراه فالإرادة الآثمة إذن وشرطها حرية الاختيار هي العنصر اللازم لتحقق الركن المعنوي، ومن ثم تتحقق الجريمة ومن دونها لا قيام للجريمة(٢٦).

ثانياً: القصد الجنائي الخاص (الباعث على ارتكاب الجريمة):

يتحقق القصد الخاص بوجود باعث دفع الجاني إلى ارتكاب الجريمة، ويستلزم القانون توافره إلى جانب القصد العام في بعض الجرائم(٢٧)، وفي القصد الخاص يُفترض وجود القصد العام بعنصريه العلم والإرادة.

فبالنسبة لجنايات المخدرات يكفي لقيامها توافر القصد الجنائي العام، ولكن في بعض تلك الجنايات خروج عن القاعدة العامة، واشتراط لقيامها ضرورة توافر القصد الخاص بها مع توافر القصد العام.

والجرائم التي يتطلب أو يستلزم فيها قانون المخدرات توافر قصد خاص كقصد الاتجار أو قصد التعاطي، أو قصد التقديم للتعاطي أو التسهيل، أو كقصد الاستعمال الشخصي للمواد المخدرة، حيث لا تقوم المسؤولية الجنائية بهذه الجرائم إلا بتوفر هذا القصد لدى المتهم، فإن انتفى القصد الذي اعتد به القانون في قيام الجريمة، انتفت الجريمة ذات القصد الخاص عنه وقامت في حقه جريمة إحراز المخدر إذا توافرت شروطها، وبالتالي يتغير التكييف القانوني للجريمة مما يؤدي إلى تشديد العقوبة أو تخفيفها بحسب هذا التكييف.

مثال ذلك : إذا جلب أو صدر شخص ما مادةً مخدرة بقصد الاتجار ، فإن سلوكه الجرمي يختلف من حيث الخطورة عن شخص جلب أو صدر مادة مخدرة بقصد التعاطي أو الاستعمال الشخصي. وفي ضوء ما تقدم سنبين شرحاً مختصراً لأهم الجرائم التي يوجب القانون توافر الركن الخاص بها وكما يأتي :

١) قصد الاتجار بالمواد المخدرة:

يذهب البعض من فقهاء القانون الجنائي إلى أن قصد الاتجار لا يتحقق إلا إذا قصد الفاعل احتراف التعامل في المخدر، أي أن يتخذ من التصرف في المخدر نشاطاً معتاداً له(٢٨)، فإذا تحقق القصد الخاص لدى المتهم بأنه يحوز المادة المخدرة من أجل الاتجار بها فإنه يكون قد ارتكب جناية الاتجار، وإذا لم يتوافر القصد الخاص في هذه الجناية فلا تقع جناية الاتجار ، وإنما نكون أما جناية إحراز مواد مخدر كما أسلفنا، وإن كنا نختلف . مع هذا الرأي الذي يعتمد على احتراف واعتياد الاتجار ليقوم القصد الجنائي الخاص في هذه الجريمة، فالاتجار بالمخدرات والمؤثرات العقلية يتحقق بكل تصرف فيه مقابل بغية تحقيق ربح ولو لمرة واحدة، أي أن القصد الخاص في جناية الاتجار يتوافر إذا قام الشخص بطرح المادة المخدرة للتداول بين الناس والحصول على أرباح من ذلك السلوك الجرمي، دون أن يكون محترفاً أو معتاداً على الاتجار بهذه الآفة القاتلة

٢) قصد التعاطي أو الاستعمال الشخصي:

يتحقق القصد الخاص لدى الجاني في هذه الجريمة إذا كان لا يقصد من اتصاله بالمادة المخدرة أو المؤثر العقلي غير التعاطي أو الاستعمال الشخصي، ودون أن يكون قصده الخاص من الاتصال بالمخدر من أجل طرحه وتداوله بين الناس والاتجار به أو تقديمه للغير أو تسهيل تعاطيه. كما يتحقق قصد التعاطي أو الاستعمال الشخصي لدى الجاني سواء حصل التعاطي أو لم يحصل حيث أن أركان الجريمة تتحقق بوقوع الفعل المادي المتمثل في الاتصال بالمواد المخدرة والمؤثرات العقلية، أو أحد النباتات المخدرة المحظورة مع توافر قصد التعاطي، أو الاستعمال الشخصي دون استلزام وقوع فعل المتعاطي، أو الاستعمال الشخصي فعلاً.

٣) قصد التقديم للتعاطي أو تسهيله:

يتوافر القصد الجنائي الخاص بعلم الجاني أن فعله الذي يرتكبه من شأنه أن يمكن المتعاطي من تسلم المخدر، أو أنه يُسهل له تعاطيه في غير الأحوال الجائزة قانوناً.

مثال: أن يقوم صاحب مقهى أو مطعم أو كازينو بتخصيص مكان أو غرفة من أجل أن يسمح لبعض الأشخاص بتعاطي المواد المخدرة بداخلها، أو أن يقدم لهم مواد مخدرة ويسمح لهم بتعاطيها داخل مقهى مملوك له، أو أن يقوم بتقديم (النرجيلة) التي تحتوي بضمنها على (المعسل) الممزوج بالمواد المخدرة من أجل تعاطيها والاتجار بها.

وتبقى مهمة استخلاص القصد الجنائي منوطة بالمحكمة المختصة في التحقيق بجرائم المخدرات والمؤثرات العقلية، فهي الجهة التي تقدر بحسب ما يُقدم لها من دلائل مستنبطة من الدعوى المطروحة أمامها، لتؤكد مدى توافر القصد الجنائي العام أو الخاص لدى المتهم في مثل هكذا جرائم من عدمه.

المبحث الثالث:

الآثار الناتجة عن التعامل بالمخدرات

تنحصر آثار التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية في جانبين أساسيين وهما الآثار التي تمس الأشخاص الطبيعية ، والآثار التي تمس الدولة والمجتمع برمته، وهذا ما سنبينه وفق المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

الآثار الخاصة بالأشخاص الطبيعية

تتمثل الآثار التي تمس الأشخاص الطبيعية في عدة أمور أهمها:

١) التدهور الاجتماعي والاقتصادي بالنسبة للمتعاطي، وفقدان القدرة على العمل والإنتاج، وجعل المروج مطارداً قضائياً ومنبوذا اجتماعيا، كونه المسؤول عن ترويج هذه السموم وزقها داخل صفوف المجتمع.

٢) تعرض المتعاطي لأزمات نفسية حادة، تتمثل بفقد السيطرة على مشاعره، وعدم القدرة على التحكم بملكات عقله(٢٩).

٣) إن اضطراب الحالة النفسية للمتعاطي يؤدي إلى عدم قدرته على أداء عمله(٣٠).

٤) تحول المتعاطي إلى أداة إجرام بشرية لغرض الحصول على مبلغ جرعة من المخدرات، عن طريق سرقة المقربين أو حتى القتل إن لزم الأمر.

٥) النشوة والشعور الوهمي بالراحة واللامسؤولية، تتمثل بعدم الاكتراث بالأخلاق والآداب العامة فضلاً عن عدم الانصياع إلى القوانين المسنّة للحد من الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات.

٦) يشعر المتعاطي بالهذيان في التفكير والشعور بالقوة، والشك والريبة وفقدان الثقة بالآخرين فضلاً عن الانطواء حول ذاته وعدم الرغبة في أن يكون في حالة يقظة تامة، ويفضلون عليها حالة السكون والانتعاش(٣١).

٧) الإدمان يؤدي إلى ضمور الدماغ الذي يتحكم في التفكير والإرادة، وتؤكد الأبحاث الطبية أن تعاطي المخدرات ولو بدون إدمان يؤدي إلى نقص في القدرات العقلية، وإلى إصابة خلايا المخيخ بالضمور، مما يُخل بقدرة الشخص على الوقوف من غير ترنح(٣٢).

٨) إن انتشار المخدرات في الأوساط الثقافية وخاصة الجامعات والكليات في العراق تؤثر على الطبقة الطلابية المثقفة، وتدمر مستقبلهم سواء أكانوا متعاطين أم مروجين.

المطلب الثاني:

الآثار الخاص بالدولة:

إن الدولة هي الجهة المسؤولة عن ضبط النظام العام والآداب والسكينة العامة، وان انتشار الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية يؤدي إلى خلخلة النظام العام، وإحداث فوضى عارمة على الأصعدة كافة التي تقع على عاتق الدولة إدارتها وتسييرها وفق ما يؤمن انضباط وسلامة المجتمع وبالتالي فإن الآثار التي تمس جانب الدولة بسبب هذه الجرائم هي:

١) ضعف الاقتصاد الوطني للدولة التي تنتشر فيها الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات من خلال عصابات

الجريمة المنظمة، والتي تتمثل بنقل المواد المخدرة إلى داخل الدولة، وبالمقابل نقل أثمانها إلى الخارج، ومهما كانت هذه الأموال فإنها جزء من المال الوطني، وعند تهريبه إلى دولة أخرى سوف يؤدي ذلك إلى نقص في الموارد المالية للدولة(٣٣).

٢) إن انتشار الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات في العراق بشكل كبير اقتضى من الدولة تشكيل أقسام متعددة في مديرية شرطة كل محافظة من المحافظات العراقية، وبأعداد كبيرة من المنتسبين، ومن ثم تزويدهم بالوسائل الحديثة باهظة الثمن لغرض الحد من هذه الجرائم، مما يؤثر هذا الإنفاق على حساب الخُطط التنموية والاقتصادية للبلد.

٣) استغلال الأراضي الزراعية لزراعة المخدرات من قبل بعض تجار هذه الآفة القاتلة تؤثر تأثيراً بالغاً على الزراعات المشروعة والتي تُعد عصب الحياة الغذائية للمواطن، مما يؤدي إلى إحباط برامج التنمية الزراعية والاضطرار إلى شراء أبسط أنواع المزروعات من البلاد المجاورة.

٤) إن ارتفاع أثمان المخدرات يؤدي بشكل مباشر إلى ارتكاب الجرائم المنظمة كالاعتداء على النفس والمال بهدف الحصول على ثمنها(٣٤).

٥) يؤدي انتشار الجرائم الناتجة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية في بلدٍ ما إلى عكس صورة سلبية عن ذلك البلد، فالعراق كان بلد مرور للمخدرات وأصبح للأسف الشديد بلد تعاط وهذا يمس بكرامة وسمعة هذا البلد العريق.

٦) إن انتشار المخدرات في المناطق الشعبية الفقيرة المكتظة بالسكان، وتوجه تجار المخدرات إلى نقل تجربة صناعة مادة (الكريستال) المخدرة إلى داخل العراق(٣٥)، سيجعل من تلك الأحياء معاقل كبيرة لصناعة وترويج وتعاطي للمواد المخدرة والمؤثرات العقلية، مما يُسبب دماراً أمنياً يتمثل بتفكك المجتمع ، وسهولة اختراقه عن طريق هذه السموم المدمرة.

المبحث الرابع:

موقف التشريعات من الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات

دأب المجتمع الدولي على التكاتف والوقوف بشكل جدي لمعالجة انتشار الجرائم التي تشكل خطراً دولياً للشعوب، ومنها الجرائم التي تنشأ عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، حيث عُقدت العديد من المؤتمرات والاتفاقيات الدولية بشأن مكافحتها والحد منها، أما على الصعيد المحلي فقد أورد المشرع العراقي بمختلف القوانين نصوصاً قانونية تجرم السلوك الجنائي الناشئ عن التعامل بهذه الآفة المدمرة وهذا ما سنبينه وفق المطلبين التاليين:

المطلب الأول:

موقف التشريعات الدولية (٣٦).

على الصعيد الدولي أُبرمت العديد من الاتفاقيات الدولية من أجل مكافحة المخدرات، وإن أهم هذه الاتفاقيات حسب صدورها من الناحية التاريخية هي :

١) اتفاقية شانغهاي في الصين عام ١٩٠٩ برعاية الولايات المتحدة الأمريكية.

٢) اتفاقية جنيف عام ١٩٢٥ تضمنت تعهد الدول الموقعة بوضع عقوبات وملاحقة تجار المخدرات.

٣) اتفاقية جنيف عام ١٩٣١ لتشجيع تبادل المعلومات بواسطة الأمين العام لعصبة الأمم – آنذاك– حول مشكلة المخدرات وجرائمها.

٤) اتفاقية جنيف عام ١٩٣٦ لتحديد جرائم المخدرات وتشديد عقوباتها.

٥) اتفاقية نيويورك عام ١٩٦١ تضمنت الأفعال التي يجب معاقبتها في التشريعات الوطنية وأنشأت جهازاً خاصاً لمراقبة مشاكل وجرائم المخدرات، والاتصال باللجنة الخاصة بالمخدرات التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي

المنبثق عن الجمعية العامة للأمم المتحدة.

٦) اتفاقية المؤثرات العقلية عام ١٩٧١ ، واتفاقية لاهاي عام ١٩٧٢ بشأن التعاون الدولي للحد من المخدرات وإنتاجها ومعاقبة المتورطين بشدة وحصر استعمالها بأشخاص معينين.

٧) اتفاقية فينا عام ١٩٨٨ لمكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية والسلائف.

٨) القرار رقم (٤٥/١٧٩) بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢١ الصادر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة والمتعلق بوضع برنامج لضبط إنتاج المواد المخدرة.

المطلب الثاني:

موقف التشريعات العراقية

لم يغفل المشرع العراقي عن تجريم أي نوع من أنواع التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، فقد ورد في العديد من التشريعات العراقية عقوبات رادعة لمن يتعامل بها ، وأهم هذه التشريعات هي :

التشريع الأول: نصت الفقرة (١) من المادة (٤٠) من قانون الأحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ المعدل على أن لكل من الزوجين طلب التفريق عند توافر أحد الأسباب الآتية: ١-إذا أضر أحد الزوجين بالزوج الآخر أو بأولادهما ضرراً يتعذر معه استمرار الحياة الزوجية، ويعتبر من قبيل الأضرار الإدمان على تناول المسكرات أو المخدرات على أن تُثبت حالة الإدمان بتقرير من لجنة طبية رسمية مختصة).

التشريع الثاني: نص المادة (٦١) من قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل بنصها القائلة فيه : إذا كان فقد الإدراك أو الإرادة ناتجاً عن مواد مسكرة أو مخدرة تناولها المجرم باختياره وعلمه عوقب على الجريمة التي وقعت ولو كانت ذات قصد خاص، كما لو كانت قد وقعت منه بغير تخدير أو سكر) حيث عدت هذه المادة تناول الجاني للمسكر أو المخدر عمداً بغية ارتكاب الجريمة التي وقعت منه ظرفاً مشدداً للعقوبة(٣٧).

التشريع الثالث: نص الفقرة (١٢) من المادة (٥) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل القائلة فيه : يحظر على الموظف ما يأتي. الحضور إلى مقر وظيفته بحالة سكر أو الظهور بحالة سكر بين في محل عام).

التشريع الرابع: نصوص فقرات قانون المرور رقم (٨٦) لسنة ٢٠٠٤ المعدل على عقوبات الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية وفق ما يأتي:

١) الفقرة (١) من القسم (٢٢) بنصها القائلة فيه: (يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد على سنةٍ واحدة، أو بغرامة لا تقل عن ثلاثمائة ألف دينار، ولا تزيد على خمسمائة ألف دينار أو بكلتا العقوبتين مع حجز المركبة مدة سنة كل من قاد مركبته تحت تأثير مسكر أو مخدر ويجوز سحب إجازة السوق مدة لا تقل عن شهرين ولا تزيد على سنة واحدة).

كما نصت الفقرة (٢) من ذات القسم على (وفي حالة العودة إلى ارتكاب الجريمة المبينة في الفقرة (١) من هذا القسم خلال سنة من تاريخ صدور حكم نهائي عليه تكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر، ولا تزيد على سنةٍ أو بغرامة لا تقل عن خمسمائة ألف دينار ولا تزيد على مليون دينار، أو بكلتا العقوبتين وسحب إجازة السوق مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد على سنة واحدة).

٢) الفقرة (٢) من القسم (٢٣) بنصها القائلة فيه: (تكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على ثلاث سنواتٍ أو بغرامة لا تقل عن خمسمائة ألف دينار ولا تزيد على مليون دينار او بكلتا العقوبتين إذا ارتكبت الجريمة أثناء قيادته المركبة برعونة واستهتار أو كان السائق تحت تأثير مسكر ، أو لم يقم بمساعدة من وقعت عليه الجريمة أو لم يطلب المساعدة له . مع تمكنه من ذلك).

٣) الفقرة (٣) من القسم (٢٤) بنصها القائلة فيه: (يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن سبع سنوات ولا تزيد على

عشر سنوات، وبغرامة لا تقل عن ثلاث ملايين دينار ولا تزيد على خمسة ملايين دينار كل من تسبب في موت شخص نتيجة قيادته مركبة بإهمال، أو رعونة وكان تحت تأثير مسكر أو مخدر أو هرب دون إخبار السلطات المختصة بالحادث.

التشريع الخامس: نص الفقرة (ثانياً/و) من المادة (٤٢) من قانون العمل رقم (٣٧) لسنة ٢٠١٥ على: (يلتزم العامل بما يأتي ... أن لا يحضر إلى العمل في حالة سكر بيّن أو تحت تأثير المخدرات، كما نصت الفقرة (٤) من المادة (١٤١) على أن :

(لا يجوز فرض عقوبة الفصل إلا في إحدى الحالات الآتية .... إذا جد العامل أكثر من مرة أثناء ساعات العمل في حالة سكر بيّناً وتحت تأثير مخدر وفق تقرير صادر عن طبيب مختص، وتم إنذاره عنها لأكثر من مرة).

التشريع السادس: مجموعة من فقرات ومواد قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (٥٠) لسنة ٢٠١٧ التي نصت على عددٍ من العقوبات الأصلية والتبعية وفق ما يلي:

١) المادة (٢٧) بنصها القائلة فيه : يعاقب بالإعدام أو بالسجن المؤبد كل من ارتكب أحد الأفعال الآتية:

أولاً: استورد أو جلب أو صدر مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية بقصد المتاجرة بها في غير الأحوال التي أجازها القانون.

ثانياً: أنتج أو صنع مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية بقصد المتاجرة بها في غير الأحوال التي أجازها القانون.

ثالثاً: زرع نباتاً ينتج عنه مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو استورد أو جلب أو صدر نباتاً من هذه النباتات في أي طور من أطوار نموها بقصد المتاجرة بها أو المتاجرة ببذورها في غير الأحوال التي أجازها القانون.

٢)كما نصت المادة (٢٨) على : (يعاقب بالسجن المؤبد أو المؤقت وبغرامة لا تقل عن (١٠٠٠٠٠٠٠) عشرة ملايين دينار ولا تزيد على(٣٠٠٠٠٠٠٠) ثلاثين مليون دينار كل من ارتكب أحد الأفعال الآتية:

أولاً: حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو تملك مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية مدرجة ضمن جدول رقم (١) من هذا القانون، أو نباتاً من النباتات التي تنتج عنها مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلمها أو تسلمها أو نقلها أو تنازل عنها أو تبادل فيها أو صرفها بأية صفة كانت أو توسط في شيءٍ من ذلك بقصد الاتجار فيها بأية صورة، وذلك في غير الأحوال التي أجازها القانون.

ثانياً: قدم للتعاطي مواد مخدرة أو مؤثرة عقلياً أو أسهم أو شجع على تعاطيها في غير الأحوال التي أجازها القانون.

ثالثاً: أُجيز له حيازة مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية مدرجة ضمن الجدول رقم (١، ٢، ٣) لاستعمالها في غرض معين وتصرف فيها خلافاً لذلك الغرض.

رابعاً: أدار أو أعد أو هيأ مكاناً لتعاطي المخدرات أو المؤثرات العقلية.

خامساً: أغوى حدثاً أو شجع زوجه أو أحد أقاربه حتى الدرجة الرابعة على تعاطي المخدرات أو المؤثرات العقلية.

سادساً: يعاقب بالحبس الشديد وبغرامة لا تقل عن (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين دينار، ولا يزيد عن (١٠٠٠٠٠٠٠) عشرة ملايين دينار كل من:

١) حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو تملك مواد مخدرة، أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية مدرجة ضمن الجدول رقم (٢، ٣، ٤، ٥) من هذا القانون، أو سلمها أو تسلمها أو نقلها أو تنازل عنها أو تبادل فيها أو صرفها بأية صفة كانت، أو توسط في شيءٍ من ذلك بقصد الاتجار فيها بأية صورة وذلك في غير الأحوال التي أجازها القانون.

٢) يعاقب بذات العقوبة المدرجة في الفقرة سادساً من هذه المادة كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو تملك مواد مخدرة، أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية أو نباتاً من النباتات التي تنتج عنها مواد مخدرة، أو مؤثرات

عقلية أو سلمها أو تسلمها أو نقلها أو تنازل عنها أو تبادل فيها أو صرفها بأية صفة كانت، أو توسط في شيءٍ من ذلك بقصد الاتجار فيها بأية صورة، وذلك في غير الأحوال التي أجازها القانون للمواد المدرجة ضمن الجداول المتبقية من هذا القانون وهي (٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) المرفقة بهذا القانون.

٣)كما نصت المادة (٢٩) على حالات الظروف المشددة للعقاب بنصها القائلة فيه: (يُعد ظرفاً مشدداً للعقوبات المنصوص عليها في المادتين (٢٨) و(٢٩) من هذا القانون تحقق إحدى الحالات الآتية:

أولاً : العود ويراعى في إثبات العود جميع الأحكام القضائية الوطنية والأجنبية الصادرة بالإدانة عن جرائم منصوص عليها في هذا القانون. ثانياً: إذا كان الفاعل من الموظفين أو المكلفين بخدمة عامة المنوط بهم مكافحة الاتجار، أو الاستعمال غير المشروعين للمخدرات والمؤثرات العقلية أو الرقابة على تداولها أو حيازتها.

ثالثاً: إذا اشترك الفاعل في عصابة دولية أو كان فعله متلازماً مع جريمة مخلة بأمن الدولة الداخلي أو الخارجي.

رابعاً: أذا استعمل الفاعل العنف أو السلاح في ارتكاب الجريمة.

خامساً : اذا ارتكبت الجريمة في دار عبادة أو في مؤسسة تعليمية عسكرية، أو مدنية أو في سجن أو موقف أو مكان حجز أو دار إصلاح للأحداث، أو دار لإيواء المشردين والمتسولين أو لرعاية الأيتام، أو نادي رياضي أو مؤسسة مجتمع مدني.

٣) وقد نصت المادة (٣١) على عقاب الطبيب المخالف لأحكام هذا القانون بنصها القائلة فيه: (يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن (٣) ثلاثة أشهر، أو بغرامة لا تقل عن (٣٠٠٠٠٠٠) ثلاثة ملايين دينار ولا تزيد على (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين دينار، أو بإحدى هاتين العقوبتين ومنع مزاولة المهنة لمدة (١) سنة كل طبيب أعطى وصفة طبية لصرف مواد مخدرة، أو مؤثرات عقلية لغير أغراض العلاج الطبي مع علمه بذلك).

٤) أما عن مسألة استيراد أو إنتاج أو حيازة المواد المخدرة، فقد نصت المادة(٣٢) على : (يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن (١) سنة واحدة ولا تزيد على (٣) ثلاث سنوات وبغرامة لا تقل عن (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين دينار ولا تزيد على (١٠) عشرة ملايين دينار كل من استورد أو أنتج أو صنع أو حاز أو أحرز أو اشترى مواد مخدرة، أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية أو زرع نباتاً من النباتات التي ينتج عنها مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو اشتراها بقصد التعاطي والاستعمال الشخصي.

٥) أما عن العقوبات التبعية فقد نصت الفقرات (١ و٢ و٣) من المادة (٣٥) على: (أولاً: يحكم في جميع الأحوال بمصادرة المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية أو السلائف الكيميائية أو النباتات التي تنتج مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية، والأدوات و الأجهزة والآلات والأوعية المستعملة ووسائل النقل المضبوطة المستخدمة في ارتكاب الجرائم، وذلك دون الإخلال بحقوق الغير حسن النية.

ثانياً: ترسل جميع المواد المخدرة والمؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية المضبوطة مباشرة الى الجهات المختصة بحفظها.

ثالثاً: يحكم بغلق كل محل مجاز باستيراد أو تصدير أو نقل المواد المخدرة، أو المؤثرات العقلية أو السلائف الكيميائية أو بحيازتها استنادا إلى أحكام المادة (٨) من هذا القانون، مدةً لا تقل عن شهرولا تزيد على (١) سنة، ويتبع الغلق حظر مباشرة العمل أو المتاجرة، أو الصناعة ذاتها في المحل ذاته سواء كان بواسطة المحكوم عليه، أو أحد أفراد أسرته أو أي شخص آخر يكون المحكوم عليه قد أجر له المحل أو تنازل له عنه بعد وقوع الجريمة، ولا يشمل الحظر مالك المحل أو أي شخص يكون له حق عيني فيه إذا لم تكن له صلة بالجريمة.

رابعاً: على المحكمة أن تحكم بالإضافة إلى العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون بحرمان المحكوم عليه من ممارسة العمل لمدة لا تزيد على (١) سنةٍ واحدةٍ ، فإذا عاد إلى مثل جريمته خلال (٥) الخمس سنوات التالية لصدور الحكم النهائي بالحظر جاز للمحكمة أن تأمر بالحظر لمدة لاتزيد على (٣) سنوات ويبدأ سريان الحظر من تاريخ

انتهاء تنفيذ العقوبة أو انقضائها لأي سبب.

الخاتمة

في ختام هذا البحث المختصر حول الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية نستنتج ما يأتي:

١) إن المخدرات كمواد طبيعية أو صناعية تؤثر على الجهاز العصبي للإنسان بشكلٍ يؤدي إلى دماره ، فضلاً عن أنها تُسبب له أزمات نفسية حادة، وعدم القدرة على التحكم بملكات العقل حتى في حال وصف بعض أنواعها طبياً للمريض، فإن تناولها بكثرة جعلت منه مدمناً بشكل غير مباشر.

٢) هنالك عدة أسباب تخص انتشار الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات منها الظروف السياسية التي مرت بالبلد من حروب وفقدان السيطرة على الوضع الأمني بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، وعدم توفر فرص العمل لدى شريحة واسعة من الشباب، فضلاً عن سهولة توافر المخدرات في المجتمع العراقي، بسبب كثرة المعامل المصنعة لها في الأحياء الفقيرة.

٣) ان للأسرة دوراً مهماً في وقاية الأبناء من تعاطي المواد المخدرة، فالوالدان هما أول معلمين في حياة أبنائهم، ويبقى تأثيرهما مترسخاً في الأبناء مدى العمر، وعليه فإذا كان الأبوان قدوتين صالحتين كانا مثالاً أعلى لأبنائهم، وإن كانا مثالين سيئين فسيصبحان مثالاً سيئاً يُعطي الجواز بانفلات الأسرة، وترسيخ أسوأ العادات السلبية لديهم.

٤) انتشار المخدرات في المقاهي الشبابية (الكوفي شوب) بسبب كثرتها وسهولة التعاطي داخلها لأن المادة المخدرة ستكون ضمن (السيكارة) أو (النرجيلة)، كما يستغل أصحاب هذه المقاهي ورود الشباب إليهم، وإدراج المخدرات لهم دون علمهم لغرض جعلهم مدمنين ورواداً لهذه المقاهي.

٥) إن المشرع العراقي لم يترك تشريعاً يخص المجتمع إلا وكانت له التفاتة موفقة في تجريم الأفعال الناشئة عن التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، وان تشريع قانون رقم (٥٠) لسنة ٢٠١٧، وما تضمنه من مواد عقابية شديدة بحق مرتكبي الجرائم الناشئة عن تلك الأفعال خطوة بالاتجاه الصحيح لمكافحة هذه الجرائم والحد من انتشارها.

وفي ضوء هذه النتائج نوصي بما يأتي:

١) الاهتمام بفئة الشباب وتوفير فرص العمل لهم وبالأخص الطلبة الجامعيين، ليكونوا نواة بناء دولة مستقرة ومزدهرة، فضلاً عن تقوية دور الرعاية الاجتماعية للعوائل الفقيرة والمحتاجة بغية رفع مستواهم المعيشي كون أن أحد أهم أسباب انتشار الجرائم الناشئة عن التعامل بالمخدرات هي البطالة والوضع الاقتصادي المتردي.

٢) ضرورة تفعيل الدور الاستخباراتي ونشر عناصر داخل المقاهي الشبابية لمعرفة الوضع العام فيها ورصد حالات التعاطي والترويج وغيرها، فضلاً عن عمل قاعدة بيانات كاملة حول أصحاب هذه المقاهي ومصادر تمويلهم كما يجب عمل قاعدة بيانات استخباراتي تخص الوضع العام في الأحياء الفقيرة، ورصد حالات تصنيع المواد المخدرة والجهات المستفيدة منها لغرض الحد من انتشارها.

٣) نشر مراكز طبية متخصصة في مسائل الإدمان في جميع المنافذ الحدودية والمطارات لفحص الوافدين إلى البلد ومعرفة المدمنين على تعاطي المخدرات من عدمهم بالتعاون مع وزارة الداخلية، وتقديم قاعدة بيانات تتضمن اسم الوافد ، ونسبة الإدمان لديه حسب نتائج الفحص لغرض اتخاذ الإجراءات القانونية بحقه، لئلا يكون عنصراً إجرامياً يهدد أمن المجتمع بشكل عام.

٤) ضرورة إدخال الجرائم الناشئة عن المخدرات والمؤثرات العقلية كمنهج دراسي في كليات القانون ضمن شرح قانون العقوبات لغرض تسليط الضوء على مخاطر هذه الجرائم، ونشر التوعية القانونية ببيان أضرارها وعقوباتها القانونية، لخلق فئة جامعية مثقفة ومتسلحة قانوناً بالمعلومات التي تُفيد هؤلاء الطلبة في حياتهم اليومية والمهنية بعد التخرج، كما سيكون هذا الطالب أداةً لنشر الوعي القانوني بين زملائه في الأقسام والكليات الأخرى حول مخاطر وأضرار هذه المواد المخدرة في الجانبين القانوني والصحي.

٥) إن مجتمعنا العراقي الأصيل مجتمع مؤمن وملتزم بتوصيات وتوجيهات المرجعيات الدينية للأديان والطوائف كافة، ومن ثم نحتاج إلى توصيات مستمرة في كل مجلس ديني أو في خطب الجمعة من قبل تلك المرجعيات المباركة أو ممثليها الأجلاء، فضلاً عن إفراد جزء من المحاضرات الدينية يخصص لبيان حرمة التعامل بالمخدرات والمؤثرات العقلية، وأثرها السلبي في دمار الإنسان من النواحي الدينية والأخلاقية، ليكون الفرد العراقي على اطلاع مستمر حول الحُرمة الدينية للتعامل بهذه الآفة القاتلة، وردكل تبرير يقدم من قبل تُجارها، والمستفيدين من انتشارها داخل مجتمعنا الكريم.

الهوامش:

(١) العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ج ٢، ص١٩.
(٢) العلامة محمد بن أبي بكر بن عبد الرزاق الرازي مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١، ص١٧٠.
(٣) اللواء الدكتور محمد عبد، جريمة تعاطي المخدرات في القانون المقارن، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، ص١٠٣.
(٤) محمد قاسم حمادي، المخدرات آثارها وطرق الحد من انتشارها، مجلة المفتش العام لوزارة الداخلية، بغداد، السنة الثالثة، العدد السابع، ٢٠١٢، ص ١٤٥ .
(٥) د. احمد ابو الروس، مشكلة المخدرات والإدمان، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، دون سنة طبع، ص١١.
(٦) د. أحمد ابو الروس، مصدر سابق، ص١٣.
(٧) وهو ما يعرف بمادة الكريستال المخدرة التي انتشر استعمالها في العراق بشكل كبير رغم سعرها الباهظ، وسميت بالكريستال لتشابه مظهرها مع الشظايا الصغيرة للزجاج أو الكريستالات.
(٨) د. أحمد ابو الروس، مصدر سابق، ص٢٠.
(٩) د. احمد عكاشة، الطب النفسي المعاصر، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٤٨٨.
(١٠) د. عبد الحميد الشواربي، جرائم المخدرات، مؤسسة الثقافة، الجامعية الإسكندرية، ١٩٨٧، ص١٣.
(١١) د. محمد صبحي نجم، أصول علم الإجرام والعقاب، ط ٢، دار الثقافة الأردن، ٢٠١١، ص٧٤.
(١٢) د. عبد الرحمن العيسوي، الجريمة والادمان، دار الراتب الجامعية، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٠٧.
(١٣) د. علي حسين الخلف ود. سلطان الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠، ص١٣٩.
(١٤) الفقرة (٥) من المادة (١) من قانون المخدرات النافذ.
(١٥) الفقرة (٦) من المادة (١) من قانون المخدرات النافذ.
(١٦) الفقرة (٩) من المادة (١) من قانون المخدرات النافذ.
(١٧) تصريح للقاضية هدى جمهور جاسم، القاضية المختص بالنظر في جرائم المخدرات في بغداد، موقع السلطة القضائية http://www.iraqia.iq/view.2302
(١٨) الفقرة (٨) من المادة (١) من قانون المخدرات النافذ.
(١٩) الفقرة (١١) من المادة (١) من قانون المخدرات النافذ.
(٢٠) الفقرة (٤) من المادة (١) من قانون العقوبات النافذ.
(٢١) الفقرة (١) من المادة (١١٤٥) من قانون المدني النافذ.
(٢٢) حيث جرم قانون العقوبات العراقي النافذ (التحريض) بشكل عام وذلك في الفقرة (١) من المادة (٤٨) إذ تنص على أنه (يعد شريكا في الجريمة: ١- من حرض على ارتكابها فوقعت بناءً على هذا التحريض)، والفقرة (١) من المادة (٥٠) بنصها القائلة فيه: كل من ساهم بوصفه فاعلاً أو شريكاً في ارتكاب جريمة يعاقب بالعقوبة المقررة لها ما لم ينص القانون على خلاف ذلك).
(٢٣) تصريح لرئيس محكمة استئناف بغداد الكرخ الاتحادية القاضي خالد المشهداني موقع السلطة القضائية : https://www.iraqja.iq/view.٣٩٩٤
(٢٤) د. علي حسين الخلف ود. سلطان الشاوي، مصدر سابق، ص١٤٨.
(٢٥) الفقرة (١) من المادة (٣٣) من قانون العقوبات العراقي.
(٢٦) د. علي حسين الخلف ود. سلطان الشاوي، مصدر سابق، ص١٥١.
(٢٧) د. اكرم نشأت ابراهيم، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٧٩.
(٢٨) د. عبد القادر الشيخ، شرح قانون المخدرات السوري رقم (٢) لسنة ١٩٩٣، ص٦١.
(٢٩) غسان رباح، الوجيز في قضايا المخدرات والمؤثرات العقلية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٢٠.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٢٢١.
(٣١) د. عبد الرحمن العيسوي، مصدر سابق، ص٤٩.
(٣٢) د. محمد علي البار، المخدرات والخطر الداهم الأفيون ومشتقاته، دار القلم، دمشق، د ت، ص١٦٣.
(٣٣) د. محمد رضا باره، أحكام المخدرات في التشريع الليبي، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ١٩٨٩، ص٤٥.
(٣٤) د. محمد مرعي صعب، جرائم المخدرات، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٧، ص٦١.
(٣٥) تصريح للقاضي علي حسن كامل، المختص بالتحقيق في جرائم المخدرات، موقع السلطة القضائية .http://www.iraqia.iq/view٣٥٦٣ حيث أضاف أن هنالك (٥٠) قضية عن المخدرات يومياً في جانب الرصافة أغلبها في الأحياء الفقيرة.
(٣٦) د. نادر عبد العزيز، نظرات في القانون، منشورات زين الحقوقية، لبنان، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١١٢– ١١٣. كذلك د. كامل فريد السالك، قوانين المخدرات الجزائية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٣ وما بعدها.
(٣٧) جاءت هذه المادة المعدلة بقرار مجلس قيادة الثورة المنحل المرقم (١٤٧٧) في ١٩٨٠/٩/١٥ المنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٢٧٧٩(١٩٨٠/٩/٢٩، حول عدم اعتبار حالة تناول المسكر بإرادة الفاعل واختياره عذراً مخففاً للعقوبة يستدعي الرأفة.

المصادر:

أولاً: الكتب اللغوية:
١) العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ج٢.
٢) العلامة محمد بن أبي بكر بن عبد الرزاق الرازي مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١.

ثانياً: الكتب القانونية:
١) د. احمد ابو الروس، مشكلة المخدرات والإدمان، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، دون سنة طبع.
٢) د. احمد عكاشة، الطب النفسي المعاصر، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢.
٣) د. اكرم نشأت ابراهيم، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن، بيروت، ١٩٩٩.
٤) د. عبد الحميد الشواربي، جرائم المخدرات، مؤسسة الثقافة، الجامعية الإسكندرية، ١٩٨٧.
٥) د. عبد الرحمن العيسوي، الجريمة والادمان، دار الراتب الجامعية، بيروت، ٢٠٠٠.
٦) د. عبد القادر الشيخ، شرح قانون المخدرات السوري رقم (٢) لسنة ١٩٩٣.
٧) د. علي حسين الخلف ود. سلطان الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠.
٨) غسان رباح، الوجيز في قضايا المخدرات والمؤثرات العقلية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٨.
٩) د. كامل فريد السالك، قوانين المخدرات الجزائية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٦.
١٠) د. محمد رضا باره، أحكام المخدرات في التشريع الليبي، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ١٩٨٩.
١١) د. محمد صبحي نجم، أصول علم الإجرام والعقاب، ط ٢، دار الثقافة الأردن، ٢٠١١.
١٢) اللواء الدكتور محمد عبد، جريمة تعاطي المخدرات في القانون المقارن، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض.
١٣) د. محمد علي البار، المخدرات والخطر الداهم الأفيون ومشتقاته، دار القلم، دمشق، د ت.
١٤) محمد قاسم حمادي، المخدرات آثارها وطرق الحد من انتشارها، مجلة المفتش العام لوزارة الداخلية، بغداد، السنة الثالثة، العدد السابع، ٢٠١٢.
١٥) د. محمد مرعي صعب، جرائم المخدرات، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٧.
١٦) د. نادر عبد العزيز، نظرات في القانون، منشورات زين الحقوقية، لبنان، بيروت، ٢٠٠٧.

ثالثاً: القوانين:
١) القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.
٢) قانون الاحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩.
٣) قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩.
٤) قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم ١٤ لسنة ١٩٩١.
٥) قانون المرور العراقي رقم ٨٦ لسنة ٢٠٠٤.
٦) قانون العمل العراقي رقم ٣٧ لسنة ٢٠١٥.

٧) قانون المخدرات والمؤثرات العقلية العراقي رقم ٥٠ لسنة ٢٠١٧.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

١) تصريح للقاضية هدى جمهور جاسم، القاضية المختص بالنظر في جرائم المخدرات في بغداد، موقع السلطة القضائية http://www.iraqia.iq/view/٢٣٠٢.

٢) تصريح لرئيس محكمة استئناف بغداد الكرخ الاتحادية القاضي خالد المشهداني موقع السلطة القضائية: https://www.iraqja.iq/view/٣٩٩٤.

٣) تصريح للقاضي علي حسن كامل، المختص بالتحقيق في جرائم المخدرات، موقع السلطة القضائية http://www.iraqia.iq/view/٣٥٦٣.



التطبيقات العمليّة للحراسة القضائيّة في القانون العراقي

م.م. محمد كاظم راضي
وزارة التربية/المديرية العامة لتربية واسط

المستخلص:
ان الحراسة القضائية من الموضوعات المهمة في المحاكم وذلك لما توفره للخصوم من سرعة في الاجراءات والحفاظ على المال المتنازع عليه التي تقتضيها ظروف معينة، وهي حالات الضرورة والاستعجال وان المشرع العراقي نظم موضوع الحراسة القضائية في قانون المرافعات المدنية العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل في مادتين (١٤٧ و ١٤٨)، ويمكن استخدم الحراسة القضائية في تطبيقات عملية لضمان الحفاظ على أموال الفئات التي تحتاج إلى حماية قانونية، مثل القُصَّر والمجانين والسفهاء، وكذلك في حالات التركات المتنازع عليها حتى يتم الفصل في النزاع ، والوقف والمصارف المفلسة.
الكلمات المفتاحية :الحراسة القضائية ، الاموال المحجوزة ، المسؤولية المدنية ، التركة ، الوقف ، المصارف المفلسة .

Abstract:
Judicial custody is one of the important topics in the courts because it provides the opponents with speed in the procedures and preservation of the disputed money required by certain circumstances, namely cases of necessity and urgency. The Iraqi legislator organized the subject of judicial custody in the Iraqi Civil Procedure Law No. (83) of 1969, as amended in Articles (147 and 148). Judicial custody can be used in practical applications to ensure the preservation of the money of groups that need legal protection, such as minors, the insane and the foolish, as well as in cases of disputed estates until the dispute is resolved, the endowment and bankrupt banks.
Keywords: Judicial custody, seized funds, civil liability, estate, endowment, bankrupt banks.

المقدمة:
تُعدّ الحراسة القضائية من اهم الانظمة القانونية التي تستهدف الى حماية الحقوق والمصالح المتنازع عليها حيث تستخدم كوسيلة وقائية لضمان ادارة الاموال او الاصول المتنازع عليها لحين الفصل في النزاع الاساسي من قبل القضاء، وتكتسب هذه الوسيلة اهمية خاصة في القضايا التي تتعلق بالعقارات الشائعة والاموال المنقولة والتركة والوقف والمصارف المفلسة والحجر على المدين المفلس، اذا تسهم في منع التصرفات التي قد تلحق الضرر بأحد الاطراف او تؤثر على موضوع النزاع . لذلك اجاز المشرع العراقي فرض الحراسة القضائية كأجراء تحفظي يكون الهدف منه الحفاظ على مصلحة الخصوم وصاحب الحق في المال المتنازع عليه، وتكون هذه الحراسة مؤقته حتى يفصل القضاء حكما في تحديد صاحب المال المتنازع عليه، وهكذا برزت الحراسة القضائية كوسيلة مهمة في الحفاظ على اموال الخصوم التي تسعى الحراسة من خلالها الى تحقيق العدالة ومنع التصرف غير المشروع في الاموال محل الحراسة.

أولاً: أهمية البحث:
يهدف هذا البحث إلى دراسة أهم التطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي من خلال استعراض النصوص القانونية الخاصة بها وتوضيحها، كما يتناول البحث نماذج من هذه التطبيقات التي وردت في عدة قوانين مختلفة .

ثانياً: مشكلة البحث:
على الرغم من الاهمية الكبيرة للحراسة القضائية كأداة قانونية لحماية الحقوق والمصالح المتنازع عليها، الا ان تطبيقها

في الواقع العملي يواجه عدة تحديات قانونية واجرائية، ومن ابرز هذه التحديات التباين في التطبيقات القضائية بين المحاكم في تفسير النصوص المتعلقة بالحراسة القضائية .

ثالثاً: منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي والتحليلي لدراسة الحراسة القضائية من الناحية القانونية والتطبيقية وذلك من خلال استعراض النصوص القانونية المنظمة لهذا النظام .

رابعاً: خطة البحث:

يتضمن المبحث الاول مفهوم الحراسة القضائية واركانها وطبيعتها القانونية .

المطلب الأول: تعريف الحراسة القضائية .

الفرع الأول: تعريف الحراسة القضائية لغةً .

الفرع الثاني: تعريف الحراسة القضائية قانونا .

الفرع الثالث: تعريف الحراسة القضائية فقها .

المطلب الثاني: اركان الحراسة القضائية وطبيعتها القانونية .

الفرع الأول: اركان الحراسة القضائية .

الفرع الثاني: الطبيعة القانونية للحراسة القضائية .

يتضمن المبحث الثاني المسؤولية المدنية للحارس القضائي وتطبيقات الحراسة القضائية في القانون العراقي

المطلب الأول: احكام المسؤولية المدنية للحارس القضائي في القانون العراقي .

الفرع الأول: المسؤولية في اللغة .

الفرع الثاني: المسؤولية في القانون .

الفرع الثالث: شروط المسؤولية المدنية للحارس القضائي .

الفرع الرابع: أساس مسؤولية الحارس القضائي .

المطلب الثاني: التطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي

الفرع الأول: الحراسة القضائية على الاموال .

الفرع الثاني: الحراسة القضائية على العقارات .

الفرع الثالث: الحراسة القضائية على التركة .

الفرع الرابع: الحراسة القضائية على المال الشائع .

الفرع الخامس: الحراسة القضائية على المصارف المفلسة .

الفرع السادس: الحراسة القضائية على الوقف والمدين المفلس .

الخاتمة :النتائج :التوصيات :المصادر :الفهرس :ومن الله التوفيق

المبحث الأول: مفهوم الحراسة القضائية واركانها وطبيعتها القانونية

سوف نتناول في هذا المبحث الى مفهوم الحراسة القضائية التي تُعدّ من الاجراءات المهمة والتي تحتاج الى التأصيل والايضاح خاصة مع تزايد الحاجة اليها، حيث تعرف بانها اجراء احترازي مؤقت يزول في حالة ازالة الدوافع التي ادت اليها ويكون بإيداع اموال منقولة او عقارات متنازل عليها تحت حراسة شخص اخر يسمى الحارس القضائي، حيث تتصف الحراسة القضائية بصفة الاستعجال لأسباب غير قابلة للانتظار وتتطلب اتخاذ تدابير عاجلة بشكل مؤقت مع عدم المساس بأصل الحق المتنازع عليه، ولذا سوف نتناول تعريف الحراسة القضائية لغة وكذلك تعريفها قانونا وفقها، وكذلك سوف نتناول في هذا المبحث الى اركان الحراسة القضائية وطبيعتها القانونية، لذا نرتئي ان قسم هذا المبحث الى مطلبين نتناول في المطلب الاول الى تعريف الحراسة القضائية، ومن ثم نعرج في المطلب الثاني

الى اركان الحراسة القضائية وطبيعتها القانونية، وكالاتي:

المطلب الأول: تعريف الحراسة القضائية

سوف نتناول في هذا المطلب الى تعريف الحراسة القضائية لغة وكذلك تعريفها قانونا وفقها في فروع ثلاثة وكالاتي :

الفرع الأول: تعريف الحراسة القضائية لغةً

الحرسة لغةً، اسم مصدر من حرس الشيء يحرسه، ويحرس حرسا، يحفظه حفظا مستمرا، وهو ان يصرف الآفات عن الشيء قبل ان تصيبه صرفا مستمرا، فاذا اصابته فصرفها عنه سمي تخليصا واشتقاقه الحرس وهو الدهر (ابن منظور، ١٩٩٦، ص ٥٤٢) .

الفرع الثاني: تعريف الحراسة القضائية قانونا

عرف المشرع العراقي الحراسة القضائية في قانون المرافعات المدنية العراقي ٨٣ لسنة ١٩٦٩ المعدل في المادة (١٤٧) بانه:

١- يجوز لكل صاحب مصلحة في منقول او عقار اذا تجمع لديه من الاسباب المعقولة لما يخشى معه خطرا عاجلا في بقاء المال تحت يد حائزه ان يطلب من القضاء المستعجل وضع هذا المال تحت الحراسة وادارته ورده مع غلته المقبوضة الى من يثبت له الحق فيه .

٢- يكون تعيين الحارس باتفاق ذوي الشأن جميعا فان لم يتفقوا تولى القاضي تعيينه ويتقاضى الحارس اجرا تقدره المحكمة» .

وعرف المشرع الاردني الحراسة في القانون المدني رقم (٤٣) لسنة ١٩٧٦ في المادة (٨٩٤) ضمن العقود الواردة على العمل حيث نص على انه « الحراسة عقد يعهد بمقتضاه الطرفان المتنازعان الى اخر بمال ليقوم بحفظه وادارته على ان يرده مع غلته الى من يثبت له الحق فيه».

وعرف المشرع السوري الحراسة في القانون المدني رقم (٨٤) لسنة ١٩٤٩ في المادة (٦٩٥) حيث نص على إنه « الحراسة عقد يعهد الطرفان بمقتضاه الى شخص اخر بمنقول او عقار او مجموعة من المال يقوم في شانه نزاع، او يكون الحق فيه غير ثابت، فيتكفل هذا الشخص بحفظه وبإدارته وبرده مع غلته المقبوضة الى من يثبت له الحق فيه» .

وعرف المشرع المصري الحراسة الاتفاقية في القانون المدني رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨ في المادة (٧٢٩) حيث نص على انه « الحراسة عقد يعهد الطرفان بمقتضاه الى شخص اخر بمنقول او عقار او مجموعة من المال يقوم في شانه نزاع أو يكون الحق فيه غير ثابت، فيتكفل هذا الشخص بحفظه وادارته وبرده مع غلته المقبوضة الى من يثبت له الحق فيه» .

ويرى الباحث ان المشرع العراقي في قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل قد نظم الحراسة القضائية في مادتين فقط هما (١٤٧ و ١٤٨) وهو اتجاه معيب ومقتضب، اذ كان الاجدر على المشرع العراقي ان ينظم موضوع الحراسة القضائية وكل ما يتعلق بأحكامها ضمن القانون المدني رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ المعدل كما فعلت اغلب التشريعات العربية .

الفرع الثالث: تعريف الحراسة القضائية فقها

اختلف الفقهاء فيما بينهم في مفهوم الحراسة القضائية من حيث الصفات، فمنهم من اسبغ عليها الصفة القانونية القضائية، ومنهم من قصرها على الصفة القضائية فقط، فعرف بعضهم الحراسة القضائية على انها «وضع مال يقوم بشأنه نزاع او كون الحق فيه غير ثابت، ويهدده خطر عاجل في يد امين يتكفل بحفظه وادارته ورده مع تقديم حساب عنه الى من يثبت له الحق فيه» (عبد الرزاق احمد السنهوري، ٢٠٠٤، ص٧٣٩) .

وعرفها البعض الاخر على انها « نيابة قانونية وقضائية فهي نيابة قانونية لان القانون هو الذي يحدد نطاقها ويبين حالاتها ويوضح اركانها ويعين اثارها، وهي نيابة قضائية لان القضاء هو الذي يضفي على الحارس صفته، فلا تؤول اليه صفة النيابة الا بمقتضى حكم منه « (عبد الحميد الشواربي، ٢٠٠٤، ص١٩).

وعرفها بعض الشراح على انها « نيابة يوليها القضاء بأجراء مستعجل و وقتي يأمر به استنادا الى القانون بناء على طلب صاحب مصلحة اذا رأى القاضي انها اجراء ضروري للمحافظة على حقوق ذوي الشأن ومصالحهم، ويعهد القاضي للحارس بموجب هذا الاجراء بمال سواء اكان منقولا او عقارا ام مجموعة من الاموال لحفظه وادارته ورده مع غلته المقبوضة لمن يثبت حقه فيه» (عبد الحكيم عبد الحميد فراج، ١٩٥٢، ص٥٤) .

ويرى الباحث ان افضل التعريفات اعلاه هو ما قال به اصحاب الرأي الاخير، لأنه جاء جامع مانع للحراسة القضائية من حيث الشروط والخصائص التي تمتاز بها الحراسة بكونها نيابة قضائية وان جاءت مستندة الى نص في القانون .

المطلب الثاني: اركان الحراسة القضائية وطبيعتها القانونية

سوف نتناول دراسة هذا المطلب في فرعين، نتناول في الفرع الاول الى اركان الحراسة القضائية، ومن ثم نعرج الى الطبيعة القانونية للحراسة القضائية في الفرع الثاني وكالاتي:

الفرع الاول: اركان الحراسة القضائية

يشترط لفرض الحراسة القضائية توافر اركان اساسية تستنتج من نص المادة (١٤٧) من قانون المرافعات المدني العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل وتتلخص بما يلي:

اولا. ان كون هناك نزاع على عقار او منقول

يشترط لوضع المال تحت الحراسة القضائية ان يكون هناك نزاع على عقار او منقول، فاذا انتفى النزاع لم يعد هناك مبرر لوضع المال تحت الحراسة، والنزاع شرط جوهري من شروط وضع المال تحت الحراسة القضائية ويعتبر الحق متنازعا فيه اذا كان قد رفعت به دعوى او قام بشأنه نزاع جدي، وعنصر الجد في النزاع متروك لتقدير القاضي يقضي به حيث تكون الحراسة هي السبيل لإيقاف الاخطار المحدقة بالمال، فاذا انعدم النزاع الجدي ؛ حتى وان كان قد رفعت دعوى به؛ لا يلزم قاضي الامور المستعجلة ان يتصدى لنظر الدعوى لخروجها عن اختصاصه (لفتة هامل العجيلي، ٢٠٢٠، ص٢٩٣).

ثانيا. ان يكون هناك خطر

الخطر هو ما يتهدد المال ذاته وليس له علاقة بإرادة الخصوم، اذ لا ينتفي الخطر بمجرد اتفاق الخصوم على عدم تحققه، وانما ما يترئ للقاضي من الوقائع المعروضة امامه، وله سلطة تقديرية في ذلك، واعتبرت محكمة النقض المصرية ان خلاف الورثة على ادارة التركة واستحالة قسمتها بغير ضرر جسيم يلحق بها او بسبب تحمل التركة بديون مستحقة بدين يضمن حق عيني وامتناع الورثة عن وفاء حصته بغير مبرر حيث اصبحت التركة مهددة باتخاذ اجراءات نزع ملكيتها (لفتة هامل العجيلي، ٢٠٢٠، ص٢٩٣-٢٩٤).

ثالثا. ان يكون لرافع الدعوى مصلحة

شرط المصلحة لا يقتصر وجوده او تحققه في دعوى الحراسة القضائية، وانما هو شرط يجب توافره في كل طلب او دفع، اذ لا دعوى بدون مصلحة لان القضاء ساحة للعدل ولإحقاق الحق مما يقتضي صيانته من العبث والاساءة، ولم يشترط القانون كون المصلحة متحققة او محتملة وانما جاءت مطلقة فهي تشمل المصلحة المتحققة و المحتملة ويمكن للمحكمة ان تستظهرها من ظاهر السندات التي تقدم اليها، كما ينصرف الى المصلحة الادبية ايضا (لفتة هامل العجيلي، ٢٠٢٠، ص٢٩٤-٢٩٥).

الفرع الثاني: الطبيعة القانونية للحراسة القضائية

ان قانون المرافعات المدنية العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل لم يبن الطبيعة القانونية للحراسة القضائية، واختلفت الآراء حولها وكالاتي :

الرأي الاول: الحراسة القضائية من قبيل العقود، فهي عقد وديعة باجر او وكالة، وهذا الرأي يستند على تعريف الحراسة بكونها ايداع الشيء الموضوع تحت يد القضاء عند شخص معين ان كانت المصلحة قاضية بذلك .

وحجتهم ان عمل الحارس والمودع لديه متشابهان من حيث الزامهم بالعناية بالمال وصيانته وحفظه، اما كون الحراسة القضائية وكالة فذلك يرجع الى الشبه بين الحارس والوكيل في ان كل منهم ينوب عن غيره في حفظ المال وادارته (وفاء خيري عليوي الدليمي، ٢٠٢٣، ص١٠) .

الرأي الثاني: الحراسة القضائية شبه عقد وليست عقد ولا يقبل احكام العقد بالمعنى الدقيق، وحجة هذا الرأي ان العقد مرجعه الاتفاق، اما الحراسة القضائية فهي ترجع الى نص القانون وامر القضاء، وذلك في حالة عدم اتفاق الخصوم على اختيار الحارس وتعيين القاضي له من تلقاء نفسه، وهنا لا نكون امام عقد بالمعنى الدقيق بل شبه عقد(وفاء خيري عليوي الدليمي، ٢٠٢٣، ص١٢) .

الرأي الثالث: الحراسة القضائية نيابة قانونية قضائية، فهي قانونية لان القانون هو الذي يحدد نطاقها ويبين حالتها ويوضح اركانها ويعيين اثارها، وهي قضائية لان القضاء هو الذي يضفي على الحارس صفته فلا تؤول اليه صفة النيابة الا بمقتضى حكم منه، والقضاء هو الذي يتولى في اغلب الاحوال تحديد نطاق سلطته وفقا لنصوص القانون، وهو الذي يؤدي له الحارس حسابا عن عمله، واخيرا هو الذي ينهي مأموريته بقرار قضائي (وفاء خيري عليوي الدليمي، ٢٠٢٣، ص١٣) .

ويرى الباحث ان وصف الحراسة القضائية على انها عقد لا يمكن قبوله اطلاقا لان اساس العقد هو الاتفاق (اتفاق الطرفين) والحراسة القضائية لا تستند الى الاتفاق، بل الى نص القانون وامر القضاء . كذلك ان وصف الحراسة القضائية بانها شبه عقد، لا يمكن قبوله ايضا، لان شبه العقد هو عمل مادي وليس عملا قانونيا، والعمل المادي لا يأمر به القضاء . اما وصف الحراسة القضائية بانها نيابة قانونية قضائية فهو اقرب الى الصحة وافضل الآراء التي قيلت في الطبيعة القانونية للحراسة القضائية .

المبحث الثاني: المسؤولية المدنية للحارس القضائي وتطبيقات الحراسة القضائية في القانون العراقي

سوف نتناول في هذا المبحث الى المسؤولية المدنية للحارس القضائي وكذلك الأسس التي تقوم عليها هذه المسؤولية المدنية للحارس القضائي سواء من ناحية أصل هذه المسؤولية ام أركانها حيث يقوم الحارس القضائي اثناء قيامه بمهمته بأخطاء قد تكون أخطاء عمدية ام غير عمدية فقد يصدر منه تقصير او اهمال ونتيجة لهذه الأخطاء يكون مصير كثير من الأموال والمصالح يتم فقدها او تكون معرضة للخطر وتكون مسؤوليته اما تقصيرية او مدنية فيكون مسؤولا عن تعويض من أصابهم الضرر بسبب خطأه وبالتالي فإن الحارس القضائي يكون مسؤولا عما يرتكبه من خطأ وتعويض الاضرار التي يسببها ولكن من الممكن ان يكون الحارس القضائي لا يملك المال لكي يتمكن من التعويض إذ تعدّ المسؤولية عن الأشياء من المواضيع المهمة في الوقت الحالي حيث ان التطور الذي حدث في العصور الحديثة الى زيادة الإنتاجية واستخدام الناس للآلات الميكانيكية والممتلكات الاخرى واذا كان تنفيذ القواعد العامة تلزم المتضرر فإن ذلك يعني ضياع حق المتضرر في حالة استحالة اثبات خطأ المتسبب بالضرر ولذلك ظهرت عدة نظريات بشأن مسؤولية حارس الممتلكات والأموال الامر الذي جعل أساس المسؤولية لحارس الشيء هو الخطأ ومنها جعل أساس هذه المسؤولية مستبعداً عن الخطأ وإنما على أساس التبعية حيث يكون كل شخص مسؤول يقع عليه نفي تلك المسؤولية ومما لاشك فيه إن مسؤولية الحارس القضائي تعالجها التشريعات العربية وبالتالي إن على المتضرر أن يثبت إنْ وقوع الضرر قد حصل عندما كان الحارس القضائي يتولى مهمته في حراسة الأشياء، ويشترط المشرع ان تكون هناك شروط لقيام مسؤولية الحارس القضائي ومتى توافرت مسؤولية حارس الأشياء التي تحتاج الى عناية خاصة وبموجب القانون فإن ذلك يعني ان يلتزم الحارس بالآثار التي تنتج عن قيام تلك المسؤولية والتي تتمثل في التزامه بتعويض الشخص الذي تضرر عن كافة الأضرار التي لحقت به بسبب الأشياء التي بحوزته وذلك بموجب القانون العراقي وكذلك الآثار التي تترتب عن مسؤولية حراسة الأشياء، ويخضع الحارس القضائي الى المسؤولية المدنية التي تقع على عاتق المودع والموكل وبالتالي فإنه لا يكون مسؤولا عن الاضرار

التي تنتج عن اعماله الا اذا كان مأجورا، وكذلك سوف نتناول في هذا المبحث الى اهم التطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي .

اما بالنسبة لمسؤولية الحارس القضائي في القانون المدني العراقي فيكون أساسها هو اهمال الحارس القضائي ولكن المشرع العراقي لم ينظم بشكل مفصل الأفعال الضارة باستثناء أنواع المسؤولية عن فعل الغير وشرع قاعدة عامة توجب المسؤولية عن فعل الغير الضار في المادة (٢٠٤) من القانون المدني العراقي كما سوف نتناوله بالتفصيل لاحقاً، وقد جعل الأساس القانوني عن الفعل الغير مشروع هو التعدي، ويعرف الإهمال بانه ان يقوم المهمل بعمل لم يكن عليه القيام به، او ان يمتنع عن القيام بعمل كان عليه ان يقوم به نتيجة عدم أخذ الحيطة والحذر، كما سوف نبينه لاحقا، وكذلك ان مسؤولية الحارس القضائي تعتبر مسؤولية عقدية وذلك انه حتى لو كانت الحراسة القضائية لا تعتبر كالوكالة اذا ما قارنا بينهما وانما تعتبر نيابة قضائية، ولكن هذا لا يعني ان الحراسة القضائية غير خاضعة للأحكام الخاصة بالوكالة وذلك ان الحارس القضائي اذا كان يعد نائبا فإن الوكيل بدوره يعتبر نائبا أيضا ولذا فإن الحارس القضائي مثل الوكيل، ولكن الفقه اختلف بشأن بيان طبيعة مسؤولية الحارس القضائي ولكنها لا تعد مسؤولية تعاقدية وذلك ان الحراسة القضائية من وجهة نظر أصحاب هذا الراي ان مسؤولية الحارس القضائي ليست وديعة وكذلك انها لاتعد وكالة وهي ليست عقد وانما تعد نيابة قانونية وكذلك بموجب القضاء وان واجبات الحارس القضائي مصدرها القانون وحكم القضاء ولكن الرأي الغالب كما سوف نوضح لاحقا هي مسؤولية تعاقدية وهو يفرق كذلك بين الخطأ الجسيم والخطأ البسيط، وفي الحقيقة يمكن القول ان مسؤولية الحارس القضائي هي مسؤولية عقدية حتى لو كانت ليست عقد كالوكالة. وبالتالي فإن الحارس القضائي يشبه الوكيل في أحكام معينة ومنها المسؤولية؛ وذلك انهما يتصفان بصفة النائب وبالتالي فإن مسؤولية الحارس القضائي تخضع للأحكام التي يخضع لها الوكيل بالتبعية وكذلك المسؤولية الخاصة بالوديع ولذا فإنها تعتبر مسؤولية عقدية وكذلك يعتبر البعض ان الحراسة القضائية هي وديعة ولكن يلتزم الحارس بموجبها بأداء الأعمال التي تخص إدارة المال الذي تحت حراسته ولتحديد مسؤولية الحارس القضائي يجب التفريق بين ما اذا كان مأجورا ام غير مأجور حيث نجد ان الحارس القضائي مأجور فإن التزامه في المحافظة على الأموال التي تحت حراسته يتطلب عناية الشخص العادي أي المعيار الذي يعتمده هو معيار موضوعي وليس شخصي واذا ثبت ان الحارس القضائي لم يقم بعناية الشخص المعتاد فإنه يعد مسؤولاً حتى لو اثبت ان العناية التي بذلها الأقل هي حقيقية العناية نفسها التي بذلها في حفظ المال الموضوع تحت حراسته وذلك بسبب ان الحارس القضائي يلتزم ببذل عناية الشخص المعتاد حتى وان كانت هذه العناية اكثر من عنايته الشخصية على أمواله وبالتالي فإن الحارس القضائي يكون مسؤولا عن حراسة الأشياء التي تحت حراسته ويكون مسؤولا عن التقصير بشأنها وان معرفة مسؤولية الحارس القضائي يلزم بيان طبيعة التزام الحارس القضائي فيما لو كان الالتزام يتطلب بذل عناية ام التزام بتحقيق نتيجة.

وبناء على ذلك سوف نتناول بالتفصيل احكام المسؤولية المدنية للحارس القضائي في القانون العراقي في المطلب الأول، والتطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي في المطلب الثاني:

المطلب الاول :احكام المسؤولية المدنية للحارس القضائي في القانون العراقي

سوف نتناول في هذا المطلب الى مفهوم المسؤولية المدنية للحارس القضائي و أحكام هذه المسؤولية والاساس الذي تقوم عليه، بالتفصيل الاتي:

الفرع الاول: المسؤولية في اللغة

كلمة المسؤولية هي مصدر صناعي من سأل، وسأل في اللغة تأتي بمعنى، استعطاء الشيء، ومنه تسأل القوم اي: سأل بعضهم بعضا (ابن منظور، ١٩٩٩، ص١٣٣-١٣٤) .

وبهذا يمكن تعرف المسؤولة بانها « تحمل المرء تبعة ما يصدر عنه ومؤاخذته بذلك» (محمد المرزوقي، ١٤١٣،

ص١٧) .

ما يكون الشخص مسؤولا عنه ومطالبا في أداء أمور او تصرفات قام بها ويتضح من التعريف اللغوي امران: وهما ان الأثر الناتج عن المسؤولية أي ما يلتزم به الشخص وبتعبير آخر الجزاء الذي ينتج عن كونه مسؤولا، والعنصر او المكون للمسؤولية هو ما تقوم به المسؤولية وعندما نعود الى التعريف يكون الأساس في وجودها هي الأمور والأفعال التي قام بها الفاعل.

الفرع الثاني: المسؤولية في القانون

لم يرد تعريف المسؤولية المدنية في النصوص القانونية ولكن برز اجتهاد الفقه في شرح المقصود بالمسؤولية ووضع عدة تعريفات توضح مضمونها ومن هذه التعريفات: (هي الحكم الذي يترتب على الشخص الذي قام بشيء يوجب المحاسبة عليه) وقد عرفت أيضا: (القيام بأمر يستوجب المحاسبة او انها الجزاء الذي يترتب على مخالفة أحد الواجبات التي يقوم بها الشخص مهما كان مصدر ذلك الواجب) وان هذه التعريفات حتى لو اختلفت في بعض جزئياتها الا انها تركز على نفس الشيء وهو السبب الذي يؤدي الى قيام المسؤولية المدنية وهو الفعل الذي يخالف من يقوم به واجباته فالمكلف بعمل عليه القيام به واحترام وتأدية عمله والا فانه يعتبر مسؤول عن مخالفة ما تم تكليفه به ويتبين من التعاريف السابقة ان بعض الفقهاء عرفوها بآثارها التي توجب مساءلة القائم بالفعل المخالف للواجب وان أصح تعريف هو التعريف الذي يتضمن تتبع اركان التعريف اللغوي وهذه الأركان تتضمن ان يكون الشخص ملتزما وان السبب المنشئ لهذه الحالة تعرف بانها حالة الالتزام التي يقوم بها المسؤول نتيجة مخالفته للالتزام المكلف به (ليلان رشيد فائق، بلا سنة نشر، ص٧) .

اما الفقهاء القانونيون فانهم اختلفوا في تعريف المسؤولية المدنية فقد عرفها جانب منهم بانها الضمان واما بالنسبة للقانون العراقي فانه يستخدم مصطلح الضمان ومشتقاته في بعض النصوص ويستخدم مصطلح المسؤولية المدنية في نصوص أخرى وان المصطلح الشائع لدى فقهاء الشريعة الإسلامية هو مصطلح الضمان فهم يقولون ضمان العقد والضمان الناتج عن الفعل فتعرف المسؤولية المدنية هي قيام الشخص بالتعويض عن الضرر الذي تسبب به للغير سواء كان هذا الالتزام محددا في نصوص قانونية ام غير محدد وتعتبر عقدية إذا وقع الاخلال بواجب قانوني عام يلحق ضررا بالغير سواء كان هذا الاضرار عمديا ام غير عمديا (ليلان رشيد فائق، بلا سنة نشر، ص١١) .

وقد تكون المسؤولية المدنية عقدية او قد تكون تقصيرية وعلى الرغم من ان أنصار وحدة المسؤولية حاولوا التمييز بين المسؤولية العقدية والمسؤولية المدنية وميزوا أيضا بين الخطأ العقدي والخطأ التقصيري الا ان محاولتهم لم تنجح والكثير من التشريعات الحالية اخذت بنظرية الازدواجية التي تم فرضها على مستوى التشريع والقضاء وبما ان الفقه القانوني اعتبر مسؤولية الحارس القضائي هي مسؤولية عقدية لذا فإنه يقصد بالمسؤولية العقدية انها الجزاء الذي ينتج عن الإخلال بالالتزامات التعاقدية ولما كان العقد شريعة المتعاقدين فإنه كان من الواجب احترام مضمون هذه العلاقة وان التصرف فيما يخالف الواجبات التي تتضمنها فانه يوجب المسؤولية للطرف الذي خالفها وهو الامر الذي عبرت عنه التشريعات في وجوب التعويض عن التأخر في الوفاء او بسبب عدم الوفاء بالالتزام وانه لكي تكون هناك مسؤولية يجب ان يكون هناك اخلال بعقد صحيح وان يترتب على هذا الاخلال ضرر (عبد القادر الكرعاوي، ٢٠٠٥، ص١٤) .

تتحقق المسؤولية المدنية إذا لم يقم المتعاقد بتنفيذ التزامه الناتج عن التعاقد ولم يكن من الممكن اجباره على تنفيذ التزامه أو إذا قام بتنفيذه وكان معيبا او لم يكن كاملا أو متأخرا عن الموعد المحدد، اما اذا كان بالإمكان اجباره على تنفيذ العقد فنكون بصدد التنفيذ العيني الجبري وليس المسؤولية التعاقدية واذا كان من المستحيل على المتعاقد تنفيذ التزامه لسبب ليس له يد فيه فلا يجب عليه التعويض وجميع هذا في الفقه القانوني. حيث ان المسؤولية العقدية هي الجزاء الناتج عن الاخلال بالعقد وان البعض من الفقهاء قد اخذوا بتسمية الاخلال الناشئ عن العقد بأنه ضمان

وقد أشاروا الى ان كلمة مسؤولية هي تعبير جديد في المجال القانوني ولم تكن معروفة في القانون القديم وهذا ما يقوله الفقهاء المسلمون أيضا وقد اخذ القانون المدني العراقي بهذا فهو عندما تكلم عن المسؤولية العقدية أضاف اليها مصطلح (ضمان العقد). وتتحقق المسؤولية العقدية بتوافر شرطين:

أولاً: ان يكون هناك عقد صحيح يقرر التزاما بين المسؤول والمتضرر ويشترط ان يكون هناك عقد وان يكون هذا العقد صحيحا ويكون منشئاً للالتزام بين المسؤول والمتضرر.

ثانياً: ان يكون الضرر ناتجا عن الاخلال بالالتزام (ليلان رشيد فائق، بلا سنة نشر، ص١٧) .

الفرع الثالث: شروط قيام المسؤولية المدنية للحارس القضائي

لكي تتحقق الحراسة القضائية فانه يجب ان تتحقق شروط معينة ومن هذه الشروط هي:

أولاً: يعد الخطأ الذي يرتكبه الحارس القضائي من أبرز اركان المسؤولية المدنية وان الخطأ هو الإخلال بالتزام قانوني او تعاقدي ولا يحصل هذا الإخلال من قبل شخص معتاد وجد في مثل الظروف الخارجية ويعرف أيضا على انه التقصير في سلوك الشخص الذي لا يكون من شخص يقظ وجد في نفس الظروف الخارجية التي أثرت على المسؤول وبالتالي نرى ان الركن المادي في الخطأ الذي يرتكبه الحارس القضائي وهو التعدي والانحراف في سلوكه. وان الخطأ الذي ينتج المسؤولية على الحارس القضائي يظهر في عدة حالات فالحارس القضائي يكون مسؤولا عن عدم تنفيذه للمهمة الخاصة به فالحارس القضائي يكون غير مسؤول عن تنفيذ المهمة المحددة له في القرار الذي يقضي بتعيينه او عند عدم اتخاذه ما يوجبه العرف في المعاملات كما لو أهمل إجراءات التأمين على المال محل الحراسة اذا كان ذلك مهما او قد تصرف في الشيء الموضوع تحت حراسته دون ان يكون هناك سبب يبرر ذلك او يكون قد تجاوز الحدود المسموحة له في التصرف كذلك يكون الحارس القضائي مسؤولا عن الغش الذي يصدر منه مثال ذلك: ان يكلف ببيع الشيء الموضوع تحت حراسته فيتواطأ مع المشتري في تخفيض الثمن، او يتم تكليفه بإدارة ارض زراعية قام بتأجيرها بثمن رخيص متواطأ في ذلك مع المستأجر أو اذا اهمل دفع الضريبة، وبالتالي فإن كان التزام الحارس القضائي يختلف باختلاف طبيعة التزاماته فيما لو كان ذلك الالتزام ببذل عناية او بتحقيق نتيجة فاذا كان التزامه يتطلب تحقيق نتيجة معينة فإنه يكفي ان يثبت الدائن عدم قيام الحارس القضائي بتنفيذ التزامه أي يكفي ان يثبت عدم تحقق النتيجة المطلوبة منه أي انه يكفي عدم تحقق النتيجة لاعتباره مسؤولا، مثال ذلك ان كان الحارس القضائي ملتزما بتقديم حسابا بما تسلمه وما انفقه مرفقا ذلك بالمستندات التي تثبت ذلك وفي هذا النوع من الالتزامات يكون الحارس ملتزما بالوصول الى نتيجة معينة وتوضع تحت الحراسة وكذلك مسك الدفاتر حساب الحسابية (باسم النوايسة، ٢٠١٣، ص٢٨) .

وفي هذا الالتزام يكفي بتحقيق نتيجة وإذا لم يقم الحارس بتقديم المستندات المطلوبة يكون مسؤولا ويكفي لقيام مسؤوليته ان يثبت عدم قيامه بواجباته. ونرى في هذه الحالة ان قيام الدائن في ان يثبت عدم تحقق النتيجة فانه يستغل وقوع الخطأ من قبل الحارس هو شيء مفترض باعتبار انه مقصر في عمله ويجب على الحارس القضائي إذا أراد ان ينفي عن نفسه المسؤولية ان يقدم الأدلة على وجود سبب أجنبي الذي نتج عنه عدم تنفيذ الالتزام والوصول الى النتيجة التي يريد تحقيقها ونجد هنا ان قيام الدائن بأن يثبت عدم تحقق النتيجة التي كان يجب على الحارس تحقيقها. اما النوع الاخر من الالتزامات التي يتحملها الحارس القضائي فيكون التزاما ببذل عناية كما هو الحال في عقد الوديعة والعارية فلا يكفي ان يثبت عدم تنفيذ الالتزام حتى يفترض الخطأ من قبل الحارس القضائي بل يجب ان يثبت هذا الخطأ والذي يتمثل بعدم قيام الحارس القضائي ببذل عناية الشخص المعتاد، فاذا اثبت الدائن ذلك انتقل واجب الاثبات الى الحارس القضائي حيث يمكنه ان يتخلص من المسؤولية المدنية بوجود سبب خارج عن إرادته. وبناء على ذلك فإن الحارس القضائي حين تسلمه للمال الموضوع تحت حراسته عليه ادارته استنادا لما تتطلبه الأحكام القانونية وأن يبذل في ذلك عناية الشخص المعتاد أي يقوم بإدارة المال بدلا من المالك وينتج

على قيام الحارس بالإدارة ان يقوم بها بنفسه دون ان يقوم مكانه ذوي الشأن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وان هذا الالتزام الذي يفرض على عاتق الحارس هو التزام ببذل عناية وليس تحقيق نتيجة؛ لان هذا الواجب فرض على الحارس ليس من أجل التوصل الى نتيجة وانما يلتزم بموجبه بحسن إدارة الأموال الموضوعة تحت حراسته وكذلك يلتزم الحارس القضائي في ان يحافظ على الأموال الموضوعة تحت حراسته وبذلك فإن هذا الالتزام هو التزام ببذل عناية وليس تحقيق نتيجة؛ وذلك ان هذا الالتزام لا يفرض على الحارس ان يحقق نتيجة وانما ان يبذل الجهد في الحفاظ على هذا المال (باسم النوايسة، ٢٠١٣،ص٢٨-٢٩) .

ثانياً: الضرر، يُعدّ الضرر من أهم أركان المسؤولية المدنية التعاقدية إذ لا توجد مسؤولية بدون ضرر ويقع على الدائن عبء اثبات الضرر لأنه هو المدعي ولا يكفي مجرد اهمال الحارس او مخالفته لواجباته بل يجب ان ينتج عنه ضرر للدائن ويكون هناك استثناء للعقد الذي يعد هو محل الالتزام (ليلان رشيد فائق، بلا سنة نشر، ص١٩)

ثالثاً. العلاقة السببية بين الخطأ والضر، لا تكون هناك مسؤولية عقدية إلا إذا كان الضرر ناشئاً عن اخلال المدين بالتزامه التعاقدي أي يجب ان تكون هناك علاقة سببية بين مخالفة الواجبات والضرر فإذا اختفت العلاقة السببية فلا تكون هناك مسؤولية عقدية ولا يمكن إقرار ولا تقرر المسؤولية التعاقدية للمدين وتنقطع العلاقة السببية بتدخل سبب أجنبي ويقع اثبات عدم وجود العلاقة السببية على عاتق المدين وذلك بموجب قاعدة «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر» (ليلان رشيد فائق، بلا سنة نشر، ص٢١) .

الفرع الرابع: أساس مسؤولية الحارس القضائي

يلتزم الحارس القضائي في أداء واجباته التي تم فرضها عليه بعد اختياره كحارس قضائي فاذا أهمل أحد واجباته فانه يكون مسؤولا نتيجة تقصيره فيما ينتج عن اهماله من ضرر سواء في مواجهة مالكين المال او فيما يتعلق بمواجهة الغير، فهل تكون مسؤوليته مسؤولية عقدية ناشئة عن الإخلال بالالتزام من الالتزامات التي فرضها العقد و تعتبر مسؤولية تعاقدية ناشئة عن العقد، أم تُعدّ مسؤولية تقصيرية ناتجة عن الاخلال بالتزام قانوني؟ لابد من التنويه في البداية في إنه لا وجود للخلاف الذي كان موجوداً بين الفقه والقضاء بشأن التكييف القانوني للحارس القضائي؛ وذلك بسبب عدم وجود نص صريح يختص ببيان طبيعة الحارس القضائي وبالتالي نجد ان الحارس القضائي يكون خاضعا لأحكام مسؤولية الوديع والوكيل وهي ليست بعقد وانما تعتبر نيابة قانونية وقضائية حيث تكون مصدر التزامات الحارس القضائي هي القانون والقضاء وليس العقد ولكن الرأي الغالب في الفقه يرى بأن مسؤولية الحارس القضائي هي مسؤولية عقدية وبالتالي فهو يفرق بين الخطأ الجسيم والخطأ اليسير استنادا الى ما اذا كان الحارس القضائي متبرعاً أم مأجوراً ويمكن القول بأن مسؤولية الحارس القضائي هي مسؤولية عقدية وذلك ان الحراسة القضائية حتى وان كانت لا تُعدّ عقد كالوكالة حتى بالمقارنة بينهما ولكن تعتبر نيابة قانونية (باسم النوايسة، ٢٠١٣، ص٢٨) .

ويرى الباحث بأنه يمكن مسألة الحارس القضائي جنائيا بوصفه شخصا امينا يتولى حفظ الشيء الموضوع بين يديه بأمانة، ويسأل عن جريمة خيانة امانة المنصوص عليها في قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل في المواد من (٤٥٣ الى ٤٥٥) .

المطلب الثاني : التطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي

سوف نتناول في هذا المطلب الى اهم تطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي نظرا لان هناك حالات كثيرة تستوجب الحراسة ولا يمكن حصرها في حالات محددة ومما يعزز ذلك ان التشريعات لم تبين هذه الحالات ولكنها بينت الشروط التي يجب ان تتوفر في الحراسة، فاذا توفرت جاز لأصحاب المصلحة ان يتقدموا بطلب الى قاضي الأمور المستعجلة وكذلك للمحكمة يتضمن وضع الأموال المتنازع عليها تحت الحراسة القضائية وبناء على ذلك فان المشرع العراقي قد شرع نصوصا عامة تمكن المتنازعين على مال معين ان يطلب من القضاء استنادا

الى سبب مبرر وعادل اختيار حارس قضائي يقوم باستلام المال من أجل حفظه وادارته وهو ما يجري عليه العمل في القضاء المستعجل في الحراسة القضائية ولا يخفى ان هناك حراسة قانونية يتم فرضها بموجب نص قانوني على الأموال المتنازع عليها ونظرا لكثرة الحالات التي تتطلب الحراسة القضائية سوف نقوم بشرح بعض هذه الحالات وهي التركة وكذلك الأموال الشائعة والحراسة على الوقف (حسنين نوري صكر القيسي، ٢٠١٨، ص٧٠) .

فعندما يتوفى شخص ويترك أموال للورثة او للموصى لهم او الى أصحاب الحقوق فإن الأمور تكون طبيعية وتسير حسب الاتفاق الذي بينهم وخاصة عندما يكون هناك اتفاق مسبق على اختيار الشخص الذي يلتزم بحراسة التركة وتوزيع حصص كل شخص من الورثة بحسب استحقاقهم ولكن قد يحدث خلاف بين الورثة أحيانا في حالة كون التركة غير مقسمة ويحدث خلاف بينهم بشأن حصة كل شخص وقد يكون النزاع واردا بشأن تقسيم تلك الأموال او بشأن تعيين شخص لإدارة تلك الأموال ويزداد الأمر تعقيدا عندما لا يتفقون على تعيين من يصفي التركة ويوزعها ومن أسباب طلب الحراسة القضائية هو حدوث الخلاف بشأن ويزداد الامر صعوبة عندما لا يتفقون فيما بينهم على من يتولى حراسة التركة. ومن أسباب اللجوء الى الحراسة القضائية هو الخلاف على ملكية التركة او جزء منها او من قبل أحد الورثة حيث وصل اليه بواسطة المورث او الغير عن طريق الهبة او الوصية وكذلك اختلاف الجنسية بالنسبة لبعض الورثة والقانون الواجب التطبيق. ففي الحالة التي لم يعين فيها المورث وصيا على تركته جاز لاحد الورثة بعده أن يطلبوا من المحكمة تعيين الوصي الذي يختاروه وفي حالة لم يتفقوا على اختيار الحارس جاز للمحكمة تعيين الحارس وذلك بعد سماع أقوال ذوي الشأن أما في حالة اختيار الحارس من قبل المورث كان على المحكمة ان تثبت هذا الاختيار، وقد اتجه المشرع العراقي في المادة ١٤٧ من قانون المرافعات المدنية الى وضع القواعد القانونية التي تحكم الحراسة القضائية بالإضافة الى وجود نصوص أخرى تتمثل بالمادة ٢٧٩\ ٢\٣ من قانون المرافعات المدنية وذلك بوضع المعروضات تحت حراسة شخص عدل سواء كان عقار ام منقول، وكذلك المادة ١٢٥٤\٢، من القانون المدني العراقي، وكذلك ترد الحراسة القضائية على الأموال الشائعة بحسب نصوص المادتين ١٠٦٤ والمادة ١٠٦٩ من القانون المدني العراقي، وتُعدّ الأموال الشائعة شكل من اشكال الملكية حيث يكون يملك الشيء عدة أشخاص دون ان تتركز حصة كل منهم في جانب منه ولكنها تتحدد بصورة رمزية او حسابية في نفس الحق وان الأصل ان تكون إدارة المال الشائع من قبل المالكين جميعاً وأن كان الأمر غير ميسر في أغلب الأحوال فإن الاقتصار على هذا الشرط يؤدي الى تعطيل إدارة المال وحدوث النزاعات بين الشركاء ولذا فقد أخذ المشرع العراقي برأي اغلبية الشركاء عند الاتفاق فيما بينهم في إدارة المال الشائع وان المنطق كذلك يقول باعتماد رأي الأغلبية استنادا الى نصيب كل شريك بل واتجه المشرع الى انه اذا قام أحد الشركاء بإدارة المال الشائع دون ان يواجه برفض البقية فإنه يعتبر وكيلا عنهم وهو ما ورد في المواد ١٠٦٤ و ١٠٦٥ من القانون المدني العراقي (حسنين نوري صكر القيسي، ٢٠١٨، ص٧٥-٧٦).

وكذلك من تطبيقات الحراسة القضائية انها ترد على المال الشائع وكذلك تشمل التطبيقات القانونية للحراسة القضائية أموال الوقف حيث يعني الوقف هو حبس عين المال المملوك عن التصرف به وجعل منافعه للأغراض الخيرية فالوقف يمكن ان يكون لأغراض خيرية إذا تم تخصيص منافعه لجهة ما خيرية. وبما ان الوقف يخرج عن ملكية الواقف ولا يمكن ان يمتلكه أحد فإنه لا يمكن ان يكون سببا يستوجب الحراسة القضائية الا في حال وجود خلاف بشأن ملكية الوقف ويخشى على حقوق المستحقين الاخرين فيمكن في هذه الحالة فرض الحراسة القضائية على المال الموقوف فان ملكيته لا تكون سببا في فرض الحراسة القضائية الا اذا كانت هناك خلافات جدية بشأن ملكية الوقف ويخشى على حقوق المستحقين الاخرين ففي هذه الحالة يمكن فرض الحراسة القضائية على الوقف وبالتالي يمكن فرض الحراسة القضائية على الوقف في حالات معينة منها: إذا كان الوقف شاغراً فيُعدّ الوقف شاغرا في حالة تم عزل الناظر او تم ضم ناظر آخر اليه او انه خرج من الاهلية وبناء على ذلك فإنه في جميع الأحوال يصبح

الوقف شاغرا من الحارس الذي يتولى ادارة شؤونه كما سوف نبين ذلك بالتفصيل (حسنين نوري صكر القيسي، ٢٠١٨، ص٨٢-٨٣) .

وكذلك سوف نتناول في هذا المطلب الى اهم التطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي، من تطبيقات الحراسة القضائية في القانون العراقي هي فرض الحراسة الاموال المنقولة والاموال العقارية و على التركة وكذلك على المال الشائع والمصارف المفلسة والوقف والمدين المفلس كما سوف نبينه بالتفصيل :

الفرع الأول: الحراسة القضائية على الاموال المنقولة

من اجل وضع الاموال المنقولة تحت الحراسة القضائية ينبغي ان تتوفر فيه شروط ودوافع حتى يمكن لقاضي الامور المستعجلة من وضعه تحت الحراسة، ويقصد بالقضاء المستعجل قرار مؤقت تتخذه المحكمة طبقا للإجراءات التي يحددها القانون للحماية من خطر التأخير في حماية حق يرجح وجوده دون التعرض لأصل الحق (ادهم وهيب النداوي، ٢٠١٥، ص٣٢٧) . ويعرف المنقول بانه « المنقول كل شيء يمكن نقله وتحويله دون تلف فيشمل النقود والعروض والحيوانات والمكيلات والموزونات وغير ذلك من الاشياء المنقولة» (القانون المدني، المادة ٢/٦٢) . ويمكن ان تكون محلا للحراسة القضائية هذه الاموال المنقولة، سواء كان المال يعتبر منقولا بسبب اصله ام بسبب المال، وكذلك الحقوق المالية سواء كانت حقوقا شخصية او حقوقا عينية او معنوية، وتشمل ايضا حراسة الاشياء التي يرد بشأنها نزاع وبالتالي تمتد الحراسة الى ملحقات تلك الاشياء وتوابعها وهذا ما اكده القضاء العراقي بقوله «ان الحراسة تشمل المال الاصلي المتنازع عليه دون ضرورة النص على ذلك في حكم الحراسة وذلك لان شمولها في الحراسة مع الشيء المتنازع عليه تشمل توابعه وملحقاته وكذلك تشمل الحراسة العقار الذي يحتوي على ريع للورثة وحصل بينهم نزاع بشأن الغلة بعد ان توفي المورث فيمن للقاضي ان يحكم بالحراسة القضائية الى حين نهاية الدعوى» (رضا محمد عيسى، ٢٠١٣، ص٦٠-٦١) . وكذلك تشمل الحراسة القضائية الاشياء التي تتطلب عناية خاصة كالآلات الميكانيكية وهي الاشياء التي تسيرها قوة دافعة أيا كان مصدرها كالكهرباء والبخار والمياه الساقطة والمحروقات والطاقة الذرية واليد (عبد المجيد الحكيم واخرون، ٢٠١٨، ص٣٧٨) .من اجل تجنب ضررها او مخاطرها والتي اهتم المشرع بها نظرا لما شهده العالم من تطورات في مجال الصناعة، حيث ان تحريك الاله حيال عملها يعتبر ضمن حراستها لأنه يمكن توقع وقوع اضرار بيئية بفعل هذه الآلات الميكانيكية مما يؤدي الى التأثير على البيئة وبالتالي الى حدوث اضرار لها (صلاح فايز العدوان، ٢٠١٩، ص٢٦) .

الفرع الثاني: الحراسة القضائية على العقارات

عند العودة الى قانون المرافعات المدنية العراقي في المادة (١٤٧) حيث نصت على انه «١- يجوز لكل صاحب مصلحة في منقول او عقار اذا تجمع لديه من الاسباب المعقولة ما يغشى معه خطرا عاجلا من بقاء المال تحت يد حائزه ان يطلب من القضاء المستعجل وضع هذا المال تحت الحراسة وادارته ورده مع غلته المقبوضة الى من يثبت له الحق فيه» . ان سبب فرض الحراسة على العقار هو بسبب ان العقارات تكون اكثر الاموال عرضة للخطر وذلك بسبب كثرة اسباب التنازع عليه مما يستدعي في اغلب الاحيان الى اتخاذ التدابير الاحترازية ومن اجل حمايته من سوء التصرف من قبل المتنازعين بهدف تجنب الضرر الذي يهدد صاحب المصلحة، ويعرف النزاع بشان ملكية العقار بانه ادعاء احد المتنازعين بانه المالك الوحيد لهذا العقار ولذا فان وقع نزاع على الملكية بشان العقار وكان مستوفيا الحق في الحماية جاز للحائز ان يطلب وضعه تحت الحراسة القضائية بموجب القضاء المستعجل او من المحكمة المختصة بنظر النزاع ، ومن الخلافات بشان العقار هي الخلافات بشان العقار المرهون رهن رسمي والراجح قانونا هو يمكن فرض الحراسة على العقار المرهون رهنا رسميا، فاذا كان احد المستحقين مدنيا فتفرض الحراسة على حصته وحدها بشكل مؤقت الى نتيجة الحسم في موضوع النزاع من قبل المحكمة المختصة وفي هذا الحالة تكون الحراسة هي الوسيلة لمنع ضياع حقوق الدائنين، وقد يكون النزاع ليس بشان الملكية بل يرد بشان الحيازة فاذا قام

شخص يرهن عقار رهنا حيازيا ولم يقم بتسليمها الى الدائن المرتهن وتم رفع دعوى لمطالبته بالتسليم وخشي في الوقت النظر بالدعوى من خطر يلحق بالشيء المرهون كان له ان يضع هذه العين تحت الحراسة القضائية حتى يتم الفصل في موضوع الدعوى، كذلك يمكن للراسي عليه المزاد الحق في مطالبة اخذ الارض من المدين و وضعها تحت الحراسة القضائية حتى يتم الفصل في دعوى التسليم وفي حالة اخلال المدين بالالتزامات او رأى الدائن المرتهن ان المدين يتصرف بشكل يجعل من العقار في خطر فيمكن له ان يتجه الى قاضي الامور المستعجلة لوضع العقار المرهون تحت الحراسة القضائية من اجل المحافظة على حقه (حمزة سليمان، ٢٠٢٢، ص١٧-١٨) .

الفرع الثالث: الحراسة القضائية على التركة

يمكن فرض الحراسة القضائية التركة بين الورثة او النزاع بشأن وضع اليد على التركة جميعها أو بعضها اذا امتنع الورثة عن استلامها او قد يكون النزاع بشأن أي قانون يقتضي تصفيتها (سليمان حمزة،٢٠٢٢، ص١٩)، ولهذه الظروف صور عديدة تختلف باختلاف الحالات فقد يرد الخلاف على قيمة التركة حيث يدعي أحد الورثة بأنه يملكها ملكية خاصة او قد يكون المورث قد تصرف بالتركة اما عن طريق الهبة او الوصية واحيانا يكون ومن المعروف ان إجراءات التركة تتم بعد وفاة المورث ومنه تنتقل الأموال الى الورثة بما تتضمنه من حقوق والتزامات سواء تعلقت بنفس الورثة ام بدائني التركة وانه في الأصل ان يتم تسديد الديون المرتبطة بالتركة حتى يتم تقسيمها بين مستحقيها وكثيرا ما تظهر خلافات نتيجة هذه الفكرة بشأن الحصص او إدارة التركة وبناء عليه لا يجد صاحب الحق طريقا لحماية حقه خاصة في حالة عدم وجود الوصي او الولي لتسهيل أمور التركة سوى طلب الحراسة القضائية عليها وكذلك يمكن ان تقع هذه الخلافات من وقت وفاته اذا لم يتفق الورثة حول طريقة إدارة التركة واستغلالها الى حين توزيعها بين الورثة (سليمان حمزة،٢٠٢٢، ص١٩- ٢٠) .

وقد اتجه المشرع العراقي في المادة ١٤٧ من قانون المرافعات المدنية الى تنظيم الحراسة القضائية بالإضافة الى وجود نصوص خاصة أخرى متمثلة بالمادة ٢٧٩/ ٢/٣ من قانون المرافعات المدنية والتي تنظم وضع التركة تحت يد عدل أي حارس قضائي سواء كان عقار او منقول بالإضافة الى المادة ١٢٥٤/ من القانون المدني العراقي والتي تقتضي بتسليم العين المنتفع بها الى يد عدل وكذلك الأمر اذا كان المال رهنن فيتم إيداع المرهون بيد عدل استنادا الى المادة ١٣٢٣/ ٣ من القانون المدني العراقي ومن ضمن النصوص الخاصة التي وضعت في حالة معينة هي فرض نفقة بشكل مؤقت، وكذلك تعيين امين على المحضون المتنازع على حضانته في حالة وجود خطر عاجل وهو ما ورد في المادة ٣٠٢ من قانون المرافعات المدنية والذي تطبقه محاكم الأحوال الشخصية كذلك ويعد الأمين على الصغير المحضون بمثابة الحارس القضائي وقد جاء في قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدل من ضمن نصوصه التي تتعلق بالتركة بعد وفاة المورث ان يقضي ديونه وتخرج جميع ماله ويعتبر نص المادة ٨٧/ ٢ منه ويعد نص المادة ١/١٤٧ من قانون المرافعات المدنية هو نص عام وان الأمور التي تتطلب فرض الحراسة فهي اما ان يكون هناك خلاف بشأن انصبة الورثة على إدارة التركة او وفاء ما على التركة من ديون او وفاء الديون التي تترتب على الورثة وكثيرا ما يحدث الخلاف بشأن انصبة الورثة (حسنين نوري صكر القيسي، ٢٠١٨، ص٧١-٧٢) .

الفرع الرابع: الحراسة القضائية على المال الشائع

نظم المشرع العراقي النصوص الخاصة بإدارة الأموال الشائعة في المواد ١٠٦٤ – ١٠٦٩ من القانون المدني، حيث يعتبر الشيوع أحد اشكال الملكية حيث يكون الشيء مملوكا لعدة اشخاص دون ان تتركز حصة كل منهم في جانب معين بالذات وانما يتم تحديده بشكل رمزي او حسابي في الحق نفسه وحيث انه في الأساس ان تكون إدارة المال الشائع بواسطة الشركاء جميعهم وإذا كان ليس سهلا في اغلب الأحوال وان الاكتفاء بهذا الشرط يؤدي الى تعطيل إدارة المال وحدوث الخلاف بين الشركاء. وقد اخذ المشرع العراقي برأي اغلبية الشركاء بشأن تقرير إدارة

المال الشائع والمحافظة عليه وكذلك ان المنطق يقتضي الاخذ برأي الأغلبية استنادا الى حصة كل شريك بل وانه اذا قام احد الشركاء بإدارة المال الشائع دون ان يعارضه البقية فانه يعتبر وكيلا عنهم وذلك بموجب نص المادة ١٠٦٤ وكذلك المادة ١٠٦٥ من القانون المدني العراقي. وفي حال اختلاف الشركاء بشأن اختيار من يتولى إدارة المال الشائع ولم يتفقوا على الإدارة وكذلك لم يكن هناك اغلبية تتفق على اختيار من يدير المال التي تطلبها القانون او في حالة ان يقوم احد الشركاء بإدارة المال ويعارضه بقية الشركاء ففي هذه الحالة يتطلب الامر تعيين شخص يتولى إدارة المال الشائع وبالرجوع الى القوانين التي تتعلق بإدارة المال الشائع في التشريع العراقي نلاحظ انها اجازت الى الشركاء ان يختاروا شخصا من اجل ان يتولى إدارة المال الشائع او ان يقوموا بوضع نظام يتم بواسطته إدارة المال الشائع وبالعودة الى النصوص القانونية التي تتعلق بالأموال الشائعة نجد ان انها اجازت الى الشركاء ان يختاروا شخصا لكي يتولى إدارة المال الشائع او وضع نظام يتم من خلاله إدارة المال الشائع وتشمل منفعته جميع الشركاء وخلفهم سواء العام او الخاص وكذلك أجاز ان يقوم احدهم بالتقدم بطلب الى المحكمة لاتخاذ الإجراءات التي من شأنها الحفاظ على المال العام. وقد اعطى المشرع العراقي لأغلبية الشركاء الحق في اختيار مدير وان يتم تحديد السلطة في الإدارة وان إجراءات تعيين حارس على المال الشائع بشكل دائم ويكون طلب تعيينه بدعوى عادية امام محكمة الموضوع وبنفس الإجراءات المعتادة وعلى الرغم من التنظيم الذي وضعه المشرع في إدارة المال الشائع فانه في بعض الحالات يجب فرض الحراسة القضائية مثال ذلك اختلاف الشركاء بشأن طريقة استغلال المال او اختلافهم في اختيار المدير الذي يتولى إدارة المال وغيره من الحالات التي يخشى على المال الشائع من خطر عاجل يهدد وجوده (حسنين نوري صكر القيسي، ٢٠١٨، ص ٧٥، ٧٦، ٧٧) .

فاذا حدث خلاف بين الشركاء بشأن إدارة المال الشائع ولم يتفقوا على تعيين مدير يتولى إدارة المال وكان هناك خطر يخشى معه على المال الشائع إذا تركوه بدون مدير الى ان يتمكنوا من اصدار حكم موضوعي من القضاء بشأن تعيين مدير فيمكن اثناء النظر في الدعوى الموضوعية الخاصة بتعيين مدير يتولى إدارة المال الشائع او قبل ان يتم رفعها ويمكن لأي شريك التوجه الى القضاء او الى المحكمة التي تنظر الدعوى الخاصة بتعيين مدير على المال الشائع او قبل ان يتم رفعها ويمكن لأي احد من الشركاء ان يلجأ الى القضاء او المحكمة التي تتولى النظر في الدعوى الخاصة بتعيين مدير على المال الشائع ليقوم بإدارته بشكل مؤقت. ونرى ان الحراسة القضائية تكون واجبة حتى لو كان هناك مديرا على المال الشائع وذلك في حالة اساءته للحراسة ورأى اغلبية الشركاء ضرورة عزله، او في حالة عدم توصل الأغلبية الى قرار لعزله وأقام احد الشركاء في المال الشائع بإقامة دعوى امام القضاء مطالبا بعزله لأي سبب يقتضي عزله سواء بسبب سوء ادارته او بسبب خيانته او إجحافه لحقوق الآخرين وفي هذه الحالة نرى ان المال الشائع يبقى في حالة من الخطر ويقتضي ضرورة الحراسة ومن ثم فإن من حق الشريك ان يقدم طلب الى قاضي الأمور المستعجلة في تعيين حارس قضائي من اجل ان يحافظ على المال الشائع ويديره (حسنين نوري صكر القيسي، ٢٠١٨، ص ٧٧) .واتجه اغلب الفقهاء الى القول بوجوب اتباع القواعد العامة في الحراسة من اجل الحكم في فرضها على المال الشائع حتى ولو رفعت القضية من قبل اصحاب الحصص الاقل وذلك بموجب العمل بقاعدة ربط العمل بعلته من ناحية توفر شروط الخطر والعجلة وعدم التعرض لأصل الحق بفرض الحراسة القضائية على المال الشائع من المحكمة المختصة (حذاق السامعي، ٢٠١٩، ص٣-٤) .

الفرع الخامس: الحراسة القضائية على المصارف المفلسة

ان الحراسة القضائية على اموال المصارف التي يشهر افلاسها والمحافظة عليها امرا ضروريا كونه اجراء يهدف بالدرجة الاساسية الى المحافظة على تلك الاموال خشية اتلافها او تهريبها والتي تشكل ضمانة لحقوق دائني المصرف، لذلك يعهد بتلك الادارة الى شخص يعين من قبل المحكمة المختصة وفق الية تنطوي على قدر من الاطمئنان والثقة والحرص في اختياره للقيام بتلك المهمة، فعندما تصدر المحكمة حكما بإشهار افلاس المصرف

يتطلب الامر ادارة اموال المصرف والمحافظة عليها واعداد جرد بشأنها وتحديد حقوق المصرف والتزاماته تمهيدا لتوزيع تلك الاموال على الدائنين بحسب ترتيبهم، لذا فان الحراسة القضائية على المصارف المفلسة يتخذ شكل حجز شامل على اموال المصرف الذي يشهر افلاسه بحكم صادر من المحكمة المختصة بواسطة شخص يعين لهذه المهمة ويكون الغرض منه ادارة اموال المصرف والمحافظة عليها وجردها لحين الانتهاء من تنفيذ التصفية، اما عن الالية المتبعة لتعين الحارس القضائي فيكون بقيام محكمة الخدمات المالية باختيار شخص ضمن قائمة من المرشحين يقدمها البنك المركزي العراقي ويشترط القانون فيمن يتولى هذه المهمة ان يكون شخصا صالحا ولائقا(قانون المصارف العراقي، المادة ٨٠، ٢٠٠٤) .

ويرى الباحث ان المشرع العراقي عالج موضوع الحراسة القضائية على المصارف التي يشهر افلاسها معالجة تفصيلية نظرا الى الاعمال التي يقوم بها الحارس القضائي من استحصال الاموال وجردها وضمان توزيعها بشكل عادل ومنصف على الدائنين للمصرف وتامين المحافظة على الاموال المصرفية بشكل افضل، وسن لهذا الغرض قانون المصارف العراقي رقم ٩٤ لسنة ٢٠٠٤ .

الفرع السادس: الحراسة القضائية على الوقف والمدين المفلس

عرف الفقه الجعفري الوقف بانه « تحبيس الاصل و تسبيل المنفعة فيه اذا تم الوقف بالشروط الشرعية خرج المال الموقوف عن ملك الواقف واصبح لا يحق للواقف التصرف فيه الا في الحالات التي يجوز فيها بيع الوقف وهي: ١– اذا خرب بحيث لا يمكن الانتفاع به . ٢– اذا اصبح منفعة يسيرة اشبه ما تكون معدومة. (علي السيستاني، ٢٠٠٣، ص٤٥٥) .ولم يتطرق القانون المدني العراقي الى تعريف الوقف بشكل مباشر، الا انه اعتبر الوقف من الحقوق العينية الاصلية ومن النظام العام، وترك تعريفه واحكامه للأحكام الشرعية والقوانين الخاصة بالوقف، فقد المشرع الوقف في مرسوم جواز تصفية الوقف الذري رقم ١ لسنة ١٩٥٥ في المادة الاولى منه الوقف تبعا لأنواعه، حيث عرف الوقف الذري على انه « ما اوقفه الواقف على نفسه او ذريته او عليهما مما اوصى شخص معين او ذريته او عليهما معا» . وعرف الوقف الخيري هو «ما اوقف على جهة خيرية حين انشائه او أل اليه نهائيا» . اما الوقف المشترك هو «ما اوقفه الواقف على جهة خير وعلى الافراد الذري ونسبة الاشتراك فيها اما ان تكون معينة او تكون غير معينة كالأوقاف الموقوفة على جهة خير مشروط فيها صرف الفضلة من غلتها على الافراد الذري او العكس ولا تتم الخصومة قانونا الا بحضور مدير الاوقاف او من يمثله وهذا ما نص عليه مرسوم ادارة الاوقاف رقم٢٧ لسنة ١٩٥٥ الملغي في المادة الاولى منه .

ان وضع اعيان الوقف تحت الحراسة يستلزم قيام نزاع جدي يتعلق بولاية الناظر غير الامين، او تنصيب ناظر وقف شاغر مع وجود خطر عاجل يتهدد حقوق المستحقين في الوقف، على انه لا يكفي ان يكون سببا للحراسة مجرد اقامة دعوى لمحاسبة الناظر امام المحاكم المدنية، ان يكون النزاع له اسبابه الشرعية والقانونية، على انه يمكن تحديد انعزال المتولي او برجوع الواقف عن وقفه في الوقف الذري او الوقف المشترك لدى محكمة البداءة، او برجوع الواقف عن الوقف المضاف الى ما بعد الموت سواء كان وقفا ذريا ام خيريا، شانه شان الوصية، ولا يحق للواقف الرجوع عن وقفه الخيري المنجز غير المضاف الى ما بعد الموت بعد اصدار الحجة الشرعية لوقفيته وتسلمه بوصفه متوليا عليه كما يمكن ان يكون الانعزال بعد اتمام تصفية الوقف الذري او المشترك بعدما تقوم المحكمة بإصدار حكم التصفية، وذلك بعد الاخذ بنظر الاعتبار ما جاء بنظام المتولين رقم ٤٦ لسنة ١٩٧٠ العراقي (حسنين نوري صكر القيسي، ٢٠١٨، ص٨٧) .

كذلك يجوز فرض الحراسة على اموال المدين المفلس وان مصطلح الحارس القضائي يستعمل في القضايا المدنية المتعلقة بالحجر على المدين المفلس والتي خصص لها القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل المواد من (٢٧٠–٢٧٩) حيث تناولت هذه المواد بيان الاحكام المتعلقة بهذا الاجراء، فعندما تصدر محكمة البداءة قرارها بحجز اموال المدين المحجوز يتم تعين من يشرف على ادارتها واستغلالها لحين تصفيتها لحساب الدائنين وهذا الشخص هو الحارس القضائي والذي يمكن ان يكون المدين نفسه الا اذا اقتضت الضرورة تعيين حارسا (عبد

المجيد الحكيم واخرون ، ٢٠١٨، ص١٣٢) .

ويرى الباحث ان المشرع كان موفقا عندما نص على احكام تعالج وضع المدين المفلس حفاظا على حقوق الدائنين من تصرف المدين بها بسوء نية وقصد او تهريبها .

الخاتمة:

من خلال البحث المتقدم توصلنا الى جملة من النتائج والتوصيات وكما يأتي:

أولاً: النتائج:

توصلنا الى النتائج التالية:

١- عرفنا مفهوم الحراسة القضائية من حيث انها اجراء تحفظي وقتي يأمر به القاضي الامور المستعجلة بناء على طلب ذوي الشأن لحفظ المال موضوع النزاع، ولا يمس بأصل الحق، تحت يد حارس امين يتولى حفظه وادارته ورده مع غلته عند انتهاء الحراسة من قبل القضاء .

٢- عرفنا اركان الحراسة القضائية وحسب ما نصت عليه المادة (١٤٧) من قانون المرافعات المدنية العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل وتتمثل في اركان ثلاثة هي (ان كون هناك نزاع جدي على عقار ومنقول، وان يمون هناك خطر، وان يكون لرافع الدعوى مصلحة) .

٣- عرفنا ايضا الطبيعة القانونية للحراسة القضائية على الرغم من قانون المرافعات المدنية العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل لم يبين هذه الطبيعة، مما ادى الى اختلاف اراء الفقهاء بهذا الصدد، فمنهم من قال بان الحراسة القضائية من قبيل العقود فأصبغ صفة العقد على الحراسة في عقد وديعة باجر او وكالة، وهذا القول لا يمكن قبوله لان العقد اساسه الاتفاق، في حين ان الحراسة القضائية اساسها نص في القانون وامر من القضاء . وبعضهم قال ان الحراسة القضائية شبه عقد، وهذا القول ايضا لا يمكن قبوله مطلقا لان شبه العقد عمل مادي وليس عمل قانوني، والعمل المادي لا يأمر به القضاء، في حين ان الحراسة يأمر بها القاضي بناء على طلب ذوي الشأن بعد تحقق اركانها . وهناك اتجاه ثالث قال ان الحراسة القضائية هي نيابة قانونية وقضائية، فهي نيابة قانونية لان القانون هو الذي نص عليها ويحدد اركانها واثارها، وهي نيابة قضائية لان القضاء هو الذي يأمر بها كأجراء وقتي تحفظي، وهذا القول هو افضل من الآراء السابقة واقرب الى الصحة .

٤- عرفنا ايضا المسؤولية المدنية للحارس القضائية حيث يمكن مسائلته مدنيا عن اخطاءه والزامه بتعويض الضرر الذي يحدثه بفعله، واختلف الفقه في اساس هذه المسؤولية بين من قال بان مسؤولية الحارس مسؤولية عقدية ناتجة عن الاخلال بالتزام تعاقدي، ومنهم من قال بان مسؤوليته تقصيرية ناتجة عن الاخلال بالتزام قانوني، ولكن حسب الرأي الغالب في الفقه يرى بأن مسؤولية الحارس القضائي هي مسؤولية عقدية وبالتالي فهو يفرق بين الخطأ الجسيم والخطأ اليسير استنادا الى ما اذا كان الحارس القضائي متبرعا ام مأجورا ويمكن القول بأن مسؤولية الحارس القضائي هي مسؤولية عقدية وذلك ان الحراسة القضائية حتى وان كانت لا تعتبر عقد كالوكالة حتى بالمقارنة بينهما ولكن تعتبر نيابة قانونية .

٥- عرفنا ايضا الى اهم التطبيقات العملية للحراسة القضائية في القانون العراقي، حيث يمكن فرض الحراسة القضائية على الاموال المنقولة والاموال العقارية و على التركة وكذلك على المال الشائع والمصارف المفلسة والوقف والمدين المفلس .

ثانياً: التوصيات

١- نوصي المشرع العراقي بمراجعة النصوص القانونية المتعلقة بالحراسة القضائية والتوسع في احكامها واثارها وتوضيحها بشكل دقيق لتجنب اي غموض او لبس في التطبيق .

٢- نوصي المشرع العراقي بتوضيح محددات للتطبيقات العملية للحراسة القضائية وتوحيد احكامها ضمن نصوص قانون واحد تجنبا لبعثرة تلك الاحكام بين نصوص متعددة ضمن قوانين مختلفة .

٣- نوصي المشرع العراقي بشمول حالات اخرى لتطبيق الحراسة القضائية عليها كتصفية الشركات والجمعيات

والمؤسسات الخيرية .

المصادر:

أولاً: الكتب:

١- ابن منظور، ١٩٩٦، لسان العرب، دار صادر، بيروت .
٢- الحكيم، عبد المجيد واخرون، ٢٠١٨، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي، مصادر الالتزام، العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ج١، المكتبة القانونية
٣- العجيلي، لفتة هامل، ٢٠٢٠، شرح قانون المرافعات المدنية في ضوء اراء الفقه والاحكام القضائية، كتاب، مكتبة السنهوري .
٤- عيسى، رضا محمد، ٢٠١٣، الحراسة القضائية على الاموال دراسة مقارنة، جامعة الملك سعود، كتاب، مكتبة القانون والاقتصاد، ط١، الرياض .
٥- السنهوري، عبد الرزاق احمد، ٢٠٠٤، الوسيط في شرح القانون المدني، ج٧، المجلد الاول، العقود الواردة على العمل، معارف الاسكندرية .
٦- السيستاني، علي الحسيني، ٢٠٠٣، المسائل المنتخبة، العبادات والمعاملات، مطبعة دار الهدى، بيروت، لبنان، ط١٠، المسألة ١٢٤٧ .
٧- الشواربي، عبد الحميد، ٢٠٠٤، الحراسة القضائية في القضاء والفقه، مطبعة نشأة المعارف، الاسكندرية، مصر .
٧- فراج، عبد الحكيم عبد الحميد، ١٩٥٢، الحراسة القضائية في التشريع المصري، ط٢، دار النشر للجامعات المصرية .
٨- الكرعاوي، عبد القادر، ٢٠٠٥، مصادر الالتزام المسؤولية المدنية، الكتاب الثاني، ط٢، مطبعة الرباط، الكرامة .
٩- النداوي، ادهم وهيب، ٢٠١٥، المرافعات المدنية، كتاب،ط١، مكتبة السنهوري، بغداد .

ثانيا: الرسائل والاطاريح

١- العدوان، صلاح فايز، ٢٠١٩، المسؤولية المدنية عن الآلات والاشياء الخطرة، رسالة قدمت استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في القانون الخاص، جامعة الشرق الاوسط .
٢- سلمان، حمزة، ٢٠٢٢، الحراسة القضائية الواردة على العقار، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر تخصص قانون عقاري، جامعة التبسي، الجزائر، تبسة .
٣- القيسي، حسنين نوري صكر، ٢٠١٨، الحراسة القضائية في القانون العراقي والاردني، رسالة قدمت استكمالا لمتطلبات نيل درجة الماجستير في القانون الخاص، الاردن، كلية الحقوق، جامعة الشرق الاوسط.
٤- المرزوقي، محمد، ١٤١٣، مسؤولية المرء عن الضرر الناتج عن تقصير، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، ج١.

ثالثا: البحوث العلمية

١- السامعي، حذاق، ٢٠١٩، حماية المال الشائع عن طريق الحراسة القضائية، بحث، جامعة العربي بن مهدي، ام البواقي، الجزائر، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد ١٠، العدد ١.
٢- فائق، ليلان رشيد ، بلا سنة نشر، المسؤولية المدنية في القانون، بحث مقدم من قبل عضوة الادعاء العام كجزء من متطلبات الترقية من الصنف الثالث الى الصنف الثاني من اصناف الادعاء العام، حكومة اقليم كردستان، وزارة العدل، اربيل .
٢-النوايسة، باسم، ٢٠١٣، المسؤولية المدنية للحارس القضائي، دراسة مقارنة بين القانونين الاردني والمصري، بحث، المجلة الاردنية في القانون والعلوم السياسية، المجلدة، العدل، ص٢٨ .

رابعا القوانين

١- قانون (مرسوم) ادارة الاوقاف رقم (٢٧) لسنة ١٩٥٥ الملغي
٢- قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ .
٣- قانون مدني رقم (٤٨) لسنة ١٩٥١ .
٤- قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ .
٥- قانون المصارف العراقي رقم (٩٤) لسنة ٢٠٠٤
٦- قانون المدني الاردني رقم (٤٣) لسنة ١٩٧٦ .
٧- قانون المدني السوري رقم (٨٤) لسنة ١٩٤٩ .
٨- قانون المدني المصري رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨



أهمية تأليف كتاب القوانين لافلاطون
دراسة تحليلية

م.م. مصطفى محمد عبد الرزاق
جامعة الكوفة / رئاسة الجامعة

المستخلص:
يمثل كتاب (القوانين) لأفلاطون تحولًا هامًا من جمهوريته المثالية نحو نموذج دولة أكثر واقعية وعملية. تنبع أهميته من كونه محاولة لتطبيق الفلسفة على أرض الواقع، وتقديم إطار قانوني وسياسي لمجتمع يسعى للعدالة والاستقرار في غياب الحاكم الفيلسوف المثالي.
لقد عالج أفلاطون في (القوانين) عدة مشاكل رئيسية واجهت المدن اليونانية. أولًا، قدم حكم القانون كبديل لحكم الفلاسفة، مؤكدًا على سيادة القانون المستند إلى العقل والحكمة الجماعية. ثانيًا، سعى لتحقيق الوحدة والاستقرار الاجتماعي من خلال تنظيم دقيق للحياة الاجتماعية والاقتصادية لمنع التفاوتات والانقسامات. ثالثًا، أكد على أهمية التربية الأخلاقية الشاملة لتكوين مواطنين فضلاء ومطيعين للقانون. رابعًا، تناول التأثيرات الخارجية والفساد، محذرًا من الانفتاح غير المنظم وداعيًا إلى وضع ضوابط لحماية المجتمع. خامسًا، أولى اهتمامًا بالعلاقة بين الدين والدولة، مقترحًا نظامًا دينيًا رسميًا لتعزيز القيم المشتركة والتماسك الاجتماعي.
يُظهر (القوانين) نضوجًا في فكر أفلاطون السياسي، حيث يقر بالقيود التي تفرضها الطبيعة البشرية والظروف الواقعية. يقدم هذا العمل رؤية متكاملة لكيفية بناء مجتمع صالح ومستدام من خلال التشريع الحكيم والتربية السليمة، مما يجعله مرجعًا هامًا في تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي، ولا تزال أفكاره ذات صلة بفهم التحديات المعاصرة.
الكلمات المفتاحية :القوانين , النظام السياسي , المشكلة السياسية , التعايش

Abstract:
Plato›s book (Laws) represents a significant shift from his ideal» Republic towards a more realistic and practical model of a state. Its importance stems from being an attempt to apply philosophy to the reality on the ground, and to provide a legal and political framework for a society striving for justice and stability in the ab–sence of the ideal philosopher–ruler.
In (Laws), Plato addressed several key problems that faced the Greek city–states. Firstly, he presented the rule of law as an alter–native to the rule of philosophers, emphasizing the sovereignty of law based on reason and collective wisdom. Secondly, he sought to achieve social unity and stability through a precise organization of social and economic life to prevent disparities and divisions. Thirdly, he emphasized the importance of comprehensive moral education to cultivate virtuous and law–abiding citizens. Fourthly, he addressed external influences and corruption, warning against unregulated openness and calling for the establishment of controls to protect society. Fifthly, he paid attention to the relationship be–tween religion and the state, proposing an official religious system to promote shared values and social cohesion.
Laws) demonstrates a maturity in Plato›s political thought, as he) acknowledges the limitations imposed by human nature and real–

world circumstances. This work offers an integrated vision of how to build a righteous and sustainable society through wise legislation and sound education, making it an important reference in the history of political and social thought, and its ideas remain relevant to understanding contemporary challenges.»

المقدمة :

يُعد كتاب (القوانين) لأفلاطون، الذي كُتب في شيخوخته، عملًا محوريًا يمثل تحولًا هامًا في تفكيره السياسي والاجتماعي مقارنة بجمهوريته المثالية. فبينما رسم أفلاطون في (الجمهورية) صورة لدولة مثالية يحكمها الفلاسفة الملوك، يقدم (القوانين) نموذجًا أكثر واقعية وعملية للدولة، يأخذ في الاعتبار القيود والتعقيدات التي تفرضها الطبيعة البشرية والظروف الواقعية. تكمن أهمية هذا العمل في كونه محاولة جادة لتطبيق المبادئ الفلسفية على أرض الواقع، وتقديم إطار قانوني وسياسي لمجتمع يسعى نحو العدالة والاستقرار والفضيلة، حتى في غياب الحاكم الفيلسوف المثالي.

لقد نشأ كتاب (القوانين) من رحم إدراك أفلاطون للتحديات العميقة التي تواجه المدن اليونانية في عصره. فقد شهد أفلاطون تقلبات سياسية وصراعات داخلية وحروبًا مدمرة، مما دفعه إلى التفكير مليًا في أسباب هذه الاضطرابات وكيفية بناء مجتمع أكثر صلابة واستدامة. يمكن تحديد أهم المشاكل التي سعى أفلاطون لمعالجتها في (القوانين) على النحو التالي:

أولا: مشكلة الحكم الرشيد في ظل غياب الحكمة المطلقة: بعد أن أدرك أفلاطون صعوبة تحقيق حكم الفلاسفة الملوك في الواقع العملي، اتجه إلى البحث عن بديل يضمن حكمًا عادلًا ومستقرًا. يرى أن الحل يكمن في حكم القانون، حيث يصبح القانون هو السيد والحاكم الأعلى، ويخضع له الجميع، بمن فيهم الحكام. هذا التحول يعكس إيمانًا بأن القانون، المستند إلى العقل والحكمة الجماعية، يمكن أن يوفر إطارًا موضوعيًا وعادلًا لتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية.

ثانيًا: مشكلة تحقيق الوحدة والاستقرار الاجتماعي: كانت المدن اليونانية تعاني من الانقسامات الداخلية والصراعات الطبقية. سعى أفلاطون في (القوانين) إلى بناء مجتمع متماسك ومتكامل، يقوم على التوازن والانسجام بين مختلف فئاته. يقترح تنظيمًا دقيقًا للحياة الاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك توزيع الأراضي، وتحديد المهن، وتنظيم العلاقات بين المواطنين، بهدف منع نشوء التفاوتات الشديدة التي تؤدي إلى عدم الاستقرار.

ثالثًا: مشكلة التربية الأخلاقية وتكوين المواطن الفاضل: يؤكد أفلاطون في (القوانين) على الدور الحاسم للتربية في بناء مجتمع صالح. يرى أن القوانين وحدها لا تكفي لضمان السلوك الأخلاقي للمواطنين، بل يجب أن يصاحبها نظام تربوي شامل يغرس في النشء الفضائل والقيم الحميدة منذ الصغر. يولي اهتمامًا خاصًا بتنظيم التعليم والفنون والاحتفالات الدينية، بهدف تشكيل شخصية المواطن بحيث يكون مطيعًا للقانون ومساهمًا فعالًا في رفاهية المجتمع.

رابعًا: مشكلة التعامل مع التأثيرات الخارجية والفساد: يدرك أفلاطون أن الدول ليست كيانات معزولة، بل تتأثر بالعوامل الخارجية والتعاملات مع الدول الأخرى. يحذر في (القوانين) من مخاطر الانفتاح المفرط على الثقافات الأجنبية والتجارة الخارجية غير المنظمة، لما قد تجلبه من عادات غريبة وقيم متضاربة قد تهدد استقرار المجتمع وهويته. يسعى إلى وضع ضوابط وقوانين تنظم هذه التعاملات بما يحافظ على سلامة المجتمع وقيمه الأساسية.

خامسًا: مشكلة العلاقة بين الدين والدولة: يولي أفلاطون في (القوانين) أهمية كبيرة للدين ودوره في تعزيز النظام الاجتماعي والأخلاقي. يقترح نظامًا دينيًا رسميًا للدولة، مع التأكيد على ضرورة احترام الآلهة والالتزام بالشعائر

الدينية. يرى أن الدين يمكن أن يكون قوة موحدة للمجتمع ومصدرًا للقيم المشتركة التي تعزز الطاعة للقانون وتحافظ على التماسك الاجتماعي.

المبحث الأول: أهمية تاليف كتاب القوانين

أولاً : اساس وغاية النظام السياسي

ثانياً: أهمية كتاب القوانين من خلال دعمه للدستور

المبحث الأول :اهمية تاليف كتاب القوانين

أولاً: اساس وغاية النظام السياسي:

كان اليونانيون يرون ان الاخلاق والسياسة مرتبطان ارتباطا وثيقا فما دام الفرد يحيا في مدينة بوليس فان سلوكه الاخلاقي يجب ان يتفق ويتمشى مع مطالب الجماعة وحياتها وقد عانت المدن اليونانية من سوء الحكم وفساد النظم سواء كانت ديمقراطية او استبدادية وقد شهد افلاطون فساد النظام السياسي في مدينته وكان يطمع في اصلاح هذا الفساد ولكن اعدام استاذه سقراط في ظل حكومة ديمقراطية في اثينا بل وبتحريض من قادتها دفع به الى الشعور باليأس من اصلاح النظام السياسي بالطريقة التقليدية اي عن طريق تعديل الدستور او ابدال اشخاص باخرين فاتجه تفكيره الى ضرورة اجراء تغيير اساسي في نظام الحكم على اساس من التربية الاخلاقية فيكون هدف الدولة تربية المواطنين لتحقيق الخير لهم كافراد وللجماعة التي يعيشون فيها ويفسر افلاطون خير الجماعة والافراد بانه تحقيق التوازن بين المطالب الروحية والمطالب المادية لهم جميعا وهذا هو معنى العدالة فلا يسمح لفرد او لطبقة خاصة بالتحكم في الدولة واقامتها على اساس شهوة السلطان وارادة الطغيان .

يلاحظ افلاطون حينما يشير الى حفظ التناسب مطالب الجسد انما يقيم مذهبه السياسي في الجمهورية على اساس ميتافيزيقي سبق ان اشار اليه في محاوراته السابقه واعني به ثنائية النفس والجسد فالجسد يعتبر وسيلة ونقطة ارتكاز للنفس في العالم المحسوس لا تلبث ان تنطلق منها في رحلتها الصاعدة واسطورة الكهف رمز الى هذا المعنى, واما النفس فتعتبر غاية بحيث يكون خلاصها من الجسد هو الجهد الرئيسي الذي يبذله الانسان خلال حياته الارضية في العالم المحسوس ويشير افلاطون في الكتاب العاشر من الجمهورية الى هذا المعنى في اسطورة النفس .

ثانياً: أهمية كتاب القوانين من خلال دعمه للدستور

الواجب ان يكون للدولة دستور وهذه الفكرة اصل كتاب القوانين هو اخر واوسع ماكتب افلاطون موضوعه التشريع لتحقيق المثل الاعلى للمدينة كما رسمته الجمهورية لكن مع مراعاة طاقة الانسان ومقتضيات الحياة وهو ينقسم بالاجمال ثلاثة اقسام المقالات مقدمة عامة في ان التشريع يجب ان يقوم على الفضيلة والعدالة, والمقالات في نظام الدولة السياسي وقوانينها, والمقالات في الجزاءات من ثواب وعقاب, ففي المقالة الاولى ينعى افلاطون على المشرعين والسياسيين رايهم ان الدولة حربية قبل كل شئ وان النصر المبين قهر العدو الخارجي ويذهب الى انه التغلب على العناصر الرديئة في النفس, وفي المدينة تمدها حتى تنصلح فخير الحالات السلم لا الحرب هو الغاية التي يجب على المشرع ان يتوخاها في وضع دستوره والشجاعة الحربية ادنى نوع الشجاعة, والنوع الارفع والاشق مغالبة اللذة وقمع الشهوة فالشجاعة الحربية في المحل الرابع بعد الحكمة والعفة والشجاعة الادبية, ناخذ من المقالة الثالثة ان خير الحكومات الارستقراطية المقيدة بهيئات نيابية تكفل التوازن بين السلطات المختلفة وهي وسط بين الطغيان والديمقراطية, الطغيان يسرف في حب السلطة والديمقراطية تغلو في حب الحرية فكلاهما ردئ في ذاته ولكن المزج بينهما بالقدر الملائم ينتج النظام الامثل في هذه الحياة الدنيا, ولايذكر افلاطون الطبقات الثلاث المقابلة للقوى النفسية ويصطنع قسمة اخرى ثلاثية, كذلك فيضع المواطنين وعبيدهم من ناحية والصناع والغرباء من ناحية اخرى وجيشا من ناحية ثالثة ويعدل عن الشيوعية ولو انه مايزال يرى فيها دواء الأثرة الا انه قد ايقن ان البشر يولدون وينشأون كما نرى اليوم لاقبل لهم بها وانها انما تصلح لموجودات اسمى من البشر فهو

يقول بالملكية ولكنة يحض المالك على ان يعتبر ملكه خاصة بالمدينة كما هو خاص به وهو يقول بالاسرة ويشيد بكرامة الزواج ولكنه يبقى على رايه في تحديد النسل لانه يستبقي مدينته صغيرة ويحدد عدد الاسر بخمسة الالف واربعين لان هذا العدد ينقسم بالتمام على الاعداد الاثني عشر الاولى ماخلا احد عشر ويخص كل اسرة بحصة من الارض لاتباع ولاتجزأ بل يورثها الاب لمن يختار من ابنائه الذكور ويعتبر في تقدير الحصة نوع التربة بحيث لايغبن احد, والحصة قسمان الواحد قريب من المدينة والاخر بعيد, ويغلب ان يكون القصد حمل المواطنين على محبة المدينة كلها والدفاع عن القلب والاطراف على السواء وتكتفي الاسرة بغلاتها فلا تقتني ذهبا ولافضة وتحظر الحكومة تداول النقد الابمقدار مايلزم لشراء الضروريات وصرف اجور العمال فلاتزيد ثروة وهذا خير للدولة لان فلاحها يقوم بالفضيلة وحدها, اما عدم تساوي الاسر في الثروة فسبب للحسد والشقاق والسلطات ١-حراس الدستور وعددهم ثلاثة يحافظون عليه ويحولون دون تعديله.

٢- القواد وعددهم ثلاثة يعينون الضباط لمختلف فرق الجيش.

٣- مجلس الشيوخ واعضاؤه يحكمون بالاتفاق مع حراس الدستور يتداولون السلطة كل ثلاثين منهم شهرا , وفي باقي السنة يعنون بشؤونهم الخاصة.

٤- الكهنة والكاهنات في عددهم يكفي لاقامة الطقوس والعناية بالهياكل.

٥- الشرطة

٦- وزير التربية ينتخبه الشيوخ لخمس سنين.

٧- المحاكم وهي ثلاث واحدة لفض الخلافات الشخصية وتؤلف من الجيران المتخاصمين, واخرى تستانف اليها الخصومات التي تعجز المحكمة الاولى عن فضها, والثالثة للحكم في الجنح والجنايات, وافلاطون يريد التربية فاضلة بالطبع ولكنه يلطف من صرامته بازاء التراجيديا والكوميديا فيسمح بها على شرط ان تعرض القصص على قلم مراقبة والايتعاطى مهنة التمثيل المرذولة سوى العبيد والاجانب وهو يعان هنا ان الرق ضرورة يقبلها على كره وان السبب في انحطاط الرقيق ليس الطبيعة بل سوء المعاملة(١).

المبحث الثاني : الغرض من تأليف كتاب القوانين

أولاً: دولة القوانين عند افلاطون

ثانياً: أهم آراء افلاطون:

المبحث الثاني : الغرض من تأليف كتاب القوانين

أولاً: دولة القوانين عند افلاطون

تختلف دولة القوانين عن دولة الجمهورية في كثير من الاوضاع, فالروح العامة في القوانين روح دينية مسالمة واقعية, ويظهر هذا واضحا اولا في اختيار المكان الذي ستنشأ فيه الدولة, فهو يقول ان الواجب اختيار المكان بعد استشارة الالهة وتظهر هذه الروح ايضا في العقاب في الدولة الجديدة فالجريمة هي تلك التي تكون ضد الدين والعقوبة الكبرى هي العقوبة على هذه الجريمة ويجب ان يكون كل شي مرتبا على هذا الاساس فيلكن الدين للناس ويكون الروح السائدة في منشات الدولة .

ومن الناحية الاقتصادية تلاحظ ان الملكية ان تستبدل بها الشيوعية بل سيحافظ على الملكية اللى حد ما, فليس ثمة ملكية مطلقة وانما يجب ان توزع الثروة العامة على جميع الافراد على السواء .

ومن الناحية الاجتماعية نجد ان الزواج لم يعد زواج الشيوعية وانما اصبح زواجا حقيقيا بمعنى الزواج الاحادي لكن يجب ان يقيد هذا الزواج تقييدا تاما بمعنى الا تتم مراسيم الزواج الاباستشارة من الدولة, اما الاولاد فهم لايزالون اولاد الدولة وهم ملك للدولة من البداية, فعليها ان تعنى بتربيتهم وهنا تختلف التربية في القوانين عنها في الجمهورية بعض الاختلافات فقد كانت التربية في الجمهورية مقسمة بحسب من يتلقون التربية من الطبقة التي

ينتسبون اليها اما هنا فالتعليم عام .

ومن الناحية السياسية وجدنا انه بدلا من هذه الطبقة الاريستقراطية الاولى طبقة الحكام من الفلاسفة, نجد افلاطون يضع على راس الدولة الجديدة مشرعين والمشرع يختلف عن الفيلسوف وان الاول رجل قد اكتسب الحكمة العلمية وبعد النظر والواقع فقط, واما المعرفة الفلسفية فهو خلو منها وهؤلاء الحكام يكونون مجالس تشرف على تنفيذ القوانين(٢).

هذا الاحساس بنسبية الأشياء البشرية وبعدم استقرارها حاد للغاية في القوانين تلك المحاورة غير المكتملة من محاورات افلاطون في شيخوخته وتزخر هذه المحاورة بالاحكام التفصيلية التي تنم عن نية صريحة في تحقيق الاصلاح الذي نادى به ربما في المدن الصقلية التي سترمم بعد وفاه دونيسوس ومشكلة القوانين هي مشكلة مزيج تماما، نظير مشكلة تيماوس فبيت القصيد في هذه المحاورة معرفة النسب الكفيلة بضمان اكبر قدر ممكن من الاستقرار للمجتمع, مثلما امكن اكتشاف النسب التي تضمن للكون الديمومة الخالدة فالاستقرار والكمال شي واحد في نظر افلاطون (المهم في المقام الاول ان تكون القوانين ثابتة) , فكل شي ينبغي ان يبقى مماثلا لنفسه من جيل إلى آخر بما في ذلك دمى الاطفال وكل تغيير اضطراب وكدر سواء اكان مسرحه البدن أم الحاضرة ولا تكون القوانين موضع احترام حقيقي الا اذا كانت حافظة الناس لا تذكر شيئا على الاطلاق عن زمن يحتمل ان الاشياء كانت فيه مغايرة لما هي عليه الان (وعلى المتشرع ان يتخيل جميع السبل الممكنة لاستحداث هذه الوضعية في الحاضرة) .

بعض هذه السبل لا تطالها ارادته وهي بالتخصيص تلك التي مصدرها الطبيعة, فالبيئة الملائمة لتفتح الشخصية والبلد المعزول بما فيه الكفاية عن البحر وعن المدن الاخرى لكيلا ينتقل اليه عدوى التجارة, وتاثير الشعوب الاخرى هما من جملة الحظوظ السعيدة التي لاتملك غير الالهة ان تغدقها , وبالمقابل يسع المتشرع ان يحد من تعداد المواطنين باختياره عدد ضئيل ولكنه مضاعف اكبر عدد ممكن من الاعداد الاخرى(٣).

إن نتائج هذه الطريقة في تأمين الاستقرار الاجتماعي على سبيل ارساء جذور الايمان في النفوس, واضحة كل الوضوح للعيان في الكتاب العاشر الذي يتصل بالمعتقدات الدينية فالزندقة تحاكم هنا بوصفها خطر اجتماعي في المقام الاول والالحاد الذي يكافحه افلاطون هو الحاد السفسطائيين الذي يعدون الالهة من اختراع بني الانسان ورافضة العناية الالهية الذين يرد عليهم ويفند دعواهم ليسوا اصحاب النظريات وانما اشخاص يطلقون العنان لاهوائهم وشهواتهم لانهم لا يعتقدون بان العدالة الاليهة تتدخل في تفاصيل الشؤون البشرية، واخيراً إن الاعتقاد الخاطئ بان الالهة تستمال وتغرى بالصلوات يرتبط بمنظومة كاملة من المعتقدات العبادية التي تستوجب ضمنا تشكيل جمعيات وروابط خاصة خطرة على الحياة الاجتماعية وعليه ان يكن من الواجب بادئ الامر محاولة تلافي شر الزندقة بحجج عقلية نظير ما يفعل افلاطون, فلا بد ايضا من النص في القانون على عقوبات صارمة بحق من يابى الاقتناع والحبس المؤقت او الحبس المؤبد قيمتان حسب الحالات بابعاد هولاء الزندقة الخطرين عن المدينة .

ان الكلمة الاخيرة لافلاطون (السياسي هي ذلك الصفو التاملي الذي يتحلى به الحكيم الذي يرى النوابض الخفية التي تحرك البشر وتدفع بهم الى العمل , لاتستاهل الشؤون البشرية ان تحمل على محمل الجد الصارم فالانسان دمية بين يدي الله آلة تعمل لحسابه , والمتشرع هو في المقام الاول ذاك الذي يعرف هذه الاله ويعلم كيف يسوس البشر)(٤).

ثانياً: أهم أراءه :

جاء افلاطون بالعديد من الافكار السياسية والتي تتمثل في التالي, قد بدا واضحا ان افلاطون ترك جانبا تساؤله عن شكل الدولة المثالية واخذ يركز على سيادة القانون وعلى ان السلطة العليا في الدولة لاتكون في يد حاكم حتى ولو كان مستنيرا, ولكن تكون في يد الدستور والقانون والحاكم ماهو الا حارس القانون وخادمه, فاذا كان

افلاطون في شبابه في الجمهورية اعتبر ان افضل انواع الحكومات هو حكم الفلاسفة وانه يجب الا يخضع للقانون الا انه في شيخوخته اعتبر ان هذا النوع من الحكم مثالي الهي وانه في غياب الحكمة, لابد من القانون الذي يمثل القيد على الحكام والمحكومين على حد سواء, وعليه فأهم ماجاء به افلاطون في ارائه الواقعية هو التركيز على القانون وقد اعتبر ان اساس التفرقة بين الحكومات هو التمسك او عدم التمسك به وبالتالي فقد اكد على ما اسماه بالقيد الذهبي للقانون على اساس انه يتمثل العقل مجردا عن الهوى ومن ثم فالحكومات اما صالحة وهي تتمسك بالقانون او غير صالحة اي فاسدة وهي التي لاتتمسك بالقانون(٥).

المبحث الثالث : المشاكل التي عالجها في كتاب القوانين

أولاً : النظام السياسي في القوانين

ثانياً : المشكلة السياسية

ثالثاً : انتقال افلاطون في كتاب القوانين الى العالم الواقعي

المبحث الثالث : المشاكل التي عالجها في كتاب القوانين

أولاً : النظام السياسي في القوانين :

نجد ان افلاطون في كتاب القوانين قد رجع عن بعض ارائه السابقة في الجمهورية, فتراه يرفض شيوعية النساء والاطفال وكذلك الملكية الخاصة وحكم الفلاسفة, وقد استعاض عن حكم الفلاسفة بمجلس حكومي مؤلف من مجموعة من الافراد هم حراس الدستور الذين يراقبون الزواج وحياة الاسرة ومعاشها يقسمون الارض ويحققون تفتيتها بالميراث وتوكل الصناعة والتجارة للارقاء والمهجنين ويقيد تداول النقد الا في حدود الحاجات الضرورية ويمنع اقتناء الذهب والفضة وتقوم هذه الحكومة على اساس دستور صيغت مواده من النظم السياسية الرئيسية التي اشار اليها في محاورة السياسي فتكون حكومة ارستقراطية تستند الى هيئة نيابية هي مجلس الشيوخ وهذا النظام وسط بين الديمقراطية وحكومة الطغيان اي وسط بين الحرية المسرفة والسلطة الغاشمة وتعتمد هذه الحكومة على نظم متدرجة تحفظ التوازن بين السلطات فالى جانب السلطة النيابية توجد سلطة قضائية تتمثل في المحاكم وتحفظ الشرطة الامن الداخلي, بينما يسهر الجيش وعلى رأسه القواد على حماية امن الدولة الخارجي وكذلك تعين الدولة الكهنة ليقوموا بالمراسم الدينية ويشرفوا على المعابد .

ونلاحظ انه على الرغم من هذه التفاصيل التي يغرق افلاطون في ايرادها لتنظيم شئون المدينة وهي مجتمع انساني يوجد في عالمنا الحسي, الا انه مع هذا استمر على ايمانه الراسخ بفكرته الاساسية سواء من الناحية الميتافيزيقية او السياسية تلك الفكرة التي ترى في الدولة نظاما يعد النفس لحياة الابدية وانها نظام يقوم على اساس عقلي . وقد استبدل افلاطون الجدل في برنامج الاحداث بنوع من التربية الدينية كما اغفل فكرة التناسخ والزم الشعراء والفنانين بالخضوع للدين وقد ازداد احتقار افلاطون لشؤون عالم الحس, ورای انه الافضل للانسان ان يترك نفسه ومصيره بين يدي الله .

وفي القوانين ايضا يتكلم افلاطون عن نفس عالمية شريرة, هي اصل جميع الشرور والاثام ومصدر الالحاد الذي يزعزع اركان الدين والدولة وهو ينصح بضرورة اعدام المخطئين الذين يصرون على اخطائهم بعد توجيه النصح والارشاد اليهم, واذن فقد قضى على حرية الفكر في ظل هذا النظام والواقع ان افلاطون قد انتهى في القوانين الى اراء يستشف منها يأسه من اقامة حكومته المثلى التي اشار اليها في الجمهورية في عالمنا هذا وقرر ان تحقيق مثل هذه الحكومة يتطلب وجود كائنات اسمى من البشر(٦).

ثانياً : المشكلة السياسية :

ابتداء من هذه النقطة يطلق العنان للفكر السياسي فيستتبع به علم الاخلاق وعلم النفس معا, بيد انه لايرقى الى موقع الجدل الذي لايفارق بخلافه عالم المثل بل يتحطم على العكس على صخرة الوقائع باستمرار ولنكرر

القول بان افلاطون يريد ان يكون مصلحا لا طوباويا ويتعين عليه باعتباره مصلحا ان ياخذ في حسبانه طبيعة البشر وطبيعة الاشياء كما هي قائمة في الواقع .

إن ما يدعو إلى العجب لدى هذا المصلح هو انه على النقيض من السفسطائيين, لايؤمن بالتقدم فقد تامل واطال التامل في تاريخ المجتمعات وتطورها، كما في تاريخ النفوس الفردية على كل حال الملاحظة نظير الأسطورة تتمخض على الدوام عن النتجية المزدوجة التالية، فمن جهة أولى يرتهن مقدار ما ينطوي عليه الفرد أو المجتمع من عدالة وفضيلة بالشروط الخارجية وبحظ مؤات بوجه خاص، ومن جهة ثانية إن حدثت تغيرات في المجتمع فان التبدل يتم على الدوام باتجاه الاسوأ او باتجاه الاحسن طبقا لايقاع دوري يقضي بان يعود المجتمع المرور بالاطوار نفسها والغرض من التشريع حتى ولو كان مصدره الفيلسوف الاستفادة الى اقصى حد مستطاع من الشروط الفعلية التي يوجهها وكذلك ان يوقف او يعرقل التغييرات وان يوفر للمجتمع اقصى حد ممكن من الاستقرار, وبالمقابل لا نجد اطلاقا لدى افلاطون فكرة اصلاح ايجابي وفكرة تجديد اجتماعي حقيقي, فبيت القصيد عنده على الدوام الحفاظ والصيانة, وعلى العكس الاسقاط والحذف وانها لبليغة الدلالة الاسطورة التي تحكي ان البشر لم يتحاشوا الانحطاط والصنائع واعطتهم حبات القمح وما كان لمبادرة البشر ان ترقى بهم الى هذه المدارك .

إن هدف الفيلسوف من الاصلاح لايمكن في هذه الحال ان يكون الا محاكاة حالة المجتمع المثلى التي هو على معرفة بها الى اقصى حد مستطاع, والامساك بنوع ما بالمجتمع في المستوى الذي آل اليه راهنا للحؤول بينه وبين مزيد من السقوط والتردي بيد انه لامجال البته لاستحداث تقدم حقيقي فان توافرت في مجتمع من المجتمعات الشروط المطلوبة ليصرف عليه الفيلسوف جهوده, فذلك بسائق حسن الحظ وجملة من الظروف منقطعة الصلة بكل ارادة بشرية كأن يكون المناخ والتربة مثلا مؤاتيين وذلك بصرف النظر عن نسبة الحظ السعيد الى الاتفاق او العناية الالهية .

من هنا الطابع العملي والواقعي وحتى المحافظ احيانا للسياسة الافلاطونية كان ميله الذي اشتد مع تصرف الايام الى التاريخ والماثور القديم, ومن هنا كانت ادانته لكل سياسة التوسع التي بنت عليها اثينا مجدها وعظمتها والتي كان من عواقبها ايضا التدهور الخلقي وقد لبث افلاطون متشبثا بالشكل التقليدي للحضارة الاغريقية, وبطبيعة الحال فان مدينة اغريقية لا اية مدينة اخرى هي التي كان عليه ان يسوس شؤونها في الجمهورية, لان استخف في زمن لاحق وفي السياسي تحديدا تقسيم البشرية الى اغريق وبرابرة فقد كان جل مبتغاه مع ذلك ان يشد من ازر الحضارة الهلينية وان يصلح ذات البين بين مدن اليونان ويعيد اليها وئامها وان يضع حدا لاعمال النهب والسلب والاسترقاق التي كانت تواكب انتصار مدينة على اخرى(٧).

وقد بين افلاطون ان دولة النواميس تلك دولة السياسي او السياسة, وقد كان يؤمن بان من الممكن تحقيق هذه الدولة بل انه قصد فعلا الى هذا وكان مقتنعا بانه من السهل لو توافرت العزائم في النفوس ان تتحقق هذه المبادئ التي اعلنها من اجل تكوين هذه الدولة الجديدة وهو بالفعل, قد ذهب الى صقلية عند ديون لتنفيذ مبادئه التي اعلنها في السياسة, لكنه في الرحلة الثانية قد عاد خائب الامل تماما ويئس بعد رحلته الثالثة نهائيا من امكان تحقيق الامل , فكان عليه اذن ان يعدل من هذه المبادئ لكي يمكن تحقيقها في الواقع هذا من ناحية ومن ناحية اخرى يلاحظ ان محاورة النواميس قد كتبت في اواخر حياته (افلاطون) فكان طبيعي ان تخلو من الافكار العالية التي هي دائما من وحي الشباب والرجولة وان تكون اقرب الى الواقع العملي, والى ما يسمى بالحكمة العملية, فمبادئ الدولة تظهر في النواميس هي المبادئ التي يقول بها شيخ عرك الحياة وعرف تجاربها ثم يئس من مثله العليا فحاول المسالمة ولم يكن هداما يحاول ان ينقض بناء الجماعة, بل كام مسالما يحاول قدر الامكان ان يتفق مع مقتضيات الواقع وطبيعة النفوس الانسانية من حيث انها طبيعة منحطة يمازجها الكثير من الشر كما يمازجها الكثير من العجز, هذا الى ان طور الشيخوخة يجر وراءه دائما النزعة الى التصور الساذج وبالتالي النزعة الى الدين, ومن هنا نجد

الروحية الدينية بمعناها الشعبي الساذج تسود هذه المحاورة فلهذه الاسباب كلها وجد افلاطون الا مناص من ان يعدل من تلك المدينة الفاضلة التي صورها لنا من قبل السياسي والسياسة .

تختلف دولة النواميس عن دولة السياسي في كثير من الاوضاع وفي الروح العامة التي تسودها فالروح في دولة النواميس روح دينية مسالمة واقعية, ويظهر هذا واضحا اولا في اختيار المكان الذي ستنشا فيه الدولة :فهو يقول ان الواجب ان يختار المكان بعد استشارة الالهة ويجب ان يكون هذا المكان مما يسكنه الجن كما تسكنه الالهة وتظهر هذه الروح الدينية في العقاب في الدولة الجديدة, فالجريمة هي تلك التي تكون ضد الدين والعقوبة الكبرى هي العقوبة على هذه الجريمة ويجب ان يكون كل شي مرتبا على هذا الاساس فيلكن الدين للناس داعما ويكون هذه الروح السائدة في منشات الدولة .

ولانطيل في هذه المسالة لانها ليست ذات اهمية في الفلسفة وننتقل منها الى الروح الواقعية, فنجدها متمثلة في المنشات السياسية والمنشات الاجتماعية التي سيحقق بها النظام في الدولة الجديدة, فمن الناحية الاقتصادية نلاحظ ان الملكية لن تستبدل بها الشيوعية بل سيحافظ على الملكية الى حد ما فليس ثمة ملكية مطلقة وانما يجب ان توزع الثروة العامة على جميع الافراد على السواء, ويجب تبعا لهذا ان يحدد عدد السكان لكل دولة بالعدد خمسة الالف واربعين لما لهذا العدد من خصائص عظمى فيما يتصل بالتقسيم سواء اكان هذا التقسيم الى قبائل ام الا افراد ولكي يحتفظ بهذا العدد دائما يجب ان ينظم الزواج عى اساس انه يجب الايزيد عدد من يولدون عن هذا العدد واذا كان هناك نقص في المواليد فيجب ان يكمل بافراد من الخارج واذا لم يوجد ورثة فيجب تبني افراد من اسر اخرى لكي يكونوا الحافظين لهذه الثروة وهذه الثروة ثروة عقارية فحسب فممنوع منعا باتا ملك المنقولات الامايحتاج اليه الانسان وممنوع منعا باتا على وجه التخصيص ملك الذهب والفضة لانهما وسيلة للتعامل فحسب وليسا غاية تطلب لذاتها ويجب من اجل هذا ان يكون الاقراض حرا بمعنى ان تلغى الفائدة الغاء تاماً(٨).

ثالثاً:انتقال افلاطون في كتاب القوانين الى العالم الواقعي

يمثل كتاب القوانين المرحلة الختامية في تطور تفكير افلاطون السياسي وتحولة من عالم المثل العليا والخيال الى عالم الواقع, فقد لاحظنا انه لم يدرس في كتابه الجمهورية سوى الدولة الكاملة اي الدولة المثالية التي لايمكن ان نجد مثيلا لها في عالمنا, انه نهج النهج نفسه في كتابه الثاني السياسي وان يكن قد تناول بالبحث في كتابه هذا بعض النواحي الهامة في الحكومة التي دعاها بالحكومة التي نشاهد نظيراتها في حياتنا الواقعية اما في كتاب القوانين فقد وضع افلاطون المثل العليا جانبا واهتم بوضع مجموعة من القوانين تحدد حياة الجماعة ويمكنها ان تؤدي الى افضل النتائج التي يحصل عليها في نظام حكم سياسي عملي, اي بمعنى واقعي, وعلى الرغم من كل ذلك فقد بدا على افلاطون انه لم يزل متاثرا بافكاره المثالية القديمة من حيث تمسكه ماوسعه ذلك بالاسس التي وضعها في كتابه الجمهورية مع تعديلها بصورة تلائم متطلبات جماعة عملية اي دولة تقوم في هذا العالم كمساعدة بالزواج وقيام حياة اسرية, لكنه لايرى ان تسمح بالزواج الا للزوجين اللذين تخمن ان ينجبا ذرية موهوبة, هذا الى جانب اهتمام هذه الحكومة واشرافها على ادق شؤون الحياة الزوجية وتنظيمها, كما وضع افلاطون في كتابه هذا نظاما جديدا للتربية يجب ان يطبق بشدة على كافة الشباب واخضع تربية وثقافة المواطنين الفكرية والفنية لرقابة شديدة تمارس من قبل الحكومة, انه كذلك اباح الملكية الخاصة لكنه خشية منه في عدم مراعاة المساواة في توزيع الثروة وضع بعض الشروط التي يكفل تحقيقها مساواة المواطنين في الثروة ولاسيما في تملك الاراضي ولم يحبذ التجارة لئلا يتمكن الفرد ان يجمع ثروة عن طريقها ومع حرصه الشديد على توخي المساواة بين الافراد من حيث ثرواتهم, فقد وجد انه لاسبيل الى ذلك سوى عدم وجود التفاوت بين ثروات الاشخاص, وهكذا وجدناه يقسم الافراد الى اربع طبقات ليعمد الى توزيع المناصب على اساس ثرائهم وليس بالنظر لرجاحة عقولهم وثاقب نظرهم(٩).

لقد اثر كتاب القوانين في ارسطو ومن جاء بعده اكثر من الجمهورية لان كتاباتهم تدلنا على ذلك لقد اهتم

افلاطون في هذا الكتاب بتكوين الدول وتنظيمها السياسي وبخاصة بالدولة التالية على دولة الجمهورية فاتت الاراء اكثر واقعية واعطى تشريعات من الممكن الارتكاز عليها في رعاية العلاقة بين الحاكم والمحكوم هذه التشريعات تخلق الاستقرار وتجعل المرء يعايش الحرية هو والجماعة والحاكم, لذلك تاثرت الفلسفات السياسية المعاصرة بهذا الكتاب لما فيه من غنى ومن اراء ومن اسباب موجبه اخلاقية واقتصادية وعملية تسمح بالاستقرار الذي اعتبر اساسا لاي تطور .

ومن المسائل الواقعية، ملاحظة افلاطون ان الشعب الاغريقي يحب الحرية ويحب ان يحكم نفسه بنفسه, لذلك كان مهووسا بالانظمة التشريعية وبالدساتير في سبارطة او في اي حكم اخر, لياخذ منها طرائق الحكم التي تؤمن له الاستقرار والتالي التنعم بالحرية لقد عانت اثينا الثورات ونظم الحكم التي تعاقبت عليها لذلك اصبحت تنشد الاستقرار الذي تنعمت به سبارطة ذات الحكم المحافظ فالملكية ممزوجة بمراقبة مجلس للشيوخ تحد من تفرد الحاكم وتحافظ على نفسها اما حكم الفرد عند الفرس فقد تحول الى طغيان كما في اثينا وبالتالي ادى الى الفوضى والاضطراب .

استنتج افلاطون إن الحكم نوعان، حكم فردي مطلق واخر ديمقراطي, وهما اساس اي حكم وام جميع النظم, فاذا اتخذ واحد منهما السلطة فالحكم يصبح سيئا اما اذا امتزجا فنحصل على نظام حكم متناسق يؤمن الاستقرار والعدل وان التوازن بين القوة والذكاء العقلي في الحكم يمنع الانهيار ويؤمن التوازن .

على المتشرع ان يقنع الجميع ويجعلهم يوافقون على قوانينهم بالاقناع وليس بالقوة, ولذلك على المتشرع ان يقدم الاسباب الموجبة لقوانينه من اجل ان يدفع الى الاقتناع بها وبالتالي الخضوع لها والعمل بموجبها.

ولقد اعتبرت الاسباب الموجبة عند افلاطون بانها اخلاقية لانها اخذت بعين الاعتبار واقع الجماعة الثقافي والتربوي والاقتصادي والسياسي والحضاري لذلك نرى اهميتها الكبرى اذ دفعت بالتشريعات الحديثة الى ان تتاثر بها وتعمل على منوالها، لكون هذا يبعد الحكم عن الاعتباطية والانانية والنفعية وعن استغلال التشريعات كما يحدث في بعض البلدان الان ومنذ الاف السنين .

إن من الاسباب الموجبة مثلا محاربة الروح المادية التي ادت ببعض السفسطائيين الى التنكر للالهة والقول بانها من صنع البشر, وقد هاجمهم افلاطون لان تعاليمهم تزرع الاضطراب في العقول والخطر في المجتمع وتنمي الفضيلة وتبعد الاستقرار في المدينة, واذ طالب بالتدين الحقيقي لان العدالة الالهية تزرع الاخلاق الحميدة في ادق التفاصيل وتؤدي الى العدل البشري, اما الذي يهتم بالمظاهر وبالطقوس والعادات فقط فانه يشكل خطرا على المجتمع .

لذلك يعتبر افلاطون ان السياسي هو الحكيم, الذي يتامل ويغوص في اعماق النفس البشرية ليدرك دوافع تحركها المستترة, يقول (ان القضايا الانسانية لاتستاهل ان ناخذها على الجد فالانسان هو دمية بين يدي الله وهو اله يسيرها كما يشاء الان ان السياسي هو الذي يدرك هذه الالة والذي يعرف كيف يقود البشر) .

في الكتاب الثالث من القوانين يقول افلاطون ان الحياة الانسانية محكومة بثلاثة امور, الله والحظ والمهارة في الفنون, وان الصناعة تعمل وفق الظروف كما يقول ان الحياة تبدا في القرى وتنتهي في المدن لانها تلبي حاجات الانسان المدنية, فقيام المدينة يخضع للعوامل المادية والاقتصادية والاجتماعية وان التربة والمناخ والجغرافيا تؤثر في نمو المجتمعات وان الزراعة افضل من التجارة وان الدولة تقوم على الصناعة والزراعة .

كما اعطى بعدا قوميا يؤثر في نمو المجتمع فيقول ان الجنس واللغة والقانون والدين عناصر تؤثر في قيام الدول وتدفع نحو ازدهارها وتطورها .

إن المتتبع لحوار القوانين يستنتج إن افلاطون حاول أن يضع مبادئ السياسة العادلة التي يمكن تحقيقها في المجتمع الاثيني والتي يمكن تلخيصها بثلاثة مبادئ الجدارة, ومبدا المساواة, ومبدا الحكم العادل .

يقول ان المدينة تاخذ مبادئها من المثل التي يصعب تحقيقها لانها مثل كاملة والكمال لايمكن تحقيقه على الارض,

لذلك قال بامكانية ايجاد دولة اقل منها مثالية, وبالامكان تحقيقها ولكنها تبقى بعيدة عن التوازن والاستقرار, فيجب وضع قوانين بحيث ترعى الحاكم والمحكوم اي الشؤون العامة بشكل متوازن وبعدالة والقانون المتبع يكون نتاج التجارب المتعاقبة, ولكنه وحده لا يصل الى الهدف المنشود ويلزمه حكام يسهرون على تنفيذه وهنا نرى العلاقة الجدلية بين الحاكم والصفات الرئيسية المطلوبة(١٠).

المبحث الرابع: الفرضيات التي طرحها افلاطون في كتاب القوانين:

أولاً: التعايش بين افراد المجتمع

ثانياً : تجهيز الدولة عسكريا

ثالثاً:القوانين والصورة الثانية للدولة المثالية

رابعاً : واقعية افلاطون في شيخوخته

المبحث الرابع : الفرضيات التي طرحها افلاطون في كتاب القوانين

أولاً : التعايش بين افراد المجتمع :

في القوانين تصاغ بنية الدولة بأسلوب اقل صرامة بكثير لكي تتطابق بوضوح مع بنية النفس الفردية, وينصرف قدر كبير من العناية الى العثور على طريقة ممكنة التطبيق للاهتمام بالمادة الانسانية التي يمكن ان تتوفر والبيئة الجغرافية, لكن الروح التي تغذيهما تبقى هي نفسها ولن نجد اي اختلاف عميق بين القوانين والجمهورية اذا فهمنا الاغراض المختلفة التي كانت ترمي اليها كل من المحاورتين الكبيرتين, ففي القوانين ايضا تمتاز الدولة بانها كلية عضوية تراتبيه يعيش فيها الافراد لكي يؤدوا وظيفتهم في الدولة, يتمثل الهدف الكبير في تحقيق الثبات الاجتماعي وترسيخ نظام عقلي وعادل من شانه ان يوحد بين العناصر المتباينة على نحو كامل, بحيث يتم درء التغير والانحطاط اطول فتره ممكنة وتعم الحياة التعاونية الممكنة الفضلى, وهذا هو السبب في الحرص على اختيار موقع لها في منأى قليلا عن البحر والعزل المقصود للمواطنين من الاتصال بالاجانب لان هذا الاتصال يمكن ان يصير خطيرا على مؤسساتهم الاهلية فالتجارة مع الاجانب والسفر الى الخارج امران محضوران بقوة, وهذه هو الغرض ايضا من الدستور المختلط الموسع والتنظيم الصارم وتحديد الملكية والتربية الاستبدادية الحذرة الشاملة المخطط لها بعناية وقبل كل شئ فان السبب في ان من واجب السلطات المرجعية في الدولة ان تنفذ عقوبة السجن او حتى الموت في الحالات القصوى التي تنتهك كل شئ, والتي لايمكن ان تخضع للمساواة والارتشاء او صرفها عن اهدافها بتقديم القرابين ومالم تقم الدولة على اساس الحقيقة حول الكون والقوى التي تحكمه فانها لن تبقى, والحقيقة ان دولة المدينة في القوانين والتي ربما كان قد اريد لها ان تتحقق عمليا هي مدينة محصنة او هي جزيرة صغيرة للثبات المؤقت في خضم امواج الانحطاط المتلاطمة على نحو اكثر وضوحا من المدينة الرؤيوية والرمزية في الجمهورية وهي بالضرورة جزيرة صغيرة اوحصن منيع يضم حامية عسكرية شديدة المراس, والتحديد الصارم لعدد المواطنين فيها امر جوهري للدولة الجيدة عند افلاطون, ولم تكن الافلاطونية الوثنية معنية ابدا, لذا اصبح بعد ذلك مطلبا جماهيريا عند البشر .

ثانياً: تجهيز الدولة عسكريا

لقد تحدثنا طويلا عن عملية انحطاط الدولة التي لافكاك منها والتي ينبغي للدول مثل سائر الاشياء الاخرى ان تمر بها وربما يكون من المفيد ان نقدم خلاصة وجيزة عن تفاصيل العملية كما تصفها الجمهورية وربما كان افلاطون هنا يمتلك شيئا ما يمكن ان يعلمنا اياه تبدا العملية بخرق الطريقة السائدة لحياة الطبقة الحاكمة, او ظهور الملكية الخاصة يختفي الحكام الفلاسفة فتنتقل جميع قوى الدولة الى ايدي المحاربين, الذين يهملون دراسة الحقيقة من اجل

الثقافة البدنية وممارسة الحروب هكذا تتحول الدولة الى ارستقراطية عسكرية, وحين تجرد العواطف النبيلة من حكم العقل فانها تتحصن طويلا ضد العواطف الرديئة, وحينئذ يطغى على النبلاء المحاربين المتكبرين حب الغنى والثراء على حب الشرف والكرامة فتنحط الارستقراطية الى اوليغاركية او حكم الطبقة الثرية حيث تصبح الثروة عنوان الحكم هكذا تتسع الهوة الاجتماعية او الانشقاق الجسيم بين الاغنياء والفقراء وفي النهاية يشن الفقراء تمرداً متواصلا ضد الاغنياء يقود الاعضاءالشبان من الطبقة الحاكمة الذين افقرهم تطرفهم واغتصاب المولين المهيمنين لهم فتقام الديمقراطية ويمثل هذا انحرافا كاملا بالعواطف عن جادة العقل تصبح الحرية كلمة سر فيفعل كل امرئ مايشتهي لكنها حرية زائفة ذلك ان الانسان كما يصر افلاطون دائماً الذي يتبع عواطفه دون رادع من العقل الذي يتبع عواطفه دون رادع من العقل الذي يتأمل في الخير الاخلاقي اسوأ عبودية من الجميع واخيرا فإن الخصم الضروري للديمقراطية الفردية المتحررة هو الطغيان أي حكم الإنسان الذي اسلم نفسه تماما لاسوأعواطفه وفوق كل شئ لشهوات السلطة السائبة ففصم عرى كل اتصال واقعي او احساس بالمسؤولية بينه وبين بقية الجنس البشري هو النقيض الدقيق لحكم الحكام الفلاسفة الذي بدأنا به حكم الأسوأ في مقابل حكم الأحسن وهو يتجاوب مع حالة الانسان الطاغية نفسه الذي استولت فيه العواطف الوحسية والمريضة على ما سواها(١١).

ثالثاً: القوانين والصورة الثانية للدولة المثالية

يواصل افلاطون في القوانين الاتاكد على ما سبق ان طرحه في السياسي من ان الدولة توجد ليس لتحقيق الخير والمصلحة لطبقة معينة من الناس, بل توجد لتحقيق للجميع الحياة الافضل .

وعلى ذلك فهو يقدم هنا في القوانين مجموعة من المبادئ والتشريعات التي من شانها ان تجعل حياة الناس افضل وارقى, ليس على الصعيد السياسي فقط بل وعلى الصعيدين الاجتماعي والاخلاقي ايضاً، وتلك المبادئ والتشريعات تشكل في مجموعها مانعتبره اساسا لدولة مدينة تالية في الافضلية للمدينة المثالية في الجمهورية اذ ان المشروع الذي رسم معالمه هنا لهذه الدولة الجديدة التي يحكمها القانون بدلا من الحاكم الفيلسوف, لاينفي ابدا تمسك افلاطون بدولته المثالية الاولى في الجمهورية فلا تزال دولة الجمهورية هي النموذج الامثل الذي يجب التمسك بتحقيق اكبر قدر مما يمكن ان يكون شبيها به .

ومن ثم فإن كل مافعله افلاطون في القوانين هو إنه قدم لنا خيارا ثانيا يمكن اللجوء اليه حين لانستطيع تحقيق الخيار الأول، وهو في نظره الاكثر كمالا والاكثر صحة, وفي هذا الخيار الثاني لاينبغي ان يغفل المشرع وهو افلاطون نفسه عن اي شئ مايجعل حياتنا اكثر كمالا واتم سعادة كل ما هنالك انه يلتزم هنا بمنهج اكثر واقعية في التعامل مع المشكلات السياسية ويطور من بعض ارائه التي وردت في الجمهورية, فيما يتعلق بالشروط الواجب توافرها في المدينة الفاضلة فقد اصبح على سبيل المثال اقل تقديرا للنظام الاسبرطي الذي اعطى الشجاعة والنجاح العسكري الاولوية على بقية الفضائل الاخرى, مما كان عليه الحال في الجمهورية فقد استهجن هنا في القوانين الحرب وبين عدم جدواها كغاية تستهدفها الدول واعتبر ان غاية الدول هي الانسجام والائتلاف في كل العلاقات سواء الاسرية في داخل الدولة او العلاقات الخارجية مع الدول الاخرى واعتبر انه يمكن الاستعاضة عن تحقيق الانسجام الكامل الناجم عن التخصيص في الوظائف المحقق للعدالة في الدولة المثالية الاولى بتحقيق الانسجام عن طريق الخضوع للقانون فدولة القوانين اذن هي الدولة التي تشيد على التوسط والاعتدال باعتبارها اهم فضائلها وهي تحقق هذه الفضائل عن طريق الالتزام بالقانون ان القانون هنا في الدولة هو ممثل العقل الذي جعله افلاطون اسمى في الدولة المثالية (١٢).

رابعاً: واقعية افلاطون في شيخوخته :

جاء افلاطون في كتابيه السياسي او رجل الدولة والقوانين بالعديد من الافكار الجديدة التي تختلف عما جاء به في شبابه كما عبر عنه في الجمهورية هذا وعلى الرغم من اهمية الافكار التي جاء بها في شيخوخته الا انها تفتقر لجاذبيته ماجاء به في الجمهورية ويمكن باختصار القول بان افلاطون السياسي والقوانين جاء اكثر واقعية واقل مثالية من افلاطون الجمهورية .

الخاتمة :

تتضح الأهمية الجوهرية لتأليف أفلاطون لكتاب (القوانين) كإسهام بالغ الأثر في تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي. لقد تجاوز هذا العمل كونه مجرد نص قانوني ليصبح وثيقة تأسيسية لفهم كيفية بناء مجتمع يسعى نحو العدالة والاستقرار والفضيلة في عالم لا تحكمه بالضرورة الحكمة المطلقة للفلاسفة. تكمن قيمة (القوانين) في قدرته على تقديم نموذج عملي للدولة، يأخذ بعين الاعتبار تعقيدات الطبيعة البشرية والظروف الواقعية، ويقدم حلولًا مبتكرة للتحديات التي تواجه المجتمعات الإنسانية.

لقد تجلت أهمية كتاب (القوانين) من خلال دعمه للدستور كمبدأ أساسي للحكم الرشيد. فبعد أن أدرك أفلاطون صعوبة تحقيق الدولة المثالية التي وصفها في (الجمهورية), اتجه نحو تأسيس دولة تقوم على سيادة القانون والدستور. يمثل (القوانين) إيمانًا راسخًا بأن القانون، المستمد من العقل والحكمة الجماعية، هو الضمانة الأكبر للعدالة والمساواة والاستقرار.من خلال تفصيل أفلاطون لمختلف جوانب التنظيم القانوني والسياسي، بدءًا من تحديد المواطنة وحقوقها وواجباتها، مرورًا بتنظيم السلطات وتوزيعها، وصولًا إلى وضع الإجراءات القضائية والعقوبات، فإنه يقدم نموذجًا للدولة الدستورية التي تخضع فيها السلطة للقانون، ويحمي حقوق الأفراد ويضمن سير الحياة العامة بانتظام. هذا التركيز على الدستور والقانون يمثل إسهامًا محوريًا في تطور الفكر السياسي، حيث وضع أفلاطون أسسًا لمفهوم حكم القانون الذي لا يزال جوهريًا في الأنظمة الديمقراطية الحديثة.

أما بالنسبة للمشاكل التي عالجها أفلاطون في كتاب (القوانين)، فقد كانت متنوعة وعميقة. بدءًا من مشكلة الحكم الرشيد في غياب الحكمة المطلقة، حيث قدم القانون كبديل للحاكم الفيلسوف، مرورًا بمشكلة تحقيق الوحدة والاستقرار الاجتماعي من خلال تنظيم دقيق للحياة الاقتصادية والاجتماعية، وصولًا إلى مشكلة التربية الأخلاقية وتكوين المواطن الفاضل من خلال نظام تربوي شامل. كما تناول أفلاطون مشكلة التعامل مع التأثيرات الخارجية والفساد، داعيًا إلى وضع ضوابط لحماية المجتمع وقيمه، وأخيرًا مشكلة العلاقة بين الدين والدولة، مقترحًا نظامًا دينيًا رسميًا لتعزيز التماسك الاجتماعي والقيم المشتركة. إن معالجة أفلاطون لهذه المشاكل لم تكن مجرد تشخيص للواقع السياسي والاجتماعي في عصره، بل كانت محاولة جادة لتقديم حلول عملية ومستدامة تهدف إلى بناء مجتمع أفضل وأكثر عدلًا.

وفيما يتعلق بالفرضيات التي طرحها أفلاطون في كتاب (القوانين)، يمكن تحديد عدة فرضيات أساسية شكلت جوهر رؤيته للدولة والقانون. أولًا، فرضية أن القانون هو أفضل بديل للحاكم الفيلسوف في تحقيق العدالة والاستقرار. ثانيًا، فرضية أن التربية الأخلاقية الشاملة هي الأساس لبناء مواطنين صالحين ومطيعين للقانون. ثالثًا، فرضية أن تحقيق التوازن والانسجام بين مختلف فئات المجتمع ضروري للاستقرار السياسي والاجتماعي. رابعًا، فرضية أن الدولة يجب أن تولي اهتمامًا خاصًا بتنظيم الحياة الاقتصادية لمنع التفاوتات الشديدة. خامسًا، فرضية أن للدين دورًا هامًا في تعزيز القيم المشتركة والتماسك الاجتماعي. سادسًا، فرضية أن الانفتاح غير المنظم على الثقافات الأجنبية والتجارة الخارجية قد يشكل خطرًا على استقرار المجتمع وهويته. هذه الفرضيات، وغيرها،

شكلت الإطار النظري الذي استند إليه أفلاطون في بناء تصوره للدولة والقانون في (القوانين).

في الختام، يمكن القول إن كتاب (القوانين) يمثل علامة فارقة في تاريخ الفكر السياسي، حيث قدم أفلاطون نموذجًا للدولة الدستورية القائمة على حكم القانون، وعالج العديد من المشاكل الأساسية التي تواجه المجتمعات الإنسانية، وطرح فرضيات لا تزال ذات صلة بفهم التحديات المعاصرة. إن أهمية هذا العمل لا تقتصر على قيمته التاريخية، بل تمتد لتشمل تأثيره العميق على تطور مفاهيم العدالة والدستور والحكم الرشيد، مما يجعله مرجعًا لا غنى عنه لكل من يسعى إلى فهم أسس التنظيم السياسي والاجتماعي.

الهوامش:

١- يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية / مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر / ص ١٣٦ – ١٣٨

٢-كامل محمد عويضه / مصادر الفكر الفلسفي اليوناني / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / ط١ / ١٩٩٥ / ص ٨٥- ٨٦

٣- اميل برهييه / تاريخ الفلسفة اليونانية / ترجمة جورج طرابيشي / دار الطليعة / بيروت لبنان / ط٢ / ١٩٨٧ / ص ٢٠٥

٤- اميل برهييه / تاريخ الفلسفة اليونانية / المصدر السابق / ص ٢٠٧

٥- حوريه توفيق مجاهد / الفكر السياسي من افلاطون الى محمد عبده / مكتبة ٤٨٥ / ط٧ / ٢٠١٩ / ص٩٦ – ٩٨

٦- محمد علي ابوريان / تاريخ الفكر الفلسفي / الفلسفة اليونانية ترطاليس افلاطون / دار الوفاء للطباعة والنشر / ط٢ / ٢٠١٤ /٢٢٨-٢٢٩

٧- اميل برهييه / تاريخ الفلسفة اليونانية / المصدر السابق / ص١٩٠-١٩٢

٨- عبد الرحمن بدوي / موسوعة الفلسفة /ج١/ ذوي القربى / ط١ / ١٤٢٧ / ص١٨٥

٩- محمد الخطيب / الفكر الاغريقي / منشورات دار علاء الدين / دمشق / ط١ / ١٩٩٩ / ص٣٠٣

١٠- ريمون غوش / الفلسفة السياسية في العصر السقراطي / دار الساقي / بيروت لبنان / ط / ٢٠٠٨ / ص ١١٢- ١١٥

١١- ا.هـ.آرمسترونغ / مدخل الى الفلسفة القديمة / ترجمة سعيد الغانمي / المركز الثقافي العربي / بيروت /ط١ / ٢٠٠٩ / ص٩٤-٩٥

١٢- د ز مصطفى النشار / تاريخ الفلسفة اليونانية / من منظور شرقي ج٢ / دار ضياء للطباعة والنشر / ٢٠٠٠ / ص٢٨٧- ٢٨٨

المصادر:

- ا.هـ.آرمسترونغ / مدخل الى الفلسفة القديمة / ترجمة سعيد الغانمي/ المركز الثقافي العربي / بيروت /ط١ / ٢٠٠٩
- افلاطون / القوانين / ترجمة محمد حسن ظاظا / مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٦
- اميل برهييه / تاريخ الفلسفة اليونانية / ترجمة جورج طرابيشي / دار الطليعة / بيروت لبنان / ط٢ / ١٩٨٧
- جورج سباين / تطور الفكر السياسي / الكتاب الاول / ترجمة حسن جلال العروسي / مرجعة عثمان خليل عثمان
- حوريه توفيق مجاهد / الفكر السياسي من افلاطون الى محمد عبده / مكتبة ٤٨٥ / ط٧ / ٢٠١٩
- د. محمد عبد الرحمن مرحبا / مع الفلسفة اليونانية / منشورات عبودات / بيروت –باريس / ط٣ / ١٩٨٨
- ريمون غوش / الفلسفة السياسية في العصر السقراطي / دار الساقي / بيروت لبنان / ط / ٢٠٠٨
- عبد الرحمن بدوي / موسوعة الفلسفة /ج١/ ذوي القربى / ط١ / ١٤٢٧
- كامل محمد عويضه / مصادر الفكر الفلسفي اليوناني / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / ط١ / ١٩٩٥
- محمد الخطيب / الفكر الاغريقي / منشورات دار علاء الدين / دمشق / ط١ / ١٩٩٩
- محمد علي ابوريان / تاريخ الفكر الفلسفي / الفلسفة اليونانية من طاليس الى افلاطون / دار الوفاء للطباعة والنشر / ط٢ / ٢٠١٤
- مصطفى النشار / تاريخ الفلسفة اليونانية / من منظور شرقي ج٢ / دار ضياء للطباعة والنشر / ٢٠٠٠
- يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية / مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر

السيميائية اللونيّة للمراثي الحسينيّة في الاشعار العباسية «طلائع بن رزيك» أُنموذجاً

م.م. نبراس كاظم ابراهيم
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المستخلص:
يهدف البحث إلى دراسة سيميائية اللون في المراثي الحسينية في شعر الشاعر العباسي (طلائع بن رُزيك ٤٩٥هـ-٥٥٦هـ) من حيث معرفة دلالة الألوان والاسترشاد بها في القصائد التي تعبر عن الحياة الاجتماعية وأنظمتها اللغوية في تلك القصائد ، فجسد طلائع أحاسيسه بالألوان ورسم بها كلماته ليوقظها وهجاً نارياً يجعل اللون يلسع البصر والبصيرة ولا شك في أن للألوان والأضواء في الأدب دوراً ابداعياً فنياً توضح المعاني وتجسمها وتضفي عليها بالوصف الضوئي واللوني حركة وحياة ، ولقد شكل اللون هاجساً ذاتياً عميقاً عند الشاعر فوظفه في أشعاره الحسينية كاشفاً دلالاته المعرفية والجمالية ، وبما أن مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه يمثل الفاجعة الكبرى التي أصيب بها الاسلام والمسلمون فقد بقيت الأجيال الاسلامية تعتبر مقتل الامام الحسين (عليه السلام) من المصائب الكبرى وتحيي ذكراه بالحزن والعزاء .
وقد أخذ الشعراء دورهم الفاعل في تخليد هذه الذكرى الأليمة التي اتخذها المسلمون وسيلة لتحفيز واثارة العواطف ضد قاتلي أهل البيت (عليهم السلام) ولم يختلف الشعراء العباسيين وشيعتهم عن هذا الموج العارم ، فلقد تهيأت الدوافع المناسبة لنضوج المرثية الحسينية في هذا العصر ، فالدافع العاطفي المتمثل بتأثر الشاعر بمأساة الحسين (عليه السلام) والدافع السياسي الذي تمثل بإحساسه إنه جزء من المعارضة للحكومة العباسية تلك الدوافع شكلت صورة مكتملة للمرثية الحسينية من جهة الموضوع والفن ، ولم يكد يمر عصر من عصور الأدب العباسي الا وكانت شهادة الامام الحسين (عليه السلام) في العاشر من محرم يوم عزاء عام تقام فيه الاحتفالات التأبينية تخليداً لهذه الذكرى الأليمة ، وبعد قراءتنا لديوان الشاعر الذي رصد هذه الفاجعة ومن خلال اطلاعنا على شعره استوقفتنا ظاهرة بارزة في اشعاره وهي ظاهرة اللون وبروزه في القصيدة الحسينية فأثرنا أن يكون بعنوان (السيميائية اللونية) لأنه عالم فسيح من الدلالات والتصورات والكنايات التي تدعونا إلى التأمل في رمزيته وأبعاده .
الكلمات المفتاحية :السيمياء ، الدلالة ، اللون ، المدلول ، طلائع بن رزيك ، الرثاء .

Abstract:
The research aims to study the semiotics of color in the Husayni elegies in the poetry of the Abbasid poet (Tala›i› ibn Ruzayk 495 AH–556 AH) in terms of understanding the significance of colors and drawing guidance from them in poems that express social life and its linguistic systems in those poems. Tala›i› embodied his feelings in colors and painted his words with them to awaken a fiery glow that makes color sting the sight and insight. There is no doubt that colors and lights play a role in literature.
Creatively, it clarifies and embodies meanings, and adds movement and life to them through light and color description. Color has formed a deep personal obsession for the poet, so he employed it in his Husayni poems, revealing its cognitive and aesthetic connotations. Since the killing of Imam Husayn (peace be upon him), his family, and his companions represents the greatest tragedy that befell Islam and Muslims, Islamic generations have continued to consider the killing of Imam Husayn (peace be upon him) as one of

the greatest calamities, and they commemorate his memory with sadness and condolence.

Poets played an active role in immortalizing this painful memory, which Muslims used as a means to stimulate and arouse emotions against the killers of the Ahl al-Bayt, peace be upon them. The Abbasid poets and their Shiites did not differ from this overwhelming wave, as the appropriate motives were prepared for the maturation of the Husayni elegy in this era. The emotional motive represented by the effect

The poet of the tragedy of Al-Hussein (peace be upon him) and the political motive that was represented by his feeling that he was part of the opposition to the Abbasid government, those motives formed a complete picture of the Husseini elegy in terms of subject and art, and hardly an era of Abbasid literature passed without the martyrdom of Imam Al-Hussein (peace be upon him) on the tenth of Muharram being a day of public mourning held

During the memorial ceremonies commemorating this painful anniversary, after reading the poet›s collection of poems that documented this tragedy and examining his poetry, we were struck by a prominent phenomenon in his poetry: color and its prominence in Husseini poetry. We decided to title it «Color Semiotics,» as it represents a vast world of connotations, concepts, and metaphors that invite us to contemplate its symbolism and dimensions. Keywords: Semiotics, connotation, color, signified, Tala›i› bin Razik, elegy.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين . أما بعد :

الدراسة السيميائية لها جذور ثابتة عند العرب ولم يكونوا بمعزل عنها منذ القدم ، وذلك لما شمروا عن ساعد الجدّ في ترجمة الكتب الإغريقية في مجال العلوم العقلية ، حيث قاموا بمحاولات جادة ومتعمقة في فهمها واستيعابها وكان لشرحها والتمحيص في مطالبها الأثر البالغ في تقدّم الحركة العلمية .

وقد وردت مفردة السيمياء في القرآن الكريم في عدّة مواضع منها قوله تعالى : (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا)(١) ، وأيضاً قوله تعالى : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)(٢).

فالسيميائية من المصطلحات التي كثر النقاش والخلاف في تعريفها بين النقاد الجدد . وبعد إلقاء الضوء على التعاريف المتعددة للسيمياء يبدو أن أوضح تعريف لها ما قاله حمداوي : « السيمياء نظام السمة أو الشبكة من العلاقات النظمية المتسلسلة ، وإن السيمياء عبارة عن لعبة التفكيك والتركيب ، وتحديد البنيات العميقة الثانوية وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلالياً»(٣).

ويحاول البحث من خلال التعريف المذكور أن بين ظاهرة الألوان في شعر الشاعر العباسي (طلائع بن رزيك)

والافصاح عن مدلولها سيميائياً بعد تفكيك التركيب اللغوي المتمظهر في السياق ، فالشاعر يغور وراء المعاني الشاردة ويكتنف شعره الغموض وأنه لا يأتي بلون من الألوان إلا ويحاول أن يبين به وجهاً من الوجوه الشعرية أو غرضاً من الأغراض البلاغية أو احساساً من أحاسيسه حيث أن كل لون يعبر عن معنى ودلالة بصورة طبيعية ، والسيميائية كفيلة لحل رموز كل غامض وعويص وهذا الأمر هوما نبحث عنه في الدراسة السيميائية .

أما بالنسبة للمنهج الذي سار عليه البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي ، حيث يتم استقراء الألوان المستعملة عند الشاعر وتحليلها وفق المنهج السيميائي وصولاً إلى ما نروم إليه في هدف البحث عندما نستعين ببعض الشواهد والأحداث اللازمة في تفسير الظواهر السيميائية .

وقد صيغ موضوع البحث الحالي في محورين أساسية وهي على النحو التالي :

المحور الأول: مفاهيم ومصطلحات : مفهوم السيميائية ، اللون ، سيميائية الألوان ، الرثاء في الشعر العربي ، نبذة عن حياة الشاعر طلائع بن رزيك .

والمحور الثاني :السيميائية اللونية للمراثي الحسينية في شعر طلائع بن رزيك وصولاً إلى النتائج التي خرج بها البحث مستعينة بمجموعة من المصادر والمراجع التي أعانتني في كتابة البحث ، راجية من الله التوفيق والسداد .

المحور الأول : مفاهيم ومصطلحات

جرت العادة أن يشير الباحث إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكلمات التي تؤسس لمشكلة البحث وهي السيميائية واللون على الترتيب .

أولاً : مفهوم السيميائية

يعد مصطلح (السيميائية من أهم المصطلحات في النقد الأدبي وقد رافق حركة تطوره جدل كبير في تحدد مفهومه ، ويعرف بأنه علم الاشارات أو العلامات اقترحه دي سوسير بوصفه مشروعاً مستقبلياً لتقسيم علم اللسانيات الذي جاء به فصار يعني العلم العام للإشارة (٤)، وهي حسب بييرجيرو العلم الذي يدرس انظمة العمات ، اللغات وأنظمة الاشارات والتعليمات وغيرها ، وبهذا التعريف تكون اللغة جزءاً من السيمياء ، وهو ما يؤكده دي سوسير أيضا(٥).

ويجمع كبار النقاد الغربيين أمثال غريماس وتودوروف وجولياكر ستيفا وغيرهم بأنها العلم الذي يختص بدراسة العلامات(٦)، ومن هذا المبدأ انطلق النقاد العرب المحدثين في تعريف السيمياء ففي قاموس مصطلحات النقد الادبي المعاصر عرفت بأنها « إحدى علوم اللغة التي تدرس الاشارات أو العلامات وفق نظام منهجي خاص يبرز ويحدد الاشارة أو العلامة اللغوية أو التصويرية في النصوص الأدبية وفي الحياة»(٧). في حين يراها الدكتور صلاح فضل أنها « العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الاشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة»(٨). وينطلق المنهج السيميائي في تحليل النص من مبدأ احتواء النص على بنية ظاهرة وبنية عميقة يجب تحليلها وبيان ما بينها من علاقة ، والقارئ هو الذي يتولى هذه المهمة اعتماداً على مخزونه الثقافي والتفكير والخزين الثقافي والنقدي (٩). من هذا المنطلق يحتل القارئ مكانة متميزة في الدرس السيميائي ويفرض اختلاف الثقافة والتفكير والخزين الثقافي في تنوع القراءات. الامر الذي يثري النص ويخرجه إلى آفاق رحبه وهى مسالة تنطبق على النص الشعري العربي الذي ينماز بالعمق والسعة التي يكتسبها من سعة اللغة العربية ودقتها واستجابتها لتنوع المنطلقات النقدية في القراءة والتحليل، وإن من أبرز اتجاهات السيمياء هي سيمياء الدلالة التي تبحث المعنى وطرائق تكونه والقواعد الثابتة التي تتحكم في توليد النصوص في تمظهراتها النصية على مختلف الأجناس الأدبية ، وعلى عكس بقية الاتجاهات السيميائية التي تحكمها التصورات النظرية تحولت السيمياء في هذا الاتجاه إلى منهج وأداة لتحليل النصوص الأدبية(١٠)، وهو ما ستقوم عليه هذه الدراسة التي تتبع البعد السيميائي لدلالات الالوان في شعر الشاعر العباسي) طلائع بن رزيك .

ثانياً: اللون

اللون في اللغة هو» الهيئة كالسواد والحمرة ولون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان» (١١).

أما اصطلاحاً فيقصد به « التأثير الفيسيولوجي الناتج على شبكة العين سواء أكان هذا اللون مادة صباغية أم ضوءاً ملوناً»(١٢) .

وعموماً فإن اللغة في الغالب توظف لفظ اللون توظيفا مجازياً عن طريق المعاني الرمزية أو الايحائية للألوان فلا يفهم معناها بمجرد فيهم مفرداتها ذلك أنها تصبح تركيباً موحداً ذا معنى خاص(١٣) .

ثالثاً : سيميائية الألوان

تلاحقنا الألوان في كل تفاصيل الكون ، فأينما غدينا هناك ألوان وعلى اختلاف تدرجها توسعت مدلولاتها ، إذ للون الواحد قراءات سيميائية غير متناهية وحتى القدامى الذين لم يعرفوا السيمياء كعلم محض وخالص كان لهم حضور كبير في اعطاء اللون جملة من التفسيرات ، فهم تمكنوا من استنطاق اللون واستظهار مختلف الدلالات التي يصب فيها ، فالألوان « احتلت منزلة مميزة منذ القدم ، فكانت الأساس لكل الأعمال الفنية التي تصور حياة الانسان في مختلف ميادينها عبر فيها عن انفعالاته وقيمه ، فأكسبها دلالات معينة و جعلها رموزاً متنوعة تنوع آلامه وآماله : الحياة والموت ، الأمل والحبيبة ، الحزن والفرح و الهزيمة والانتصار» (١٤) . وكان من الطبيعي أن نجد أحياناً بعض التعارض في دلالة اللون الواحد ورمزيته ما بين منطقة وأخرى ، وبين حضارة وأخرى أوبين زمن وزمن آخر مختلف ،أو حتى داخل الحضارة الواحدة والمنطقة الواحدة والمرحلة الزمنية الواحدة ، وما ذلك إلا لأن هذه هي طبيعة البشر وطبيعة الطبيعة التي يعيشون فيها وطبيعة نظرتهم إلى هذه الطبيعة (١٥).

فالألوان إذاً ظاهرة قديمة قدم الانسان، فقدكانت ترجمة لأحاسيسه ومكنوناته، إذ استطاعت كسر حواجز عجزت اللغة في حد ذاتها .

وإن للألوان تأثيراً كبيراً على النفس الانسانية فهي توقظ بداخلها عدة أما سي وتزعزع مشاعر لطالما ارتبطت بأشياء معينة خزنت في الذاكرة ، فقد تكون بعضها رمزاً للأمل في حين البعض الآخر قد يكون تذكيراً بالألم والآهات ، وفي بحثنا هذا نتحدث عن مفهوم السيميائية اللونية في اللغة والاصطلاح ومما لاشك فيه أن ثمة علاقة وطيدة بين علم الإشارة ودلالة اللون ولا سيما إذا ما سلمنا أن لكل لون خصيصة علاماتية ورمزية وكنائية خاضعة للاستعمال في واقعة الطف، فاللون الأبيض على سبيل المثال يرمز إلى الطهارة والنقاء واحيانا يرمز إلى الموت في حين نجد اللون الأسود يرمز الى الحزن والموت، والأزرق الى الوفاء والأحمر للون الدم والعنف وغيرها من الكائنات التي تتلبس بهذه الألوان .

رابعاً : الرثاء في الشعر العربي

الرثاء لغةً : تباينت آراء اللغويين في بيان الأصل اللغوي للرثاء ، . فذهب بعضهم إلى أنه مشتق من الفعل المهموز (رثا)، (يقال : رثأتُ الرجل رثأً مدحته بعد موته)(١٦) في حين ذهب آخرون إلى أنه مشتق من المضعف(رثَّ) ودلالته البلى والقدم وانخلاق الشيء (يقال: حبك رثّ، وثوب رثّ ، ورجل رثّ الهيئة) (١٧)، أي ضعف متن الحبل ، وتناثرت أجزاء الثوب، وبدا على الرجل اختلاط الهيأة، ويُقال كذلك (أرثُّ فلان : حمل من المعركة مثخنا ضعيفاً، من قولهم هم رثّة الناس لضعفائهم شبهوا برثة المتاع) (١٨).

الرثاء في الاصطلاح :

هو التفجع على الميت، واظهار الحزن عليه، وتصوير الخسارة التي نجمت عن فقده ، وتعداد فضائله وصفاته الحسنة وتحمل الاشعار التي تتضمنه – عادة – فيضا من العاطفة، ودعوى إلى التأمل في حقيقة الحياة، وإن تجاوز الأمر إلى الصراخ والنواح(١٩) .

وقد قسم الدكتور شوقي ضيف الرثاء على ثلاثة أقسام هي : الندب والتأبين والعزاء(٢٠)، ولو انعمنا النظر في موروثنا الشعري الضخم سنرى أن الرثاء لا يتجاوز حدود هذه الأقسام فهي جامعة له ومشتملة عليه. أما (المرثي)، فذكره مرتبط بالشاعر الراثي فإن انقطع عنه اندرس ذكره وغاب أمره قافزاً إلى سلم الخلود ودرجات الأصالة وأرجح دليله

لما ذهبنا بقاء الأثر وخلود البقاء لصرح مراثي أهل البيت (عليهم السلام) بشكل عام، ومراثي الامام الحسين(عليه السلام). بشكل خاص، فبقيت تشع بسناها موقدة مصابيح البعث الجديد والروح الموقدة ما بقيت دقائق الاعصار وأيام الأعوام لأنها ارتبطت بذوات صنعوا مجد التاريخ ، فعندهم تلاشت حدود القوميات واندثرت معاني التعصب فتوحدت اهدافهم واتضحت تصوراتهم لبسط القانون الإلهي فكانوا لأجلها إن رخصت نفوسهم فجادوا بها ، والجود بالنفس اقصى غاية الجود ، فما أن أريقت دماء زاكيات وقطعت أجساد طاهرات وامتزجت بذرات تراب كربلاء حتى انطلقت افواه الشعراء تنسج من مسكها خيط الاباء ، ويصنعون منها ثياب العز والبقاء، فأضحت تعانق قمم الخلود وتصاهر ألق الزمان .

خامساً: نبذة عن حياة الشاعر (طلائع بن رزيك ٤٩٥ هـ –٥٥٦هـ) هو طلائع بن رزيك(٢١) الأرمني(٢٢)، ولد سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١م ، تعلَّم في بلده وحفظ القرآن الكريم واتقن علوم الدين واللغة والأدب عين والياً لإحدى ولايات الصعيد وبقي فيها حتى سنة ٥٣١هـ وتقلب في مناصب ولايات الصعيد الى سنة (٥٤٩هـ) حيث انتقل إلى القاهرة بعد مقتل الخليفة الظافر كما ذكر المؤرخون(٢٣)، فطلائع يعد من الشعراء المكثرين نظم شعراً ودونه وصار الناس يهرعون إلى نقل شعره(٢٤)، فالشاعر الملقب بـ (الملك الصالح وفارس المسلمين) طلائع بن رزيك يسخر شعره وشاعريته في سبيل قضية أهل البيت. ونهضة الامام الحسين (عليهم السلام) المباركة فيقول في احدى مراثيه (٢٥):

هل منصف باللطف يسليني
عن روضتي ورد ، ونسرين
ولا يلمني فإني امرء
وجدت فرط اللوم يغريني
أدريت بالسيف أسود الوغى
وهو بسحر اللحظ يرديني
لقد برى جسمي حتى رآ
ني الناس في هيبة محزون
كأنما صوّر من لؤلؤ
همت ببدر فيه مكنون
أقسمت لا مال بقلبي الهوى
والناس الا هو من طين

فقد أغنت الحركة التشيع الشعر العربي إلى حد كبير وكان الشعر الناتج عنها غزيراً قوياً ، وسب ذلك أن الموقف الذي وقفه الشيعة من شأنه ان يلهب العاطفة ويهيجها ويثيرها ، والعاطفة أكبر دعامة من دعائم الشعر، العاطفة الأولى عاطفة الغضب فإنهم اعتقدوا أنهم سلبوا حقهم وغصوه واعتدى عليهم ظلماً فحنقوا وغضبوا، أما العاطفة الثانية فهي عاطفة الحزن على ما حلّ بهم من نكبات جسام ، والثالثة الحب الشديد لآل البيت (عليهم السلام) .هذا البحث الذي أخذ يزداد بمرور الأيام ويقوى كلما اشتد اضطهادهم(٢٦).

ويعتبر ابن رزيك من شعراء الشيعة المكثرين من قول الشعر(٢٧)، وكان أكثر شعره يدور حول آل البيت(سلام الله عليهم)، ويعد موضوع المدح والرثاء الموضوعان الرئيسان الغالبان على شعره خاصة في ديوانه الذي جمعة الأرميني، فله في رثاء السبط الشهيد الامام الحسين (عليه السلام) قصائد كثيرة إذ يقول(٢٨) :

يـا راكنا قطع القرينا
بالعبس إذ يشكو البرينا

متوجهاً لمحله بالشام
يلتمس القطنيا
بلغ رسالة مؤمن
سعد بها دنيا ودينا
في كربلاء ثوى ابن بنت
ج رسول رب العالميا
قف بالضريح وناده
يا غاية المتوسلين
ايا عروة الدين المتين
وبحر علم العارفينا
يا قبلة للأولياء
وكعبة للطائفينا
مولاي جسمك ضرجته
دما سيوف القاسطينا
لهفي عليك وحسرتي
تبقى على مر السنينا

المحور الثاني:السيميائية اللونية للمراثي الحسينية في شعر طلائع بن رزيك

إن غرض الرثاء يأخذ في شعر ابن رزيك حجماً كبيراً في ديوانه. مبرزا بشكل كبير واقعة الطف في كربلاء وما جرى فيها من الأحداث. متفجعاً ومتوجعا لتلك المصائب متمنياً لو كان حاضراً فيها ليذود عن آل الرسالة بسيفه ورمحه، وهو ما زال يتحرق ألما لذلك اليوم العصيب ، فنراه يندبهم ويبكي لما حلّ منهم بعاطفة صادقة ، فينزلهم منزلة نفسه وأهله ، بل يفتديهم بنفسه وأهله، فهو في قصيدته يصور المشهد المأساوي بعد أن يتوصل إليه بمقدمة غزلية على عادة الشعراء ، مشهد الرؤوس على الرماح ومنعوهم من الماء المباح بينما يكرع الدّعاءة من الخمر فهي أمة غادرة إذ يقول(٢٩) :

حملوا رؤوسهم الكريمة
فوق أطراف الرماح
وحموا عليهم من جهالتهم
حمى الماء المباح
والخمر يكرع بينهم
ج فيها الدعي من السفاح
يا أمة غدرت ونور
الحق أبلج(٣٠) ذو القناع
وتعقبت سنن النبي
الطهر بالبدع القباح

فالدوال السيميائية اللونية الكامنة في قوله (نور الحق أبلج) في هذا النص احالت الدالة الشعرية الى صور شكلت

دلالات سيميائية في استدعاء حضور صورة الامام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، ولا يخفى ما للتكرار الصوتي ولا سيما فونيم الراء المتكرر يدل على التكرار الصوتي من خلال تلك الايقونات السيميائية المتداولة عند الشاعر من نور متجلي وظلام اسود، ويبدو أن الشاعر يمتلك قدرة شعرية فاعلة في الانتاج الدلالي السيميائي المتراكم ليولد لنا من اللفظ الواحد الدال السيميائي(نور أبلج). الذي يشير إلى المعنى النصي، ومن تلك العلاقة الضدية التقابلية بأبعادها وتشكلاتها السيميائية تنطلق الايقونة أو تتولد الايقونة اللفظية بتشكلها اللوني المتضاد ليحقق الدلالات السيميائية الكامنة في لفظة نور الحق أبلج ولاشك أن الشاعر أتكأ على التوظيف الاستعاري المجازي ليولد تلك المتضادات الدلالية السيميائية.

والشاعر في رثائه وبكائه على أهل البيت (عليهم السلام) يحاول أن يعزز الغرض بما يلائمه من الحوادث والأحاديث وذكر المناقب من أجل تشخيص الفاجعة وإحكامها في القلب إذ يقول في رثاء السبط الشهيد(عليه السلام)(٣١):

يـــا بقعـــــة (بالطف) حشـــو
ترابها دنيا ودين
أصبحت كأصداف يصادف
ضمنها الدُّر الثمين
مني السلام عليك ما
غطت على الشمس الدجون
ولي الحنين إليك مهما
اختص بالابل الحنين

تشكل الرؤية السيميائية في هذا النص وقف اطار وصفي لوني وتراكمات تصويرية لونية تشكل بحلقاتها دوال وايقونات استنطاقية تكمل بعضها الأُخرى في وصفٍ متجانس من خلال الدوال التشبيهية المقابلة والمتوازنة في تشكلات وصفية متجانسة فالدوال (الاصداف ، الدّر ، الشمس والدجون) شكلاً سياقياً دلالياً لونياً ناطقاً ورمزا دالاً إلى معاني الغزل (البياض والاشراق) لتكون أدوات موازنة ومقابلة الجمال واشراق وجه السبط الشهيد(عليه السلام). برؤية تشبيهية موازنة ، فالدالة السيميائية اللونية الخفية) النور والضياء والاشراق(منبثقة من تلك الدوال الظاهرة (الاصداف والدر والشمس) ولاشك أن الشاعر يوظف التقنيات الاسلوبية ليحقق الابداع السيميائي من خلال الاسلوبيات المساعدة إذ يوظف اسلوبية التقديم والتأخير) مني السلام ، ولي الحنين (ليحقق بذلك التوظيف الاسلوبي سيمائية النزاع الخفي بين الدال والمدلول والتشكلات الوجدانية داخل ذاته الواصفة .

وفي صورة أُخرى يرى الشاعر أن الزمان قد ظلم الامام الحسين(عليه السلام). حين خصه بالحرب والقتل ، وأصبح قلب الشاعر يتمزق من شدة الحزن عليه كما أن عينيه لم تكفا عن البكاء إذ يقول(٣٢):

ولو أنني أَبكي دماً ما قُلتُ إذ
طال البكا اكفف وازدجر يا مدمعي
إذ فيهم شهر الزمان صوارماً
ونحاهُم في هبذر المتُدرع
وكفاه إذ خصّ الحسين وآله
بالشر والقتل الذريع الأشنع
لما تذكرتُ إذ سالت دماؤهم

على النحور مضى صبري وودعني

فالرؤية السيميائية تنساق من خلال الدال) الدم والدمع) الذي يفضي الى دلالات سيميائية لونية ليكون المدلول دماء الإمام الحسين (عليه السلام)، فلون الدماء الأحمر لا يرمز إلى القتل فقط بل يحمل دلالات مرتبطة بالشهادة والخلود في الجنة والى العاطفة الشديدة والحب الإلهي الذي يربط الامام الحسين (عليه السلام). بأتباعه فالرؤية السيميائية اللونية فى هذا السياق المأساوي الحسيني يخلق تبايناً حاداً مع اللون الابيض الخفي من خلال قوله (إذ طال البكا الحفف وازدجر يا مدمعي(الذي يرمز إلى البراءة والنقاء مما يعكس عمق الصدمة التي احدثتها هذه الحادثة.

ويبقى الشاعر في كل قصائد الرثاء يشكو ما حلّ بآل البيت(عليهم السلام).مصوراً المشاهد في كربلاء والسقيفة وما بعدها ، وإن الأمة لم تحفظ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد وصاهم بهم إذ يقول(٣٣):

هوت وزوت منهم عشية قتلوا
أصول زكت أعراقها وغصون
وأظلم مبيض النهار عليهم
وحقهم مثل النهار مبين
تصرف حكم البيض والسمر فيهم
فمنهم صريح بالظبى وطعين

فالشاعر يوظف الابداع التصويري الكنائي، فضلاً عن التوليد التشبيهي في انتاج الدلالة السيميائية ومن خلال تلك الدوال المجازية تتولد تلك الثيمات الدالة والتي تنتج بدورها المدلولات السيميائية المتقابلة في تجسيد معاني الرثاء فـ (أظلم مبيض النهار حقهم مثل النهار المبين)، ومن تلك الدلالة السيميائية تتولد المدلولات السيميائية الجزئية في تشكيل سيميائي فتلك الدوال اللونية المتوالدة من الدوال الاساسية الصريحة (النهار والظلام). شكلت الدلالة السيميائية الفاعلة في تشكيل صور المرثي والحماسة وفقاً للسياق أو الموقف المأساوي الحماسي، ولاشك أن الشاعر كان حاذقاً في الانتقاء التشبيهي و(حقهم مثل النهار مبين (الذي اسهم في انتاج المدلول ولابد من الاشارة إلى أن للتضاد بين الظلام والنهار بعداً سيميائياً واضحاً كان فاعلاً في انتاج الدلالة المعنوية الممتدة للعلاقة اللونية المعنوية الثابتة بين المتكلم والمخاطب .

وفي مكان آخر تبقى ترنيمة الطّف لا تنفك عنه بكل أوجاعها وهي معه أغلب أبيات الرثاء مصوراً ما جرى على العترةالطاهرة متحسراً على فقدهم وعلى عدم حضوره معهم وهم عطاشى ، ويجنبهم نهر الفرات ، تلك المأساة التي لا تكاد تخلو منه قصيدة في رثاء أهل البيت (عليهم السلام) إذ يقول(٣٤):

حتى لقد حملوهم في زمان بني
أميّة فوق حدِّ الصارم الخشنِ
لأن عداني زماني عندهم فلقد
ذممْتُ لما عداني عنهم زمني
يا حرَّ قلبي على قتل) الحسين(ويا
لهفي ويا طول تعدادي ويا حزني
لهفي على الأنجم الزهر التي أفلت
وأبعدتها بنو حرب عن الوطن
سبوا حريم رسول الله بل طعنوا

فيه ، من بأنابيب القنا اللّدُنِ

فالتوظيف السيميائي اللوني تمثل في قوله:(الأنجم الزهر). الذي يشير الى الصفات السامية للامام الحسين(عليه السلام) ،وأهل بيته معبرا عن حزنه ومشاعره في سياق تصويري كنائي في انتاج الدلالة السيميائية لتجسيد معاني الرثاء في استحضار ما حل بأهل البيت. في كربلاء ، إذ أن الدلالة السيميائية لهذا اللون جاءت رمزاً وإمارة عن العاطفة الحزينة التي ألقت بظلالها على كل جوارح الشاعر.

ولهذا استقطبت ملحمة كربلاء قمم الشعر العربي على مدى أدواره ، قرونه فراحوا ينهلون من تلك الوقفة التي وقفها سيد الشهداء (عليه السلام). عظمة الإباء ، وعظمة الثورة ، فكانت كربلاء عرقاً ينبض فيهم في كل زمان ومكان ، ولعل من أقسى الفترات التي مر بها شعراء الشيعة هي الفترة العباسية التي ما رست كل أنواع البطش والتشكيل ضد شعراء كربلاء، ولكن رغم ذلك فإن الامام الحسين (عليه السلام)، وكربلاء لم ينقطع عن افواههم ونجد في رثاء الملك طلائع بن رُزيك، خير مثال عن الشعراء الذين عرفوا في ذلك الوقت بشدة ولائهم وتمسكهم بمنهج أهل البيت (عليهم السلام). إذ يقول في رثاء العترة الطاهرة(٣٥) :

قبل الخداع وغره
من أهل دعوته الغرور
فغدا بفتيته الكرام
إلى مصارعهم يسير
حتى تلقاهم بجنب الطف
يوم قمطرير(٣٦)
وغدا مراق دمائهم
حوض المياه به يمور
فسقوا النجيع(٣٧) هناك
لما أعوز الماء النمير
لهفي الصرعى في رجا
لهم وشيعتهم حضور
وطيت ظهورهم ورضت
بالخيول لهم صدور

فالرؤية السيميائية تنساق من خلال الدال) النجيع والدم (الذي يفضي الى دلالات سيميائية ليكون المدلول الحياة والموت ، في الوقت نفسه في رؤية تشبيهية سيميائية متولدة ، فالحياة كالموت في هذه التجربة النصية الابداعية التي تجسد تضحية آل البيت(عليهم السلام)، فالشاعر يوظف الدوال السيميائية الضدية لتتولد الاسقاطات الحياتية على النص من خلال التفاعل اللوني مع السياق.الضدي في بث ايقونة (الموت والخلود (الذي يدلي بدلالته القائمة المنسجمة مع الابداع اللوني للفظة الدم والنجيع ، لتنطلق من تلك الدوال السيميائية دلالة الحياة والموت وطلاقته التي تكتم في خفاياها سيميائية البطولة وفاعليتها في نسج معنى الحياة والموت.

هكذا تبقى مشاهد كربلاء لا تفارق مخيلة الشاعر، فهي تمنع عليه النوم وتحرمه لذته وهو متحسّر دائما لأن سيفه لم يطل الهامات في الطف فيشفي غليله منهم حتى يلاقي ربه بوجه أبيض يوم تسود الوجوه : (٣٨)

وإنني لقتيل الطف مكتب

إذ راحتي لبني اللخناء لم تطل
وإن سيفي عفٌّ عن دمائهم
وإن طرفي على الأنجاس لم يَجُل
حتى أكون إذا اسودت وجوههم
ألقى إلهي بوجهٍ في المعاد جلي

فالتأويل السيميائي ظهر من خلال العلامات المتمظهرة في النص الشعري لهذه الأبيات التي تعكس مشاعر عميقة من الحزن والفقد من خلال جمالية الصورة الشعرية اللونية بقوله: « إن سيفي عف عن دمائهم « الكناية عن عدم الرغبة في سفك دماء أهل البيت(عليهم السلام) حتى في وجه الأعداء، والتوظيف السيميائي اللوني المتمثل بقوله : «اسودت وجوههم ألقي إلهي بوجهٍ في المعاد جلي « يحمل دلالة واضحة وهي قوى الشر والظلام ، وإلى أن يلقى ربه يوم العدل الإلهي بوجه جلي مشرق ، فالدوال السيميائية ظهرت في العلاقات المتشابكة والمعقدة فيما بين اللونين الاسود (الشر والظلام) والأبيض (الوجه الجلي المشرق)، فقد استخدمها الشعر بشكل مثير ملفت للنظر ليشير إلى التضاد اللوني بين الظلام والاشراق ليحقق بعداً سيميائياً واضحاً كان فاعلاً في انتاج الدلالة المعنوية الممتدة للعلاقة اللونية المعنوية الثابتة بين المتكلم والمخاطب .

وقوله في معرض رثاء أبطال كربلاء(٣٩):

وسال من الصخر غيضاً لهم
دمٌ فاضَ لم يُجره منصلُ

تبرز الصورة السيميائية اللونية من خلال استخدام كلمة الدم التي تحمل دلالة العنف فالصخور فاضت غيضاً لما شاهدته في الطف ، وتفجرت ألماً وسالت الدماء من غير كلم بسيف فقد أطلق الشاعر الفيض على الدم وهو مجاز مرسل علاقته المحلية لان الفيض لا يسيل انما يسيل الدم ، والصخر بحد ذاته يحمل دلالات لونية فهو غالباً ما يرتبط بالون الرمادي أو البني فعندما ينفجر الدم الاحمر من الصخر يحدث تضاد لوني ليزيد من حدة المشهد المأساوي الحسيني .

الخاتمة:

بعد هذه الإطالة على تجليات اللون في المراثي الحسينية عند الشاعر العباسي كان لا بد للبحث في هذا الميدان أن يفضي إلى جملة من النتائج نوجزها بما يلي :

١- شكل شعر الشاعر طلائع بن رزيك صورة اللونية لهذه الواقعة الأليمة عبر علامة ايقونية كبرى ومن ثم بعدها علامات أخرى تكون بمثابة علامات شارحة ومبينة لطبيعة هذه العلامة الكبرى .

٢- اعتمد الشاعر في تشكيل صورهِ اللونية على موحيات الألوان (الالوان غير مباشرة (كـ) الأبلج ، الدّر ، الشمس، الدجون ، الدماء، الازهر، النجيع) اكثر من اعتماده على الألوان المباشرة .

٣- اللون في واقعة الطف يخضع لسياقه الشعري فيتغير اللون من سياق إلى آخر فالأبيض يدل على النقاء والطهارة لكنه في واقعة الطف احياناً قد يصطبغ بصبغة تدل على الحزن .

٤- قصائد رثاء الشاعر كانت خالصة لتصوير الجانب الانساني عند الشاعر ورغبته في تصوير جوانب الألم والجزع من فراق الامام الحسين (عليه السلام)، إلا ان شاعرنا ينظم الرثاء لعلة تضاف الى ما تقدم وهي التقرب الى الله (عز وجل (والاستشفاع بآل البيت لاسيما رثاء السبط الشهيد ابي عبد الله) عليه السلام (و ما وقع عليه بكربلاء النصيب الأوفر من مراثيه إذ كان الملك الصالح يرثيهم)عليهم السلام (لما نزل بساحتهم الكريمة من المحن.

الهوامش:

١–سورة البقرة : ٢٧٣ .

٢–سورة الفتح : ٢٩ .

٣–السيميوطيقيا والعنونة : حمداوي جميل ، مجلة عالم الفكر ، ط٣ ، الكويت ، العدد٣ ، ص٦٥–٨٢ .

٤–ينظر : معجم السيميائيات : فيصل الأحمر ، ص١٢ .

٥–ينظر : الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر ، عصام خلف كامل ، ص١٨–١٩ .

٦–المصدر نفسه : ص١٨ .

٧–قاموس مصطلحات النقد الادبي المعاصر : سمير سعيد حجازي ، ص١٢٠ .

٨–النظرية البنائية في النقد الادبي « د. صلاح فضل ، ص٢٩٧.

٩–ينظر : المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي ، ليلى شعبان شيخ محمد رضوان وسهام سلامة عباس ، ص٧٨٦ .

١٠–ينظر : مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية ، جوزيف كورتيس ، ص١٠ .

١١–لسان العرب : ابن منظور ، مادة (لون) .

١٢–اللون في الشعر العربي قبل الاسلام : ابراهيم محمد علي ، ص١٩ .

١٣–اللغة واللون : أحمد مختار عمر ، ص٧٨ .

١٤–الألوان (دورها ، تصنيفها ، مصادرها ، رمزيتها ، دلالتها) : كلود عبيد ، ص١٠ .

١٥–المصدر نفسه : ص٨ .

١٦–لسان العرب : مادة (رثا) ، ج١ ، ص٩٢ .

١٧–معجم مقاييس اللغة : لأبو الحسن احمد بن فارس بن زكريات ٣٩٥هـ ، ص٣٨٤ .

١٨–اساس البلاغة للزمخشري ، ج١ ، ص٣٣٧ .

١٩–ينظر : شعر الرثاء في العصر الجاهلي : دكتور مصطفى عبد الشافي الشوري ، ص٧ .

٢٠–ينظر : الرثاء : الدكتور شوقي ضيف ، ص٥–٦ .

٢١–وفيات الأعيان وانباء الزمان : ابن خلكان ، ص٥٢٦ .

٢٢–نهاية الأدب في فنون الأدب : النويري ، ج٢٨ ، ص٢١٠ .

٢٣–ينظر : وفيات الأعيان وانباء الزمان : ابن خلكان ، مج٢ ، ص٥٢٦ .

٢٤–النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي ، ج٥ ، ص١١٣.

٢٥–ديوان طلائع بن رزيك ، ص١٤٨ .

٢٦–ينظر : أثر التشيع في الأدب العربي : كيلاني ،ص٩١ .

٢٧–ينظر : في أدب مصر الفاطمية : حسين كامل ، ص١٩٧ .

٢٨–ديوان طلائع بن رزيك : ص١٥٠–١٥١ .

٢٩–المصدر نفسه : ص٧١.

٣٠–أبلج : هو الأبيض بياضاً حسناً .

٣١–ديوان طلائع بن رزيك : ص١٥٩ .

٣٢–المصدر نفسه : ص٩٠ .

٣٣–المصدر نفسه : ص١٦٠ .

٣٤–المصدر نفسه : ص١٤٧ .

٣٥–المصدر نفسه : ص٧٧ .

٣٦–القمطرير : من الأيام الشديد المظلم .
٣٧–النجيع : من الدم ما كان مائلاً إلى السواد .
٣٨–ديوان طلائع بن رزيك : ص١٠٩ .
٣٩–المصدر نفسه : ص١٢ .

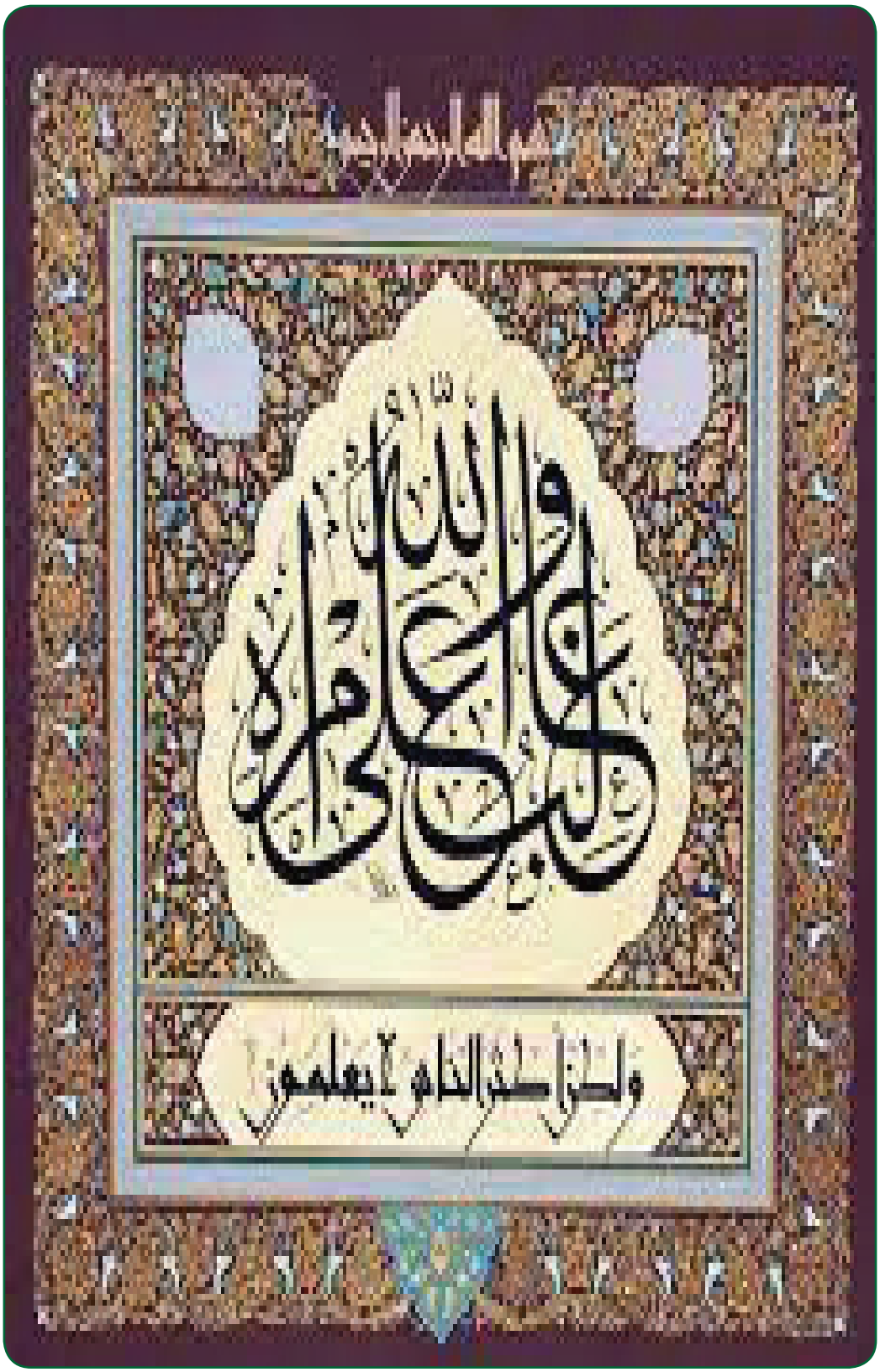
المصادر والمراجع :

١– القرآن الكريم .
٢– الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر : عصام خلف كامل ، دار فرحة ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
٣– أثر التشيع في الأدب العربي : كيلاني (محمد سعد) ، دار العربي ، ط٢ ، القاهرة ، ٤١٦هـ–١٩٩٦م .
٤– أساس البلاغة للزمخشري ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م ، مادة (رثث) ، ج١ .
٥– الألوان (دورها ، تصنيفها ، مصادرها ، رمزيتها ، دلالتها) : كلود عبيد ، مر : محمد حمود ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
٦– ديوان طلائع بن رزيك (الملك الصالح) : جمعة وبوبه : محمد هادي الأميني .
٧– الرثاء : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، د.ت .
٨– شعر الرثاء في العصر الجاهلي : دكتور مصطفى عبد الشافي الشوري ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣م . .
٩– في أدب مصر الفاطمية : حسين محمد كامل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .
١٠– قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر : سمير سعيد حجازي ، دار الآفاق العربية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
١١– لسان العرب : ابن منظور ، مادة (لون) ، دار صادر ، بيروت .
١٢– اللغة واللون : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، مصر ، ط١ .
١٣– اللون في الشعر العربي قبل الاسلام : ابراهيم محمد علي ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠م ..
١٤– مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية : جوزيف كورتيس ، تر : جمال الخضري ، منشورات الاختلاف ، ط١ ، بيروت ، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م .
١٥– معجم السيميائيات : فيصل الأحمر ، منشورات الاختلاف ، ط١ ، الجزائر ، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م .
١٦– معجم مقاييس اللغة : (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريات ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الدار الاسلامية ، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م ، مادة (رث) ، ج٢ .
١٧– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأنابكي (ت٨٧٤هـ–١٤٦٩م) ، دار الوثائق القومية القاهرة ، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م ، ج٥ .
١٨– النظرية البنائية في انقد الأدبي : د. صلاح فضل ، دار الشروق ، ط١ ، القاهرة ، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م .
١٩– نهاية الأدب في فنون الأدب : النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ–١٣٣٢م) ، تحقيق : نجيب مصطفى فوّاز ، حكمت كلشي فواز ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م) ، ج٢٨ .
٢٠– وفيات الاعيان وأنباء الزمان : ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ، تحقيق : احسان عباس، د.ط ، د.ت ، دار صادر بيروت ، مج٢.

الدوريات والمجلات

١– السيميوطيقيا والعنونه : حمداوي جميل ، مجلة عالم الفكر ، ط٣ ، الكويت ، العدد٣ ، ص٦٥–٨٢ .
٢– المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي : ليلى شعبان شيخ محمد رضوان وسهام سلامة عباس ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية ، العدد١ ، المجلد ٣٣ ، السنة ٢٠١٧م ، ص٧٨٦ .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٧)
السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م



قراءة في منهجية العلّامة البحراني في تفسير القرآن (كتاب البرهان أُنموذجًا)

م.م. هند فالح هامان علي
ديوان الوقف الشيعي/ دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

المستخلص:
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على العالم بالقرآن ورسوله الرحمن مولانا أبي القاسم محمد بن عبد الله وآله الكرام...
يُعد القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية وهو الكتاب الأوحد، وصل إلى الأمة الإسلامية بالتواتر اللفظي؛ وما ذلك إلا لشدة عناية وإهتمام المسلمين بكتابهم المقدس، وقد برّز شدة الإهتمام بأن دأب علماء الأمة على تفسير كتاب الله سبحانه، فتعددت التفاسير على مرّ القرون فنلاحظ أطياف التفسير تختلف من قرن إلى قرن ومن عالم إلى آخر، من هنا برز العلامة البحراني في القرن الحادي عشر في تفسيره الأثري.
الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، التفسير،التواتر اللفظي.

Abstract:
Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the world with the Qur›an and His Messenger, the Most Merciful, Maulana Abu Al-Qasim Muhammad bin Abdullah and his honorable family...
The Holy Qur›an is the first source of Islamic law, which is the only book, reached the Islamic nation with verbal frequency, and this is only because of the intensity of care and interest of Muslims in their holy book, and the intensity of interest has emerged that the nation›s scholars have been interpreting the book of God Almighty, so there have been many interpretations over the centuries, so we note the spectra of interpretation vary from century to century and from one world to another, from here the Bahrani scholar emerged in the eleventh century in his archaeological interpretation.

المبحث الأول:
العلامة البحراني: سيرته و منجزاته العلمية
المطلب الأول: اسمه ونشأته:
أبو المكارم هاشم ابن السيد سليمان ابن السيد إسماعيل ابن السيد عبد الجواد ابن السيد علي ابن السيد سليمان ابن السيد ناصر الموسوي الحسيني التوبلي الكتكاني نسبة إلى كتكان قرية من قرى (التوبلي) بالبحرين المفسر الإمامي المعروف بالعلامة(١) .
لم يذكر لنا المؤرخون تأريخ ولادته, نعم إنه في سنة ١٠٦٣هـ كان بالنجف الأشرف و شاهد الشيخ فخر الدين النجفي بداره.
جاء إلى النجف لطلب العلوم الدينية و أنه لم يكن في سن الشيخوخة فطلب العلم في النجف الأشرف و كانت نشأته فيها.
المطلب الثاني: تحصيله و رحلاته العلمية:
قرأ السيد هاشم على الشيخ فخر الدين و أجازه و كان العلامة البحراني يتنقل في البلدان للاستفادة من العلماء و القراءة عليهم , و اخذ إجازة الرواية منهم, و أنه سافر إلى شيراز و إلى مشهد الإمام الرضا ٧ في خراسان و إلى النجف الأشرف في أوائل عمره و يمكن القول أن السيد البحراني درس في بادئ أمره في البحرين ثم انتقل إلى النجف

و حضر دروس علمائها الأبرار و بقي فيها سنين غير قليلة و أنه رجع بعدها إلى البحرين و بدأ بمشاريعه العلمية و التبليغية و صار مرجعاً و رئيساً للبلاد الشيعية في البحرين , و تولى القضاء و الأمور الحسبية , بلغ تلك المراتب السامية فصار علامة ذلك الزمان لتبحره في العلوم(٢).

المطلب الثالث: شيوخه و تلامذته:

نظراً للمكانة العلمية التي وصل إليها السيد هاشم البحراني حتى ظهرت بصماته في العلوم و خصوصاً الحديث و التفسير التي كان يقف وراءها شيوخ كبار نهل من معينهم المعرفي و روى عنهم متحملاً أعباء السفر للحصول على إجازات من أعاظم العلماءو القراءة عليهم , و من جملة شيوخه نذكر بعضاً منهم:

أولاً: الشيخ فخر الدين بن علي بن أحمد الطريحي النجفي :

قال العلامة االبحراني: ((الشيخ الفاضل الزاهد فخر الدين النجفي، و شافهته و أجاز لي الرواية عنه)) (٣) .

ثانياً : السيد عبد العظيم بن عباس الاسترآبادي:

قال السيد هاشم البحراني: ((أخبرني بالإجازة عدة من أصحابنا منهم السيد الفاضل التقي الزكي السيد عبد العظيم بن السيد عباس بالمشهد الشريف الرضوي على ساكنه و آبائه و أولاده أفضل التحيات و أكمل التسليمات))(٤)

أما تلامذته : قد كان يتوارد عليه عدد كبير من طلبة العلوم الذين تتلمذوا على يديه و جلسوا تحت منبره لما كان عليه من مكانة علمية و إلمام بالحديث فأجاز الكثيرمنهم , ومن تلامذته و المجازين عنه:

١- محمد بن الحسن الحر العملي
٢- الشيخ محمود بن عبد السلام المعني
٣- الشيخ عبد الله بن علي بن أحمد البحراني
٤- السيد محمد بن علي بن سيف الدين العطار البغدادي
٥- الشيخ حسن البحراني
٦- الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي
٧- الشيخ علي بن عبد الله بن راشد المقابي البحراني
٨- الشيخ هيكل بن عبد علي الأسدي الجزائري (٥).

المطلب الرابع: مما قيل فيه:

ذكر العلماء السيد البحراني بعبارات الثناء و المدح الجميل نذكر بعضاً منهم:

١- الشيخ يوسف البحراني: قال عنه : ((إنه كان فاضلاً محدثاً جامعاً متتبعاً للأخبار بما لم يسبق له سابق سوى شيخنا المجلسي ، وقد صنف كتباً عديدة تشهد بشدة تتبعه واطلاعه)) (٦).

٢- الميرزا عبد الله افندي :قال عنه: ((الفاضل ، الجليل ، المحدث الفقيه المعاصر ، الصالح الورع ، العابد الزاهد ،المعروف بالسيد هاشم العلامة ، صاحب المؤلفات الغزيرة ، والمصنفات الكثيرة ، رأيت أكثرها بأصبهان عند ولده السيد محسن)) (٧).

٣- الشيخ الحر العاملي: قال عنه: ((فاضل ، عالم ، ماهر ، مدقق ، فقيه ،عارف بالتفسير، والعربية ، والرجال, رأيته ورويت عنه)) (٨)

٤- الشيخ عباس القمي: قال عنه: ((عالم فاضل مدقق فقيه ، عارف بالتفسير والعربية والرجال ، كان محدثاً متتبعاً للأخبار بما لم يسبق إليه سابق سوى العلامة المجلسي ، وقد صنف كتباً كثيرة تشهد بشدة تتبعه واطلاعه)) (٩) .

٥- العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني: قال عنه: ((السيد هاشم صاحب التآليف القيمة)) (١٠).

المطلب الخامس: آثاره العلمية:

كان السيد العلامة البحراني مصنفاً في علومٍ متنوعة و بارعاً في الحديث و التفسير و من خلال آثاره و مؤلفاته يستدل

على مكانته العلمية منها(١١):

١- الانصاف في النص على الأئمة الأثني عشرمن آل محمد الأشراف
٢- ايضاح المسترشدين الراجعين إلى ولاية علي بن طالب أمير المؤمنين
٣- البرهان في تفسير القرآن
٤- ترتيب التهذيب
٥- تعريف رجال من لا يحضره الفقيه
٦- تنبيهات الأريب في رجال التهذيب
٧- حلية النظر في فضل الأئمة الاثنى عشر
٨- الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد
٩- سير الصحابة
١٠- غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام
١١- مصابيح الأنوار وأنوار الأبصار في بيان معجزات النبي المختار
١٢- الهادي ومصباح النادي
١٣- سلاسل الحديد
١٤- الاحتجاج
١٥- غاية الآمال فيما تتم به الأعمال

المطلب السادس: وفاته:

توفي السيد هاشم البحراني في بيت الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسين بن علي بن كنبار لأنه كان متزوجاً بمخلفة الشيخ علي ابن الشيخ عبد الله المذكور كانت وفاته سنة(١١٠٧هـ/١٦٩٥م)في قرية نعيم و نقل نعشه إلى قرية توبلي و دفن بها و قبره مزار معروف(١٢).

المبحث الثاني:

المنهج الأثري في تفسير القرآن

علم التفسير من العلوم التي ظهرت مع نزول القرآن , هو الكافل لحل معضله و بيان ما أُبهم منه أو أُجمل و قد مست الحاجة إلى ذلك بعد أن كان القرآن هو المرجع الأعلى للتشريع و تنظيم معالم الحياة و كان التفسير آنذاك مقتصراً في بيانه على النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)، و كبار الصحابة و التابعين و العترة الطاهرة,و من ثم كان المعتمد في التفسير هو النقل المأثور الذي يشكّل حلقة وثيقة في سلسلة المناهج التفسيرية المعتبرة عند أعلام الأمة.

من هنا اذكر بعض المطالب منها .

المطلب الأول : الأثر في اللغة و الاصطلاح:

الأثر في اللغة: بقية الشيء، و الجمع آثار و أُثور, و الأَثر: ما بقي من رسم الشيء, و الآثارُ: الأَعْلام, و الأَثَر: الخبر، و الجمع آثار، و سنن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). آثاره، و الأَثَرُ: مصدر قولك أَثَرْتُ الحديث آثُرُه إذا ذكرته عن غيرك, و في حديث عليّ(علية السلام). في دعائه على الخوارج: و لا بَقِيَ منكم آثِرٌ, أَي مخبر يروي الحديث, و من هذا قيل: حديث مأْثور أَي يُخْبِر الناسُ به بعضُهم بعضاً أَي ينقله خلف عن سلف(١٣).

الأثر في الاصطلاح: الأثر:العلامة، و علامة الجرح، و يقال سنّة رسول الله عليه الصلاة و السلام، و قيل أن الرواية تطلق على فعل النبي و قوله(صلى الله عليه وآله وسلم)، و الخبر على قول النبي لا على فعله، و الآثار على أفعال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، و الأثر عند المحدّثين يطلق على الحديث الموقوف و المقطوع كما يقولون جاء في الآثار كذا, و البعض يطلقه على الحديث المرفوع أيضاً كما يقال جاء في الأدعية المأثورة كذا. و عند الفقهاء الموقوف أثراً

و المرفوع خبراً و أطلق المحدّثون الأثر عليهما(١٤).

المطلب الثاني: الأدوار التأريخية للمنهج الأثري:

تُقسّم إلى عدة أمور(١٥)منها:

١-عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

نشأ التفسير الروائي مقارناً للوحي؛ لأن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). هو أول مفسر و مبين للقرآن و قد جاء الأمر الإلهي بهذا الخصوص في قوله تعالى:(وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)(١٦)، و سنة النبي و بيانه ترجع فيجذورها إلى الوحي كما روي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)) (١٧)، فقد كان الصحابة يرجعون إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).في تفسيرالقرآن و يأخذون منه معانيه و قد يكون عمله (صلى الله عليه وآله وسلم).تفسيراً للقرآن كما روي عنه(صلى الله عليه وآله وسلم).أنه قال بشأن الصلاة : ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)) (١٨)، و روي عنه أنه قال :((خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم)) (١٩).

و في هذه الصورة تكون أفعال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).تفسيراً لجزئيات الصلاة و الصوم , روي عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام). أنه قال: ((إِنَّ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم). نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ لَمْ يُسَمِّ اللَّهُ لَهُمْ ثَلَاثاً وَ لَا أَرْبَعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم). هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُم)) (٢٠). نعم لقد بين النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).المسائل التي ذُكرت بصورة كلية في القرآن الكريم و غير ذلك، و جميع هذه الأمور كانت تفسيراً للقرآن وصلتنا بواسطة الروايات و السنة و لا تزال موجودة كمصادر للتفسير الروائي .

٢- عصر أهل البيت :

استمرت طريقة التفسير الروائي إلى عصر الأئمة :و كان أمير المؤمنين علي(عليه السلام). تلميذ النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).في التفسير يسمع ما يقوله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).في تبيين آيات القرآن و يقوم بنقله و روايته و قد اتبع أهل البيت (عليهم السلام): ايضاً فكانوا ينقلون الأحاديث للناس عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، و الإمام(عليه السلام)، و يستدلون بها، و قد تصدى أهل البيت : لتفسير القرآن لاطلاعهم على العلوم الإلهية و لذا اعتبرت سنتهم من قول و فعل و تقرير مصدراً للتفسير.

و في هذا المجال سأل رجل الإمام الرضا(عليه السلام). قال : إنك لتفسر من كتاب الله ما لم تسمع به فقال أبو الحسن:((عَلَيْنَا نَزَلَ قَبْلَ النَّاسِ وَ لَنَا فُسِّرَ قَبْلَ أَنْ يُفَسَّرَ فِي النَّاسِ فَنَحْنُ نَعْرِفُ حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ وَ سَفَرِيَّهُ وَ حَضَرِيَّهُ وَ فِي أَيِّ لَيْلَةٍ نَزَلَتْ كَمْ مِنْ آيَةٍ وَ فِيمَنْ نَزَلَتْ وَ فِيمَا نَزَلَت)) (٢١)، و قال في حديث آخر: ((فَإِنَّمَا عَلَى النَّاسِ أَنْ يَقْرَءُوا الْقُرْآنَ كَمَا أُنْزِلَ فَإِذَا احْتَاجُوا إِلَى تَفْسِيرِهِ فَالاهْتِدَاءُ بِنَا وَ إِلَيْنَا)) (٢٢)، و على هذا قام أهل البيت (عليهم السلام): بتبيين مسائل متنوعة في مجال الأمور الكلية التي وردت في القرآن و آيات الأحكام و كذلك تبيين الآيات و تأويلها.

٣-عصر الصحابة و التابعين :

حظيت الروايات التفسيرية للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم).و أهل البيت (عليهم السلام):باهتمام الصحابة و التابعين حتى أن بعض الصحابة أمثال ابن عباس و ابن مسعود كانوا لا يرون أنفسهم مستغنين عن الإمام علي(عليه السلام)، والاستفادة من علمه و أن كثيراً من أحاديث التفسير لابن عباس تلقاها عن الإمام علي(عليه السلام)، وفي الحقيقة أن الصحابة و التابعين قاموا بتفسير القرآن أيضاً و قد وصلتنا روايات كثيرة عن ابن عباس و غيره.

يُذكر أن الروايات التفسيرية في هذه الفترة جمعت بصورة تدريجية باسم كتب التفسير الروائي.

المطلب الثالث: التفاسير الأثرية عند الفريقين

أولاً: أشهر المصنفات عند أهل السنة: هي

١- تفسير أبي جعفرمحمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) المسمى (جامع البيان).

٢- تفسير الثعلبي(ت ٤٢٧هـ) المسمى(الكشف و البيان)

٣- تفسير السيوطي(ت٩١١هـ) المسمى(الدر المنثور)

ثانياً: أشهر المصنفات عند الشيعة: هي

١- تفسير محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٩هـ) المسمى (تفسير العياشي)

٢- تفسير علي بن إبراهيم القمي(الذي كان حياً سنة ٣٠٧هـ)المسمى (تفسير القمي)

٣- و قد ألف في أواخر القرن الحادي عشر تفسيران بالمنهج الروائي أحدهما تفسير السيد هاشم البحراني(ت ١١٠٧هـ) المسمى (البرهان في تفسير القرآن) ثانيهما تفسير الشيخ عبد علي الحويزي المسمى(نور الثقلين) (٢٣).

المبحث الثالث:

منهج العلامة البحراني في تفسيره

إن أهمية التفسير تتمثل في فهم كتاب الله عزّ و جلّ المنزل على نبيه المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبيان معانيه و استخراج أحكامه و هذا يكون في مناهج متعينة منها يقتصر بيانه على قول النبي و فعله و تقريره و كذا أهل البيت :قولهم و فعلهم و تقريرهم ,و قد اتخذ هذا المنهج العلامة البحراني في تفسيره البرهان في تفسير القرآن, ويُعدّ من التفاسير المحضة فهو على غرار تفسير العياشي وتفسير فرات و هو من أشهر كتبه على الأطلاق قد جمع الروايات المتعلقة بكل آية من دون أية إضافة أو تعليق

قال الشيخ يوسف البحراني: ((البرهان في تفسير القرآن ستة مجلدات و قد جمع فيه جملة من الأخبار الواردة في التفسير من الكتب القديمة و غيرها)) (٢٤).

و قال المحقق حسين الكنتوري: ((االبرهان في تفسير القران للسيد الاجل السيد هاشم المعروف بالعلامة قد جمع فيه الأخبار الواردة في تفسير القرآن من الكتب المتقدمة وغيرها ولم يتكلم على شي منها وهو يشهد بشدة تتبعه واطلاعه وسعة نظره))(٢٥).

و ذكر العلامة البحراني اسم كتابه قائلاً: ((و سميته بـ(البرهان في تفسير القرآن) و هو قد اشتمل على كثير من فضل أهل البيت:الذين نزل القرآن في منازلهم، فمرجع تنزيله و تأويله إليهم)) (٢٦).

ثم جاء مبيناً منهجه إذ قال : ((فغير خفي على أهل الإسلام و الإيمان شرف القرآن و علو شأنه، و غزارة علمه، و وضوح برهانه، و أنه الغاية القصوى، و العروة الوثقى، و المستمسك الأقوى، و المطلب الأعلى، و المنهاج الأسنى، الذي من استمسك به نجا، و من تخلف عنه غوى، الذي بدرسه و تلاوته و التفكر في معانيه حياة للقلوب، و بالعلم به و العمل بما فيه التخلص من الكروب, غير أن أسرار تأويله لا تهتدي إليه العقول، و أنوار حقائق خفياته لا تصل إليه قريحة المفضول، و لهذا اختلف في تأويله الناس، و صاروا في تفسيره على أنفاس و انعكاس، قد فسروه على مقتضى أديانهم، و سلكوا به على موجب مذاهبهم و اعتقادهم، و كل حزب بما لديهم فرحون، و لم يرجعوا فيه إلى أهل الذكر (صلى الله عليهم أجمعين)، أهل التنزيل و التأويل، القائل فيهم جل جلاله وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ (٢٧) لا غيرهم,

و هم الذين أوتوا العلم، و أولوا الأمر، و أهل الاستنباط، و أهل الذكر الذين أمر الناس بسؤالهم كما جاءت به الآثار النبوية و الأخبار الإمامية، و من ذا الذي يحوي القرآن غيرهم؟ و يحيط بتنزيله و تأويله سواهم؟

ففي الحديث عن مولانا باقر العلم أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)، قال: « مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ ظَاهِرَهُ وَ بَاطِنَهُ غَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ))(٢٨)،(٢٩).

و يتضح من كلام العلامة أنه كان معترضاً على من يفسر القرآن الكريم بعيداً عن كلمات أهل البيت : , ومتعجباً من أن يكون لعلمي المعاني والبيان دور في التفسير حيث زعموا أن معرفة هذين العلمين تطلع على مكنون سرّ الله جل جلاله وهو بعيد ؛ لأن القرآن نزل في بيوتهم و هم أعرف ببيانه محيطون بمعانيه كلها ما ظهر منها و ما بطن, بيّن العلامة أن تفسيره قائم على ما جمعه من الروايات التي وردت عنهم:و لم يجتهد من نفسه في تفسير الآيات .

ضم تفسيره البرهان أغلب الروايات التفسيرية الواردة عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأهل البيت:بطرق الإمامية و في موارد أخرى نقل عن غيرهم بشكل موافق للروايات الواردة عن أهل البيت :أو في فضائلهم و مناقبهم و هو ما ذكره المؤلف قائلاً:

((و ربما ذكرت التفسير من طريق الجمهور إذا كان موافقا لرواية أهل البيت (عليهم السلام)، أو كان في فضل أهل البيت(عليهم السلام) :

كما رواه ابن المغازلي الشافعي، عن ابن عباس، عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). قال، قال: «القرآن أربعة أرباع: فربع فينا أهل البيت خاصة، و ربع حلال، و ربع حرام، و ربع فرائض و أحكام، و الله أنزل فينا كرائم القرآن»(٣٠) (٣١).

و يعد هذا التفسير موسوعة في الروايات و الأخبار الواردة عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).والأئمة الأطهار:

الخاتمة:

يتلخص مما تقدم ما يلي :

١- إن السيد هاشم البحراني من علماء القرن الحادي عشر لم نقف على تأريخ ولادته.

٢- كان كثير التنقل من بلد إلى آخر طالباً للعلم عند أساطين المعرفة.

٣- قد صنّف في معارف متنوعة و برع في التفسير و الحديث.

٤- اهتم ببيان القرآن الكريم بالمنهج الأثري فصدر له كتاب البرهان في تفسير القرآن تفسيراً روائياً محضاً .

٥- السيد البحراني يذهب إلى أن التفسير و التأويل لا يؤخذ إلا من المأثور عن الرسول(صلى الله عليه وآله)، و أهل بيته:

٦- إن البحراني أبدى تعجبه من أن يكون لعلمي المعاني و البيان دور في التأويل و التفسير.

٧- كما أنه رفض الإستفادة من أي مصدر آخر غير المأثور عن أهل البيت: في التفسير.

الهوامش:

(١) ينظر ترجمته في كتب كثيرة منها:

البلادي: الشيخ علي بن حسن (ت ١٣٤٠هـ/١٩٢١م):أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف و الإحساء و البحرين,(مؤسسة الأعلمي,ط/١, بيروت–لبنان,١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص١٢١؛ القمي:عباس (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م):الكنى و الألقاب، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط/٢، قم – إيران، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ج٢,ص٥٨٢؛ الطهراني: آقا بزرگ(ت١٣٨٩هـ/١٩٦٩م):الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (دار الأضواء، ط/١، بيروت–لبنان، د.ت) ج٣,ص٩٣؛ السبحاني:جعفر: موسوعة طبقات الفقهاء، (مؤسسة الإمام الصادق، ط/١، قم–إيران، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ج١٢,ص٤٢٤؛ تبريزيان : فارس:العلامة السيد هاشم البحراني ,حياته,كتبه,مكتبته,(دار المعروف,ط/١,قم–إيران,١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص ١٧ و ما بعدها.

(٢) ينظر:البلادي: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف و الإحساء و البحرين,ص١٢١.
(٣) ينظر: البحراني: السيد هاشم :(ت ١١٠٧هـ/١٦٩٥م):حلية الأبرار في أحوال محمد و آله الأطهار:,تحقيق: غلام رضا البروجردي(مؤسسة المعارف الإسلامية,ط/١,قم–إيران, ١٤١١هـ/١٩٩١م) ج٤، ص ٢٦٩
(٤) ينظر: البحراني: السيد هاشم :(ت ١١٠٧هـ/١٦٩٥م):البرهان في تفسيرالقرآن,تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة,(مؤسسة البعثة,ط/١,قم–إيران, ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ج٥، ص٨٦٧.
(٥) ينظر :تبريزيان :العلامة السيد هاشم البحراني ,حياته,كتبه,مكتبته,ص ٤٧ و ما بعدها.
(٦) ينظر : البحراني: يوسف بن أحمد(ت١١٨٦هـ/١٧٧٢م):لؤلؤة البحرين,(دار الأضواء,ط/٢,بيروت–لبنان,١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص٦٣–٦٤.
(٧) ينظر :افندي:عبد الله (ت ١١٣٠هـ/١٧١٧م): رياض العلماء وحياض الفضلاء,تحقيق: أحمد الحسيني,(منشورات مكتبة المرعشي ,ط/١ , قم. إيران, ١٤٠٣ هـ/١٩٨٢م)ج٥,ص٢٩٨– ٢٩٩.
(٨) ينظر : الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ/١٦٩٢م):أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسيني، (دار الكتاب الإسلامي، قم– إيران، د.ت)٢/٣٤١
(٩) ينظر :القمي:الكنى و الألقاب:ج٢,ص ٥٨٢.
(١٠) ينظر: الأميني:عبد الحسين أحمد (ت١٣٩٢هـ/١٩٧٢م):الغدير في الكتاب والسنة والأدب,(دار الكتاب العربي ,ط/٤, بيروت – لبنان, ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ج٦,ص٢٦.
(١١) ينظر :تبريزيان :العلامة السيد هاشم البحراني ,حياته,كتبه,مكتبته,ص١٠١ و ما بعدها.
(١٢) ينظر:البلادي: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف و الإحساء و البحرين,ص١٢١.
(١٣) ينظر: ابن منظور: محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ/١٣١١م):لسان العرب، تحقيق: احمد فارس، (دار الفكر، ط/٣، بيروت–لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ج٤,ص٥–٦.
(١٤)التهاوني:محمد علي(ت١١٥٨هـ/١٧٤٥م):كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم,تحقيق:د.علي دحروج(مكتبة لبنان ناشرون,ط/١, بيروت–لبنان,١٤١٧هـ/١٩٩٦ م)ج١,ص٩٨.
(١٥)معرفة: محمد هادي: (ت١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م):التفسير الأثري الجامع,(مطبعة ستاره,ط/١, قم–إيران,١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ج١,ص٩٨؛ مركز نون:دراسات في مناهج التفسير ,ص٩٥.
(١٦) سورة النحل: جزء من الآية, ٤٤.
(١٧)ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥م):مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و آخرون، (مؤسسة الرسالة ناشرون، ط/١، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ج٢٨,ص٤١٠.
(١٨)المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (مؤسسة الوفاء، ط/٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ج٨٢، ص ٢٧٩.
(١٩)ابن أبي جمهور الأحسائي: محمد بن علي(توفي في القرن العاشر الهجري/القرن الخامس عشر الميلادي) :عوالي اللئالي ,تحقيق: مجتبى العراقي (دار سيد الشهداء للنشر, ط/١, قم–إيران, ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ج١، ص ٢١٥.
(٢٠)الكليني: محمد بن يعقوب(ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م):الكافي, تحقيق علي أكبر الغفاري,(دار الكتب الإسلامية, ط/٤, طهران–إيران, ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج١، ص ٢٨٦–٢٨٧
(٢١) المجلسي: بحار الأنوار, ج٢٣، ص ١٩٦
(٢٢) المجلسي: بحار الأنوار, ج٢٧، ص ١٩٧
(٢٣)السبحاني: جعفر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن, (مؤسسة الإمام الصادق, ط/٤, قم– إيران, ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ص ١٥٨ و ما بعدها.
(٢٤) ينظر: البحراني: لؤلؤة البحرين , ص٦٤.
(٢٥)ينظر: حسين: إعجاز (ت١٢٨٦هـ/١٨٦٩م): كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والاسفار، (مكتبة السيد المرعشي، ط/٢، قم–إيران، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ص٨٥
(٢٦)ينظر: البحراني: البرهان في تفسير القرآن, ج١, ص٨.
(٢٧)سورة آل عمران,جزء من الآية,٧.
(٢٨)ينظر: الصفار: محمد بن حسن (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م):بصائر الدرجات(نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي,ط/٢, قم – إيران,١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ج١، ص ١٩٣
(٢٩)ينظر: البحراني: البرهان في تفسير القرآن,ج١,ص٤–٣.
(٣٠)ينظر: ابن المغازلي: علي بن محمد(ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م):مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب,تحقيق: تركي بن عبد الله الوادعي,(دار الآثار,ط/١,صنعاء–اليمن,١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص٣٩٤.

(٣١)ينظر: البحراني: البرهان في تفسير القرآن,ج١,ص٦.

المصادر:

القرآن الكريم
• ابن أبي جمهور الأحسائي: محمد بن علي(توفي في القرن العاشر الهجري/القرن الخامس عشر الميلادي)
١- عوالي اللئالي ,تحقيق: مجتبى العراقي (دار سيد الشهداء للنشر, ط/١, قم-إيران, ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م)
• ابن المغازلي: علي بن محمد(ت٤٨٣هـ/١٠٩٠م)
٢- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب,تحقيق: تركي بن عبد الله الوادعي,(دار الآثار,ط/١,صنعاء-اليمن,١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)
• ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥م)
٣-مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و آخرون، (مؤسسة الرسالة ناشرون، ط/١، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)
• ابن منظور: محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ/١٣١١م)
٤- لسان العرب، تحقيق: احمد فارس، (دار الفكر، ط/٣، بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)
• افندي:عبد الله: (ت ١١٣٠هـ/١٧١٧م)
٥- رياض العلماء وحياض الفضلاء,تحقيق: أحمد الحسيني,(منشورات مكتبة المرعشي ,ط/ , قم. إيران, ١٤٠٣ هـ/١٩٨٢م)
• الأميني:عبد الحسين أحمد (ت١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)
٦- الغدير في الكتاب والسنة والأدب,(دار الكتاب العربي ,ط/٤, بيروت – لبنان, ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م)
• البحراني: السيد هاشم :(ت ١١٠٧هـ/١٦٩٥م)
٧- البرهان في تفسيرالقرآن,تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة,(مؤسسة البعثة,ط/١,قم-إيران, ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)
٨- حلية الأبرار في أحوال محمد و آله الأطهار: ,تحقيق: غلام رضا البروجردي(مؤسسة المعارف الإسلامية,ط/١,قم-إيران, ١٤١١ هـ/١٩٩١م)
• البحراني: يوسف بن أحمد(ت١١٨٦هـ/١٧٧٢م)
٩- لؤلؤة البحرين,(دار الأضواء,ط/٢,بيروت-لبنان,١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)
• البلادي: الشيخ علي بن حسن (ت ١٣٤٠هـ/١٩٢١م)
١٠- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف و الإحساء و البحرين,(مؤسسة الأعلمي,ط/١, بيروت-لبنان,١٤١٤هـ/١٩٩٤م)
• تبريزيان : فارس
١١- العلامة السيد هاشم البحراني ,حياته,كتبه,مكتبته,(دار المعروف,ط/١,قم-إيران,١٤١٦هـ/١٩٩٥م)
• التهاوني:محمد علي(ت١١٥٨هـ/١٧٤٥م)
١٢-كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم,تحقيق:د.علي دحروج(مكتبة لبنان ناشرون,ط/١, بيروت-لبنان,١٤١٧هـ/١٩٩٦ م)
• الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ/١٦٩٢م)
١٣- أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسيني، (دار الكتاب الإسلامي، قم – إيران، د.ت)
• حسين: إعجاز (ت١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)
١٤-كشف الحجب و الأستار عن أسماء الكتب والاسفار ، (مكتبة السيد المرعشي، ط/٢، قم-إيران، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)
•السبحاني: جعفر
١٥- المناهج التفسيرية في علوم القرآن, (مؤسسة الإمام الصادق, ط/٤, قم – إيران, ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)
• الصفار: محمد بن حسن (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)
١٦- بصائر الدرجات(نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي,ط/٢, قم – إيران,١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)
• الطهراني: آقا بزرگ(ت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)
١٧- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (دار الأضواء، ط/١، بيروت-لبنان، د.ت)
• القمي: عباس (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)
١٨- الكنى و الألقاب، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط/٢، قم-إيران، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
• الكليني: محمد بن يعقوب(ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م)
١٩- الكافي, تحقيق علي أكبر الغفاري,(دار الكتب الإسلامية, ط/٤, طهران-إيران, ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)
• المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)
٢٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (مؤسسة الوفاء، ط/٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)
• مركز نون للتأليف و الترجمة
٢١- دراسات في مناهج التفسير,(نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية,ط/١,بيروت-لبنان,١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)
• معرفة: محمد هادي: (ت١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)


بسم الله الرحمن الرحيم
قل أعوذ برب الفلق
من شر ما خلق ومن
شر غاسق إذا وقب
ومن شر النفاثات
في العقد ومن شر
حاسد إذا حسد
صدق الله العلي العظيم

مباحث علوم القرآن في تفسير (عين الحياة) للشيخ بهاء الدين محمّد العاملي (ت ١٠٣٠هـ)

م. د. مازن حمود مطرود مخيلف
وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة

المستخلص:
يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مباحث علوم القرآن التي أشار إليها الشيخ بهاء الدين محمد العاملي في كتابه (عين الحياة)، فقد تنوعت – مباحث علوم القرآن – بحسب التقسيم الذي صنّفه الأستاذ الدكتور حكمت الخفاجي في كتابه (مصطلح علوم القرآن عند الإمام عليه)، إلى تشريعية، منها: (المكي والمدني ، أسباب النزول ، المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ)، وموضوعيّة، منها: (العام والخاص)، وعلوم القرآن الدلاليّة، منها: (الإعجاز القرآني). وهذه التقسيمات الثلاثة اشتمل عليها تفسير (عين الحياة)، وقد بيّنها الباحث في المبحث الثاني للبحث، فيما عرّض المبحث الأول للتعريف بالمؤلِف والمؤلَّف.
وخلص البحث إلى جملة من النتائج كان من أبرزِها، إنَّ سيرة الشيخ البهائي عن طريق ما ذكره في حقّه الأعلام وكذلك عن طريق ما وصل إلينا من مصنّفاته في العلوم المتنوعة، جميع ذلك يبرهن نبوغ وعظمة هذا العالم الجليل، فهو من أعلام القرن الحادي عشر الهجري الذين سطع نجمهم وتناثرت علومهم في معارف جمّة، إنَّ القيمة العلمية لتفسير (عين الحياة) من الأهمية بمكان فقد ضمّنه مناقشاته الكلاميّة، منها مناقشاته على ما ذهب إليه علماء المذاهب الأخرى أمثال (البيضاوي والزمخشري)، واستدلالاته على المسائل الفقهية وبيان الأحكام الشرعية التي تضمنتها آيات الأحكام، وكذلك الإشارة إلى مباحث علوم القرآن في طيات تفسيره للآيات المباركات، فكان تفسيرًا ثرًّا زاخرًا بالمعلومات المختلفة في علومٍ شتّى، وغيرها من النتائج.
الكلمات المفتاحية:الشيخ البهائي، عين الحياة، علوم القرآن.

Abstract:
This research aims to shed light on the topics of Quranic sciences referred to by Sheikh Baha› al–Din Muhammad al–›Amili in his book (Ain al–Hayat). The topics of Quranic sciences are diverse, according to the divisions classified by Professor Dr. Hikmat al–Khafaji in his book «The Terminology of Quranic Sciences According to the Imam (peace be upon him),» into legislative topics, including: (Meccan and Medinan, reasons for revelation, clear and ambiguous verses, and abrogating and abrogated verses); thematic topics, including: (general and specific); and semantic Quranic sciences, including: (Quranic miracles). These three divisions are included in the interpretation of (Ain al–Hayat), and the researcher explained them in the second section of the research, while the first section introduced the author and the work.
The research concluded with a number of results, the most prominent of which is that the biography of Sheikh Al–Baha'i, through what was mentioned about him by the scholars, as well as through what has reached us from his works in various sciences, all of this proves the brilliance and greatness of this great scholar, as he is one of the scholars of the eleventh century AH, whose star shone and whose knowledge was dispersed in many areas of knowledge. The

scientific value of the interpretation of (Ayn Al-Hayat) is of great importance, as it includes his theological discussions, including his discussions on what scholars of other schools of thought have gone to, such as (Al-Baydawi and Al-Zamakhshari), and his evidence on jurisprudential issues and the explanation of the legal rulings contained in the verses of rulings, as well as the reference to the discussions of the sciences of the Qur'an in the folds of his interpretation of the blessed verses, so it was a rich interpretation full of different information in various sciences, and other results.

Keywords:Sheikh Baha›i, The Eye of Life, Quranic Sciences.

المقدّمة:

الحَمدُ للهِ الذي جعل الحمد بابًا لشكره، ومفتاحًا لفيض عطائه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، النبي الأمين محمّد أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله الميامين المعصومين الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبهِ المخلصين المنتجبين الثابتين على الحقّ، وعلى من تبِعهم بإحسانٍ إلى قيامِ يومِ الدين.وبعد..

لا شكَّ أنَّ لعلم التفسير أهميةً كُبرى؛ وذلك تبعًا للحاجة المستمرة إلى فهم القرآن الكريم، وبيان معانيه الدقيقة ومفاهيمه العميقة؛ نظرًا لما تضمّنه من تعاليمٍ راقيةٍ وحِكَم وأحكام وقصص ومواعظ، وشمولية جاءت بأرقى مستوى من البيان والفصاحة، فكان لابدَّ من الوقوف والتأمل لمعرفة مقاصده، وفهم معانيه ومعرفة مفرداته وتراكيبه وظاهره وباطنه، فأصبح التفسير علمًا مستقلًا واسعًا شموليًا، وطوّع العلماء أغلب العلوم والمعارف وجعلوها من أدواته التي يُستعان بها على فهم القرآن وبيانه وتفسيره، بقدر الطاقة البشرية.

ومع اتساع هذا العلم ظهرت أساليب التفسير ومناهجه وتعددت ألوانه ومدارسه، بحسب ما اعتمدت عليه من علوم.

وكان لأئمة أهل البيت(عليهم السلام). أثر بارز ومميَّز في تفسير القرآن، فهم ، ورثة الكتاب وحملة علومه ومعارفه، وهم عدل القرآن والثقل الناطق المأمور بالتمسك به، فكانت مروياتهم التفسيرية قد رسمت خطوطًا عامة، وأسّست قواعد رصينة لمدرسةٍ تفسيريةٍ واضحة المعالم سُمّيت فيما بعد بمدرسة أهل البيت في التفسير، حتى أُثِرت عنهم مرويات دوَّنها أصحابهم، فشكلت مادة تفسيريّة قائمة على أسس قرآنية، وطرق استنباط سليمة، خاصة فيما صحَّ من هذه الروايات، أمَّا فيما ضَعُفَ منها وداخلها الدس والوضع، أخضعها العلماء للنقد والتمحيص فأسقطوها عن الحجيّة في التّفسير.

وهذا التفسير الذي بين أيدينا هو أحد المدونات التفسيريّة، التي كان من أهم ركائز مادتها، ما أُثِرَ عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأهل البيت(عليهم السلام)، إذ جمع المؤلف – وهو من أعلام القرن الحادي عشر الهجري – ما ورد عنهم من روايات معتمدة، فيذكرها مُعتمِدًا في بعضها على من سبقه من المفسرين ممّن نقلوا تلك الروايات.

تنبع أهمية الموضوع من مكانة كتاب الله العزيز وعلومه وتفسيره؛ لأنَّها أشرف العلوم وأرفعها منزلةً وأولاها بالعناية والتفضيل، هو علم التفسير، وما انماز به تفسير (عين الحياة)، ضمّه للروايات الواردة عن أئمة أهل البيت .

وتأسيسًا على ما تقدَّم من جملة الأسباب التي دعت الباحث إلى دراسة تفسير (عين الحياة)، منها:

١– الإسهام في إظهار جهود العلماء الماضين في تفسير القرآن الكريم؛ ليقف من بَعدهم على جهودهم الكبيرة التي بذلوها في الكشف عن مراد الله تعالى.

٢– أنَّه يضيف إلى المعرفة التراكميّة في علوم القرآن والتفسير ما يفيد منه الباحثين.

قُسِّم البحث على مبحثين، كان المبحث الأوّل في بيان اسم ونسب الشيخ البهائي، وذكر ما أورده أصحاب التراجم من أسماء أساتيذه وتلامذته، وذكر مؤلفاته، وبيان مكانته العلميّة وما قاله العلماء في حقّه، وختم المبحث الأوّل بالإشارة إلى تاريخ وفاته، والمبحث الثاني في مباحث علوم القرآن التي اشتمل عليها تفسير (عين الحياة)، منها: أسباب النزول، الإعجاز القرآني، العام والخاص، المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وغيرها، وخُتِمَ البحث بخلاصة ضمّت أهم ما رَشَحَ من نتائج البحث.

ختامًا أقول: أحمدُ الله جلّ وعلا أنْ وفّقني لدراسة تراث عالم من علماء مدرسة أهل البيت ، وأحسبه ذخرًا لي في دنياي وآخرتي، وإنّي قد عملت مثابرًا لإخراج هذا العمل بالصورة المرضية على وفق المعايير الصحيحة، فأرجو ممّن يقع نظره عليه، ويقلب صفحاته أنْ يلتمس لي العذر، ويرشدني إلى مواطن الاشتباه والخلل، ولا أدعي لهذا البحث الكمال فإنّ الكمال لله وحده، إذ قال في محكم كتابه العزيز:(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء/٨٢.والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأوّل: في المؤلِف والمؤلَف

أولا: في المؤلِف: الشيخ محمّد العاملي (الشيخ البهائي) في سطور:

١- اسمه ونسبه ومولده:

هو «العَلم الذي ذاع صيته في البلدان، وملأ اسمه الآفاق، محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن الحسين بن صالح الحارثي الهمداني(١) العاملي، الجبعي(٢) نزيل أصفهان، وكان الحارث من أولياء أمير المؤمنين ومن مخلصي أصحابه»(٣).

والده الشيخ «الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي الحارثي الهمداني العاملي (ت٩٨٤هـ)، ولد في الأوّل من المحرم سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وعني بطلب العلم، وجدّ في تحصيله حتى بذّ أقرانه، ومهر في الفقه وفي الحديث وعلومه، وصارت له يد طولى في علم الكلام، واللغة والعلوم الأدبية، روى عن الفقيه السيد بدر الدين الحسن بن جعفر الأعرجي الحسيني الكركي (ت ٩٣٣هـ)، وتلمّذ على الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (ت ٩٦٦هـ)، ولزمه لزومًا شديدًا، وقرأ عليه في الفقه وأصوله والمنطق وغير ذلك، وتخرّج به، وحصل منه على إجازة تاريخها سنة (٩٤١ هـ)، وروى عنه آخرون سماعًا وإجازةً، منهم، ولده بهاء الدين محمد العاملي وقرأ عليه جملة من الكتب في المعقول والمنقول، وولده أبو تراب عبد الصمد بن الحسين، وغيرهم»(٤).

جدُّه العالم الجليل الشيخ (عبد الصمد بن محمد بن علي الجبعي العاملي). كان فاضلًا عالمًا قال في حقّه الحر العاملي: «الشيخ الصالح، العالم العامل، المتّقي المتفنّن، خلاصة الأخيار»(٥).

أمَّا زوجة الشيخ البهائي فقد ورد عن سيرتها من ذكر العلَّامة محسن الأمين، إذ قال: هي «ابنة الشيخ علي المنشار العاملي، لم أعلم اسمها، فاضلة عالمة فقيهة محدثة وكانت زوجة شيخنا البهائي وقد قرأت على والدها وقد سمعنا من بعض المعمرين الثقات الذي قد شاهدها في أوان صباها أنّها كانت تدرس في الفقه والحديث ونحوهما وكانت النساء تقرأ عليها وورثت من أبيها أربعة آلاف مجلد من الكتب صارت عند الشيخ البهائي وذكر لنا بعض الأفاضل أنّها وافرة العلم كثيرة الفضل وقد بقيت بعد وفاة زوجها الشيخ البهائي مدة»(٦).

كما يُعد «الشيخ البهائي من ألمع علماء القرن الحادي عشر الهجري؛ لما عُرِفَ من موسوعيته المعرفية في شتى العلوم، ولبراعته الفائقة في بعض منها، فكان فقيهًا أصوليًا، أديبًا، بالإضافة إلى كونه عالمًا في الهندسة، والفلك، والحساب، والجبر، وجميع أقسام الرياضيات، كما جمع إلى ذلك كله الحكمة والكلام وعلومًا أخرى»(٧).

كان مولده «في بعلبك من مدن لبنان في ١٣ ذي الحجة أو يوم الخميس ١٧ محرم من سنة ٩٥٣ هـ و انتقل به والده و هو صغير إلى إيران، تولى في إيران مشيخة الإسلام ثم ترك المنصب و سافر لحج بيت الله الحرام و زيارة النبي ، و ساح في كثير من الأقطار ثلاثين سنة، ثم عاد إلى إيران مزودًا بمعارف لا تحد، فقصده علماء الأمصار

للاستفادة في بعلبك (٩٥٣هـ – ١٥٤٧م)»(٨).

٢– أساتيذه وتلامذته(٩):

درس الشيخ (محمد العاملي البهائي) على يد جهابذة العلماء في عصره، كان في مقدِّمتهم:

أ – والده الشيخ (الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن الحسين العاملي) (ت٩٨٤هـ).

ب – (عبد الله بن حسين اليزدي) (ت ٩٨١هـ).

ج – الشيخ (عبد العال بن علي بن حسين بن علي بن محمد بن عبد العال العاملي، الكركي) (ت٩٩٣هـ).

د – الشيخ (محمد بن محمد بن أبي اللطف المقدسي الشافعي).

هـ – المولى (علي المذهب المدرّس)، أستاذه في العلوم العقليّة و الرياضيّة.

و – القاضي (المولى أفضل)، درس الرياضيات على يده.

ز – المولى (محمد باقر بن زين العابدين)، أستاذه في الهيئة و الحساب.

ح – الحكيم (عماد الدين محمود)، أستاذه في الطب.

وقد تتلمذ على يديه عديد من العلماء الأفاضل، كان منهم:

أ – العلّامة (المجلسي الأوّل)، و له إجازة من الشيخ البهائي .

ب – الشيخ (جواد الكاظمي)، المعروف بـ (الفاضل الجواد)، و له شرح على (زبدة الأصول) و (خلاصة الحساب).

ج – المولى (محمد محسن الفيض الكاشاني).

د – (صدر المتألّهين الشيرازي).

هـ –الشيخ (ماجد البحراني).

و – السيّد (نظام الدين أحمد بن زين العابدين العلوي العاملي).

ز – السيّد (حسين بن حيدر بن السيّد عزّ الدين الكركي).

ح – السيّد (عبد الحسيب بن زين العابدين العلوي العاملي).

ط – السيّد (نور الدين عليّ بن عليّ بن أبي الحسن الموسوي العاملي).

٣– مؤلفاته(١٠):

للشيخ البهائي عدَّة مؤلفات في علوم شتَّى، منها:

– مصنفاته الفقهية:

أ – الأثنى عشرية: في الطهارة، في الصلاة، في الزكاة و الخمس، في الصوم، في الحجّ)، كتاب مطبوع.

ب – (الحبل المتين في إحكام أحكام الدين): أوله «الحمد لله الذي دلنا على الطريق القويم، وهو مرتب على أربعة مناهج في العبادات في العقود في الايقاعات في الاحكام»(١١)، كتاب مطبوع باللغتين العربية والفارسية.

ج – (الجامع العباسي باللغة الفارسية)، كتاب مطبوع باللغة الفارسية.

د – (المسح على القدمين)، غير مطبوع.

هـ – (الحريرية)، غير مطبوع.

و – (قصر الصلاة في الأماكن الأربعة)، غير مطبوع.

ز – الذبيحية (تحريم ذبائح أهل الكتاب)، كتاب مطبوع.

ح – الذبيحية (تحريم ذبائح جميع الكفّار)، غير مطبوع.

ط – (الفتاوى في الغسل)، غير مطبوع.

ي – (مشرق الشمسين و إكسير السعادتين)، كتاب مطبوع.

ك – (الفرائض البهائية)، في المواريث من حبل المتين، كتاب مطبوع.

ل – (شرح الفرائض النصيرية)، للخواجه (نصير الدين الطوسي)، غير مطبوع.
م – (أحكام سجود التلاوة)، وغيرها من المصنفات الفقهيّة، غير مطبوع.
– مصنفاته الأصولية:
أ – (زبدة الأصول)، كتاب مطبوع.
ب – (الوجيزة)، كتاب مطبوع.
ج – (حاشية زبدة الأصول)، كتاب مطبوع.
د – (حاشية شرح العضدي)، غير مطبوع.
هـ – (حاشية مبادئ الأصول)، (للعلّامة الحلّي)، غير مطبوع.
و – (شرح حاشية الخطائي على مختصر الأصول لابن الحاجب)، غير مطبوع.
– منصفاته في علوم العربية والأدب:
أ – (الفوائد الصمدية)، كتاب مطبوع.
ب – (الكشكول)، كتاب مطبوع.
ج – (أسرار البلاغة)، غير مطبوع.
د – (رياض الأرواح، منظومة)، غير مطبوع.
هـ – (الكافية)، غير مطبوع.
و – (الزاهرة، في مائة بيت)، غير مطبوع
ز – (قصيدة في مدح النبيّ«صلى الله عليه وآله»)، مطبوع.
ح – (لغز الفوائد الصمدية في النحو)، كتاب مطبوع.
ط – (لغز الكافية في النحو)، غير مطبوع.
ي – (لغز القانون في الطبّ)، غير مطبوع.
ك – (لغز الكشّاف في التفسير للزمخشري)، وغيرها من المصنفات، غير مطبوع.
– مصنفاته في الأدعية والأذكار:
أ – (مفتاح الفلاح)، كتاب مطبوع.
ب – (مصباح العابدين)، غير مطبوع.
ج – (حاشية الصحيفة السجّاديّة)، كتاب مطبوع.
د – (الحديقة الهلاليّة حدائق الصالحين)، كتاب مطبوع.
هـ – الحديقة الأخلاقيّة (حدائق الصالحين)، كتاب مطبوع.
و – (الحديقة، شرح دعاء الصباح، حدائق الصالحين)، غير مطبوع.
– مصنفاته في علم الحديث:
أ – (الأربعون حديثا) شرح الأربعين حديثا، كتاب مطبوع
ب – (حاشية كتاب من لا يحضره الفقيه) لابن بابويه، كتاب مطبوع.
– مصنفاته العقدية:
أ – (إثبات وجود القائم)،غير مطبوع.
ب – (الاعتقادات الاعتقادية)، غير مطبوع.
ج – (وجوب شكر النعم)، غير مطبوع.
د – (ترجمة ما ألّفه الإمام الرضا«عليه السلام».إلى المأمون)، غير مطبوع.

هـ – (أجوبة أسئلة السيد زين الدين المسائل المدنيّات)، غير مطبوع.
– مصنفاته في الحكمة و الفلسفة:
أ – (وحدة الوجود)، غير مطبوع.
ب – (إنكار الجوهر الفرد)، غير مطبوع.
ج – (الوجود الذهني)، غير مطبوع.
– مصنفاته في علم الرياضيات والفلك:
أ – (الحساب)، كتاب مطبوع باللغة الفارسية، ومترجم إلى اللغة العربية.
ب – (الاسطرلاب)، غير مطبوع.
ج – (بحر الحساب)، غير مطبوع.
د – (تشريح الأفلاك)، مطبوع باللغة الفارسية.
هـ – (حاشية تشريح الأفلاك)، مطبوع باللغة الفارسية، وغيرها من المصنفات.
– مصنفاته في الرجال:
أ – (طبقات الرجال)، غير مطبوع.
ب – (الفوائد الرجالية)، غير مطبوع.
ج – (حاشية رجال النجاشي)، غير مطبوع.
د – (حاشية خلاصة الأقوال للعلّامة الحلّي)، غير مطبوع.
هـ – (حاشية معالم العلماء لابن شهر آشوب)، غير مطبوع.
و – (الوجيزة في علم الدراية)، كتاب مطبوع.
– مصفاته في العلوم الغريبة:
أ – (الجفر)، غير مطبوع.
ب – (رسالة في الجفر)، و هي رسالة أخرى من الشيخ (باللغة الفارسية)، غير مطبوع.
ج – (أحكام النظر إلى كتف الشاة)، غير مطبوع.
– مصنفاته في علوم القرآن والتفسير:
أ – (العروة الوثقى)، كتاب مطبوع.
ب – (أجوبة أسئلة الخواجوئي): وهي مسائل من القرآن الكريم أجاب عنها الشيخ البهائي ، مطبوع في ذيل كتاب (مشرق الشمسين وإكسير السعادتين).
ج – (أجوبة مسائل الشاه فضل الله): وفيه جواب عن مسائل ثلاث في الردّ على تفسير بعض آيات الكتاب العزيز في أوردها مفسرين، منهم:
١ – قول (البيضاوي) عند تفسير آية وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ (١٢).
٢ – قول (العلّامة الطبرسي) في (مجمع البيان)، عند تفسير آية رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (١٣).
٣ – تفسير آية الإفك أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (١٤).
٤ – تفسير آية فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ (١٥):
٥ – تحقيق حول كلام (البيضاوي) بشأن آيات من (سورة الملك)، سيّما آية فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ (١٦).و أنّ التغليب في الآية المذكورة لأجل الإيجاز و المبالغة و التعليل. ذكرها (العلّامة الطهراني) باسم (مقالة في وجه التغليب)، غير مطبوع.
د – (حاشية أنوار التنزيل للبيضاوي): وقد ألّف الشيخ البهائي عدَّة حواشي على تفسير (أنوار التنزيل و أسرار

التأويل) (للقاضي البيضاوي):

١- (الحاشية المختصرة) التي مرّ ذكرها آنفا عند تفسير آية الملك.

٢- (الحاشية الصغيرة) التي كتبت على مقدّمة (أنوار التنزيل) و تفسير (سورة الفاتحة)، و (سورة البقرة) إلى الآية: وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ (١٧)، مطبوع رسالة ماجستير مقدَّمة من قبل الطالب (وسام محمد طالب)، إلى جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية / قسم علوم القرآن، بإشراف الأستاذ الدكتور (يقضان سامي محمد)، سنة ٢٠١٧.

٣- (الحاشية الكبيرة) التي تسمّى في بعض الفهارس باسم (شرح أنوار التنزيل) أو (الحاشية الكبيرة)، غير مطبوع.

٤- (شرح أنوار التنزيل للبيضاوي)، غير مطبوع.

٥- (حاشية الكشّاف للزمخشري)، غير مطبوع.

٦- (حلّ الحروف القرآنية): قال (العلّامة الطهراني): «توجد نسخة منها في مكتبة النفيسي المذكور في: شرح زندگانى بهائي، ترجمة حياة الشيخ البهائي»( )، غير مطبوع.

٧- (تأويل الآيات): وهو مؤلَّف في تفسير كلّ القرآن باللغة الفارسية، ومنهجه في تأليفه يقرب من تفاسير (جواهر التفسير) و (منهج الصادقين) و (خلاصة المنهج)، و نسب إلى الشيخ(١٨)، غير مطبوع.

٨- (مشرق الشمسين و إكسير السعادتين): أورد فيه المؤلّف فيه آيات الأحكام و تفسيرها، لذا يمكن تصيفه من الكتب الفقهيّة من جهة تناوله الآيات التي تشتمل على أحكام فقهيّة، وأيضًا يمكن عدُّه من المصنفات التفسيريّة؛ لاشتماله على تفسير الآيات والروايات التفسيرية، كتاب مطبوع.

٩- (تفسير سورة الفاتحة): تفسير موجز عن تفسير (العروة الوثقى)، كتاب مطبوع.

١٠- (عين الحياة): هذا الكتاب تفسير مختصر مزجيّ، نسب تأليفه في (أمل الآمل) و (روضات الجنّات) و (الغدير) إلى الشيخ البهائي ، وفي هذا الكتاب تفسير (سورة الفاتحة)، ثمّ (البقرة) إلى قوله: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ (١٩)، و آل عمران إلى الآية: إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً (٢٠)، كتاب مطبوع.

وهذا المصنّف الأخير من مصنفات الشيخ التفسيريّة (عين الحياة) الذي عرَضَ فيه الباحث لتناول مباحث علوم القرآن؛ لتسليط الضوء على جهود الشيخ البهائي وإبراز هذه المباحث؛ لبيان رأي الشيخ البهائي فيها، ومقارنة رأيه بما قاله علماء التفسير.

٤- مكانته العلمية وما قاله العلماء في حقّه:

للشيخ البهائي مكانته العلميّة الرفيعة، فهو من أفاضل العلماء وأئمة عصره، ممَّا قال في حقّه الحر العاملي: «حاله في الفقه و العلم و الفضل و التحقيق و التدقيق و جلالة القدر و عظم الشأن و حسن التصنيف و رشاقة العبارة و جمع المحاسن أظهر من أن يذكر، و فضائله أكثر من أن تحصر و كان ماهرا متبحرا جامعا كاملا شاعرا أديبا منشئا ثقة عديم النظير في زمانه في الفقه و الحديث و المعاني و البيان و الرياضي و غيرها»(٢١)، وممّا قاله العلماء فيه:

أ – السيّد (علي المدني المعروف بابن معصوم)، قال فيه: «علم الأئمّة الأعلام و سيّد علماء الإسلام، و بحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه، و فحل الفضل الناتجة لديه أفراده و أزواجه، و طود المعارف الراسخ، و فضاؤها الذي لا تحدّ له فراسخ، و جوادها الذي لا يؤمل له لحاق، و بدرها الذي لا يعتريه محاق، هو علّامة البشر و مجدّد دين الأمّة على رأس القرن الحادي عشر، إليه انتهت رئاسة المذهب و الملّة، و به قامت قواطيع البراهين و الأدلّة، فما من فنّ إلّا و له فيه القدح المعلّى، و المورد العذب المحلّى، إن قال لم يدع قولا لقائل، أو طال لم يأت غيره بطائل»(٢٢).

ب – السيد (مصطفى التفريشي)، قال فيه: «جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه، و وفور فضله، و علوّ مرتبته أحدا في كلّ فنون الإسلام كمن كان له فنّ واحد، له كتب نفيسة جيّدة»(٢٣).

ج – (العلّامة المجلسي): «هو شيخنا و أستاذنا و من استفدنا منه، بل كان الوالد المعظّم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه و وفور فضله و علوّ مرتبته أحدًا»(٢٤).

د – (الحر العاملي): «حاله في الفقه و العلم و الفضل و التحقيق و التدقيق و جلالة القدر و عظم الشأن و حسن التصنيف و رشاقة العبارة و جمع المحاسن أظهر من أن يذكر، و فضائله أكثر من أن تحصر، و كان ماهرا، متبحّرا، جامعا، كاملا، شاعرا، أديبا، منشئا، عديم النظير في زمانه في الفقه و الحديث و المعاني و البيان و الرياضيات و غيرها»(٢٥).

هـ – الشيخ (محمد رضا الشبيبي): «فإنّه شارك مشاركة عجيبة في جميع العلوم و الفنون المعروفة في زمانه، عقليّة و نقليّة، و وفّق في التأليف فيها، و من جملتها: الفقه، الأصول، الحديث، التفسير، اللغة و علومها، و الحكمة، و الفنون الرياضية و الفلكيّة»(٢٦).

٥– وفاته:

توفي الشيخ محمّد العاملي البهائي «في أصفهان ١٢ شوال من عام (١٠٣٠ هـ)، كما ذكره تلميذه السيد حسين ابن السيد حيدر الحسيني الكركي العاملي، والمجلسي الأول الذي حضر وفاته والصلاة عليه»(٢٧).

ثانيًا: المكانة العلميّة لتفسير (عين الحياة):

لهذا التفسير قيمة لا تقل أهميّة عن غيره من المصنفات التفسيريّة إنْ لم يكن قد تفوّق على بعضها، من حيث المنهجيّة، وكذلك في مناقشاته الكلاميّة، منها مناقشاته على ما ذهب إليه علماء المذاهب الأخرى أمثال (البيضاوي والزمخشري)، واستدلالاته على المسائل الفقهية وبيان الأحكام الشرعية التي تضمنتها آيات الأحكام، وكذلك الإشارة إلى مباحث علوم القرآن في طيات تفسيره للآيات المباركات، فكان تفسيرًا ثرًّا زاخرًا بالمعلومات المختلفة في علومٍ شتّى، فإن أردنا نصنفه على أساسا المناهج التفسيريّة، فهو قد أشتمل على مجموعة ليست بالهينة منها، المنهج العقلي والمنهج القرآن الكلامي، ناهيك عن تفرده في الاتجاه التجزيئي (التسلسلي أو الترتيبي)، فهو لم يعتمد ما اعتمده المفسرون في طرائقهم بالتفسير على وفق الآية أو اللفظة أو المقطع، وهو قد اشتمل عليها جميعًا، وهو مرّة يفسر الآية وأخرى يفسر اللفظة من الآية نفسها، وثالثة المقطع المشتمل على عدّة آيات.

المبحث الثاني: مباحث علوم القرآن في تفسير (عين الحياة):

توطئة:

في هذا المبحث عَرَضَ الباحث لمباحث علوم القرآن التي أشار إليها الشيخ البهائي في كتابه التفسيري المبارك هذا، إذ تنوعت بحسب التقسيم الذي عدّه أستاذنا الأستاذ الدكتور (حكمت عبيد الخفاجي) في كتابه (تأسيس مصطلح علوم القرآن عند الإمام علي دراسة في الأسس والتقسيمات)، تنوعت إلى علوم القرآن التشريعية، منها: (المكي والمدني ، أسباب النزول ، المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ)، وعلوم القرآن الموضوعيّة، منها: (العام والخاص)، وعلوم القرآن الدلاليّة، منها: (الإعجاز القرآني). وهذه التقسيمات الثلاث قد فصّل القول فيها أستاذنا الأستاذ الدكتور الخفاجي، في كتابه المذكور(٢٨).

وقبل الخوض في بيان مباحث علوم القرآن التي أشتمل عليها تفسير (عين الحياة) للشيخ البهائي ، نُشير بصورة مختصرة إلى المراد من مصطلح علوم القرآن؛ كمدخل لبيان مباحث علوم القرآن، وكما في الآتي:

علوم القرآن كمصطلح مركب في تعريفات أصحاب الاختصاص:

تباينت تعريفات علماء علوم القرآن في تحديد أبعاد هذا المصطلح كمركب إضافي بين الإطلاق والتقييد، فكانت كما الآتي:

١– عرّفها الزرقاني بقوله: «علوم القرآن كفن مدون: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه»(٢٩).

قيّد التعريف بعبارة (فن) دون علم فأدخل فيه ما هو منبثق من القرآن الكريم من علوم وما هو خارج عنه، فعلى ذلك يمكن أنْ نصنف هذا التعريف بأنَّه من التعريفات الموّسعة لهذا العلم؛ ويمكن الاستدلال على هذه النتيجة عن طريق كلامه بعدما ذكر موضوع علوم القرآن كمركب إضافي، إذ بيّنها بقوله: « مجموع موضوعات تلك العلوم المنضوية تحت لوائه، وموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم من ناحية واحدة من تلك النواحي. فعلم القراءات مثلا موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه، وعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه، وهلمّ جرّا»(٣٠).

وواضح من بيانه لموضوعات علوم القرآن باعتباره مركبًّا إضافيًا أنَّه قد مزج بين العلوم المستوحاة من الكتاب العزيز التي أصلها القرآن الكريم، كالمحكم والمتشابه، المطلق والمقيّد، والخاص والعام، من العلوم التي هي خارجه عنه أُلحِقت به هي ليست منبثقة منه، من قبيل القراءات، تأريخ القرآن، وغيرها.

٢- السيّد محمّد باقر الحكيم: «جميع المعلومات، والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم»(٣١).

وهو تعريفًا موسّعًا لعلوم القرآن لم يقيّد علوم القرآن، بل جعلها بحوث تتعلق القرآن الكريم، ومن المعلوم أنَّ كثير من البحوث تتعلق بالكتاب العزيز هي خارجة عنه، مثل تأريخ القرآن.

٣- محمّد حسين الجلالي: «العلم الباحث حول أحوال النص القرآني كتابة وقراءة ومعنى»(٣٢).

وهو أيضًا لم يبعد عن التعريفات التي ذكرت، في الخلط بين علوم القرآن المنبثقة منه والخارجة عنه؛ إذ أدخل القراءات، وعدَّها من علوم القرآن.

ممّا تقدَّم يمكن أنْ يصاغ تعريفًا لعلوم القرآن، فنقول: علوم القرآن هي تلك العلوم التي أسس لها القرآن الكريم بألفاظ واضحة أو ما ورد عن المعصوم في تلك الدلالات اشتملت عليها آي الذكر الحكيم، كالمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والمطلق والمقيّد، وأمثال ذلك.

فيكون القيد في معرفة ما هو من علوم القرآن ممّن هو خارج عنها ذات صلة قرآنية، هو القرآن الكريم، والقصد من ذلك العرض على الكتاب العزيز، فما كان له أصلٌ من القرآن الكريم يمكن عدَّه من علوم القرآن، وما لا أصل له من القرآن الكريم يمكن عدّه علمًا خادمًا لعلوم القرآن؛ كونه يبحث في آيات الذكر الحكيم.

من مباحث علوم القرآن التي أشتمل عليها تفسير (عين الحياة)

أولا: المكي والمدني:

توطئة:

يمكن عدَّه من علوم القرآن التشريعيّة التي أسس لها الكتاب العزيز بدلالات واضحة، جاءت في تحديد ما هو من السور والآيات التي نزلت في مكّة المكرّمة أو المدينة المنورة، وعليه اعتمدت بعض الأحكام في تحديد مكان نزول الآية، ودفع بعض الشبهات التي أثيرت من قبل المشككين، وفي ذلك يقول الجرجاني (ت ٩٧٦هـ): «لا بد للقارئ وعلى كل من أراد أنْ يتعلم القرآن ويجعله إمامًا لنفسه في استنباط الأحكام معرفة المكّي والمدني من الآيات؛ فإنَّ عرفان ذلك دخيل في فهم منصرف الآيات حيث أنَّ المنزل من القرآن على أربعة أقسام، مكّي ومدني وما بعضه مكّي وبعضه مدني وما ليس بمكّي ولا مدني»(٣٣. مراده بما هو لي بمكّي ولا مدني بحسب تعبيره «ما أنزل بالشام، بيت المقدس أو تبوك»(٣٤). وبين عدم التنافي بين التقسيمات يقول: «وما نسب من تثليث الأقسام إلى الرسول لا تنافى التثنية؛ لقضية الغلبة فأفهم وتأمل»(٣٥).

عن طريق ما تقدّم عرَضَ الباحث لمفهوم المكّي والمدني، والضوابط والمميزات في تحديدهما، ثم بيان المباني في تعيين المكّي والمدني، كما في السطور الآتية:

– المكي والمدني في اللغة والاصطلاح:

المكي جاء عن ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): مكة من (مَكِّ) «الْمِيمُ وَالْكَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِقَاءِ الْعَظْمِ، ثُمَّ يُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ، وَيُقَالُ: سُمِّيَتْ مَكَّةَ لِقِلَّةِ الْمَاءِ بِهَا، كَأَنَّ مَاءَهَا قَدِ امْتُكَّ، وَقِيلَ سُمِّيَتْ لِأَنَّهَا تَمُكُّ مَنْ ظَلَمَ فِيهَا، أَيْ تُهْلِكُهُ وَتَقْصِمُهُ كَمَا يُمَكُّ الْعَظْمُ»(٣٦).

والمدني، من مَدَنَ، قال الخليل (ت ١٧٠هـ): «المدينة فعيلة تُهمَزُ في الفَعائل، لأنّ الياءَ زائدة، ولا تهمَزُ ياءُ المعايش لأن الياء أصلية. والمدينة اسمُ مدينة الرسول خاصّة»(٣٧)، وقال بن فارس: «الْمِيمُ وَالدَّالُ وَالنُّونُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَدِينَةٌ، إِنْ كَانَتْ عَلَى فَعِيلَةٍ، وَيَجْمَعُونَهَا مُدُنًا. وَمَدَّنْتُ مَدِينَةً»(٣٨).

لم يبعد التعريف الاصطلاحي للمكي والمدني عمّا ذكره علماء اللغة، ما خلا تحديد ما هو متعلق بالآيات المكيّة وما هو متعلق بالآيات المدنية، فكان ترجيح العلماء في ذلك على المقياس الزماني لنزول الآيات، فقد ذكرت عدّة تعريفات للمكي والمدني، أشهرها ثلاث، ذكرها الزركشي (ت٧٩٤هـ)، مرجّحًا الثاني من بينها بقوله (وهو المشهور)، إذ قال: «أحدها: أنَّ المكيّ ما نزل بمكّة والمدنيّ ما نزل بالمدينة. والثاني: – وهو المشهور – أنَّ المكيّ ما نزل قبل الهجرة، وإنْ كان بالمدينة، والمدنيّ ما نزل بعد الهجرة، وإنْ كان بمكّة. والثالث: أنَّ المكيّ ما وقع خطابا لأهل مكّة، والمدنيّ ما وقع خطابا لأهل المدينة»(٣٩).

واختيار الزركشي للقول الثاني فيه نظر؛ إذ كيف يكون المكّي ما نزل قبل الهجرة وإنْ كان بالمدينة، وهذا يدعو إلى أنَّ النبي قد نزل عليه قرآن في المدينة وهو بعد لم يهاجر إليها؟.

وقال السيوطي (ت ٩١١هـ) «أنّ المكيّ ما نزل قبل الهجرة، والمدنيّ ما نزل بعدها، سواء نزل بمكّة أم بالمدينة»(٤٠).

وذكر الزرقاني عدّة أقوال للعلماء في اصطلاح المكّي والمدني ورجّح منها تعريفًا، وهو الذي اصطلح عليه بقوله: «أنَّ المكّي ما نزل قبل هجرته(صلى الله عليه وآله). إلى المدينة، وإنْ كان نزوله بغير مكّة، والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة و إنْ كان نزوله بمكّة»(٤١).

– الضوابط في معرفة المكي والمدني ومميزات كل منهما:

أورد العلماء مجموعة ضوابط في تحديد الآيات المكّية من الآيات المدنية، ومميزات لكلٍ منهما، نجملها في النقاط الآتية(٤٢):

– الضوابط والمميزات الموضوعية في تحديد السور والآيات المكّية:

١– كل سورة فيها سجدة فهي مكّية.

٢ – كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكّية، ولم ترد إلّا في النصف الأخير من القرآن الكريم.

٣ – كل سورة فيها:(يا أَيُّهَا النَّاسُ)و ليس فيها:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فهي مكّية إلّا أواخر سورة الحج يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(٤٣) الآية.

٤ – كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكّية سوى سورة البقرة.

٥ – كل سورة فيها قصة آدم و إبليس فهي مكّية سوى سورة البقرة.

٦ – كل سورة تفتتح بحروف الهجاء مثل «الم و الر و حم» ونحوها فهي مكّية سوى «سورة البقرة وآل عمران» واختلفوا في «سورة الرعد».

ما ذكر باختصار هو الضوابط في معرفة السور والآيات المكّية، وأمَّا ما ذكر من مميزات موضوعيّة، فهي:

١ – الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.

٢ – وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلما، و وأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

٣ – ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرًا لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم وتسلية لرسول حتى يصبر على أذاهم و يطمئن إلى نصر الله تعالى له عليهم.
٤ – قصر الفواصل مع قلة الألفاظ و إيجاز العبارة بما يقرع المسامع ويصعق القلوب ويؤكد المعنى بكثرة القسم.
– الضوابط والمميزات الموضوعية في تحديد السور والآيات المدنية:
١ – كل سورة فيها فريضة أو حدّ من حدود الله تعالى فهي مدنية.
٢ – كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية، سوى سورة العنكبوت فإنّها مكّية.
٣ – كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.
ما تقدَّم سرد للضوابط في تحديد السور والآيات المدنية، وأمَّا المميزات الموضوعية، فهي:
١ – بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.
٢ – مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام وبيان تحريفهم لكتب الله تعالى وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.
٣ – الكشف عن سلوك المنافقين وتحليل نفسيتهم وإزاحة الستار عن جناياتهم وبيان خطرهم على الدين.
٤ – طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها.

– مباني تحديد المكي والمدني:

يمكن تحديد مباني المكي والمدني بالرجوع إلى ما ذهب إليه علماء علوم القرآن، وفي ذلك يقول الشيخ البهائي ، «وهو مبنيٌّ على أنَّ المدني ما نزل بالمدينة، والمكّي ما نزل بمكّة قبل الهجرة أو بعدها، وذهب جماعة إلى أنَّ المكّي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولو بمكّة»(٤٤).
مستدلًا على ترجيح القول الثاني بما ذهب إليه الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، في معرض تفسيره لسورة البقرة، إذ قال: «وهي مائتان وست وثمانون آية، كلّها مدنية إلّا آية واحدة منها، وهي قوله تعالى:(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)(٤٥)، فإنّها نزلت بمنى في حجَّة الوداع، كذا في المجمع»(٤٦).
وبالجمع بين ما ذكره العلماء في تحديد المكي والمدني، وما أورده الشيخ البهائي في تفسيره من الأقوال، يمكن القول إنَّ الترجيح في تعيين مباني المكي والمدني مقياسه النزول الزماني، لا المكاني؛ فما كان من الآيات نازلًا قبل هجرة النبي الأكرم فهو مكيٌّ، وما كان من الآيات نازلًا بعد الهجرة فهو مدنيٌّ، دون تحديد مكان النزول، وهو ما يرجحه الباحث؛ كونه أقرب إلى القبول من غيره.

ثانيًا: المحكم والمتشابه:

توطئة:

المحكم والمتشابه من مباحث علوم القرآن التشريعية التي أصَّل لها الكتاب الحكيم؛ عن طريق إرجاع الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة؛ لمعرفة مراد الله تعالى، والعصمة من الوقوع في لحن القول، وتكلّف تفسير الآيات المتشابهة بالرأي المنهي عنه. وقد عرَضَ الشيخ البهائي لبحث المحكم والمتشابه، في مفتتح «سورة البقرة»، والآية السابعة من سورة «آل عمران». بذكر أقوال علماء التفسير في تعيين معنى المحكم والمتشابه من الآيات، مدليًا بدلوه فيهما، مرجعه في ذلك ما ورد عن أئمة الفصل والبيان أهل البيت . وقبل ذلك نتطرق إلى بيان مفهوم المحكم والمتشابه في اللغة والاصطلاح، ثم بيان أقوال المفسرين في تحديد الآيات المحكمة من الآيات المتشابهة مرورًا بما عيّنه الشيخ البهائي من الأقوال فيهما، كما في الآتي.

– المحكم والمتشابه في اللغة والاصطلاح:

١– المحكم لغةً واصطلاحًا:

جاء في مقاييس اللغة: حكم «الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ»(٤٧)، وقال الفيومي (ت ٧٧٠هـ): (ح ك م) «أَصْلُهُ الْمَنْعُ يُقَالُ حَكَمْتُ عَلَيْهِ بِكَذَا إذَا مَنَعْته مِنْ خِلَافِهِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ ذَلِكَ»(٤٨). فالمحكم هو المتقن الذي لا يمكن التكهن بخلافه.

وفي الاصطلاح عُرّف المحكم بأنّه: «ما أنبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضم إليه سواء كان اللفظ لغويًا أو عرفيًا، ولا يحتاج إلى ضروب من التأويل»(٤٩). مثال ذلك، قوله تعالى:(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ)(٥٠)، وقوله تعالى:(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد)(٥١).

أو هو «ما ورد من نصوص الكتاب أو السنة دالًا على معناه بوضوح لا خفاء فيه»(٥٢).

وما بين التعريفين الأوّل والثاني، هو أنَّ التعريف الثاني صرّح بأدلة التشريع ليشمل مصدري (الكتاب والسنة)، بخلاف التعريف الأوّل تطرق فيه الشيخ الطوسي إلى بيان معنى المحكم من وجهة نظر أصولية إذ المحكم والمتشابه من مباحث الألفاظ عنده. وهو ما يجعلهما من التعريفات الجامعة المانعة.

قال الشيخ البهائي في معنى المحكمات في معرض تفسيره قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ)(٥٣)، قال: «أُحكمت وحفظت عن الإجمال، و (من) في مِنْهُ للتبعيض»(٥٤)، ثم أشار إلى بيان المعنى المراد من لفظ (أُحكِمت) الواردة في قوله تعالى:(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(٥٥)، قال: «المراد حفظها عن ركاكة اللفظ وفساد المعنى»(٥٦).

٢- المتشابه لغةً واصطلاحًا:

قال الخليل: «الشَّبَهُ، ضربٌ من النّحاس يُلْقَى عليه دواءٌ فيَصْفرّ، وسُمّي شَبَهًا، لأنه شُبِّهَ بالذّهب، وفي فلانٍ شَبَهٌ من فلان وهو شَبَهُهُ وشِبْهُهُ، أي: شبيهُهُ. وتقول: شبّهت هذا بهذا، وأشبه فلانٌ فلانا، وقال الله عزّوجلّ:(آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)(٥٧)، أي: يُشبه بعضها بعضًا، والمُشْبِهاتُ من الأمور: المُشْكلاتُ»(٥٨)، وفي الصحاح: «الشبه: الالتباس، والمتشابهات، المتماثلات»(٥٩)، وقال ابن فارس: «الشبه: الشِّينُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْنًا وَوَصْفًا»(٦٠)، وأضاف الفيومي «وَالشُّبْهَةُ فِي الْعَقِيدَةِ الْمَأْخَذُ الْمُلَبَّسُ سُمِّيَتْ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ وَالشُّبْهَةُ الْعُلْقَةُ وَالْجَمْعُ فِيهِمَا شُبَهٌ وَشُبُهَاتٌ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَغُرُفَاتٍ وَتَشَابَهَتْ الْآيَاتُ تَسَاوَتْ أَيْضًا وَشَبَّهْتُهُ عَلَيْهِ تَشْبِيهًا مِثْلُ: لَبَّسْتُهُ عَلَيْهِ تَلْبِيسًا وَزْنًا وَمَعْنًى فَالْمُشَابَهَةُ الْمُشَارَكَةُ فِي مَعْنًى مِنْ الْمَعَانِي وَالِاشْتِبَاهُ الِالْتِبَاسُ»(٦١).

فالمتشابه من القول هو ما احتاج إلى تبيين وتوضيح بقول آخر يبعد اللّبس ويعيّن المراد.

وفي الاصطلاح، عَرّف علماء التفسير المتشابه بأنّه: «ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج إلى دليل»(٦٢).

وقال (الراغب الاصفهاني) (ت٥٠٢هـ): «والْمُتَشَابِهُ من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللّفظ، أو من حيث المعنى»(٦٣)، وقال (محمّد هادي معرفة): المتشابه بحسب الاصطلاح القرآني «هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني، وكان موضع ريب وشبهة، ومن ثمّ فهو كما يصلح للتأويل إلى وجه صحيح، يصلح للتأويل إلى وجه فاسد، ولأجل هذا الاحتمال وقع مطمع أهل الزيغ والفساد، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله إلى ما يتوافق وأهدافهم الضالّة»(٦٤).

وعرّف الشيخ البهائي(قدس سره)الآيات المتشابهات، بقوله: «غير متّضحات، لا يُعرف المقصود منها إلّا بفحص ونظر، فيظهر بها فضل العلماء، وينالوا بإتعاب القرائح فيها معالي الدرجات»(٦٥).

في إشارة منه إلى اجتهاد العلماء في إرجاع الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة، أو السنّة القطعية الصادرة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)؛ لمعرفة مراد الله تعالى، وهو اجتهادٌ ممدوح للعلماء طالما في طول الكتاب والسنّة.

فالمقاربة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ظاهرة في الدلالة، وهو أنَّ المتشابه ما كان مرددًا في الاحتمال بين معنيين أو عدّة معاني، أو ما كان خافيًا في معناه محتاجًا إلى بيان من جنسه، أو من غيره، والقصد من ذلك – جنسه

أو غيره – قرآن أو سنّة قطعية الدلالة.

وقد ذكر العلماء للمتشابه من الآيات ثلاثة أنواع:

١– «متشابه من جهة اللفظ فقط، وهذا التشابه يرجع إلى الألفاظ المفردة من حيث الغرابة أو الاشتراك، كما يرجع أحيانا إلى جملة الكلام المركب سواء من حيث الاختصار أو البسط أو النظم.

٢– متشابه من جهة المعنى، ويشمل هذا المتشابه ما تعلق بأوصاف الله تعالى و أوصاف القيامة؛ لأن تلك الأوصاف لا تتصور لنا ولا تحصل في نفوسنا.

٣– متشابه من جهة اللفظ والمعنى معا، وهو أقسام:

أ – من جهة الكمية، كالعموم والخصوص كقوله تعالى:(فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ)(٦٦).

ب – من جهة الكيفية، كالوجوب والندب كقوله تعالى:(فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)(٦٧).

ج – من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ.

د – من جهة المكان والأمور نزلت فيها كقوله تعالى:(إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ)(٦٨)، و يشترط لفهم الآية معرفة عادات الجاهلية.

هـ – من جهة الشروط التي يصح بها الفعل أو يفسد، كشروط الصلاة والنكاح»(٦٩).

وأضاف الاصفهاني في ذكره لأنواع المتشابه، بقوله: «ثمّ جميع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت السّاعة، وخروج دابّة الأرض، وكيفيّة الدّابّة ونحو ذلك. وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة. وضرب متردّد بين الأمرين يجوز أن يختصّ بمعرفة حقيقته، بعض الرّاسخين في العلم، ويخفى على من دونهم»(٧٠).

الأقوال في معنى المحكم والمتشابه:

ذكر العلماء للمحكم والمتشابه من الآيات القرآنية عدّة معاني، أوردها الشيخ البهائي، مرجحًا منها ما كان سنده أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، إذ قال: «قد اختلفت وتشعّبت الأقوال في هذه الحروف المقطّعة الواقعة في مفتتح بعض السور الكريمة»(٧١)، وهذه الأقوال:

١– «وهو المروي عن أئمّة أهل البيت : أنّها من الأسرار الخفيّة التي استأثر الله سبحانه بعلمها.

٢– ذُكرت في أوائلها: وحدانيّة، وثنائيّة، وثلاثيّة، ورباعيّة، وخماسيّة؛ تنبيهًا للكفار على أنّ القرآن مؤلّف من هذه الحروف والكلمات التي يؤلّفون منها كلامهم، فلو لم يكن من عند الله لما عجزوا عن آخرهم عن الإتيان بمثله، ولما عدلوا عن المقابلة بالحروف إلى المقاتلة بالسيوف(٧٢).

٣– هي إشارة إلى كلماتٍ اقتصر منها عليها؛ ف (الألف): آلاء الله، و(اللام): لطفه، و(الميم): ملكه، وعلى هذا النمط سائر الفواتح.

٤– هي إشارة إلى مُدد أقوام وآجالهم بحساب الجمّل.

٥– هي أسماء الله سبحانه(٧٣).

٦– أسماء السور المفتتحة بها(٧٤).

٧– أسماء القرآن(٧٥)،(٧٦).

٨– وأضاف إليها الملّا (محمّد طاهر القزويني) قولًا ثامنًا، وهو :»أنّها أسرار بينه تعالى وبين نبيّه وأهل بيته ، وهنّ من أسمائه العظام التّي إذا دُعي بها أُجيب بشرط العلم بتأليفها»(٧٧).

في المعاني عن الإمام الصادق(عليه السلام): « الم هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطّع في القرآن الذي يلّفه النبي أو الإمام فإذا دُعي به أُجيب»(٧٨).

ورجّح الشيخ البهائي من بين هذه الأقوال، الأوّل، بقوله: «واعتمادنا على المرويّ عن أئمتنا»(٧٩).

ويمكن التوفيق بين ما اختاره الشيخ البهائي وما أضافه الملّا القزويني؛ إذ كلاهما لم يبعُد عن ما بيّنه أئمة أهل البيت ، بأنّ الحروف المقطعة هي من المتشابه الذي هو من الأسرار الإلهيّة التي استأثر الله تعالى بها وأسرّ بها نبيه الكريم وأهل بيته ؛ كونهم الراسخون في العلم على ما دلّت به الروايات الشريفة.

ثالثًا: الناسخ والمنسوخ:

توطئة:

من مباحث علوم القرآن التشريعيّة التي عقد لها العلماء مباحث وفصول في مصنفاتهم سواء على مستوى علوم القرآن، أو عند مرورهم في مصنفاتهم التفسيريّة على الآيات التي قالوا بأنّها وقع عليها النسخ، فكانوا بين مؤيد بوجود الناسخ والمنسوخ في الآيات الكريمة، وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم، حتى أوصل بعض العلماء وقوع النسخ في الآية الواحدة، وبين نافٍ لذلك، بعدم وقوع النسخ؛ كونه إنْ كان وجود للنسخ فهو في لوح المحو والإثبات، أي: في اللوح المحفوظ وليس في القرآن ناسخ ومنسوخ، إنَّما هو من قبيل تخصيص العام، ومنهم من اقتصر على آية واحدة، ك (السيد الخوئي). وقبل الدخول لبيان أقوال العلماء في الناسخ والمنسوخ، نُشير إلى بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لهما، ثمَّ ما قاله العلماء في هذا المبحث، مرورًا بما أشار إليه الشيخ البهائي عند تفسيره للآيات التي قيل بوقوع النسخ فيها، وكما في الفقرات الآتية:

– النسخ في اللغة والاصطلاح:

قال الفراهيدي النسخ في اللغة: «إزالتك أمراً كان يعمل به، ثم تَنْسَخُهُ بحادثٍ غيره، كالآية تنزل في أمر، ثم يخفف فتَنْسَخُ بأخرى، فالأولى منسوخة والثانية ناسخة. وتناسُخُ الورثة، وهو موت ورثةٍ بعد ورثةٍ، والميراث لم يقسم، وكذلك تَناسُخُ الأزمنة، والقرن بعد القرن»(٨٠)، وفي الصحاح النسخ الإزالة، كنسخ الشمس للظل(٨١). وقال ابن فارس، النسخ: «النُّونُ وَالسِّينُ وَالْخَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي قِيَاسِهِ. قَالَ قَوْمٌ: قِيَاسُهُ رَفْعُ شَيْءٍ وَإِثْبَاتُ غَيْرِهِ مَكَانَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: قِيَاسُهُ تَحْوِيلُ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ»(٨٢)، وقال الفيومي في معنى النسخ الشرعي: «إِزَالَةُ مَا كَانَ ثَابِتًا بِنَصِّ شَرْعِيٍّ وَيَكُونُ فِي اللَّفْظِ وَالْحُكْمِ وَفِي أَحَدِهِمَا سَوَاءٌ فُعِلَ كَمَا فِي أَكْثَرِ الْأَحْكَامِ أَوْ لَمْ يُفْعَلْ كَنَسْخِ ذَبْحِ إسْمَاعِيلَ بِالْفِدَاءِ لِأَنَّ الْخَلِيلَ أُمِرَ بِذَبْحِهِ ثُمَّ نُسِخَ قَبْلَ وُقُوعِ الْفِعْلِ»(٨٣)، وهذا التعريف الأخير صرَّح فيه الفيومي بأنَّ النسخ قد يقع وقد لا يقع، أي: يمكن أنْ يكون النسخ قد وقع في عديد من الآيات القرآنية، ويمكن أنْ يكون غير واقع؛ وهذا راجع إلى الاعتماد على فحص الأدلة في الكشف عن مقدار ما وقع من النسخ على آي الذكر الحكيم.

وفي الاصطلاح: النسخ هو: «رفع الحكم الشرعي الثابت بدليل متقدم بحكم متراخ عنه ثابت بدليل متأخر»(٨٤). وعُرّف بأنّه «رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه»(٨٥)، وعرّف: «هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الامر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنّه شارع»(٨٦). وقال الشيخ البهائي في كتابه (زبدة الأصول) النسخ: «هو رفع الحكم الشرعيّ بدليل شرعيّ متأخّر، ووقوعه إجماعي»(٨٧).

– أقوال العلماء في الناسخ والمنسوخ:

أحصى أستاذنا الأستاذ الدكتور (حكمت عبيد الخفاجي)، أقوال العلماء في الناسخ والمنسوخ، فأرجعها إلى أقوال ثلاثة، إذ قال: «ويبدو أنَّ العلماء قد ولعوا ولوعًا شديدًا في هذه المسألة حتى أنّهم انقسموا إلى ثلاثة مذاهب مأخوذة من اثنتين وهي كما يأتي:

١– قال بعض العلماء بوقوع النسخ بشكل كبيرًا جدًا، حتى أنّهم قطعوا أوصال الآية الواحدة، فزعموا أنّ أولها منسوخ و آخرها ناسخ، كقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)(٨٨). فان آخر الآية يدعو إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و هو بذلك ناسخ لأولها عند ابن العربي مثلًا(٨٩).

٢– ما مثّله (أبو مسلم الأصفهاني) بإنكاره لوقوع النسخ في القرآن الكريم وسمّاها تخصيصًا؛ تجنبًا منّا – كما ظن – لإبطال حكم قرآني أنزله الله تعالى.

٣– من العلماء من أقرّ بوقوع النسخ في القرآن الكريم، إلّا أنّهم قد اقتصروا على عدد قليل من الآيات، ومن المحدثين من اقتصر به على آية واحدة فقط منهم (المحقق الخوئي)»(٩٠).

ثمَّ أشار أستاذنا الدكتور الخفاجي في معرض بيانه لجهود الإمام الباقر (عليه السلام). في الناسخ والمنسوخ، والاستدلال على وقوع النسخ، قائلًا: «وللإمام الباقر(عليه السلام). جهود في الناسخ والمنسوخ بعد أن قرر في رواية صحيحة رواها عنه زرارة بن أعين قال: «نزل القرآن ناسخًا و منسوخًا»(٩١)، و هذا يعني أنّ النسخ واقع في القرآن الكريم، وليس التقييد بأنّ القرآن كله ناسخ ومنسوخ إذ من غير المعقول أن يكون قول الإمام الباقر (عليه السلام). في أعلاه محمولًا على هذا»(٩٢). ثمَّ عدَّ الروايات الواردة عن الإمام الباقر(عليه السلام). في الناسخ والمنسوخ محصيًا إيّاها في ستة روايات، وهي(٩٣):

الأولى: في قوله تعالى:(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٩٤). فقد ورد عن الإمام الباقر أنَّها نسخت بقوله تعالى:(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)(٩٥)(٩٦).

الثانية: قوله تعالى: وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْنا (٩٧). ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام). «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَهْلِ الذِّمَّةِ ثُمَّ نَسَخَهَا قَوْلُه عَزَّ وجَلَّ: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ولا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ ورَسُولُه ولا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهُمْ صاغِرُونَ (٩٨)،(٩٩).

الثالثة: قوله تعالى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِي ما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠٠)، فقد ورد «عن أبي بصير عن أبي جعفر قال: سألته عن قوله مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ قال: منسوخة نسختها يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا (١٠١)، ونسختها آية الميراث»(١٠٢)، وقد أشار الشيخ البهائي إلى وقوع النسخ في الآية، بقوله: «وقد نسخ هذا الحكم بقوله تعالى: أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا (١٠٣)، وتقدّمه تلاوة لا ينافي تأخّره نزولًا»(١٠٤).

الرابعة: قوله تعالى:(اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ) (١٠٥). نسخت بقوله تعالى: فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم (١٠٦)(١٠٧).

علّق الدكتور الخفاجي مبيّنًا المراد بالنسخ في الآية المذكورة، بقوله: «المراد من المنسوخ هنا المرتبة الأخيرة في علم الأخلاق والتي تسمى بتقوى أخص الخواص وهي لا يستطيع الوصول إليها غير الأنبياء ومن بمنزلتهم. والمراد بالنسخ هنا على قول الإمام الباقر(عليه السلام). هو عدم وجوب مراعاتها – أي تقوى أخص الخواص – رفعًا للعسر و الحرج و تسهيلًا على الأمة، وأمّا لو راعاها أحد مع مراعاة القواعد الشرعية فلا محذور فيه إطلاقًا»(١٠٨).

الخامسة: عن «جابر عن أبي جعفر في قول الله: وَاللّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّى يَتَوَفّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَأَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللهَ كانَ تَوّاباً رَحِيما (١٠٩). قال : منسوخة، والسبيل هو الحدود»(١١٠).

السادسة: سئل الإمام الباقر عن قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١١). فأجاب «قدم علي بن أبي طالب بين يدي نجواه صدقة ثم نسخها قوله تعالى: أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَطِيعُوا اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (١١٢)،(١١٣).

وذهب السيد (أبو القاسم الخوئي) بعد ما أورد خمساً وثلاثون آية تناولها العلماء على ظنّ وقوع النسخ فيها، وحللها تحليلًا وافيًا رادًا الإشكالات التي أُثيرت حولهن، منتهيًا إلى أنّ ما وقع عليه النسخ من القرآن الكريم هو فقط آية النجوى الوارد نصُّها في الرواية السادسة من البحث أعلاه(١١٤).

مِمّا تقدَّم نتج للبحث على اختلاف الأقوال بوقوع النسخ من عدمه، وعن طريق ما تقدّم من الأدلة الروائية وقوع النسخ بنسبة قليلة لا كما صوره بعض علماء التفسير من وقوعه في كثير من آيات الذكر الحكيم، وهو ما قال به الشيخ البهائي عند تفسيره لآي الذكر الحكيم، والذي مرَّ ذكره آنفا.

رابعًا: أسباب النزول:

توطئة:

من مباحث علوم القرآن التشريعيّة التي عمل الفقهاء على الجمع بينها وبين الروايات التي جاءت بأحكام كان السبب وراء تشريعها الاعتماد على أسباب النزول، فالسبب نزل بحادثة خاصّة عُمِّمَ حكمه على ما شابهه من الحوادث، وكما قال العلماء «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»(١١٥)، وقد أشار الشيخ البهائي إلى أسباب نزول الآيات في ثنايا تفسيره للآيات المباركة، وقبل أن نشير إلى ما قاله الشيخ البهائي، نعرّج على بيان مفهوم أسباب النزول في اللغة والاصطلاح، مرورًا بأهمية معرفة أسباب النزول وفوائد تلك المعرفة، بعد ذلك اختيار أمثلة مِمّا ذكره الشيخ البهائي من أسباب النزول من تفسيره المبارك.

– أسباب النزول في اللغة والاصطلاح:

السبب في اللغة، من سبَّ أو سبب وهو «الحبل، كُلُّ ما تَسَبَّبْتَ به من رَحِمٍ أو يَدٍ أو دَيْنٍ»(١١٦)، و «كل شيء يتوصل به إلى غيره فهو سبب»(١١٧)، «وَهُوَ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الِاسْتِعْلَاءِ ثُمَّ اُسْتُعِيرَ لِكُلِّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى أَمْرٍ مِنْ الْأُمُورِ فَقِيلَ هَذَا سَبَبُ هَذَا وَهَذَا مُسَبَّبٌ عَنْ هَذَا»(١١٨).

فالسبب في اللغة ما يعرف به غيره أو يتوصل عن طريقه إلى المعنى المراد أو الحكم المطلوب.

وفي الاصطلاح عرَّفَ الزرقاني سبب النزول بقوله: «هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدّثة عنه أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه»(١١٩)، وأيضًا: «هو ما نزلت من أجله آية أو أكثر مجيبة عنه أو حاكية له، أو مبينة حكمه»(١٢٠).

– أهمية وفائدة معرفة أسباب النزول:

قال الواحدي مشيرًا إلى أهمية وفائدة التّعرف على أسباب النزول: «هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصْرَف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلَّا بالرواية والسماع ممّن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدّوا في الطِّلاب»(١٢١).

وقال الزركشي نقلًا عن القشيري(١٢٢): «بيان سبب النزول طريق قويّ في فهم معاني الكتاب العزيز»(١٢٣).

نماذج من أسباب نزول الآيات التي ذكرها الشيخ البهائي في تفسيره (عين الحياة):

١– قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٢٤).

في سبب النزول قال الشيخ البهائي: «قيل: نزلت الآية من تاليتها في أبي جهل وأبي لهب والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود الذين أصرّوا على الكفر حتّى ماتوا، فالموصول للعهد الخارجي، والآية إخبار بغيب. وقيل: لم تنزل في جماعة مخصوصين، بل المراد بالموصول جنس الكفّار، والاختصاص بالمصرّين للقرينة»(١٢٥).

٢– قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)(١٢٦).

قال الشيخ البهائي: «نزلت في علماء اليهود؛ إذ كانوا يقولون لأقاربهم من المسلمين: اثبتوا على ما انتم عليه من دين الإسلام»(١٢٧).

٣– قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ (١٢٨) الآية.

قال الشيخ البهائي: «نزلت لمّا غزا الروم بيت المقدس وخرّبوه، أو لمّا منع المشركون النبي من دخول المسجد الحرام عام الحديبية»(١٢٩).

٤- قوله تعالى: وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١٣٠).

قال الشيخ البهائي: «روي عن أئمة أهل البيت أنّها نزلت في صلاة التطوّع على الراحلة(١٣١)، وقيل: في قوم عميت عليهم القبلة فصلّوا إلى جهات مختلفة وخطّوا خطوطًا، فلّما أصبحوا تبيّنوا الخطأ»(١٣٢).

٥- قوله تعالى:(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)(١٣٣).

قال الشيخ البهائي: «كان على الصفا صنم يسمّى (أساف)، وعلى المروة آخر يمسّى (نائلة)، وكانوا في الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلمّا فُتحت مكّة وكُسرت الأصنام، كان المسلمون يأبون أنْ يطوفوا بينهما لذلك نزلت»(١٣٤).

٦- قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (١٣٥).

قال الشيخ البهائي: «نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس»(١٣٧).

٧- قوله تعالى:(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)(١٣٨). الآية

قال الشيخ البهائي: «نزلت لمّا أكثر أهل الكتاب الخوض في أمر القبلة، وادّعى كلّ طائفة أنّ البرّ هو التوجه إلى قبلتهم، والمراد: ليس البرّ – الذي هو العمدة في أمر الدين – صرف الوجه إلى جهة دون جهة»(١٣٩).

٨- قوله تعالى:(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(١٤٠).

قال البهائي: « روي(١٤١) أنّه لّما خطّ الخندق في غزوة الأحزاب، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعًا، ظهر في أثناء الحفر صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول؛ فأخبروا بذلك النبي ، فأخذ المعول وضربها ضربةً صدعتها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتي المدينة، فكبّر وكبّر معه المسلمون، وقال: أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب، ثم ضرب الثانية فقال: أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم، ثمّ ضرب الثالثة، فقال: أضاءت لي منها قصور صنعاء، وأخبرني جبرئيل: أنّ أمتي ظاهرة على كلها؛ فأبشروا. فقال المنافقون: ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنّه يبصر من يثرب قصور الحيرة، وأنّها تُفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، فنزلت الآية»(١٤٢).

خامسًا: العام والخاص:

توطئة:

من مباحث علوم القرآن الموضوعيّة، الذي مدار البحث فيه على تحديد الآيات ذات الدلالة العموميّة، واجتهاد العلماء قبل بيان الأحكام المتعلقة فيها، والبحث عن ما إذا كان لها مخصِّص من الكتاب الكريم، أو السنة الشريفة. فهو من مباحث علوم القرآن التي لا تقل أهميّة عن سابقتها، فبعض آي الكتاب العزيز نزلت عامّة لم يرد فيها تخصيص، كالآيات الدالة على وجوب طاعة الله ووجوب الصلاة، الزكاة، الحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها. في حين جاءت بعض الآيات عامّة خُصِّصت بآيات من الذكر الحكيم، أو بما ورد صحيحًا عن النبي وأئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وفي هذا المبحث عَرَضَ الباحث لتعريف الخاص والعام في كلمات الأعلام، ومن ثمّ الإشارة إلى ما أشتمل عليه تفسير (عين الحياة) للشيخ البهائي من دلالات على آيات اشتملت على عموم أو تخصيص، وكما في الآتي:

– مفهوم العام والخاص في اللغة والاصطلاح وأقسامهما:

العام لغةً مشتق من عمّ يعمّ، ويعني: الشمول، يُقال: عمهم بالعطية: أي شملهم بها جميعهم(١٤٣)، والخاص لغةً: من خصّه بكذا: إذا أفرده به على وجه لا شركة لغيره فيه، يُقال: فُلان خاص بفلان؛ أي: متفرد به(١٤٤).

العام في الاصطلاح هو: «اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد»(١٤٥). وعرّفه العلّامة الحلي: «هو اللّفظ الواحد المتناول بالفعل لما هو صالح له بالقوّة، مع تعدّد موارده»(١٤٦). وعرفه السيوطي بقوله: «لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر»(١٤٧).

أقسام العام وأدواته:

– أقسام العامّ:

ينقسم العامّ على ثلاثة أقسام(١٤٨):

٣– العموم الاستغراقي أو الشمولي: «أن يكون الحكم شاملا لكلّ فرد فرد، فيكون كلّ فرد وحده موضوعا للحكم، و لكلّ حكم متعلّق بفرد من الموضوع عصيان خاصّ نحو: اكرم كل عالم».

٢– العموم المجموعي: «أن يكون الحكم ثابتا للمجموع بما هو مجموع، فيكون المجموع موضوعا واحدا، كوجوب الإيمان بالأئمّة عليهم السّلام، فلا يتحقّق الامتثال إلّا بالإيمان بالجميع».

٣– العموم البدلي: «أن يكون الحكم لواحد من الأفراد على البدل، فيكون فرد واحد فقط – على البدل– موضوعًا للحكم، فإذا امتثل فرد واحد سقط التكليف، نحو: أعتق أيّة رقبة شئت».

– أدوات العامّ:

وهي على نوعين(١٤٩):

النوع الأوّل: ما دلّ على العموم دون انضمام قرينة مساعدة، وهي: (كل، جميع، سائر، معشر ومعاشر، كافة، قاطبة، الجمع المعرف بـ ال الاستغراقية مفردًا كان أو مجموعًا، والجمع المعرف بالمضاف).

النوع الثاني: ما دلّ على العموم بانضمام قرينة مساعدة، وهي:(أسماء الشرط، أسماء الاستفهام، والأسماء الموصولة؛ لأنّها تستعمل في المفرد والمثنى والجمع، المذكّر منها والمؤنث. والقرينة السياقيّة هي التي تعيّن مراد المتكلم).

والخاص هو: ما «يقابل العام، فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر»(١٥٠).

ويلحق به التخصيص والمخصص، فالتخصيص هو: «إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام»(١٥١)، والمخصص، وهو: «إمَّا متصل: وهو الذي لم يُفصل فيه بين العام والمخصص له بفاصل، وإمَّا منفصل: وهو بخلافه. والمتصل على خمسة أنواع: «الاستثناء، الشرط، الصفة، الغاية، وبدل البعض من الكل»(١٥٢).

تطبيقات قرآنية في العامّ والخاصّ في تفسير (عين الحياة):

١– قوله تعالى:(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)(١٥٣).

قال الشيخ البهائي: «وتخصيص هدايته بالمتقين؛ لأنّهم المنتفعون به وإنْ كانت دلالته عامّة كما قال سبحانه:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ)(١٥٤)»(١٥٥).

٢– قوله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(١٥٦).

رجّح الشيخ البهائي ما اختاره (الشيخ الطوسي(١٥٧) والزمخشري(١٥٨). في جعل مِنْ الواردة في الآية، تبعيضية أو بيانية، أو مخصصة بالعبد، إذ قال: «وإمَّا صلة فَأْتُوا ، والضمير له، وجعله لها ربّما يُوهم وجود المِثل، كما يشهد به الذوق، وهو السرّ في تخصيص الكشّاف بالعبد»(١٥٩).

٣– قوله تعالى: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (١٦٠).

قال الشيخ البهائي في معرض جوابه على الوعيدية على استدلالهم بعموم النكرة في سياق النفي على نفي الشفاعة لمن مات من أهل الكبائر بلا توبة دليلهم قوله تعالى: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٦١)، وقوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (١٦٢).

قال: «ثم تخصيص الشفاعة في الآية التي نحن فيها – الآية الثامنة والأربعون من سورة البقرة – لازم للوعيديّة أيضًا لأنّهم يُثبتون شفاعة النبي لصلحاء الأمّة ومن مات تائبًا، بمعنى: طلب زيادة قربهم ورفع درجاتهم؛ فلسنا مختصّين بالتخصيص، بل هم شركاؤنا فيه»(١٦٣).

٤– قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٤).

قال الشيخ البهائي: «لمّا قاس إبراهيم علي نبينا وآله وعليه السلام الرزق على الإمامة فخصّه بالمؤمن، نبّه سبحانه أنَّ الرزق رحمة دنيوية تعمّ الفريقين، بخلاف الإمامة، فأنّها تقدّم ديني لا يناله إلّا الخواص»(١٦٥).

٥– قوله تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (١٦٦).

قال الشيخ البهائي: «خصّصه بالتعيين، وجعل إعطاء المعجزات سببَ تفضّله؛ لإفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه»(١٦٧).

سادسًا: الإعجاز القرآني:

توطئة:

من مباحث علوم القرآن الدلالية، التي عقد لها علماء علوم القرآن فصول ومباحث، عند وقوفهم على الآيات التي جاءت في تحدي العرب وغيرهم على الإتيان بسورة أو آية من مثل القرآن الكريم. فكانت آراؤهم بين من قال بصرف العرب وغير العرب عن الإتيان بمثل القرآن وهو ما اصطلح عليه بالقول بـ (الإعجاز بالصِرفة)، ومنهم من قال إنّ إعجاز القرآن في أنّه جاء بأعلى مستوى من البلاغة والفصاحة بدرجة أعجز فصحاء العرب وغيرهم عن الاتيان بمثل نَضمهِ وأسلوبه، وقبل الفوج في بيان آراء العلماء في المراد من إعجاز القرآن، وما هو الرأي الراجح منها بحسب قوة الدليل، نمر على بيان مفهوم الإعجاز في كلمات علماء اللغة وأصحاب علوم القرآن، ثمَّ استعراض لأقوال العلماء في المراد من إعجاز القرآن، انتهاءً بما أورده الشيخ البهائي في تفسيره (عين الحياة) عن إعجاز القرآن، كما في الآتي:

– الإعجاز لغةً واصطلاحًا:

الإعجاز في اللغة، مِنْ عَجَزَ، قال بن فارس: «الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ»(١٦٨). والمعجزة هي: «ما أعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدّي»(١٦٩).

فالإعجاز في اللغة بحسب المقام يدل على التعب والضعف عن الاتيان بما تُحديَ به، وهو القرآن الكريم، وهو المعنى من معاني الأعجاز في اللغة الذي أشار إليه بن فارس.

وفي الاصطلاح هو: «قصد إظهار صدق النبي في دعوى الرسالة بفعل خارق للعادة»(١٧٠).

ذكر الشيخ (وهبة الزحيلي) ثلاثة أمور لتوفر الإعجاز:

١– «التحدي، وهو طلب المباراة أو المعارضة، وشواهده كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧١). وقوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧٢).

٢– أنْ يكون المقتضى الذي يدفع إلى التحدي أو المباراة قائمًا، وهو أنَّ النبي(صلى الله عليه وآله). قد أخبرهم أنَّه رسول الله، و جاءهم بدين يبطل دينهم وتقليد آبائهم، وسفّه عقولهم وآمالهم، وسخر من أوثانهم، وهزأ بعبادتهم، ودليله القرآن، فكانوا أحوج الناس إلى دحض ما ادعاه و إبطال ما أتى به، دون أنْ يضطروا إلى شهر السيف في وجهه، كما يبذل المحرج في آخر وسعه. فاختاروا ذلك مكرهين، وأذعنوا لعظمة القرآن صاغرين دون مباراة ولا معارضة.

٣– أنْ يكون المانع الذي يمنعه من المباراة منتفيًا، وهو أنَّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فأحرفه من أحرف

العرب، وعباراته من أسلوب العرب، ومعانيه من مألوف العرب، وهم أرباب البلاغة والبيان، وملوك الفصاحة، وفرسان الخطابة، وأساطين الشعر. ولهم في ذلك مواقف مشهورة وأسواق معروفة، ولم يحدد للمعارضة أجل معيّن، ولا نزل القرآن جملة واحدة، مما يسهل المعارضة ويتيح لهم الإعداد والتمكين لإحراز السبق، فعجزوا ووهنوا»(١٧٣).

فالفرق واضح بين الإعجاز والمعجزة التي هي أمر خارق للعادة مع عدم الاستطاعة على معارضتها، وجعل النار بردًا وسلامًا للنبي إبراهيم ، وانقلاب العصا إلى ثعبان، كأحياء الموتى، وغيرها، والإعجاز الذي هو من جنس الألفاظ والحروف المخاطبين بها.

– أقوال العلماء في إعجاز القرآن:

قال بعض العلماء أنَّ القرآن الكريم معجز بالصرفة، أي: «أنَّ الله تعالى صرف الهِمَمَ عن معارضته مع قدرتهم عليها، وذلك إمَّا بسلب قدرتِهم، أو بسلب دواعيهم»(١٧٤).

ردَّ على ذلك القول – الإعجاز بالصرفة – الملَّا محسن القزويني، بإنَّ ما ذهبوا إليه مردود؛ لوجوه:

«الأول: أنَّ فصحاء العرب إنَّما كانوا يتعجّبون من حُسن نَظْمِهِ وبلاغته وسلاسته في جزالتِهِ ويُحرِكون رؤوسهم متعجبين عند سماع قوله تعالى: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي (١٧٥)؛ لعدم تأتّي المعارضة مع سهولتها.

الثاني: لو قُصِدَ الإعجاز بالصرفة لكان الأنسب ترك الاعتقاد ببلاغته وعلوّ طبقتِهِ؛ لأنَّه ما كان أنْزَلَ، أي: أدنى في البلاغة وأدخل في الركاكة، كان عدم تيسّر المعارضة أبلغ في خرق العادة.

الثالث: قوله تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (١٧٦)، فإنَّ ذكر الاجتماع والاستظهار بالغير في مقام التّحدي إنَّما يحسن فيما لا يكون مقدورًا للبعضِ، وتوهم كونه مقدورًا للكلّ فيقصد نفي ذلك»(١٧٧).

وقال القاضي الباقلّاني(١٧٨) وإمام الحرمين(١٧٩): «إنَّ وجه الإعجاز هو اجتماع الفصاحة مع الأسلوب المخالف لأساليب العرب من غير استقبال أحدهُما»(١٨٠).

عن طريق ما تقدّم نلحظ أنَّ القزويني من الرافضين لنظرية الصرفة؛ لأنَّ القرآن الكريم معجز كما وصفه موافقًا بقوله مشهور الفقهاء والعلماء وأغلب المفسرين، وكما بيَّنته الأدلة التي أوردها لا بالصرفة؛ والدليل على أنَّ القرآن معجز لا بالصرفة مضافًا لوجوه الأدلة التي أوردها الملّا القزويني في الردِّ على القائلين بالصرفة، أنَّه لم يرد دليلٌ معتبرٌ مجمع عليه بين العلماء يوافق قول القائلين بالصرفة، وهذا ما يشير إلى أنَّ ما حُدِّدَ من معنى الإعجاز على قول القائلين بالصرفة مبنيًا على اجتهاد العلماء، وهو مردود بالأدلة المُشار إليها؛ لأنَّها أقوى في الحجة. فترجيحه كان بأقوال العلماء أمثال الباقلّاني والجويني.

– تطبيقات قرآنية في الإعجاز القرآني من تفسير (عين الحياة):

١– قوله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(١٨١). قال الشيخ البهائي في بيانه التحدي الإلهي بالقرآن وبيان إعجازه: «الجّار إمّا صفة للسورة، والضمير للموصول، و مِنْ تبعيضيّة أو بيانية، أو للعبد و مِنْ ابتدائية، أي: ممّن هو مثله في الأميّة، والأوّل أولى؛ لإعجازه في نفسه لا بالنسبة إليه ولإيهام ردّه إليه إمكان صدوره عن غير المماثل أولى»(١٨٢).

٢– قوله تعالى:(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)(١٨٣).

في إثبات العجز عن الإتيان بمثل القرآن، قال الشيخ البهائي: «أي: لم تاتوا بمثله، وفي الإتيان بـ (إنْ) في التّحقق تهكّم بهم، أو خطاب لهم على حسب ظنّهم، والمعنى: فإن لم تاتوا بمثله ظهر أنّه معجز»(١٨٤).

٣– قوله تعالى:(هُدى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)(١٨٥).

في بيان هداية القرآن وإعجازه، قال الشيخ البهائي: «حالان من القرآن، أي: هداية لهم من الإسلام بإعجازه، وآيات واضحات ممّا يهدي إلى الحقّ، ويفرّق بين الحلال والحرام، والحقّ والباطل»(١٨٦).

ما تقدّم هو غيض من فيض علوم البحر المتلاطم بالمعرفة في جميع الفنون، الشيخ البهائي . فقد كان تفسيره – عين الحياة – المسمّى أيضًا بـ (التفسير الصغير) في قبال تفسيره الكبير (العروة الوثقى)، كان غنيًا بالآراء التفسيريّة النابعة من اجتهاد مستند إلى الكتاب الكريم والسنة المطهّرة، الصادرة عن النبي وأهل بيته الأطهار ، فكان حقًّا علينا أن نُبرِّز هذه العلوم – علوم القرآن – التي أشتمل عليها هذا التفسير المبارك على الرغم من قلّة المُفسَّر فيه فقد أشتمل على تفسير سورة الفاتحة، والبقرة إلى الآية (٣٤) من سورة آل عمران.

الخاتمة:

تبيَّن عن طريق الدراسة جملة من النقاط، يمكن عدَّها نتائج توصّل لها الباحث، وهذه النتائج:

١ – إنَّ سيرة الشيخ البهائي عن طريق ما ذكره في حقّه الأعلام وكذلك عن طريق ما وصل إلينا من مصنّفاته في العلوم المتنوعة، جميع ذلك يبرهن نبوغ وعظمة هذا العالم الجليل، فهو من أعلام القرن الحادي عشر الهجري الذين سطع نجمهم وتناثرت علومهم في معارف جمّة.

٢ – ينحدر الشيخ البهائي من عائلة علمائية، عُرِفَتْ بالروع والتقوى والزهد وطلب العلم الجهاد في سبيل الله تعالى.

٢ – إنَّ القيمة العلمية لتفسير (عين الحياة) من الأهمية بمكان فقد ضمّنه مناقشاته الكلاميّة، منها مناقشاته على ما ذهب إليه علماء المذاهب الأخرى أمثال (البيضاوي والزمخشري)، واستدلالاته على المسائل الفقهية وبيان الأحكام الشرعية التي تضمنتها آيات الأحكام، وكذلك الإشارة إلى مباحث علوم القرآن في طيات تفسيره للآيات المباركات، فكان تفسيرًا ثرًّا زاخرًا بالمعلومات المختلفة في علومٍ شتّى.

٣ – اشتمل تفسير (عين الحياة) على مباحث في علوم القرآن تنوعت ما بين مباحث تشريعية، موضوعية، ودلالية، تناولها في طيّات تفسيره لآيات الذكر الحكيم تارةً بالإشارة وأخرى بالتعريف وذكر الآراء محددًا الرأي الراجح منها.

٤ – كان الشيخ البهائي ينتقي أجود الآراء وأقربها إلى الصِّحة والصواب، عند ترجيحه لها؛ فلم يقف عند رأي مدرسةٍ معيّنة، جاعلًا الفيصل في الترجيح ما كان مستندًا لرأي المعصومين ، وهو ما يجعله تفسيرًا مهمًا، وذا نفعٍ أكبر.

٥ – لتفسير القرآن بالقرآن نصيب وافر في هذا السفر الجليل، ناهيك عن تفسير القرآن بالسنة والأثر، فهو منهج له حظٌّ وافر فيها، كما أنَّه كان مدقِّقًا ومحقِّقًا في القراءات القرآنيّة، مستعينًا في ذلك كلِّه بالشواهد الصرفيّة والنحويّة والشعريّة والبلاغيّة.

٦ – إنَّ التفسير الروائي هو عمدة المناهج التفسيريّة؛ يعتمد على مرويات واردة عن أئمة اهل البيت وبخاصة في مدرسة الإماميّة. فالتفسير الروائي هو من الأهميّة بمكان، إلَّا أنَّ الخطورة فيه تكمن في دسّ الأحاديث المكذوبة، والإسرائيليات ونسبتها إلى النبي وأهل البيت . فالشيخ البهائي تصدّى في تفسره هذا لغربلة الروايات الواردة عنهم واعتماد الصحيح منها حصرًا.

٧ – نجد أنَّ تفسير الشيخ البهائي زاخرٌ بالنقل عن سابقيه من أئمة اللغة والتفسير والحديث؛ وذلك يدلِّل على سِعَة إطلاع المصنف ووفرة خزينه المعرفي.

الهوامش:

(١) «بالدال المهملة و سكون الميم نسبة إلى همدان القبيلة العربية المشهورة و هم حي من اليمن و بالمعجمة وفتح الميم البلد و هي مدينة ايرانية. والحارث الهمداني هو الذي قال له أمير المؤمنين شعرًا منه:

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا

و كانوا مخلصين في ولاء علي و صبروا معه يوم صفين، روي انهم في بعض أيامها حين استحر القتل ورأوا فرار الناس عمدوا إلى أغماد سيوفهم فكسروها و عقلوا أنفسهم بعمائهم و بركوا للقتل فقال فيهم علي :

لهمدان أخلاق ودين يزينها وبأس إذا لاقوا وحسن كلام

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال يوم الجمل لو تمت عدتهم ألفا لعبد الله حق عبادته.

وكان إذا رآهم يتمثل بقول الشاعر:

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب

الأمين، محسن (١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت (١٤٠٣هـ): ٢٣٤/٩.

(٢) جبع: وهي قرية من قرى جبل عامل في لبنان.

(٣) الصدر، حسن (ت ١٣٥٤هـ)، نهاية الدراية، تحقيق ماجد الغرباوي، نشر المشعر، مطبعة اعتماد (د ت): ٣٧.

(٤) اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق ، موسوعة طبقات الفقهاء، تحقيق وإشراف جعفر السبحاني، ط١، نشر مؤسسة الإمام الصادق ١٤٢٠هـ: ٦٨–٨٨. بتصرف

(٥) الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، أمل الآمل، تحقيق أحمد الحسيني، نشر مكتبة الاندلس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د ت): ٧٥/١.

(٦) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٢٧٥/٢.

(٧) حسن الصدر، نهاية الدراية: ٣٧.

(٨) الصنعاني، يوسف بن يحيى (١١٢١ هـ)، نسمة السحر بذكر مَن تشيّع و شعر، تحقيق كامل سلمان جبوري، نشر دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤١٩ هـ، وينظر: حسن الصدر، نهاية الدراية: ٣٧.

(٩) ينظر: البهائي، محمد بن الحسين (ت ١٠٣٠هـ)، العروة الوثقى في تفسير سورة الحمد و الرحلة، تصحيح محمد رضا نعمتي وأسعد الطيب، ط٣، قم، ١٤٣٠هـ: مقدِّمة التحقيق ١٣ وما بعدها، الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، ط١، مطبعة حيدري، طهران، ١٤١٤هـ: ١٤٤/٣، كحاله، عمر رضا، معجم المؤلفين، (د ط)، مكتبة المثنى، بيروت – لبنان، ودار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان (د ت): ٢٣٨/٥، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق ، موسوعة طبقات الفقهاء: ٦٨/١٠، الجلالي، محمد حسين الحسيني، فهرس التراث، تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي، ط١، قم – إيران: ٨٢٤/١.

(١٠) الشيخ البهائي، الاثنا عشرية، تحقيق محمد الحسون، ط١، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٩هـ: ٢٣، وينظر: زبدة الأصول، تحقيق فارس حسون كريم، ط١، مطبعة زيتون، نشر مرصاد، إيران، ١٤٢٣هـ: مقدِّمة التحقيق ١٤ وما بعدها، العروة الوثقى في تفسير سورة الحمد و الرحلة: مقدِّمة التحقيق ١٥ وما بعدها، الطهراني، أغا بزرك (ت ١٣٨٩هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط١، ١٣٦٥هـ: ٢٤٠/٦.

(١١) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢٤٠/٦.

(١٢) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(١٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(١٤) سورة النور: الآية ٢٦.

(١٥) سورة الملك: من الآية ١١.

(١٦) سورة الملك: من الآية ١١.

(١٧) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(١٨) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٧/ ٦٨.

(١٩) فهرس مكتبة مدرسة الشهيد مطهّري (سپهسالار)، ج ٣، ص ٤٥٥، الرقم ٥٢٢٩.

(٢٠) سورة البقرة: الآية ٢٧.

(٢١) سورة آل عمران: الآية ٣٥.

(٢٢) العاملي، محمد بن حسن (الحر العاملي) (ت ١١٠٤ هـ)، أمل الآمل في علماء جبل عامل، تحقيق أحمد الإشكوري، مكتبة الأندلس، بغداد – العراق، (د ت): ١٥٥/١.

(٢٣) المدني، علي صدر الدين(ت ق ١١هـ)، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، نشر لمكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، (د ت): ٢٨٩ – ٢٩٠.

(٢٤) التفريشي، مصطفى بن الحسين الحسيني (ت ق ١١هـ)، نقد الرجال، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٨هـ: ١٨٦/٤.

(٢٥) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٢٣٥/٩.

(٢٦) الحر العاملي، أمل الآمل: ١٥٥/١.

(٢٧) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٢٣٥/٩.

(٢٨) حسن الصدر، نهاية الدراية: ٣٧.
(٢٩) ينظر: الحفاجي، حكمت عبيد حسين وليث العتابي، تأسيس مصطلح علوم القرآن عن الإمام علي دراسة في الأسس والتقسيمات، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافيّة، بابل – العراق، ٢٠٢٠: ٢٠٧–٢٠٨.
(٣٠) الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٨هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت): ٢٠/١.
(٣١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢٠/١.
(٣٢) الحكيم، محمّد باقر (ت ١٤٢٤هـ)، علوم القرآن، نشر المجمع العالمي لأهل البيت ، ١٤٢٥هـ: ٢٠.
(٣٣) الجلالي، محمّد حسين الحسيني (ت ق ١٥هـ)، دراسة حول القرآن الكريم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ: ٧.
(٣٤) الجرجاني، أبو الفتح الحسيني (ت ٩٧٦)، تفسير شاهي (آيات الأحكام)، تحقيق ولي الله الأشراقي، نشر نويد – تهران، ١٣٦٢ش: ٤٠/٢.
(٣٥) المصدر نفسه: ٤٠/٢.
(٣٦) المصدر نفسه: ٤٠/٢.
(٣٧) الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م: ٢٧٥/٥. مادة (مَكَّ)
(٣٨) الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (١٧٠هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال، (د ت): ٥٣/٨. مادة (مَدَنَ)
(٣٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٣٠٦/٥. مادة (مَدَنَ)
(٤٠) الزركشي، محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق جمال حمدي وآخرون، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ: ٢٧٣/١–٢٧٤.
(٤١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢١هـ: ٥٥/١.
(٤٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن: ١٨٧/١.
(٤٣) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٢٧٣/١ وما بعدها، السيوطي، التحبير في علم التفسير، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ: ٣٦–٣٧، مَعبد، محمد أحمد، نفحات من علوم القرآن، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ: ٣٤–٣٥، أبو سليمان، صابر حسن محمّد، أضواء البيان في تأريخ القرآن، نشر دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٠هـ: ١١٠–١١١.
(٤٤) سورة الحج: الآية ٧٧.
(٤٥) البهائي، محمّد بن الحسين العاملي (ت ١٠٣٠هـ)، عين الحياة، تحقيق معهد القرآن الكريم في النجف الأشرف، ط١، دار الكفيل للطباعة والنشر، ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٣م: ١٢٩.
(٤٦) سورة البقرة: الآية ٢٨١.
(٤٧) البهائي، عين الحياة: ١٢٩، وينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م: ٧٤/١.
(٤٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٩١/٢. مادة (حكم)
(٤٩) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، نشر المكتبة العلمية، بيروت، (د ت): ١٤٥/١. مادة (ح ك م)
(٥٠) الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ: ١٠/١.
(٥١) سورة الأنعام من الآية ١٥١، وسورة الإسراء: من الآية ٣٣.
(٥٢) سورة الإخلاص: الآيتان ٣–٤.
(٥٣) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن: ١٦٨/٢.
(٥٤) سورة آل عمران: من الآية ٧.
(٥٥) البهائي، تفسير عين الحياة: ٣٩٣.
(٥٦) سورة هود: الآية ١.
(٥٧) البهائي، تفسير عين الحياة: ٣٩٣.

(٥٨) سورة آل عمران: من الآية ٧.
(٥٩) الفراهيدي، العين: ٤٠٤/٣. مادة (شبه)
(٦٠) الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م: ٢٢٣٦/٦. مادة (شبه)
(٦١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٢٤٣/٣. مادة (شبه)
(٦٢) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٣٠٣/١. مادة (ش ب ه)
(٦٣) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ١٠/١.
(٦٤) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، ١٤١٢هـ: ٤٤٣/١.
(٦٥) معرفة، محمّد هادي (ت ١٤٢٧هـ)، التمهيد في علوم القرآن، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د ت): ٦/٣.
(٦٦) البهائي، تفسير عين الحياة: ٣٩٣.
(٦٧) سورة التوبة: من الآية ٥.
(٦٨) سورة النساء: من الآية ٣.
(٦٩) سورة التوبة: من الآية ٣٧.
(٧٠) الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ٤٤٣/١–٤٤٥، وينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ٥٥٩/١–٦٠١، النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، نشر دار عالم القرآن الكريم، حلب، ١٤٢٦هـ: ١٨٢–١٨٣.
(٧١) الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ٤٤٥/١.
(٧٢) البهائي، تفسير عين الحياة: ١٢٩.
(٧٣) ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ٤٨/١.
(٧٤) ينظر: المخزومي، مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق محمد عبد السلام، ط١، نشر دار الفكر الإسلامي، مصر، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م: ٤٥٣/١، البلخي، مقاتل بن سليمان بن بشير (ت١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود، ط١، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ: ٦٢٠/٢، القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة (ت ٢٠٠هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق هند شلبي، ط١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م: ٢١٣/١، الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت ٢١١هـ)، تفسير القرآن (تفسير الصنعاني)، تحقيق محمود محمد عبده، ط١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ: ٣٥٠/٢، الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)، معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قراعة، ط١، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م: ٢٢/١.
(٧٥) ينظر: القيرواني، تفسير يحيى بن سلام: ٤٩٥/٢، وينظر: الطبرسي، مجمع البيان: ٧٥/١.
(٧٦) ينظر: الصنعاني، تفسير الصنعاني: ٢٥٩/١، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، نشر مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م: ٢٠٥/١، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ٤٤١/٨.
(٧٧) البهائي، تفسير عين الحياة: ١٣٠–١٣٢.
(٧٨) ينظر: القزويني، محسن بن محمّد طاهر (ت١١٥٠هـ)، نور التوفيق وكشف التدقيق (من مقدّمات التفسير إلى نهاية الآية (٣٥) من سورة البقرة – دراسة وتحقيق–)، أطروحة دكتوراه مقدَّمة من قبل الطالب: (مازن حمود مطرود)، إلى مجلس كلية العلوم الإسلاميّة – جامعة كربلاء، بإشراف الأستاذ الدكتورة (ناهدة جليل الغالبي)، ٢٠٢٤/٣/٢٦: ٢٩٤.
(٧٩) الصدوق: ٢٣، ح٢ باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.
(٨٠) البهائي، تفسير عين الحياة: ١٣٢.
(٨١) الفراهيدي، العين: ٢٠١/٤. (مادة نسخ)
(٨٢) ينظر: الجوهري، الصحاح: ٤٣٣/١، العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، نشر دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د ت): ٢٩٠/١. (مادة نسخ)
(٨٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٤٢٤/٥. (مادة نسخ)
(٨٤) الفيومي، المصباح المنير: ٦٠٢/٢. (مادة ن س خ)
(٨٥) أبو عبيد، قاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، تحقيق محمد بن

صالح، نشر شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ: ٥٦.
(٨٦) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر (ت ٧٢١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق محمد علي شاهين، ط١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ: ٦٨/١، وينظر: الزرقاني، مناهل العرفان: ١٧٦/٢.
(٨٧) الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، ط٤، نشر دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م: ٢٧٨.
(٨٨) البهائي، زبدة الأصول، تحقيق فارس الحسون، نشر المرصاد، قم، ١٤٢٣هـ: ١٥٤–١٥٥.
(٨٩) سورة المائدة: الآية ١٠٥.
(٩٠) ينظر: ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر (ت ٤٥٣هـ)، أحكام القرآن، تعليق محمد عبد القادر عطا، ط٣، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م: ٢٢٥/٢.
(٩١) الخفاجي، الإمام الباقر وأثره في التفسير، نشر مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٦هـ: ٢٢٧–٢٢٨.
(٩٢) العياشي، محمّد بن مسعود (ت ٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، (د ت): ١١/١. ح٣
(٩٣) الخفاجي، الإمام الباقر وأثره في التفسير: ٢٢٥.
(٩٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٨–٢٣٢.
(٩٥) سورة البقرة: الآية ١٠٩.
(٩٦) سورة الحج: الآية ٣٩.
(٩٧) المجلسي، محمّد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، نشر مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م: ١٥/٢٢.
(٩٨) سورة البقرة: من الآية ٨٣.
(٩٩) سورة التوبة: الآية ٢٩.
(١٠٠) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، ط٣، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران –إيران، ١٣٦٧ش: ١١/٥. ح١ بَابُ وُجُوه الجِهَادِ
(١٠١) سورة البقرة: الآية ٢٤٠.
(١٠٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.
(١٠٣) العياشي، تفسير العياشي: ١٢٢/١. ح٣٨٨.
(١٠٤) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.
(١٠٥) البهائي، تفسير عين الحياة: ٣٤٩.
(١٠٦) سورة آل عمران: من الآية ١٠٢.
(١٠٧) سورة التغابن: من الآية ١٦.
(١٠٨) ينظر: العياشي، تفسير العياشي: ١٩٤/١. ح١٢١.
(١٠٩) الخفاجي، الإمام الباقر وأثره في التفسير: ٢٣٠–٢٣١.
(١١٠) سورة النساء: الآيتان: ١٥–١٦.
(١١١) العياشي، تفسير العياشي: ٢٢٧/١. ح٦٠
(١١٢) سورة المجادلة: الآية ١٢.
(١١٣) سورة المجادلة: الآية ١٣.
(١١٥) القمي، علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ)، تفسير القمي، تحقيق طيب الموسوي، مطبعة النجف، نشر مكتبة الهدى، ١٣٨٧ش: ٣٥٧/٢.
(١١٥) ينظر: الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ٢٧٧–٣٨٠. البحث مفصّلا
(١١٦) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، المحصول، تحقيق طه جابر فياض، ط٣، نشر مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: ١٢٥/٣، وينظر: الدهلوي، أحمد بن عبدالرحيم (ت ١١٧٦هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، ترجمة سلمان الندوي، نشر زاهدان، ١٣٨٢هـ ش: ١٠٧.
(١١٧) الفراهيدي، العين: ٢٠٣/٧. (مادة سب)
(١١٨) الجوهري، الصحاح: ١٤٥/١. (مادة سبب)

(١١٩) الفيومي، المصباح المنير: ٢٦٢/١. (مادة س ب ب)
(١٢٠) الزرقاني، مناهل العرفان: ١٠٠/١.
(١٢١) العطار، داود (ت ١٩٨٣م)، موجز علوم القرآن، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (١٤١٥هـ): ١٢٧.
(١٢٢) الواحدي، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق كمال بسيوني الزغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ: ١٠.
(١٢٣) هو «مُحَمَّد بن عَليّ بن وهب بن مُطِيع بن أبي الطَّاعَة المنفلوطي الأَصْل الْمصْرِيّ القوصي المنشأ الْمَالِكِي ثمَّ الشَّافِعِي نزيل الْقَاهِرَة، أَبُو الْفَتْح الْقشيرِي الْمَعْرُوف بِابْن دَقِيق الْعِيد، قَرَأَ مَذْهَب مَالك ثمَّ مَذْهَب الشَّافِعِي، من مؤلفاته (الاقتراح) في علوم الحديث (وشرح مقدمة المطرزي) في أصول الفقه وغيرهما توفي سنة (٧٠٢هـ)». ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد، ط٢، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد – الهند، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م: ٣٤٨/٥.
(١٢٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ١١٧/١.
(١٢٥) سورة البقرة: الآيتان ٦–٧.
(١٢٦) البهائي، تفسير عين الحياة: ١٣٩–١٤٠، وينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ٥٩/١. والقول الأوّل نُسِبَ (للربيع بن أنس)، والقول الثاني نُسِبَ (لعبد الله بن عباس)
(١٢٧) سورة البقرة: الآية ٤٤.
(١٢٨) البهائي، تفسير ين الحياة: ١٠٢–٢٠٢.
(١٢٩) سورة البقرة: من الآية ١١٤.
(١٣٠) البهائي، تفسير عين الحياة: ٢٦٤.
(١٣١) سورة البقرة: الآية ١١٥.
(١٣٢) نصُّ الرواية: «عن حريز قال : قال أبو جعفر أنزل الله هذه الآية في التطوع خاصة فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيم [سورة البقرة: من الآية ١١٥] وصلى رسول الله إيماء على راحلته أينما توجهت به حيث خرج إلى خيبر ، وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره» العياشي، تفسير العياشي: ٥٦/١. ح٨٠
(١٣٣) البهائي، تفسير عين الحياة: ٢٦٥–٢٦٦.
(١٣٤) سورة البقرة: الآية ١٥٨.
(١٣٥) البهائي، تفسير عين الحياة: ٢٨٧.
(١٣٦) سورة البقرة: الآية ١٦٨.
(١٣٧) البهائي، تفسير عين الحياة: ٢٩١.
(١٣٨) سورة البقرة: من الآية ١٧٧.
(١٣٩) البهائي، تفسير عين الحياة: ٢٩٦.
(١٤٠) سورة آل عمران: الآية ٢٦.
(١٤١) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار: ١٩٠/٢٠. ح١٧ باب غزوة الأحزاب وبني قريظة
(١٤٢) البهائي، تفسير عين الحياة: ٤٠٧.
(١٤٣) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م: ١١٤١/١.
(١٤٤) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، نشر دار صادر، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ: ٢٤/٧، الفيومي، المصباح المنير: ١٧١/١. (مادة خ ص ص)
(١٤٥) الرازي، المحصول: ١/ ٥١٣–٥١٤.
(١٤٦) الحلي، الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، نهاية الوصول إلى علم الأصول، تحقيق إبراهيم البهادري، ط١، نشر مؤسسة الإمام الصادق، قم، ١٤٢٥هـ: ١١٤/٢.
(١٤٧) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ٦٣١/١.
(١٤٨) المظفر، محمّد رضا (ت ١٣٨٣هـ)، أصول الفقه، ط٥، نشر منشورات مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية بقم، ١٤٢٩هـ: ١٥١–١٥٢.
(١٤٩) ينظر: المظفر: أصول الفقه: ١٥١ وما بعدها.

(١٥٠) القطان، مناع بن خليل (ت ١٤٢٠هـ)، مباحث علوم القرآن، ط٣، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ٢٣٢/١.
(١٥١) القطان، المصدر نفسه: ٢٣٢/١.
(١٥٢) القطان، مباحث علوم القرآن: ٢٣٢/١.
(١٥٣) سورة البقرة: الآية ٢.
(١٥٤) سورة البقرة: من الآية ١٥٨.
(١٥٥) البهائي، تفسير عين الحياة: ١٣٣.
(١٥٦) سورة البقرة: الآية ٢٢.
(١٥٧) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ١٠٤/١.
(١٥٨) الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ: ٩٨/١.
(١٥٩) البهائي، تفسير عين الحياة: ١٦٢.
(١٦٠) سورة البقرة: الآية ٤٨.
(١٦١) سورة غافر: من الآية ١٨.
(١٦٢) سورة المدثر: الآية ٤٨.
(١٦٣) البهائي، تفسير عين الحياة: ٢٠٧.
(١٦٤) سورة البقرة: الآية ١٢٦.
(١٦٥) البهائي، تفسير عين الحياة: ٢٧١.
(١٦٦) سورة البقرة: من الآية ٢٥٣.
(١٦٧) البهائي، تفسير عين الحياة: ٣٥٦.
(١٦٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٢٣٢/٤. (مادة عجز)
(١٦٩) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ٥١٦/١. (مادة عجز)
(١٧٠) الطحان، منيب، الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان، نشر دار سعد الدين، دمشق، ١٤٢٠هـ: ١٨.
(١٧١) سورة البقرة: الآية ٢٣.
(١٧٢) سورة يونس: الآية ٣٨.
(١٧٣) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الوسيط في أصول الفقه، منشورات جامعة دمشق، كلية الشريعة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م: ٢٢١. (بتصرف)
(١٧٤) ينظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق مكدور وآخرون، يطلب من مجموعة نور الإليكترونية، (د ت): ٣١٨/١٦، الشريف المرتضى، الموضح عن جهة إعجاز القرآن، تحقيق محمد رضا الأنصاري، نشر آستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، ١٣٨٢هـ ش: ٣٣.
(١٧٥) سورة هود: من الآية ٤٤.
(١٧٦) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
(١٧٧) القزويني، نور التوفيق وكشف التدقيق: ٥٠-٥١.
(١٧٨) هو «محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر (ت ٣٣٨ هـ - ٤٠٣هـ)، قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب من كتبه (إعجاز القرآن، الانصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، هداية المرشدين)، وغيرها. الزركلي، الأعلام: ١٧٦/٦.
(١٧٩) هو «عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤١٩هـ - ٤٧٨هـ). من أصحاب الشافعي، ولد في جوين، من نواحي نيسابور، ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعًا طرق المذاهب، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك (المدرسة النظامية) له مصنفات كثيرة، منها (غياث الأمم والتياث الظلم، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، البرهان في أصول الفقه، الشامل في أصول الدين على مذهب الأشاعرة، الارشاد في أصول الدين). الزركلي، الأعلام: ١٦٠/٤.
(١٨٠)الباقلاني، محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق صلاح محمد عويضة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ: ٣١، الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت٤٧٨هـ)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق زكريا عميرات،

نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ: ١٤١.
(١٨١) سورة البقرة: الآية ٢٣.
(١٨٢) البهائي، تفسير عين الحياة: ١٦١-١٦٢.
(١٨٣) سورة البقرة: الآية ٢٤.
(١٨٤) البهائي، تفسير عين الحياة: ١٦٣-١٦٤.
(١٨٥) سورة البقرة: من الآية ١٨٥.
(١٨٦) البهائي، تفسير عين الحياة: ٣٠٥.

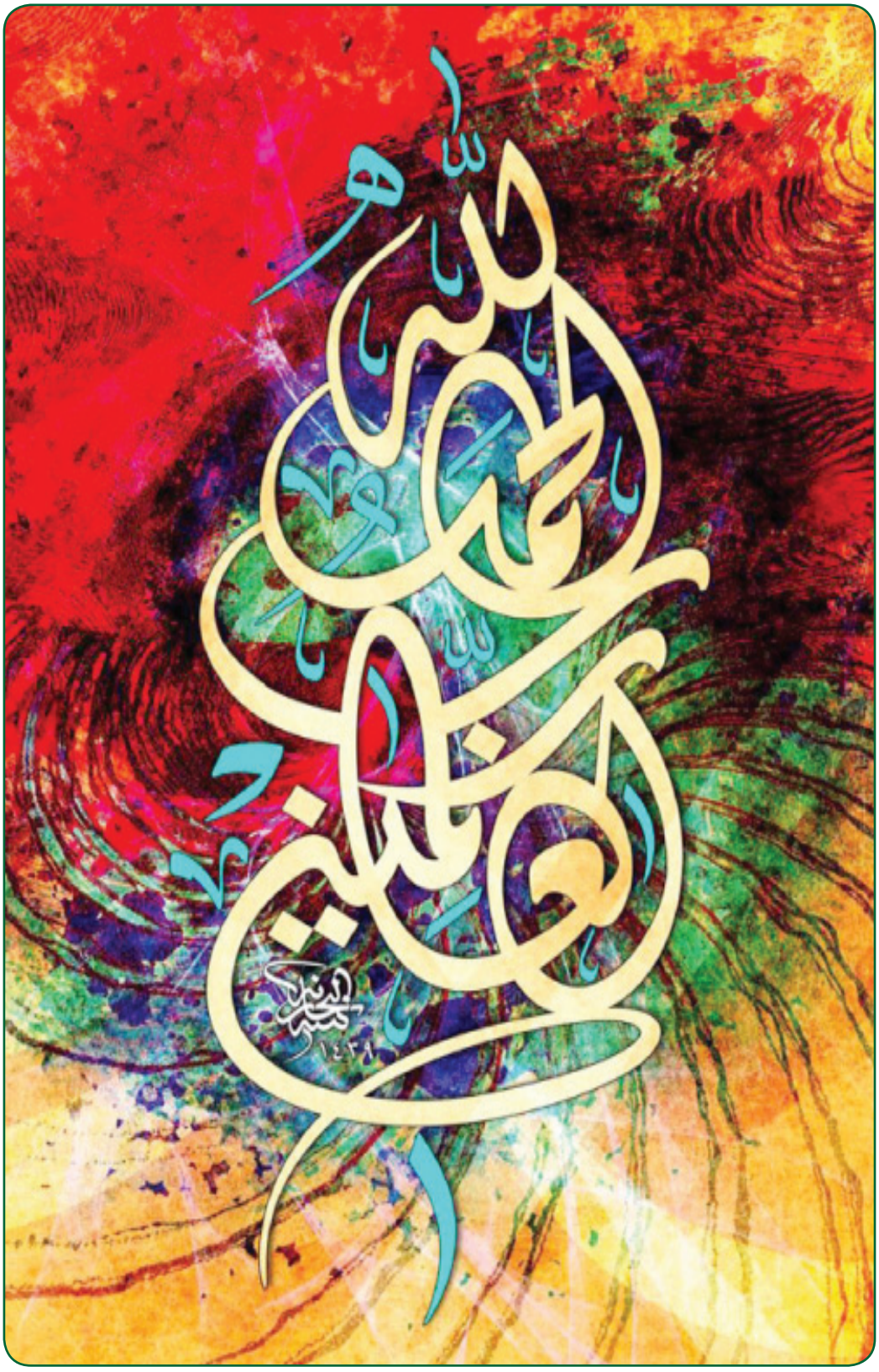
المصادر والمراجع:

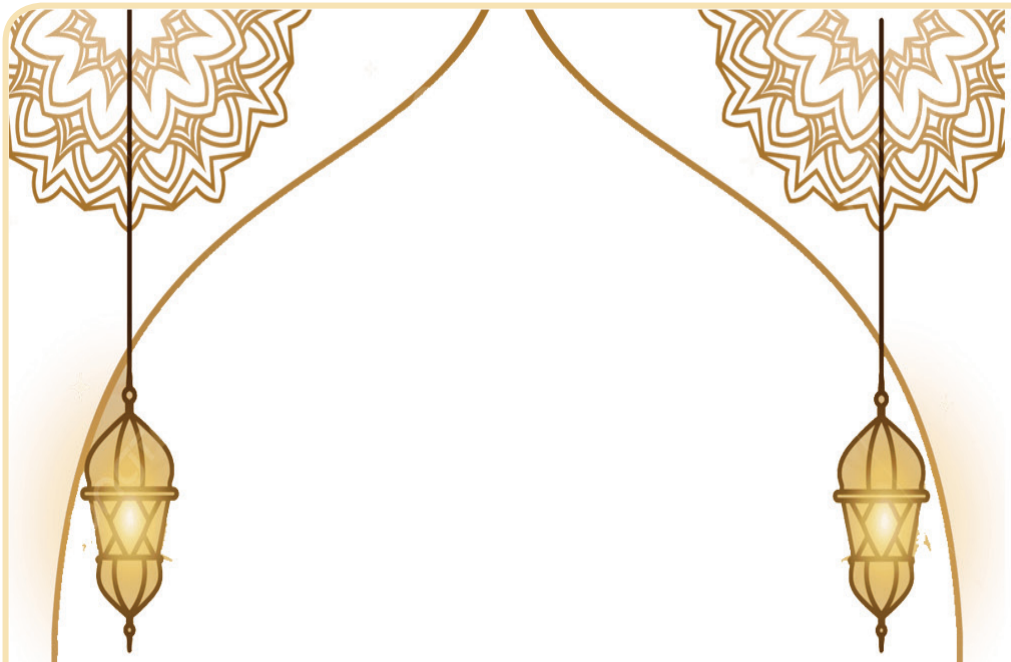
القرآن الكريم:
١. ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر (ت ٤٥٣هـ)، أحكام القرآن، تعليق محمد عبد القادر عطا، ط٣، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد، ط٢، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد – الهند، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، نشر دار صادر، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ.
٤. أبو سليمان، صابر حسن محمّد، أضواء البيان في تأريخ القرآن، نشر دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٥. أبو عبيد، قاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، تحقيق محمد بن صالح، نشر شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ.
٦. الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)، معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قراعة، ط١، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٧. الأمين، محسن (١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت (١٤٠٣هـ).
٨. الباقلاني، محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق صلاح محمد عويضة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
٩. البلخي، مقاتل بن سليمان بن بشير (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود، ط١، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ.
١٠. البهائي، محمّد بن الحسين العاملي (ت ١٠٣٠هـ):
• الاثنا عشرية، تحقيق محمد الحسون، ط١، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٩هـ.
• زبدة الأصول، تحقيق فارس الحسون، نشر المرصاد، قم، ١٤٢٣هـ.
• زبدة الأصول، تحقيق فارس حسون كريم، ط١، مطبعة زيتون، نشر مرصاد، إيران، ١٤٢٣هـ.
• العروة الوثقى في تفسير سورة الحمد و الرحلة، تصحيح محمد رضا نعمتي وأسعد الطيب، ط٣، قم، ١٤٣٠هـ.
• عين الحياة، تحقيق معهد القرآن الكريم في النجف الأشرف، ط١، دار الكفيل للطباعة والنشر، ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٣م.
١١. التفريشي، مصطفى بن الحسين الحسيني (ت ق ١١هـ)، نقد الرجال، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٨هـ.
١٢. الجرجاني، أبو الفتح الحسيني (ت ٩٧٦)، تفسير شاهي (آيات الأحكام)، تحقيق ولي الله الأشراقي، نشر نويد – تهران، ١٣٦٢ش.
١٣. الجلالي، محمّد حسين الحسيني (ت ق ١٥هـ):
• دراسة حول القرآن الكريم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ.
• فهرس التراث، تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي، ط١، قم – إيران.
١٤. الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
١٥. الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت٤٧٨هـ)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٦. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، أمل الآمل، تحقيق أحمد الحسيني، نشر مكتبة الاندلس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، (د ت).
١٧. الحكيم، محمّد باقر (ت ١٤٢٤هـ)، علوم القرآن، نشر المجمع العالمي لأهل البيت ، ١٤٢٥هـ.
١٨. الحلي، الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، نهاية الوصول إلى علم الأصول، تحقيق إبراهيم البهادري، ط١، نشر مؤسسة الإمام الصادق، قم، ١٤٢٥هـ.
١٩. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر (ت ٧٢١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق محمد علي شاهين، ط١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٠. الخفاجي، حكمت عبيد حسين، الإمام الباقر وأثره في التفسير، نشر مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٦هـ.
٢١. الخفاجي، حكمت عبيد حسين وليث العتابي، تأسيس مصطلح علوم القرآن عن الإمام علي دراسة في الأسس والتقسيمات، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافيّة، بابل – العراق، ٢٠٢٠.
٢٢. الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، ط٤، نشر دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
٢٣. الدهلوي، أحمد بن عبدالرحيم (ت ١١٧٦هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، ترجمة سلمان الندوي، نشر زاهدان، ١٣٨٢هـ ش.
٢٤. الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٥. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، المحصول، تحقيق طه جابر فياض، ط٣، نشر مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٢٦. الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، ١٤١٢هـ.
٢٧. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الوسيط في أصول الفقه، منشورات جامعة دمشق، كلية الشريعة، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٢م.
٢٨. الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٨هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).
٢٩. الزركشي، محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق جمال حمدي وآخرون، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.
٣٠. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٣١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):
• الإتقان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢١هـ.
• التحبير في علم التفسير، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ.
٣٢. الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، ط١، مطبعة حيدري، طهران، ١٤١٤هـ.
٣٣. الشريف المرتضى، الموضح عن جهة إعجاز القرآن، تحقيق محمد رضا الأنصاري، نشر آستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، ١٣٨٢هـ ش.
٣٤. الصدر، حسن (ت ١٣٥٤هـ)، نهاية الدراية، تحقيق ماجد الغرباوي، نشر المشعر، مطبعة اعتماد (د ت).
٣٥. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت ٢١١هـ)، تفسير القرآن (تفسير الصنعاني)، تحقيق محمود محمد عبده، ط١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
٣٦. الصنعاني، يوسف بن يحيى (١١٢١ هـ)، نسمة السحر بذكر مَن تشيّع و شعر، تحقيق كامل سلمان جبوري، نشر دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤١٩ هـ.
٣٧. الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٣٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، نشر مؤسسة

الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٣٩. الطحان، منيب، الإعجاز في القرآن طريق إلى الإيمان، نشر دار سعد الدين، دمشق، ١٤٢٠هـ.
٤٠. الطهراني، أغا بزرك (ت ١٣٨٩هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط١، ١٣٦٥هـ.
٤١. الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ.
٤٢. العاملي، محمد بن حسن (الحر العاملي) (ت ١١٠٤ هـ)، أمل الآمل في علماء جبل عامل، تحقيق أحمد الإشكوري، مكتبة الأندلس، بغداد – العراق، (د ت).
٤٣. العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، نشر دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د ت).
٤٤. العطار، داود (ت ١٩٨٣م)، موجز علوم القرآن، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (١٤١٥هـ).
٤٥. العياشي، محمّد بن مسعود (ت ٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، (د ت).
٤٦. الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (١٧٠هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال، (د ت).
٤٧. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٤٨. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، نشر المكتبة العلمية، بيروت، (د ت).
٤٩. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق مكدور وآخرون، يطلب من مجموعة نور الإليكترونية، (د ت).
٥٠. القزويني، محسن بن محمّد طاهر (ت١١٥٠هـ)، نور التوفيق وكشف التدقيق (من مقدّمات التفسير إلى نهاية الآية (٣٥) من سورة البقرة – دراسة وتحقيق–)، أطروحة دكتوراه مقدَّمة من قبل الطالب: (مازن حمود مطرود)، إلى مجلس كلية العلوم الإسلاميّة – جامعة كربلاء، بإشراف الأستاذ الدكتورة (ناهدة جليل الغالبي)، ٢٠٢٤/٣/٢٦.
٥١. القطان، مناع بن خليل (ت ١٤٢٠هـ)، مباحث علوم القرآن، ط٣، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
٥٢. القمي، علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ)، تفسير القمي، تحقيق طيب الموسوي، مطبعة النجف، نشر مكتبة الهدى، ١٣٨٧ش.
٥٣. القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة (ت ٢٠٠هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق هند شلبي، ط١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٥٤. كحاله، عمر رضا، معجم المؤلفين، (د ط)، مكتبة المثنى، بيروت – لبنان، ودار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان (د ت).
٥٥. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، ط٣، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران –إيران، ١٣٦٧ش.
٥٦. اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق ، موسوعة طبقات الفقهاء، تحقيق وإشراف جعفر السبحاني، ط١، نشر مؤسسة الإمام الصادق ١٤٢٠هـ.
٥٧. المجلسي، محمّد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، نشر مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٥٨. المخزومي، مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق محمد عبد السلام، ط١، نشر دار الفكر الإسلامي، مصر، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
٥٩. المدني، علي صدر الدين(ت ق ١١هـ)، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، نشر لمكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، (د ت).
٦٠. المظفر، محمّد رضا (ت ١٣٨٣هـ)، أصول الفقه، ط٥، نشر منشورات مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية بقم، ١٤٢٩.
٦١. مَعبد، محمد أحمد، نفحات من علوم القرآن، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ.
٦٢. معرفة، محمّد هادي (ت ١٤٢٧هـ)، التمهيد في علوم القرآن، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د ت).
٦٣. النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، نشر دار عالم القرآن الكريم، حلب، ١٤٢٦هـ.
٦٤. الواحدي، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق كمال بسيوني الزغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت،

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٧)
السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م





ضمانات النَّزاهة في المؤسسات الإدارية عند الإمام علي (عليه السلام)

محمد قحطان نعمة أ.د.عمار باسم صالح
جامعة بغداد/كلية العلوم الاسلامية





المستخلص:
بين البحث انّ الخلافة تعدأعلى مركز إداري في الدولة الإسلامية، وقد أخذ موضوع الخلافة مساحة واسعة في منهج الإمام علي (عليه السلام). .
تكمن اهمية البحث أن المهام المناطة بالخليفة، من وجهة نظر الإمام علي(عليه السلام). شاملة لجميع شؤون الدنيا والدين، لذا يجب ان يكون متقلد ذلك المركز قدوة لجميع أفراد الأمة في القول والفعل، فلا يستأثر بشيء من دون أفقر الناس.
تطرق البحث الى الشروط التي يجب أن تتوفر في المستشار أو الوزير كي تحقق النّزاهة في هذا الجهاز الإداري فهي كما حددها الإمام علي هي، ان لا يكون بخيلاً أو جبانا أو حريصاً ،أن يكون ذا ماضٍ مشرف ،ان يكون شديداً في أمر الله لا ينافق في الحق ولا يعرف سواه طريقا.
اكد البحث على اهتمام الإمام علي بفئة العمال كونهم عماد الدولة وسند الحاكم في رعيته، فقد حدد الصفات التي ينبغي توافرها في شخص العامل، ومن ثم تقديم التوجيهات الإدارية ليتسنى له القيام به.
خلص البحث الى أن الإمام علي (عليه السلام). اولى القضاء عناية خاصة، لأهميته في تقوية إجهزة الدولة، ولخطورة مؤسسة القضاء في أجهزة الدولة الإدارية فقد وضع الإمام علي(عليه السلام). شروطاً لمن يتسنم منصب القضاء؛ كي يحقق العدل ويلتزم النَّزاهة.

الكلمات المفتاحية: ضمانات،مؤسسة،خلافة،إدارة،نزاهة.

Abstract:
The research demonstrated that the caliphate is the highest administrative position in the Islamic state. The topic of the caliphate occupied a large space in the approach of Imam Ali (peace be upon him).
The importance of the research lies in the fact that the duties assigned to the caliph, from Imam Ali›s (peace be upon him) perspective, encompass all worldly and religious affairs. Therefore, the person holding this position must be a role model for all members of the nation in word and deed, not monopolizing anything to the exclusion of the poorest.
The research addressed the conditions that must be met by an advisor or minister to achieve integrity in this administrative apparatus. These conditions, as defined by Imam Ali (peace be upon him), are: he must not be stingy, cowardly, or greedy; he must have an honorable past; he must be rigorous in his duty to God, not be hypocritical about the truth, and know no other path.
The research emphasized Imam Ali›s (peace be upon him) concern for workers, as they are the pillar of the state and the ruler›s support among his subjects. He (peace be upon him) identified the qualities that must be present in the worker, and then provided administrative directives to enable him to carry out his duties. The research concluded that Imam Ali (peace be upon him)

gave special attention to the judiciary, due to its importance in strengthening the state's apparatus, and due to the importance of the judiciary institution in the state's administrative apparatus. Imam Ali (peace be upon him) set conditions for those who assume the position of judge, in order to achieve justice and adhere to integrity.

.Keywords:guarantees, institution, succession, management, integrity

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله الطيبين وصحبه المنتجبين وبعد ..

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس وبين لهم الشرائع التي ارادها لهم بإرسال الأنبياء والرسل إليهم وختمهم برسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وانزل عليه القرآن الكريم مبينا فيه خاتمة الشرائع اذ بين لهم الخير الذي يجعل حياتهم في الدنيا مستقيمة ويجعل اخرتهم جنة ورضوان وبين لهم طرق الخير ورغبهم في سلوكه وبالمقابل بين لهم الشر وما يقودهم اليه من خسران في الدنيا والآخرة وأمرهم بالابتعاد عن سلوكه ومن هنا تبرز اهمية النزاهة عن سلوك هذا الطريق , فالنزاهة بمفهومها العام ومفهومها الخاص لا تخرج عن هذا المعنى وهي لفظة ذات معنى يحيط بكل معاني الخير واهمية سلوكه للفوز بمرضاة الله والفوز بجنته والنظر الى وجهه الكريم ، وهي كذلك الابتعاد عن الشر وكل مذموم في الشرع الذي يغضب الخالق سبحانه وتعالى ويسخطه فينال جزاءه وعذابه ، فأذا هي اتباع كل معاني الخير التي ارادها الله للإنسان وشرعها وبينها في القران الكريم وفي سنة نبيه والابتعاد عن كل معاني الشر كذلك ، وقد انبرى علماء المسلمين فبينوا تفاصيل ذلك في مصنفاتهم المختلفة فمنهم من فسر وشرح آيات الذكر الحكيم التي لها علاقة بهذا الموضوع ومنهم من بين وشرح السنة النبوية كذلك ومنهم من وضح اقسام النزاهة ومعانيها والالفاظ ذات الصلة بها ولا نكاد نقرا كتابا من كتب المفكرين المسلمين الا ونجد فيه ما يشير الى النزاهة فهي تمثل ركنا اساسيا في حياة المسلم اذ لا يمكن ان نتصور مسلما لا يتنزه عن الرذائل والقبائح وعن كل مذموم في الشرع وبها ينال المسلم مرضاة الله تعالى وفوزه في الاخرة وقبلها تستقيم حياته في الدنيا . وتدخل النزاهة في جميع مفاصل حياة الانسان وفي جوارحه واعماله كافة ، النفسية ، والعملية .

وحفل منهج الإمام علي بوضع ضوابط ذات إطار مميز للمؤسسات الإدارية على وفق منظوره.

وكان لامير المؤمنين رؤية فريدة في الإدارة والخلافة والولاية،اذ وضع أسسًا قوية للضمانات الإدارية التي تضمن نزاهة وعدالة الدولة، في هذا السياق، سنناقش الضمانات الإدارية عند الإمام علي في مجال الخلافة والولاية والجهاز الإداري للدولة.

و أن الجهاز الإداري للدولة يجب أن يكون فعالًا ومنظمًا، لقد وضع أسسًا لتنظيم الجهاز الإداري، بما في ذلك تحديد الوظائف والمسؤوليات، وتحديد العلاقات بين الإدارات المختلفة. كما شدد على ضرورة أن يكون الجهاز الإداري مرنًا وقادرًا على التكيف مع التغيرات.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه: على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة ،وتناولنا في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، بينما تناولنا في المطلب الأول تعريف مفهوم الخلافة،واما المطلب الثاني تناولنا فيه الولاية ،واما المطلب الثالث تم التطرق الى جهاز الدولة الإداري، ثم ختمنا هذا البحث بخاتمة أوجزنا فيها أهمَّ ما توصلنا إليه من نتائج ، وأخيرًا نسأل اللهَ أنْ نكون قد وفّقنا في رسم صورة واضحة المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملنا بالله كبير ألاَّ تكون من بينها نظرة سطحية تحكم عليه، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

حفل منهج الإمام علي(عليه السلام). بوضع ضوابط ذات إطار مميز للمؤسسات الإدارية على وفق منظوره، ويرى الباحثان أن الشروط الخاصة التي يجب توافرها في كل مؤسسة هي ضمانات النَّزاهة(١)، ويمكن حصر تلك المؤسسات على النحو الآتي:

المطلب الأول:

الخلافة :

الخلافة في اللغة: مصدر الفعل خَلَفَ، « وَالْخَلَفُ: مَا جَاءَ بَعْدُ، وَيَقُولُونَ: هُوَ خَلَفُ صِدْقٍ مِنْ أَبِيهِ، وَخَلَفُ سَوْءٍ مِنْ أَبِيهِ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا صِدْقًا وَلَا سَوْءًا قَالُوا لِلْجَيِّدِ خَلَفٌ وَلِلرَّدِيِّ خَلْفٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ)(٢)، وَالْخِلِّيفَى:«الْخِلَافَةُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ خِلَافَةً؛ لِأَنَّ الثَّانِي يَجِيءُ بَعْدَ الْأَوَّلِ قَائِمًا مَقَامَهُ، وَتَقُولُ: قَعَدْتُ خِلَافَ فُلَانٍ، أَيْ بَعْدَهُ»(٣).

« والخِلافَةُ: الإمارةُ ... والخَلِيفةُ: الَّذِي يُسْتخْلَفُ مِمَّنْ قبْلَهُ، والجمع خَلَائِف، جاؤوا بِهِ عَلَى الأَصل مِثْلَ كريمةٍ وكرائِمَ، وَهُوَ الخَلِيفُ وَالْجَمْعُ خُلَفَاء ...»(٤).

« والخِلافةُ النّيابة عن الغير إمّا لغيبة المنوب عنه، وإمّا لموته، وإمّا لعجزه، وإمّا لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض»(٥).

والخلافة في الاصطلاح (٦): موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم (٧)،(٨).

وعرفها ابن خلدون (٩) بأنها: « نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدينا، فصاحب الشرع متصرف في الأمرين، إما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية التي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها، وإما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري»(١٠).

وتعدّ الخلافة أعلى مركز إداري في الدولة الإسلامية، وقد ذكرت في القرآن الكريم في آيات كثيرة، من ذلك قوله تعالى:(وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)(١١).

وقوله تعالى:(يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)(١٢).

وقد أخذ موضوع الخلافة مساحة واسعة في منهج الإمام علي، « فتكرر مصطلحها في النهج ما يقارب من إثنين وسبعين مرة باسم (الإمامة) ومشتقاتها، كما تكرر ما يقارب من خمس وأربعين مرة اسم (خليفة) ومشتقاته»(١٣).

وقد عالج الإمام علي(عليه السلام). في تلك النصوص مسألة الخلافة من جميع جوانبها، وساقتصر على ما له علاقة بموضوع درستنا، وأعني بذلك شروط الاستحقاق، والتي إذا ما توافرت في شخص الخلفية حققت النَّزاهة المنشودة (١٤)، فقد بين الإمام علي(عليه السلام).بعض الشروط التي تؤهل الخليفة لهذا المنصب، فقال (عليه السلام): « وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالاَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ؛ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلاَ الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلاَ الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ»(١٥).

وخاطب(عليه السلام).الناس يوماً، فقال لهم: « أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ، وَلأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً»(١٦).

فالإمام(عليه السلام). يقسم على إنصاف المظلوم من الظالم حتى لو كان الظالم مكرهاً لذلك، بغية تحقيق العدالة بين أفراد المجتمع.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تحدث بإسهاب عن المهام المناطة بالخليفة في عدة نصوص بحسب مقتضيات مناسباتها، فمن اساسيات تلك المهام عنده، أنّ« يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ»(١٧).

وبين ما يجب أن يقدمه الخلفية للرعية، فقال: « أَلاَ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلاَّ أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلاَّ فِي حَرْبٍ، وَلاَ أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلاَّ فِي حُكْمٍ، وَلاَ أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَلاَ أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً»(١٨).

فيتضح من ذلك أن « المهام المناطة بالخليفة، من وجهة نظر الإمام علي شاملة لجميع شؤون الدنيا والدين، لذا يجب ان يكون متقلد ذلك المركز قدوة لجميع أفراد الأمة في القول والفعل، فلا يستأثر بشيء من دون أفقر الناس» (١٩)، ولا يقوم بما لا يرضاه لأي فرد طبقاً لقوله:« أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي، وَاللهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا»(٢٠).

المطلب الثاني:

الولاية:

يحتل الوالي مكانة كبيرة في حكومة الإمام علي ، ويمكن اعتباره نائب الخليفة والقائم بمهامه في إدارة شؤون ولايته، ورعاية مصالح العباد فيها، ولأهمية الوالي كمنفذ لسياسة الحكومة – في منهج علي(عليه السلام). – فقد تكررت كلمة (والي وولاية) في نهج البلاغة ما يقارب من خمس وثمانين مرة (٢١).

ومن خلال مطالعة في تلك النصوص يمكن الوصول إلى الأسلوب الدقيق الذي يتبعه الإمام علي في اختيار ولاته، فمن الأولويات التي يضعها في اعتباره فيمن يرشحه للولاية « اللياقة الذاتية للحكم حسب سلوكه الطبيعي والاجتماعي، وحسب ايمانه العقائدي» (٢٢)، مما يعني دراسة حالته دراسة مستفيضة، من حيث مسلكه الإنساني وتصرفاته الاجتماعية، ومدى اخلاصه للعقيدة، على ان تكون الدراسة متبوعة بمراقبة دقيقة أثناء ممارسة مهام الولاية؛ لكون الإمام علي(عليه السلام). يرى انه « إذا قوي الوالي في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركوز في طبعه من الخير والشر» (٢٣)، مما يعني في طياته ان الطبع يغلب التطبع، فما دام الإنسان بعيداً عن واقع العمل فقد تصدق الفراسة فيه، وقد تخون، خاصة إذا حاول التزيي بما ليس في طبعه، إذ سرعان ما ينكشف حين يباشر ما أوكل إليه من أعمال فتتبدى طموحاته في الظهور لتبين ما في دخيلته من ميول خيرة أو شريرة(٢٤)، لذا لم يرشح للولاية إلا من لدينه (٢٥)، واضعاً شروطاً تكاد تكون نادرة الا في القليل من الرجال، لأن طبعه المثالي وحبه للإنسانية جعلاه يتوق دائماً إلى المثال في كل ما يتعلق بالإنسان ويمكن حصر الشروط التي يتوخاها الإمام علي(عليه السلام).في الوالي على النحو الآتي (٢٦).

١. الالتزام الديني التام: فقد وصف الإمام علي(عليه السلام).مالك الأشتر لما ولاه على مصر بقوله: « أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، لاَ يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، لاَ كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ، وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ»(٢٧).

٢. العدل بمعناه الشامل لكل الأشياء، ولجميع أفراد الولاية الفقير قبل الغني والضعيف قبل القوي: فقد جاء في كتاب الإمام علي(عليه السلام).إلى الاسود بن قُطْبَةَ صاحب جند حُلوان: « فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ

ذلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ، وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ»(٢٨).

٣. الثقافة الواسعة: التي تمكن الوالي من الدراية التامة بأحوال البلاد وما مر عليها وعلى مواطنيها من حكومات سابقة اتصفت بالعدل أو بالجور لمقارنة حكمه بحكم أولئك وتلمس الطريق الأصوب والأسلم في سياسته، من ذلك قوله (عليه السلام). للأشتر: « اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ»(٢٩).

٤. أن يكون قدوة في القول والفعل بالنسبة لمواطني ولايته: فمن كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري: « أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ»(٣٠).

وهو إذ يضع تلك الشروط الدقيقة فيمن يتوخاه لتحمل أعباء الولاية، لأنه يعتبره شريكه فيما اوكل إليه من امانة، يقول لعبد الله بن عباس واليه على البصرة « فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى يَدِكَ وَلِسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذلِكَ، كُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلاَ يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ، وَالسَّلاَمُ»(٣١)، والشراكة التي يقصدها الإمام علي(عليه السلام)، تعني أن مهام الوالي في ولايته تكاد تكون نفس مهام الخليفة، أي بمعنى أوضح انها ولاية اختيارية عامة (٣٢)، حسب ما وضحه الماوردي الذي جعل اختصاص الوالي العام في سبع نقاط هي:

١. النظر في تدبير الجيوش.
٢. النظر في الأحكام وتقليد القضاة.
٣. جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما، وتفريق ما استحق منها.
٤. حماية الدين والذب عن الحريم.
٥. إقامة الحدود في حق الله.
٦. الإمامة في الجمع والجماعات.
٧. تسيير الحجيج (٣٣).

ولو نظرنا فيما ذكره الإمام علي(عليه السلام).من اختصاصات الوالي فسنجدها تشمل – إضافة إلى ما أورده الماوردي – الآتي (٣٤):

١. النظر في العلاقات الإنسانية بين الناس، والستر على عيوب الرعية ما أمكن: إذ جاء في عهده(عليه السلام). إلى مالك الاشتر(رضوان الله عليه): « وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ»(٣٥).

٢. رعاية كل طبقة من طبقات الرعية بما يصلحها: إذ جاء في عهده إلى مالك الاشتر : « وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ ... وَفِي اللهِ لِكُلّ سَعَةٌ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ إِلاَّ بِالاِهْتِمَامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ»(٣٦).

٣. الطريقة المثلى في السياسة اتجاه العدو: في وقت الحرب والسلم من صلح وكتابة معاهدات: إذ جاء في عهده إلى مالك الاشتر: « وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لله فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلاَدِكَ»(٣٧).

إلى غير ذلك من شؤون تتعلق بمصلحة البلاد والعباد، وهو بذلك جعل مهمة الوالي متسعة باتساع ولايته، إذ يدخل

ضمنها كل بيت من بيوتها، وتشمل الرعاية كل شخص، بل حتى البقاع وما يدب عليها من حيوان، وعلى ذلك فإن الشروط التي أرادها في شخص واليه في منتهى المثالية والندرة، ولكنها هي المؤهلات لصاحبها للقيام بمهام الولاية طبقا لمعاني النّزاهة في منهج الإمام علي الذي يدرك تماماً بأن « الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ»(٣٨)، وبطبيعة الحال فإن الاختصاصات الواسعة التي أوكلها الإمام علي لواليه تحتاج إلى جهاز إداري محكم، حتى يتمكن من القيام بمسؤوليته على اكمل وجه (٣٩).

المطلب الثالث:

جهاز الدولة الإداري

يتكون جهاز الدولة الإداري الذي تعتمده الحكومة في تسيير شؤون الدولة ومصالح الناس من الآتي:

أولاً: الوزارة:

يختلف مفهوم الوزارة عند الإمام علي (عليه السلام). عنه عند الماوردي، فالماوردي يجعل الوزير في مرتبة ثانية بعد الخلفية، ويضع للوزارة شروطاً تكاد تكون مقاربة لشروط انعقاد الإمامة فيما سوى النسب (٤٠)، أما الإمام علي (عليه السلام). فيضع الوزير في مرتبة المستشار الذي لا تتعدى صلاحياته الاستشارة ويأتي في مرتبته دون الوالي، ويستدل على ذلك من قوله لمالك الأشتر : « شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً» (٤١)، مما يعني ضمنيا تفويض الإمام علي (عليه السلام). للوالي أمر اختيار المستشارين والوزراء الذين يعول على آرائهم وحكمتهم (٤٢). « وقد وردت مفردة (وزير) ومشتقاتها – كمصطلح سياسي في نهج البلاغة – ما يقارب من اثنتين وعشرين مرة وهي تدل في معظم سياقاتها على ان أهمية الوزير تأتي دون اهمية الوالي، ولا تتعدى صلاحياته وصلاحيات المستشار سوى النصح، وإبداء الرأي إذا طلب منه»(٤٣)، من ذلك قوله للناس لما ارادوا مبايعته على الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان: « وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً»(٤٤)، أي: معاوناً ومستشاراً لكم، امدكم بالآراء التي تصلحكم في امور دينكم ودنياكم كما كنت في أيام الحكام السابقين (٤٥)، مع ملاحظة أن مصطلح (وزير) بمعنى النيابة العامة والمكانة المرموقة قد ورد في نهج البلاغة في موضع واحد، على لسان النبي(صلى الله عليه وآله). في شخص الإمام علي(عليه السلام). بقوله:« إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»(٤٦) في شركك إياي في المعاونة والقوة وتثبيت دعائم الدين (٤٧).

أما الشروط التي يجب أن تتوفر في المستشار أو الوزير كي تحقق النّزاهة في هذا الجهاز الإداري فهي كما حددها الإمام علي(عليه السام).على النحو الآتي (٤٨):

١. ألا يكون بخيلاً أو جبانا أو حريصاً: فقد أوصى(عليه السلام).مالك الأشتر(رضوان الله عليه)بقوله:«وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضَعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ؛ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ»(٤٩).

٢. أن يكون ذا ماضٍ مشرف: ولم يشارك الأشرار في حكومات سابقة، حتى ولو كان مؤهلاً لذلك المنصب، إذ جاء في وصيته(عليه السلام).أيضاً: « شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَئِمَّةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ»(٥٠).

٣. ان يكون شديداً في أمر الله لا ينافق في الحق ولا يعرف سواه طريقا: إذ جاء في وصيته(عليه السلام).أيضاً: « ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الأَطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ»(٥١).

ثانياً: الجيش:

يتضح من خلال النصوص المتعلقة بالجند أن الإمام علي قد أعطى المؤسسة العسكرية من الأهمية ما يضعها على رأس الطبقات التي يوصي عماله بها خيراً، إذ يقول لمالك لأشتر : « فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلاَةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ»(٥٢)، فالجند – في منهج الإمام علي(عليه السلام).– للبناء والسلام والجهاد والمحافظة على الاستقرار والامن، مما يعني ضمناً أن لهم مؤسستهم الخاصة القائمة بذاتها التي عادة ما تكون تحت إشراف الوالي المباشر(٥٣)..

ومن أهم الشروط التي يجب أن تتوفر لها كي تقوم بتأدية واجبها على أسس النَّزاهة هي (٥٤):

١. أن يكون الانخراط فيها تطوعيا: لأنها مؤسسة ذا طابع أخلاقي، هدفها الأسمى تثبيت القيم، وإزهاق الباطل، ويجدر بالمنتسب إليها أن يكون مؤمنا بذلك، وأن تكون المعونة عنصراً ثانويا بالنسبة إليه(٥٥)، لأن الجهاد بمعناه العقائدي يكون بقوة الإيمان بالقيم التي تدفع الإنسان إلى الاستشهاد في سبيلها، لذلك فقد وردت جميع الخطب الداعية إلى الجهاد في نهج البلاغة، خالية من أية إغراءات مادية دنيوية (٥٦).

٢. أن يكون الترابط بين الجند وقادتهم محكماً(٥٧) ، لذلك فقد عول الإمام علي(عليه السلام). على قاعدة في اختيار قادة الجيوش قوامها الكفاءة القتالية المقرونة بالأخلاق العالية، إذ يقول(عليه السلام).لمالك الأشتر:« فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِيءُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ»(٥٨).

٣. أما اختيار القادة من حيث الخيرة فيبلورها منهج الإمام علي(عليه السلام).في ذوي النسب والشرف السامق والمجد من الشجعان الكرام، إذ يقول(عليه السلام).لمالك الأشتر: « ثُمَّ الْصَقْ بَذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ»(٥٩).

٤. ان تكون العلاقة بين قادة الجند وجندهم علاقة انسانية، تحكمها الرأفة والعطف والحب، بعيدة عن روح التسلط، فأفضل قادة الجند عند الإمام علي : « مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ»(٦٠).

٥. إن انخراط الجندي الطوعي في الجيش لا يعني حرمانه من المعونة، فقد يتبادر إلى الذهن ان الإمام علي لم يكن يضع للمعونة أي اعتبار أو أي أثر في اصلاح الجند، ولكن الذي نقرأ في النهج يخالف ذلك، فعلي(عليه السلام). لم يقصر الدخول في الجندية على العمل المجاني، بل جعل التطوع في المقام الأول لكونه واجباً دينيا، يحتم على كل مسلم قادر مباشرته إذا دعت الحاجة إلا أنه في الوقت نفسه قد وضع للمادة اعتبارها(٦١)، وتأثيرها في الروح القتالية بالنسبة للجند فهو يرى ان إعطائهم « بِمَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ»(٦٢) يجعلهم يدركون أن من ورائهم حكومة تتفقد أمورهم الدنيوية بما يكفل لهم ولأولادهم ونسائهم وعجزتهم الحياة الكريمة، فيكون في ذلك اخلاصهم فيما كلفوا به من قتال في وقت الحرب، وتفانيهم في بث الطمأنينة واشاعة الامن بين الناس وقت السلم حيث «لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ» (٦٣).

٦. ثم انه لما كان للحوافز المادية أثرها الفعال في اخلاص الجند، فقد جعل لها الإمام علي مكانة، في فكره العسكري، بوصيته ولاته وامراء جنده ان يعرفوا « لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى»(٦٤)، مع تجنب المحاباة على أساس المكانة والنسب حال تقسيم مثل تلك الحوافز؛ إذ يجب ان يأخذ كل جندي حقه كاملاً، يقول ضمن عهده لمالك لأشتر: « وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِىءٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلاَ ضَعَةُ امْرِىءٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظِيماً»(٦٥).

ثالثاً: القضاء:

استعملت كلمة القضاء في اللغة العربية في معان متعددة، منها: إحكام الشيء واتمامه والانتهاء منه، والحكم بين

المتخاصمين، والفصل بين الشيئين، قضاء الحاجة وقضاء الأمر وكذلك قضاء الدين (٦٦).

وقد استعمل القرآن الكريم القضاء بمعنى الحكم (٦٧)، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٦٨).

وعرف ابن مصب القضاء بقوله: « منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسمًا للتداعي وقطعًا للتنازع» (٦٩).

لما أقام النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله). دولته العظمى في المدينة المنورة أقام مجلس القضاء في مسجده، وتولى بنفسه الشريفة القضاء وفصل الخصومات، وقد مثل ذلك صورة رائعة للقضاء الإسلامي لكونه يضمن للناس كرامتهم (٧٠).

بل كان يبعث الدعاة إلى المدن الآخرى؛ بغية تعليمهم الأحكام الشرعية، والقضاء لفض الخصومات، فقد أرسل النبي الإمام علي إلى اليَمَنِ قاضياً، وعندها قالَ لَهُ أميرُ المُؤمنينَ(عليه السلام): « تُنفِذُني يا رَسولَ اللهِ لِلقَضاءِ وأنَا شابٌّ ولا عِلمَ لي بِكُلِ القَضاءِ»، فَقالَ لَهُ: « اُدنُ مِنّي «، فَدَنا مِنهُ فَضَرَبَ عَلى صَدرِهِ بِيَدِهِ، وقالَ: « اللّهُمَّ اهدِ قَلبَهُ وثَبِّت لِسانَهُ» فقالَ أميرُ المُؤمنينَ : «فَما شَكَكتُ فيقَضاءٍ بَينَ اثنَينِ بَعدَ ذلِكَ المَقامِ» (٧١).

وخاطب الإمام القضاة قائلًا: « ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ: إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ العِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثُلاتِ، حَجَزَهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ»(٧٢).

وتتجلى أهمية القضاء كونه من أهم المؤسسات الإدارية في الدولة الإسلامية(٧٣)، وإقامته من واجبات الحاكم (٧٤)، وقد تحدث الإمام علي(عليه السلام).مع شريح القاضي عن منصب القضاء ومدى أهميته في الإسلام قائلًا:

«يَا شُرَيْحُ، قَدْ جَلَست مجلسًا لاَ يجلسهُ إلاَ نَبِيّ، أَوْ وَصِيُّ نَبِيّ، أَوْ شَقِيٌّ» (٧٥).

وقد أولى الإمام علي(عليه السلام). القضاء عناية خاصة، لأهميته في تقوية إجهزة الدولة إذ قال(عليه السلام):

« لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا»(٧٦).

ولخطورة مؤسسة القضاء في أجهزة الدولة الإدارية فقد وضع الإمام علي (عليه السلام). شروطا لمن يتسنم منصب القضاء؛ كي يحقق العدل ويلتزم النّزاهة، فقد جاء في عهده إلى مالك الأشتر : « ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، أُولئِكَ قَلِيلٌ»(٧٧).

وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد لقوله: (وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً) أي تضجرًا، وهذه الخصلة من محاسن ما شرطه ؛ فإن القلق والضجر والتبرم قبيح، وأقبح ما يكون من القاضي (٧٨)، ثم يقول بشرط آخر: وهو أن يتطلع على أحكامه وأقضيته، وأن يفرض له عطاءً واسعًا يملأ عينه(٧٩) ، ويعف به عن المرافق والرشوات، وأن يكون قريب المكان منه كثير الاختصاص به ليمنع قربه سعاية الرجال وتقبيحهم ذكره عنده (٨٠).

فقد انبرى من كلام الإمام لمالك الأشتر(عليه السلام). لذكر أمور من الأساسيات والمرتكزات لإدارة أي دولة، فاشترط أن يكون القضاة أفضل الناس، علمًا وتقوى وبذلك فعليه أن يتحمل المسؤوليات التي تناط إليه (٨١).

رابعاً: العمال:

العمال: مفردها عامل، والجمع: عمال وعاملون، ويتعدى الى ثانٍ بالهمزة فيقال: أعملته كذا واستعملته، أي جعلته عاملًا واستعملته: سألته أن يعمل، وعملته على البلد بالتشديد وليته عمله، والعمالة بضم العين: أجرة العامل (٨٢)، والتعميل: توليه العمل، يقال عملت فلانًا على البصرة والعمالة رزق العامل (٨٣)، فيما يرى الزبيدي بأن العمل، محركة: المهنة وعَمِلَ كَفَرِحَ وأعمله واستعمله غيره وقيل استعمله طلب إليه العمل واعتمل اضطرب في العمل وقيل عمل لغيره واعتمل عمل بنفسه (٨٤).

وقد اهتم الإمام علي بفئة العمال كونهم عماد الدولة وسند الحاكم في رعيته، فقد حدد الصفات التي ينبغي توافرها في شخص العامل، ومن ثم تقديم التوجيهات الإدارية ليتسنى له القيام بها(٨٥)، وإذا ما تحققت تلك الصفات فإنها تعني النزاهة في هذه المؤسسة الإدارية.

١. الاختبار:

إذا قال(عليه السلام). في عهده لمالك الاشتر(رضوان الله عليه): « ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً»(٨٦).

٢. أن يتم الاختيار على أساس النَّزاهة: « وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ»(٨٧).

٣. اختيار أهل التجربة والحياء كونهم يمتازون: «وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً»(٨٨).

في حين يشير الإمام علي(عليه السلام).الى عدم تأخير الوالي أو (الحاكم) العطاء لهم؛ لأن ذلك يشجعهم على العمل من جهة ولم يطمعوا بما لديهم من اموال الرعية من جهة أخرى: « ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثلموا أَمَانَتَكَ»(٨٩).

٤. ثم تفقد أعمالهم:

وهذا ما أمره به هو التطلع عليهم وإذكاء العيون والإرصاد على حركاتهم، ثم أمر بمؤاخذة من تثبت خيانته واستعادة المال منه، وقد قال بعض الأكاسرة لعامل من عماله: كيف نومك بالليل؟ قال أنامه كله، قال: أحسنت! لو سرقت ما نمت هذا النوم (٩٠).

وقد ذكر ابن عبد البر: إن الإمام علي(عليه السلام). أراد أن يستعمل رجلًا دعاه فأوصاه وقال: « اتَّقِ اللهَ الَّذِي لاَبُدّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ... وَعَلَيْك فِيما أَمَرك بِهِ بَما يُؤْتيك مِنْ اللهِ « (٩١).

وأكد نقطة مهمة هي: ضرورة أن يقسم العمل بين الرئيس والمرؤوسين لكيلا تخرج عن سيطرته لكثرتها: « وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ، لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا»(٩٢).

٥. إنجاز العمل اليومي يقول : « وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ»(٩٣)؛ لأن الاهتمام بالوقت يساعد في إنجاز المشاريع ويأتي بنتائج مرضية، ويتابع الإمام بما يجب على العامل فعله « وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تعالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ» (٩٤).

الخاتمة والنتائج:

فلا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته بالشكل الذي رسمناه له، فنقول:

١– تعدّ الخلافة أعلى مركز إداري في الدولة الإسلامية، وقد أخذ موضوع الخلافة مساحة واسعة في منهج الإمام علي(عليه السلام).

٢– أن المهام المناطة بالخليفة، من وجهة نظر الإمام علي شاملة لجميع شؤون الدنيا والدين، لذا يجب ان يكون متقلد ذلك المركز قدوة لجميع أفراد الأمة في القول والفعل، فلا يستأثر بشيء من دون أفقر الناس.

٣– يحتل الوالي مكانة كبيرة في حكومة الإمام علي ، ويمكن اعتباره نائب الخليفة والقائم بمهامه في إدارة شؤون ولايته، ورعاية مصالح العباد فيها.

٤– من الأولويات التي يضعها امير المؤمنين في اعتباره فيمن يرشحه للولاية اللياقة الذاتية للحكم حسب سلوكه الطبيعي والاجتماعي، وحسب ايمانه العقائدي.

٥– الشروط التي يجب أن تتوفر في المستشار أو الوزير كي تحقق النّزاهة في هذا الجهاز الإداري فهي كما حددها الإمام علي هي، ان لا يكون بخيلاً أو جبانا أو حريصاً ،أن يكون ذا ماضٍ مشرف ،ان يكون شديداً في أمر الله لا ينافق في الحق ولا يعرف سواه طريقا.

٦- اهتم الإمام علي بفئة العمال كونهم عماد الدولة وسند الحاكم في رعيته، فقد حدد الصفات التي ينبغي توافرها في شخص العامل، ومن ثم تقديم التوجيهات الإدارية ليتسنى له القيام به.

٧- أولى الإمام علي القضاء عناية خاصة، لأهميته في تقوية إجهزة الدولة، ولخطورة مؤسسة القضاء في أجهزة الدولة الإدارية فقد وضع الإمام علي شروطا لمن يتسنم منصب القضاء؛ كي يحقق العدل ويلتزم النَّزاهة.

٨- أعطى الامام علي المؤسسة العسكرية من الأهمية ما يضعها على رأس الطبقات التي يوصي عماله بها خيراً.

الهوامش:

(١) استعار الباحثان مصطلح (الضمانات) من القانون الوضعي، حيث يراد بها: « رابطة قانونية، نكون مقتضاها مجبرين على الوفاء بأمر ما طبقاً للقانون «، مصادر الحق في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة بالفقه)، د. عبد الرزاق السنهوري، الهيئة المصرية العليا للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م: ١٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٩.

(٣) مقايس اللغة: ٢/ ٢١٠، وينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ١٣٥٦/٤.

(٤) لسان العرب: ١٣٢/٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٢٩٤.

(٦) وردت عند الماوردي بأنها الإمامة، وقال محقق الأحكام السلطانية: بأنهما مصطلحان مترادفان وإن كان مصطلح الخلافة أسبق، ينظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي، جامعة الكويت –قسم العلوم السياسية، ط١، ١٩٨٦م: ١٥.

(٧) الأصم: هو عبد الرحمن بن كيسان الأصم، ولد في البصرة سنة (٢٠١هـ)، كان فقيهاً، ومفسراً، ومتكلماً، وقد عدّه القاضي عبد الجبار من الطبقة السادسة من طبقات الاعتزال، ووصفه: بإنه كان جليل المقدار، إذ كان يصلي خلفه في مسجده في البصرة ثمانون شيخاً من علماءها، توفي سنة (٢٧٩هـ)، ينظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار الفارابي – بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م: ٣٨ فما بعدها.

(٨) الأحكام السلطانية: ١٥.

(٩) ابن خلدون: هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي الاشبيلي الشهير بابن خلدون، ولد في تونس سنة (٧٣٢هـ)، برع في علم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والتخطيط العمراني والتاريخ، توفي في القاهرة سنة (٨٠٨هـ)، ينظر: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة– بيروت: ١/ ٧٢.

(١٠) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ١٦٣.

(١١) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(١٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(١٣) فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة، د. جليل منصور العريض، العتبة الحسينية المقدسة – مؤسسة نهج البلاغة – العراق، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م: ٣١١.

(١٤) ينظر: النَّزاهة ودلالتها في القرآن الكريم: ٨٧ فما بعدها.

(١٥) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ١٨٨-١٨٩، (رقم الخطبة: ١٣١).

(١٦) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ١٩٤، (رقم الخطبة: ١٣٦).

(١٧) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٨٢، (رقم الخطبة: ٤٠).

(١٨) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٢٤، (رقم الرسالة: ٥٠).

(١٩) فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة: ٣١٢.

(٢٠) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٢٥٠، (رقم الخطبة: ١٧٥).

(٢١) ينظر: فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة: ٣١٢.

(٢٢) ملامح من عبقرية الإمام علي، د. مهدي محبوبة، العتبة العلوية المقدسة – النجف الأشرف، ط١، ١٤٣٢ –٢٠١١م: ٨٣.

(٢٣) شرح نهج البلاغة: ٢٦٩/٢٠.

(٢٤) د. عمار باسم صالح, and م. رغد سليم داوود. «عبثية الفكر الاستشراقي وانحرافه في تأويل النص القرآني عرض ونقد .» مجلة كلية العلوم الاسلامية ١,٤٤ (٢٠١٥).

(٢٥) ينظر: فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة: ٣١٢.

(٢٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٤١١، و١٧/ ٣٩.

(٢٧) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤١١، (رقم الرسالة: ٣٦).
(٢٨) المصدر نفسه: ٤٤٩، (رقم الرسالة: ٥٩).
(٢٩) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٢٧، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٣٠) المصدر نفسه: ٤١٧، (رقم الرسالة: ٤٥).
(٣١) المصدر نفسه: ٣٧٥، (رقم الرسالة: ١٨).
(٣٢) ينظر: الأحكام السلطانية: ٢٧.
(٣٣) ينظر: الأحكام السلطانية: ٢٨-٢٩.
(٣٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٣٦/١٧، و٥٩/١٨.
(٣٥) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٢٩، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٣٦) المصدر نفسه: ٤٣٢، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٣٧) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٤٢، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٣٨) المصدر نفسه: ٣٣٩.
(٣٩) ينظر: فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة: ٣١٦-٣١٧.
(٤٠) ينظر: الأحكام السلطانية: ٢٠.
(٤١) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٤٢، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٤٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٣٣.
(٤٣) ينظر: فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة: ٣١٨.
(٤٤) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ١٣٦، (رقم الخطبة: ٩٢).
(٤٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٣٢/١٧.
(٤٦) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٣٠١، (رقم الخطبة: ١٩٢).
(٤٧) ينظر: فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة: ٣١٨.
(٤٨) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٣٣ فما بعدها.
(٤٩) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٢٩، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٥٠) المصدر نفسه: ٤٢٩.
(٥١) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٢٩، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٥٢) المصدر نفسه: ٤٣١.
(٥٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٧١، وفكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة: ٣١٩.
(٥٤) فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة: ٣٢٠ فما بعدها.
(٥٥) **Bassem Saleh, Ammar and Glub Madloul, Yusra, The Role of Science in the Formation of Personality according to the Islamic Intellectual Perspective (May 2, 2023). Iraqi Academics Syndicate 3rd International Conference on Arts and Humanities Sciences (IICPS2022), Available at SSRN: https://ssrn.com/abstract=4435691 or http://dx.doi.org/10.2139/ssrn.4435691 https://doi.org/10.70082/esiculture.vi.2154**
(٥٦) ينظر: نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٦٩، (رقم الخطبة: ٢٧)، و١٥٨، (رقم الخطبة: ١٠٩)، و٢٦٠، (رقم الخطبة: ١٨٢)، و٣٥٨، (رقم الخطبة: ٢٤١)، و٤٢١، (رقم الرسالة: ٤٧).
(٥٧) عمار باسم صالح؛ علي قاسم محمد. أثر الدكتور عبد الجبار الرفاعي في تفكيك بنية التعصب. مجلة كلية العلوم الاسلامية, ٢٠١٨, ٢,٥٦..
(٥٨) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٥٩) المصدر نفسه: ٤٣١.
(٦٠) المصدر نفسه: ٤٣٢.
(٦١)عمار باسم صالح؛ اسماء عبدالجبار عودة. عقيدة الاستخلاف وأثرها في الحفاظ على الملكية في الفكر الإسلامي. **journal of Islamic science college**, ٢٠١٥, ٤٢..
(٦٢) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٦٣) المصدر نفسه: ٤٣١.
(٦٤) المصدر نفسه: ٤٣١.

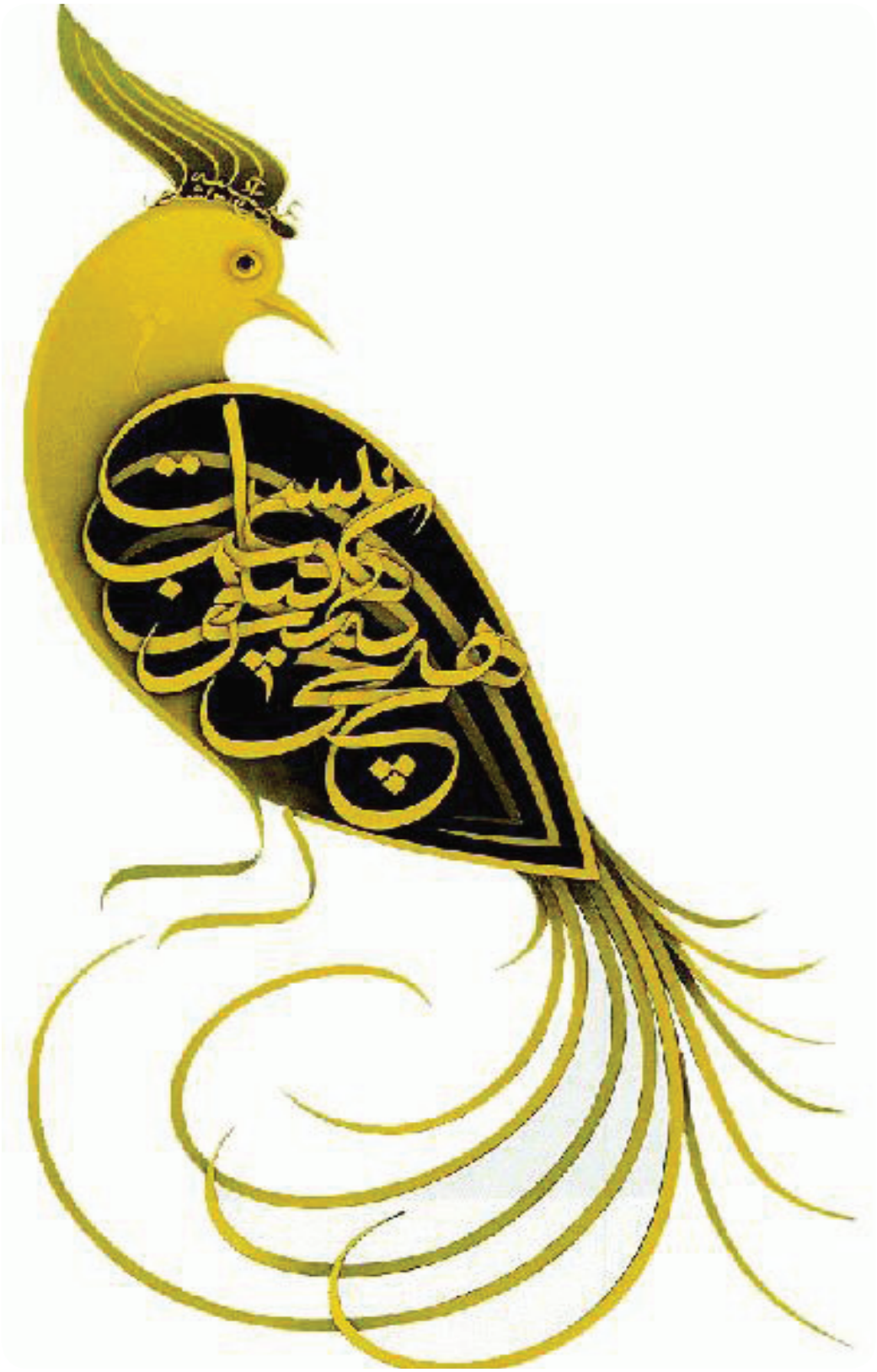
(٦٥) المصدر نفسه: ٤٣١.
(٦٦) ينظر: لسان العرب: ١٥/ ١٨٩ فما بعدها.
(٦٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٠٧.
(٦٨) سورة يونس: الآية ٩٣.
(٦٩) مقدمة ابن خلدون: ٢٢١.
(٧٠) ينظر: الحضارة العربية الإسلامية، د. علي حسني الخربوطلي، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م: ٨٣.
(٧١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشهير بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث – قم، ط١، ١٤٣٤هـ: ١٤٩.
(٧٢) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٣٧٤، (رقم الرسالة: ١٦).
(٧٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٠٧. Ammar Bassem Saleh. (2024(Business Philoso-phy from The Perspective of Islamic Thought. Global Journal Al-Thaqafah, 9(1), 127-138. https://doi.org/10.7187/GJAT072019-10.
(٧٤) ينظر: النزاهة ودلالتها في القرآن الكريم: ٩٩.
(٧٥) المصدر نفسه: ٣٦٤، (رقم الرسالة: ٣).
(٧٦) المصدر نفسه: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٧٧) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٧٨) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٤٥.
(٧٩) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٠٧. M.M. Sajida Alawi Dawood/Dr. Jumaa Hussein Ali/Dr. Ammar Bassem Saleh/The Efficacy of Leadership According to the Contemporary Islamic Perspective/EVOLUTIONARY STUDIES IN IMAG-INATIVE CULTURE//Vol. 8.2, S3 2024/2134-2141https://doi.org/10.70082/esiculture.vi.2154
(٨٠) المصدر نفسه: ١٧/ ٤٥.
(٨١) ينظر: الفكر الإداري عند الإمام علي في نهج البلاغة، هدى ياسر سعدون، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ٢٠١٨م: ٢٣٥-٢٣٨.
(٨٢) ينظر: المصباح المنير: ٢٦٨.
(٨٣) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: ٥/ ١٧٧٦.
(٨٤) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٨٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٠٧. Qasim Muhammad Abd Ali, & Dr. Ammar Bas-sem Saleh. (2024). The dialectic of integrative thought and its epistemological role Contemporary vision. Educational Administration: Theory and Practice, 30(4), 2174-2182. https://doi.org/10.53555/kuey.v30i4.1832
(٨٦)نهج البلاغة: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٨٧) المصدر نفسه: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٨٨) المصدر نفسه: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٨٩) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٩٠) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٥٢.
(٩١) ينظر: نزهة المجالس وأنيس المجالس وشحذ الذاهن والهامس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٩٨٤م: ٣/ ٤٨.
(٩٢) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٩٣) المصدر نفسه: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).
(٩٤) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ٤٣١، (رقم الرسالة: ٥٣).

المصادر:

القران الكريم
١) أثر الدكتور عبد الجبار الرفاعي في تفكيك بنية التعصب، عمار باسم صالح؛ علي قاسم محمد. . مجلة كلية العلوم الاسلامية, ٢٠١٨, ٢,٥٦..

٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي ، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي، جامعة الكويت –قسم العلوم السياسية، ط١، ١٩٨٦م.
٣) الإدارة في العهود الإسلامية الأولى، د. أحمد صالح العلي، شركة المطبوعات ، بيروت، ٢٠١٠م.
٤) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشهير بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث – قم، ط١، ١٤٣٤هـ.
٥) الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة،١٩٩٩ .
٦) أصول الإدارة الحديثة، د. محمد فتحي، دار الفكر العربي ، بيروت، ٢٠٢٠م.
٧) الأصول العامة لنظام التشريع –دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الوضعي، السيد محمد مصطفوي، مركز الحضارة للتنمية الفكر الإسلامي – بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٨) أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي– قم، ١٤٠٣هـ.
٩) بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، العلامة محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء– بيروت، ٢٠٠٠ .
١٠) تحف العقول عن آل الرسول ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، من اعلام القرن الرابع، قدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢م.
١١) الجامع لأحكام القرآن، العلامة محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
١٢) الحضارة العربية الإسلامية، د. علي حسني الخربوطلي، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.
١٣) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، د. فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
١٤) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.
١٥) سحر البلاغة وسر البراعة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية–بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
١٦) شرح حِكم نهج البلاغة، العلامة المحقق الشيخ عباس القمي (ت١٣٥٩هـ)، دار الأنصار، قم، (د ت).
١٧) شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد ابن أبي الحديد المدائنيّ المعتزليّ ، ضبطه وصححه: محمد عبد الكريم النمريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).
١٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق : أحمد عبد الغفور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٧م .
١٩) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة– بيروت،١٩٩٨ .
٢٠) عبثية الفكر الاستشراقي وانحرافه في تأويل النص القرآني عرض ونقد ، د. عمار باسم صالح, and م. رغد سليم داوود. «.» مجلة كلية العلوم الاسلامية ١,٤٤ (٢٠١٥)..
٢١) عقيدة الاستخلاف وأثرها في الحفاظ على الملكية في الفكر الإسلامي، عمار باسم صالح; اسماء عبدالجبار عودة. ., journal of Islamic science college, ٢٠١٥, ٤٢..
٢٢) عهد الإمام علي لمالك الاشتر عام ٦٥٨م، السيد نبيل الحسني، العتبة الحسينية المقدسة – مؤسسة علوم نهج البلاغة – كربلاء، ط١، ١٤٤٢هـ–٢٠٢١م.
٢٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار الفارابي – بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ–٢٠١٧م.
٢٤) الفكر الإداري عند الإمام علي في نهج البلاغة، هدى ياسر سعدون، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ٢٠١٨م.
٢٥) فكر الإمام علي بن ابي طالب كما يبدو في نهج البلاغة، د. جليل منصور العريض، العتبة الحسينية المقدسة – مؤسسة نهج البلاغة – العراق، ط١، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م.
٢٦) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٥ م.
٢٧) القانون الإداري والتنمية، د. محمد الفيلكاوي، دار النهضة العربية –بيروت، ط١، ٢٠٢٠م.
٢٨) لسان العرب, محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ), دار

صادر – بيروت , ط٣ – ١٤١٤ هـ.
٢٩) مبادئ الإدارة، د. عبد الكريم درويش ود. لطفي بركات أحمد، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
٣٠) مبادئ القانون الإداري، د. سليمان محمد الطماوي، دار الفكر العربي– بيروت، ط١، ٢٠١٤م.
٣١) مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٣٢) المحيط في اللغة، كافي الكفاة الصاحب إسماعيل بن عباد ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب –بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٣٣) المدخل إلى القانون، د. أنور سلطان، مكتبة كريدية إخوان– بيروت، ط١، ١٩٨١م.
٣٤) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٣٥) مصادر الحق في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة بالفقه)، د. عبد الرزاق السنهوري، الهيئة المصرية العليا للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
٣٦) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٤٢٥هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦م.
٣٧) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو المحاسن (ت٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٣٨) ملامح من عبقرية الإمام علي، د. مهدي محبوبة، العتبة العلوية المقدسة – النجف الأشرف، ط١، ٢٠١١م.
٣٩) النّزاهة ودلالاتها في القرآن الكريم: د.قحطان نعمة حسن، بغداد،٢٠١٥.
٤٠) نزهة المجالس وأنيس المجالس وشحذ الذاهن والهامس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
٤١) نظرية الإدارة العامة، أحمد رشيد، دار المعارف – مصر، ط١، ١٩٨١م.
٤٢) نظرية الحق بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، د. أحمد محمود الخولي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
٤٣) نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين. علي صاحب مياح; د. عمار باسم صالح. ، مجلة كلية العلوم الاسلامية, ٢٠٢١, ٦٧: ٥٠٣–٥٢٩.
٤٤) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب ، ضبط نصه الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٤٥) الوجيز في النّظم الإدارية، د. محمد طه بدوي ود. محمد طلعت الغنيمي، دار المعارف– مصر، ط١، ١٩٥٧م.
٤٦) Ammar Bassem Saleh. (2024(Business Philosophy from The Perspective of Islamic Thought. Global Journal Al-Thaqafah, 9(1), 127–138. https://doi.org/10.7187/GJAT072019-10
٤٨) Bassem Saleh, Ammar and Glub Madloul, Yusra, The Role of Science in the Formation of Personality according to the Islamic Intellectual Perspective (May 2, 2023). Iraqi Academics Syndicate 3rd International Conference on Arts and Humanities Sciences (IICPS2022), Available at SSRN: https://ssrn.com/abstract=4435691 or http://dx.doi.org/10.2139/ssrn.4435691
٤٩) M.M. Sajida Alawi Dawood/Dr. Jumaa Hussein Ali/Dr. Ammar Bassem Saleh/The Efficacy of Leadership According to the Contemporary Islamic Perspective/EVOLUTIONARY STUDIES IN IMAGINATIVE CULTURE// Vol. 8.2, S3 2024/2134–2141https://doi.org/10.70082/esiculture.vi.2154.https://doi.org/10.70082/esiculture.vi.٢١٥٤
٥٠) Qasim Muhammad Abd Ali, & Dr. Ammar Bassem Saleh. (2024). The dialectic of integrative thought and its epistemological role Contemporary vision. Educational Administration: Theory and Practice, 30(4), 2174–2182. https://doi.org/10.53555/kuey.v30i4.1832



Social and verbal tactics of bullying in The Great Gatsby through the lens of Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory

Mohanad Hazim Hakkoosh
University Headquarter, Department
,of Scholarships and Cultural Relations
University of Anbar,Ramadi, Anbar, Iraq

Abstract:

This research explores the social and verbal strategies of bullying used by characters in F. Scott Fitzgerald›s The Great Gatsby, utilizing Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory as a theoretical foundation. The examination centers on the role of social categorization, social identification, and social comparison in shaping the dynamics of bullying depicted in the novel.

Upon careful analysis of the way characters interact and speak with each other, the research demonstrates how characters are sorted into specific social classes according to their wealth, social status, and upbringing. These classifications play a significant role in shaping the characters› sense of self and impact their connections with others, resulting in preferential treatment towards those within their group and negative treatment towards those outside of it. These patterns are evident through acts of bullying such as verbal abuse, belittling comments, and exclusion from social circles.

The research also delves into the psychological effects of bullying on both those who are bullied and those who engage in bullying behavior. Characters who are victims of bullying in the story experience diminished self-worth, a sense of being cut off from others, and an altered perception of themselves. On the other hand, the individuals who engage in bullying often experience an increased feeling of dominance and authority through their actions.

This research presents a detailed comprehension of the social and psychological aspects of bullying as illustrated in The Great Gatsby. The results carry wider significance in comprehending the influence of social identity on human conduct and the prevalence of bullying in today›s society.

Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory offers a fundamental framework for comprehending the dynamics of group behavior, social categorization, and intergroup relations. The theory suggests that individuals categorize themselves and others into different social groups based on characteristics like class, ethnicity, wealth, and social status. This categorization gives rise to in-groups (the groups individuals identify with) and out-groups (those who do not belong to these groups). To preserve a positive self-image, in-

dividuals often show preference for their in–group while displaying discriminatory behavior or negative attitudes—such as bullying—towards out–group members. This desire to bolster one›s self–esteem through group membership can result in the reinforcement of social hierarchies and group boundaries.

In The Great Gatsby by F. Scott Fitzgerald, one can analyze the social and verbal bullying tactics employed by characters such as Tom Buchanan through the lens of Social Identity Theory. Tom sees himself as part of the elite «old money» group in East Egg and sees characters like Jay Gatsby, who embodies the «new money» of West Egg, as belonging to a lower–status out–group. His derogatory comments and verbal bullying towards Gatsby serve to reinforce the social divisions between the established elite and the nouveau riche, rather than simply reflecting personal animosity. The novel delves into how group dynamics and social identity influence behavior, perpetuate class distinctions, and uphold social inequalities.

1. Introduction:

F. Scott Fitzgerald›s novel The Great Gatsby provides a lasting analysis of the American Dream during the 1920s. Against a backdrop of luxury and indulgence, the book explores topics of social class, wealth, and the false perception of contentment. A key focal point of the novel is the prevalent social and verbal intimidation present in the interactions among the characters.

The purpose of this research is to analyze the social and verbal strategies of bullying used by the characters in The Great Gatsby in order to establish authority and uphold social structures. By applying Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory to the novel, we aim to explore how these strategies are linked to the psychological mechanisms of social grouping, social affiliation, and social evaluation.

The Social Identity Theory asserts that people gain a feeling of self–worth and inclusion by aligning themselves with social groups. These groups are established through categorization, where individuals are grouped based on similar traits. Once people identify with a group, they often compare their group positively to others. This can result in favoring their own group and belittling others, potentially leading

to bullying behavior.

Utilizing Social Identity Theory in the analysis of The Great Gatsby offers a more profound comprehension of the psychological foundations of the bullying behaviors portrayed in the novel. This examination will elucidate how social and verbal bullying can uphold established social structures and contribute to the continuation of inequity.

1.1 Literature Review

The literature review offers an outline of current scholarship pertaining to *The Great Gatsby*, Social Identity Theory, and the merging of literary analysis with social psychology. This section delves into previous research and theoretical contributions that are pertinent to comprehending the social and verbal strategies of bullying in *The Great Gatsby*. A. Previous Studies on The Great Gatsby and Bullying 1. Class and Social Hierarchies in The Great Gatsby Numerous academics have examined the social hierarchies portrayed in *The Great Gatsby*, with a focus on the tensions between «old money» and «new money,» as well as the social mobility exemplified by figures such as Jay Gatsby. Studies underscore how characters utilize social status and wealth to exert power and control over others (Bruccoli, 1992; Lehan, 1995). There is also a body of literature that scrutinizes Tom Buchanan's conduct as a manifestation of social dominance and bullying, emphasizing his use of derogatory language and aggressive behavior to establish his superiority (Berman, 1994). 2. The Role of Verbal Abuse and Exclusion in the Novel Scholars have delved into the role of verbal abuse, insults, and exclusionary strategies in the novel. This research often links Tom's dismissive language and behavior towards Gatsby and others as indicative of broader social biases and mechanisms of exclusion (Stallman, 1988; Callahan, 1996). These studies primarily concentrate on themes of power, marginalization, and social stratification in the novel, illustrating how verbal strategies reinforce existing class boundaries.

B. Theoretical Investigations into Social Identity Theory 1. Fundamental Notions of Social Identity Theory Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory offer a psychological framework for comprehending how individuals categorize themselves and others

into social groups. Essential concepts include social categorization, social identification, and social comparison, which elucidate in–group favoritism and out–group derogation (Tajfel, 1981; Turner, 1987). Research in social psychology has applied these concepts to various contexts, demonstrating how individuals derive self–esteem and social status from their group memberships and often engage in behaviors that favor their in–group over out–groups (Hogg & Abrams, 1988). 2. Utilization of Social Identity Theory in Literary Analyses The application of Social Identity Theory in literary studies is a burgeoning field, with scholars using the theory to explore char–acters› social behaviors, conflicts, and power dynamics (Cohen, 1994; Wartenberg, 1990). These studies often examine how social identities and group affiliations influence character interactions and narrative developments, highlighting the psychological underpinnings of so–cial behavior and conflict in literature. C. Fusing Literary Analysis and Social Psychology 1. Multidisciplinary Approaches to Literature and Social Behavior Interdisciplinary studies have merged literary anal–ysis with social psychology to offer deeper insights into characters› motivations and actions. These approaches consider how social and psychological theories can enhance the understanding of narrative techniques, character development, and thematic elements in liter–ary texts (Groarke, 1999; Batstone, 2000). Integrating Social Identity Theory with literary analysis enables scholars to explore how group dynamics, identity formation, and social hierarchies manifest in lit–erature, offering a nuanced interpretation of social behavior in texts. 2. Implications for Understanding Social Dynamics in Literature By combining Social Identity Theory with literary analysis, research–ers can examine how social and verbal tactics of bullying function within a broader social context, both in literature and in real–world social structures. This approach reveals how literature reflects, cri–tiques, or reinforces social norms and power dynamics (Thompson, 2004; Simmons, 2008). The literature review establishes the ground–work for analyzing social and verbal tactics of bullying in The Great Gatsby through the lens of Social Identity Theory. It highlights the relevance of Tajfel and Turner›s framework for understanding the social behaviors depicted in the novel and underscores the value of

interdisciplinary approaches that combine literary and psychological analysis. This synthesis of existing research provides a foundation for the study›s critical examination of the social dynamics in The Great Gatsby.

1.2 Problem of the Study

The aim of this research is to investigate the use of social and verbal bullying tactics by characters in F. Scott Fitzgerald›s The Great Gatsby in order to establish dominance, uphold social hierarchies, and strengthen group identities. While there is extensive literature on the themes of class, power, and social mobility in the novel, little attention has been given to the specific methods by which bullying behaviors are displayed and the psychological principles behind these actions. This study aims to address this gap by applying Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory to analyze the processes of social categorization, social identification, and social comparison that drive bullying in the novel. Through this analysis, the study seeks to offer a more profound understanding of how characters such as Tom Buchanan utilize verbal aggression and social exclusion as forms of bullying to reinforce their privileged status and marginalize others.

The specific research inquiries are: What are the social and verbal tactics of bullying utilized by characters in The Great Gatsby? How do these tactics function to uphold social hierarchies and assert dominance? In what ways do the processes of social categorization, identification, and comparison, as outlined by Social Identity Theory, contribute to the characters› use of bullying in the novel? What role does group identity play in these behaviors? What are the psychological consequences of bullying for both the perpetrators and the victims in the novel? How do these dynamics reflect broader societal issues related to power, status, and social exclusion? Through addressing these questions, the study aims to provide a more detailed understanding of the social and psychological aspects of bullying as portrayed in The Great Gatsby. The results will offer insights into the ways literature mirrors, critiques, and potentially reinforces social norms and behaviors related to group identity and social power. This research also has wider implications for understanding bullying

and group dynamics in contemporary society, making the study relevant beyond its literary context.

1.3 Purpose of the Study

The aim of this study is to thoroughly analyze how characters in F. Scott Fitzgerald›s The Great Gatsby employ social and verbal tactics of bullying, utilizing the framework of Social Identity Theory by Henri Tajfel and John Turner. This research specifically seeks to: Examine Bullying Techniques: Identify and analyze the social and verbal strategies of bullying utilized by characters in The Great Gatsby. This entails examining how these techniques are utilized to establish dominance, uphold social hierarchies, and marginalize others. Apply Social Identity Theory: Employ Social Identity Theory to comprehend how social categorization, social identification, and social comparison processes contribute to the dynamics of bullying in the novel. The investigation will delve into how these psychological mechanisms influence the behaviors and interactions of characters. Explore Psychological Impacts: Investigate the psychological consequences of bullying on both the perpetrators and victims within the narrative. This entails evaluating how bullying affects the characters› self-esteem, sense of identity, and social relationships. Contextualize Social Dynamics: Offer insights into how the social and verbal strategies of bullying in the novel mirror broader themes of power, status, and social exclusion. The study will contextualize these dynamics within the socio-cultural backdrop of the 1920s and consider their relevance to contemporary social issues. Contribute to Literary and Psychological Scholarship: Bolster the comprehension of how literature can exemplify and critique social behaviors and psychological phenomena. By integrating literary analysis with social psychology, the study aims to provide a comprehensive outlook on the social dynamics depicted in the novel. Ultimately, the study aims to offer a nuanced interpretation of The Great Gatsby by revealing how characters› use of bullying techniques is intertwined with their social identities and power structures, thereby contributing to both literary and psychological scholarship.

1.4 Model of Analysis

The analytical framework for this investigation will utilize the So-

cial Identity Theory developed by Henri Tajfel and John Turner to scrutinize the social and verbal strategies of bullying in The Great Gatsby. This framework will offer a systematic method to comprehend how characters employ these strategies to establish authority and uphold social hierarchies. The components encompassed in this model are as follows:

A. Theoretical Framework: Social Identity Theory

The Social Identity Theory suggests that people classify themselves and others into separate social groups based on common traits (social categorization). This classification leads to social identification, where individuals align themselves with their group and take on its beliefs and behaviors. Social comparison then occurs as individuals compare their own group with others in order to maintain or boost self-esteem and social standing.

In The Great Gatsby, the characters are divided into social classes according to their wealth, social standing, and background (e.g., «old money» vs. «new money»). They align themselves with their respective classes and partake in actions to solidify their societal positions. For instance, Tom Buchanan›s association with the upper class motivates him to employ intimidation tactics against Jay Gatsby, who is seen as an outsider.

B. Analytical Techniques

Analysis of Text: Perform an in-depth scrutiny of important sections and conversations in order to pinpoint occurrences of social and verbal harassment. Evaluate the language and exchanges utilized by the characters to showcase behaviors associated with bullying.

Investigation of Characters: Evaluate the functions and mental characteristics of significant individuals involved in aggressive behavior. Assess how their social classifications impact their conduct and how their behaviors mirror larger societal patterns.

Analyze the findings in the wider socio-cultural context of the 1920s and explore their relevance to contemporary society. Examine how the novel›s portrayal of social interactions and harassment mirrors the cultural beliefs of that era, and consider the implications for understanding comparable dynamics in present-day society.

C. Application of the Model

Examination of Bullying Techniques: Establish and scrutinize the social and verbal strategies of bullying employed by characters in The Great Gatsby. Tactics may encompass derision, exclusion, gossip, and physical force. Comprehending Social Dynamics: Employ Social Identity Theory to elucidate how social categorization, identification, and comparison propel bullying actions and fortify social hierarchies. Assess how characters use bullying to uphold their own social standing and to shun or belittle others. Psychological Impact Appraisal: Investigate the psychological repercussions of bullying on both instigators and victims, concentrating on self-worth, identity, and social connections. Contemplate how bullying can contribute to adverse emotional outcomes and social seclusion. Contextual Perspectives: Present viewpoints on how the social dynamics of the novel mirror broader societal concerns and propose implications for contemporary comprehension of bullying and social conduct. Deliberate on how the novel›s themes of class, wealth, and social position endure as applicable in today›s society.

D. Expected Outcomes

Improved Comprehension: Acquire a thorough comprehension of the methods used for bullying and their influence on social interactions depicted in the novel. Theoretical Perspectives: Demonstrate the application of Social Identity Theory in interpreting literary representations of social conduct and bullying. Wider Significance: Offer understanding into the importance of these interactions for current issues surrounding social identity, authority, and bullying. This analytical approach will direct the investigation in methodically examining the interaction between social identity and bullying methods in The Great Gatsby, presenting a detailed interpretation of the novel›s social dynamics.

IV. Analysis and Discussion

A. Social Categorization in The Great Gatsby

In F. Scott Fitzgerald›s novel The Great Gatsby, the author depicts a society that is deeply fractured by social status and economic prosperity. A predominant theme of the book revolves around the contrast between individuals of «old money» and «new money.» The characters are evaluated based on their family heritage, inherited riches,

and social position. For instance, the Buchanans, who reside in East Egg, symbolize the traditional upper class, while Gatsby, who lives in West Egg, represents the newly wealthy. This social division significantly influences the dynamics and affiliations among the characters. Tom Buchanan, a member of the upper class with inherited wealth, holds a strong contempt for Gatsby›s newfound riches and apparent lack of prestigious lineage. He labels Gatsby an outsider, accusing him of being a «bootlegger» who has acquired his wealth through unethical methods. This labeling is employed to uphold Tom›s own position in society and to ostracize Gatsby from the social order.

«I›ll bet he›s a bootlegger,» I said to Jordan. «I wouldn›t be surprised,» she agreed. «They say he›s got a lot of money.» «He›s got a lot of parties,» I said. «Oh, yes, he gives very big parties.» «They›re rather loud.» «Well, they›re all right.» «I don›t think they›re very nice.» «You don›t?» she inquired. «No. I don›t like them.»

The conversation between Nick and Jordan illustrates the predominant societal views of Gatsby. Nick›s unfavorable assessment of Gatsby›s events reflects the social arrogance that is widespread among the established upper class. This suggests that Gatsby›s riches are tarnished by his dubious business transactions and that his social functions lack sophistication.

Additionally, Tom›s classification of Gatsby as an outsider is strengthened by his affiliation with the lower social classes. Gatsby›s romantic involvement with Myrtle Wilson, a woman from the Valley of Ashes, is perceived as additional proof of his lower standing in society. Tom›s scorn for Myrtle is based on his conviction that she is socially inferior, and he exploits her as a way to assert his own superiority.

B. Social Identification and Group Identity

Tom and Daisy Buchanan have a strong connection to their exclusive social circle which has been ingrained in them since childhood. Growing up in a world of affluence and prosperity has greatly influenced their sense of self and their place within high society. This affiliation with the elite social group is apparent in various ways.

Behavior and Attitudes: Tom Buchanan displays forceful and commanding behavior, indicating his deep connection to his social status as an upper class individual. His behaviors are frequently driven by

a need to establish his dominance and uphold his position. He employs his riches and influence as means to exert control over others, especially those he views as challengers to his social standing, such as Jay Gatsby. Tom›s patronizing demeanor towards those not in his social circle reinforces his dedication to upholding the social hierarchy of his privileged class.

Daisy Buchanan epitomizes the entitlement and privilege commonly tied to the upper class, notwithstanding being less visibly forceful than Tom. Her conduct and manner of speech convey her ease with her societal rank and her assumption that others will yield to her status. Through her actions, which encompass her flirtatiousness and evasiveness, Daisy demonstrates a profound dependence on her privileged position to handle social interactions without encountering notable repercussions.

2. Social Identity and Privilege: Tom and Daisy both come from a societal background that promotes a strong attachment to the upper class. This attachment influences their perspectives and relationships with others. Their association with their social group is not only about wealth, but also about family history, customs, and social networks that characterize the «old money» class in the book. This ingrained association causes them to see themselves as naturally superior to those who do not share their lineage, thus reinforcing the social barriers that set them apart from «outsiders» such as Gatsby.

Despite his vast fortune, Jay Gatsby continues to be viewed as an outsider among the established upper class. His constant struggle to be accepted into this elite social circle underlines the inflexible social barriers that define it. Gatsby›s outsider status is attributed to several factors. Firstly, unlike Tom and Daisy, who inherited their wealth and social status, Gatsby achieved his millionaire status through his own efforts. His wealth is often perceived as «new money,» lacking the generational stability and cultural legitimacy associated with «old money.» This lack of familial connections to the elite class creates a barrier that wealth alone cannot overcome. Gatsby›s efforts to assimilate into the upper class are met with skepticism and disdain by those who view his background as inferior.

2. Perceived Stigma of «New Wealth»: Gatsby›s wealth is viewed as

tainted because it is self-made rather than inherited through a line of inherited riches. The high society depicted in *The Great Gatsby* places importance on lineage, tradition, and the perceived purity of wealth acquired over multiple generations. Gatsby›s riches, associated with speculation and unauthorized activities, lack the social prestige and validity that old money possesses. This perception results in social exclusion, as characters like Tom Buchanan view Gatsby as socially inferior, despite his financial success.

3. Resistance and Social Barriers: The resistance Gatsby encounters from Tom and others serves as a representation of the strict social barriers that delineate the upper class. Despite his attempts to emulate the behaviors, attire, and manners of the elite, Gatsby is continually reminded of his outsider status. The extravagant parties he hosts, his flamboyant displays of wealth, and his pursuit of Daisy all indicate his yearning for acceptance, yet these very actions further distance him from the old money aristocracy that values discretion, control, and a quiet assertion of privilege.

In The Great Gatsby, the divergent social identities of Tom and Daisy Buchanan and Jay Gatsby highlight the themes of social marginalization and socioeconomic hierarchy. While Tom and Daisy's conduct is influenced by their established position within the upper class, Gatsby's behavior is propelled by his position as an outsider and his unyielding quest for approval in a world that ultimately spurns him. This interplay is crucial to the novel›s examination of identity, privilege, and the American Dream. (Buchanan & Wallace, 2020)

C. Social Comparison and Bullying Tactics

The use of verbal bullying and derogatory language by Tom Buchanan serves as a means for asserting dominance and upholding his social status. His interactions with characters like Gatsby and Myrtle Wilson demonstrate his belief in his superiority and his intention to ensure they remain in their designated social positions.

Examples of Verbal Bullying:

Tom frequently speaks of Gatsby in a manner that is dismissive and condescending. For instance, he refers to Gatsby as «Mr. Nobody from Nowhere,» diminishing Gatsby›s lack of noble lineage and emphasizing that wealth alone does not guarantee entry into high soci-

ety. This remark also showcases Tom›s disdain for Gatsby›s nouveau riche status and his efforts to penetrate a world dominated by old money. When it comes to Myrtle Wilson, Tom›s treatment of his mistress is characterized by blatant cruelty and contempt. He employs derogatory language to underscore her lower social and economic standing. Additionally, his use of physical violence, such as striking Myrtle, serves to reinforce his power and solidify his perception of her as inferior.

Social Bullying and Reinforcement of Hierarchies:

Tom›s patronizing behavior serves to uphold the existing class hierarchies by reinforcing the social boundaries that benefit his position as an aristocrat of old money. Through his dismissive treatment of Gatsby and his contemptuous attitude towards Myrtle, who symbolize the aspirational self-made man and the working class, respectively, Tom secures his place within the societal structure. His bullying tactics are employed to maintain his status and prevent any challenge to his authority or the social stratification that works in his favor.

D. Psychological Implications of Bullying

Gatsby›s Psychological Influence: Gatsby›s sense of self is heavily influenced by his desire to be part of the upper class and accepted by people like Tom and Daisy. Tom›s consistent mockery and dismissal of Gatsby›s accomplishments can deeply impact Gatsby›s self-esteem. Despite his wealth and success, Gatsby never feels fully accepted by the established wealthy class, leaving him feeling inadequate and alone. Tom›s bullying further solidifies Gatsby›s status as an outsider, leading to a fixation on proving himself and his value, ultimately leading to his tragic downfall. Myrtle›s Psychological Influence: Myrtle›s interactions with Tom also have significant psychological effects. Despite being his mistress, she is treated as disposable and inferior. Tom›s violent behavior towards her highlights her lower social status and reinforces her feelings of inferiority and powerlessness. Myrtle›s willingness to tolerate Tom›s abuse reflects her acceptance of the social hierarchy and her longing for the respect and power that wealth brings, despite being aware of her lower status and lack of control.

Analysis of Psychological Implications

Psychological Trauma and Self–Worth: The impact of bullying and exclusion on mental health is evident in the behaviors and motivations of both Gatsby and Myrtle. Gatsby›s continual reminder of being an outsider undermines his self–worth and propels his relentless pursuit of wealth and status as a way to gain acceptance. Myrtle›s aspiration to escape her lower–class status and seek recognition leads her to endure mistreatment, highlighting the harmful effects of internalized social rankings. Bullying as a Tool of Social Control: Characters like Tom Buchanan use social and verbal bullying as a means of social control. By demeaning and marginalizing those he considers inferior, Tom maintains his power and ensures that the existing social hierarchies remain unchallenged. This conduct not only impacts the victims› self–esteem and sense of self but also reinforces the power dynamics that govern their interactions.

The central themes of The Great Gatsby revolve around social comparison, bullying tactics, and their psychological impact. The characters› interactions mirror the broader social dynamics of the time, highlighting the destructive influence of social hierarchies and the pursuit of power and status. F. Scott Fitzgerald›s novel not only reflects the opulence of the Jazz Age but also delves deeply into social dynamics, power struggles, and identity formation within a strict class structure. This essay utilizes Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory to examine the social and verbal bullying tactics employed by the characters in the book. Through an analysis of how social categorization, social identification, and social comparison shape the characters› behaviors and interactions, we gain a deeper understanding of the mechanisms behind social exclusion and the reinforcement of social hierarchies during the 1920s in America.

Social Categorization in The Great Gatsby

The Social Identity Theory commences with the social categorization process, whereby individuals categorize themselves and others into groups based on common characteristics, such as wealth, class, and social standing. In *The Great Gatsby*, characters are assigned to specific social groups that shape their identities and impact their interactions.

Tom and Daisy Buchanan embody the traditional upper class, whose riches and social status were inherited rather than earned. This classification is not solely based on financial standing, but includes a set of principles, conduct, and societal standards that distinguish their social group. Tom›s contempt for Gatsby and his patronizing remarks towards him and others reflect his view of them as belonging to a lesser «new money» category. In contrast, Gatsby is labeled as «new money»—a self-made millionaire whose wealth does not hold the same social recognition as that of the Buchanans. This labeling as an outsider is due to his lack of family ties and the perceived impurity of his riches, which are considered tainted by illegal activities.

The firm social distinctions in the book are upheld through these classifications, which in turn govern the social relationships and exchanges between characters. The categorization of individuals such as Gatsby and Myrtle Wilson (a character from the working class) by the upper class into lower social categories leads to different types of social isolation and verbal harassment, strengthening the existing hierarchy. (West III, 2023)

Social Identification and the Assertion of Group Identity

After the process of social categorization comes social identification, in which individuals align themselves with their respective groups and embrace the norms, values, and behaviors that come with it. In The Great Gatsby, this phenomenon is clearly depicted in the actions of Tom and Daisy Buchanan, who strongly identify with their privileged, upper-class status.

Tom Buchanan›s forceful conduct and authoritative demeanor are evident displays of his social affiliation. His behaviors, such as his verbal harassment and disrespectful comments directed at Gatsby and others, are aimed at asserting his supremacy and preserving his social standing. Specifically, Tom diminishes Gatsby›s upbringing and challenges the authenticity of his riches, thus strengthening the division between «established wealth» and «recent wealth.» These bullying tactics serve not only as individual insults, but also as a means to maintain his group›s power and ostracize those he perceives as socially inferior.

Daisy Buchanan also demonstrates actions that show her align-

ment with the upper class, albeit in a more understated manner. Her choices, such as her hesitation to leave Tom for Gatsby despite her affection for him, reveal a desire to uphold her social status and the stability it offers. Daisy›s self–worth is closely linked to her social standing, leading her to prioritize maintaining her position within the elite social circle. By staying within her established social group, she avoids the potential risks and uncertainties that come with being associated with Gatsby, who is considered an outsider in this social context. (Hardy)

Social Comparison and the Dynamics of Bullying

Social comparison is the evaluation process in which individuals assess their own group in relation to others in order to boost their self–esteem and uphold their social status. In The Great Gatsby, the dynamics of bullying and social exclusion are heavily influenced by social comparison. Tom Buchanan utilizes social comparison to as–sert his dominance over Gatsby and others. By consistently high–lighting his «old money» background and belittling Gatsby›s «new money» origins, Tom establishes a hierarchy that favors his own social circle while diminishing others. His verbal bullying tactics, including ridiculing Gatsby›s background and questioning his in–tegrity, are mechanisms to devalue Gatsby›s status and maintain his own elevated position within the social hierarchy. These compari–sons function to support the current social structure and prevent the assimilation of outsiders like Gatsby into the upper class.

On the other hand, Gatsby participates in social comparison with the goal of improving his standing and being accepted by the up–per class. His acquisition of wealth, extravagant demonstrations of prosperity through elaborate gatherings, and attempts to imitate the habits and lifestyles of the aristocracy are all directed at closing the social distance between himself and the Buchanans. Nonetheless, his «new money» position and the uncertainty surrounding the origins of his wealth consistently identify him as an outsider, strengthening the social divisions established by the «old money» upper class.

Bullying as a Mechanism of Social Control and Exclusion

The techniques used for social control and exclusion in *The Great Gatsby* involve bullying tactics, which are deeply rooted in the char–

acters› desire to uphold their social status and identities. Tom and Daisy›s actions toward Gatsby, including their disparaging comments and social ostracism, are aimed at protecting their privileged position and maintaining their group›s dominance. The psychological impact of this bullying is profound; Gatsby, as a victim of exclusion and verbal abuse, experiences feelings of inadequacy and alienation. His relentless pursuit of wealth and status is driven by a desire to overcome these feelings and gain acceptance. However, his tragic fate demonstrates the futility of his efforts to break into a social group determined to keep him out. For the perpetrators, such as Tom and Daisy, bullying reinforces their power and superiority, as they strive to maintain their privileged status and fend off threats to their social position. Their refusal to accept Gatsby and their active efforts to undermine his social standing highlight their commitment to preserving their social identity. Through the lens of Social Identity Theory, *The Great Gatsby* demonstrates how social categorization, identification, and comparison contribute to the dynamics of bullying and social exclusion. The novel illustrates how characters' actions are influenced by the need to maintain their social identities and group boundaries. This analysis not only sheds light on the social and psychological mechanisms of bullying in the novel but also provides broader commentary on the nature of social hierarchies and the enduring struggle for status and acceptance in society. Fitzgerald's work serves as a timeless exploration of the complexities of social identity and the profound impact of group dynamics on human behavior. (Nafi2023)

Conclusion :

In conclusion, an analysis of the social and verbal bullying strategies in *The Great Gatsby* through the perspective of Henri Tajfel and John Turner›s Social Identity Theory uncovers the underlying power dynamics and social hierarchy present in the novel. For instance, characters such as Tom Buchanan utilize bullying and demeaning language to assert their authority and reinforce the boundaries of their privileged social circle, solidifying their group›s superiority over outsiders like Gatsby and Myrtle Wilson. This conduct not only safeguards their elevated status but also reinforces existing social

structures, emphasizing that mere wealth is insufficient for genuine social acceptance. The psychological impact of these strategies on characters like Gatsby and Myrtle highlights the detrimental effects of exclusion and social marginalization on personal identity and self-worth. Ultimately, Fitzgerald›s depiction of social bullying underscores the immovable barriers to social advancement and acceptance, offering a critique of the American Dream and the prevalent social disparities of the time period.

In addition, The Great Gatsby demonstrates the use of social and verbal bullying to maintain and reinforce social boundaries, exposing the vulnerability of social identities and the measures people will take to protect their status. Tom Buchanan›s hostile treatment towards Gatsby and Myrtle serves as an example of how the elite class defends their privileged position through exclusionary behaviors and discriminatory beliefs. Through disregarding Gatsby as an outsider and demeaning Myrtle›s ambitions, Tom guarantees that the existing social hierarchy remains unchallenged, demonstrating the deep-rooted resistance to social change within the upper levels of society.

Gatsby and Myrtle both faced bullying and social rejection, serving as powerful examples of the emotional impact of exclusion. Gatsby›s determination to attain wealth and status in order to be accepted by the old money elite reveals deep insecurity and a damaged self-image. His inability to achieve acceptance demonstrates the constraints of the American Dream and the false promise of social advancement. Similarly, Myrtle›s tragic end highlights the effects of internalizing societal biases and the desperation that comes from being stuck in a lower social class.

Through this in-depth analysis, it becomes clear that The Great Gatsby is more than just a narrative of personal ambition and longing. It also serves as a commentary on the wider social dynamics of its era. The novel uncovers the harsh truths of social hierarchy and the damaging effects of social comparison and harassment. By exploring these themes through Social Identity Theory, we gain a deeper insight into the formation, maintenance, and defense of group identities, as well as the significant impact these processes have on individuals and their sense of identity. In doing so, Fitzgerald scrutinizes

the ethical decline and inherent disparities of a society fixated on status and wealth, ultimately posing questions about the true achievability of the American Dream.

References:

– Batstone, R. (2000). Literature and social dynamics: The application of social psychology to literary analysis. Literary Theory Journal*, 15(3), 210–225.
– Berman, R. (1994). Class conflicts and social bullying in The Great Gatsby. American Literature Review, 22(2), 185–197.
– Bruccoli, M. J. (1992). The Great Gatsby: A study in social mobility. Cambridge University Press.
– Buchanan, T. & Wallace, J. E. (2020). Work satisfaction in a rapidly feminized profession: assessing the intersection of gender, parenting and support resources among veterinary doctors. Sociological Spectrum. [HTML]
– Callahan, J. F. (1996). Verbal tactics of exclusion in Fitzgerald›s *The Great Gatsby*. *Modern Fiction Studies*, 42(1), 72–85.
– Cohen, P. (1994). Social identities and literary representation: Insights from Social Identity Theory. Journal of Literary Studies, 23(1), 45–67.
– Groarke, L. (1999). Interdisciplinary perspectives on literary theory and social psychology. Critical Inquiry, 25(4), 801–825.
– Hardy, S. P. (). Sex, money, disillusionment, psychoanalysis: aspects of colonialism and imperialism in selected texts by Joseph Conrad and Rudyard Kipling. is.muni.cz. muni.cz
– Hogg, M. A., & Abrams, D. (1988). Social Identifications: A Social Psychology of Intergroup Relations and Group Processes. Routledge.
– Lehan, R. (1995). The American Dream and the decay of social order in The Great Gatsby. Scribner.
– Nafi, M. N. (2023). The DAISY BUCHANAN›S LIBERAL FEMINISM IN THE NOVEL THE GREAT GATSBY BY F. SCOTT FITZGERALD. Journ-EEL (Journal of English Education and Literature), 5(2), 53–61. lppmstkippgri-sidoarjo.com
– Simmons, S. (2008). Social hierarchies in literary texts: A sociocultural perspective. *Journal of Cultural Studies*, 12(2), 34–50.
– Stallman, R. W. (1988). The exclusionary tactics in Fitzgerald's The Great Gatsby. Literary Criticism Today*, 30(2), 167–181.
– Tajfel, H. (1981). *Human Groups and Social Categories: Studies in Social Psychology*. Cambridge University Press.
– Thompson, M. (2004). *Identity and Power in American Fiction*. Palgrave Macmillan.
– West III, J. L. W. (2023). Business Is Good: F. Scott Fitzgerald, Professional Writer. [HTML]



الصحافة المواطنية إعادة تعريف دور الجمهور في صناعة الأخبار

الباحث: مهند طاهر تسكام الزويد
جامعة الأديان والمذاهب/كلية العلوم الاجتماعية والاعلام والعلاقات

المستخلص:
إنَّ الصحافة في مجملها تساءلا المجتمع التي يضع إجاباتها المتخصصين في هذا النوع من العلوم – الإعلام–في بحثنا هذا حاولنا ان مقاربة للصحافتين التقليدية والمواطنية للوصول الى افضل السبل الكفيلة بالاستفادة منهما من دون الاضرار بواحد منهما انها نظرة الى واقع مولود جديد يتطاول للوقوف بين الكبار وربما يبدر منه الكثير من الخشونة في التصرف وسوء التعامل الى ان ينضج وقد بينا في ثنايا البحث ايجابيات وسلبيات الاثنين وسبل نجاحهما وعقبات البقاء الفردي على امل ان يمثل البحث فكرة في الطريق.
الكلمات المفتاحية: الصحافة المواطنيه ،الجمهور،الاخبار.

Abstract:
Journalism as a whole is a question of society whose answers are provided by specialists in this type of science – the media. In this research, we tried to approach the traditional and citizen newspa–pers to reach the best ways to benefit from them without harming one of them It is a look at the reality of a new baby who rises to stand among adults and may exhibit a lot of harshness in behavior and mistreatment until he matures. We have shown in the folds of the research the positives and negatives of the two, the ways to their success, and the obstacles to individual survival .in the hope that the research represents an idea along the way.
Keywords:citizen journalism, public, news.

المقدمة :
منذ وجد الإنسان كان شغوف بالمعرفة معرفة كل شيء كينونة الأشياء وكينونته ، أماكن الطعام أماكن السكن الجيدة الناس الجيدين كيف يمكن ان يستمر في المحافظة على حياته وهكذا دواليك وهذا امر نجد الكتب السماوية تؤكد وجوده في ضمير الأنسان وفي الخطاب القرآني وهو محدد المسارات السماوية الموجهة للإنسان نجد هذا الأمر في قوله تعالى:«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»[سورة البقرة –٣٢،٣١]،وهذا السؤال والاستخبار والجواب والكيفيات المذكورة في الآيتين تبيان حقائق الوجود الأول وكينونة الإنسان الحقيقية وعنوان تمايزه عن الغير انه سائل ومسؤول عالم ومتعلم وهذا النص الشريف يفتح بصائرنا على قيمة السؤال والجواب الخبر والخبر به ورجع الصدى ان جاز لنا عرض المصاديق في النص السابق والذي كان محوره الإنسان لا أريد ان اخرج بالنص عن معانيه المحددة ولكني استنطق ظاهر النص للوصول الى المصدرية الخبرية التي كانت في جهة اعلى من المتلقين ومن جهة أخرى كانت في الإنسان الفرد والملائكة كمصداق للجمهور ،هل يمكن لنا ان نقول ان صحافة المواطن كان لها اصل أصيل في بدء الانسان من خلال هذا النص قد يؤيد من يقرأ النص قراءة حداثوية وقد ينكر من يقرأه قراءة أخرى او على الأقل يتوقف عند الحدود والمحددات التي ينطلق منها او يؤمن بها ويتبناها لكن على اقل التقادير لانعدم شاهدا على أهمية ومكانة الإنسان الفرد او المواطن كمصدر خبري يحكم الساحة الإعلامية قديما وحديثا ذلك ان الإنسان مركوز في طبعه التساؤل عن كل ما حوله لأنه كائن شغوف بالتعلم الى نهاية حياته وهنا يحضرني عبارة افتتح بها الكاتب الأرجنتيني البرتو مانغويل هو كتابه(الفضول) بها: «على سرير موتها رفعت غيرترود شتاين رأسها وسألت ما لجواب وحين لم ينبس احد بشفة ابتسمت قائلة :«في هذه الحالة ،إذن ما هو السؤال؟»(١).
ان صحافة المواطن والتي أصبحت واقع حقيقي لهي مما يبين ان هذا هو الأمر الذي كان يجب ان يكون بل هو حتمية

سننية تبين رجوع الإنسان مصدرا للخبر كما كان في البدء ،سنحاول ان نبين المسارات التاريخية والثقافية للصحافة المواطنية ومالها وما عليها بحسب ما تحتمله صفحات البحث ومن الله التوفيق.

المبحث الأول : منهجية البحث

إشكالية البحث :يهدف البحث الى بيان العلاقة بين المواطن كمتلقي والمواطن كمصدر للخبر في ظل الثورة التواصلية التي غيرت الوظائف والجهات وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :

ما هي صحافة المواطن ؟

كيف أثرت وتؤثر على الإعلام التقليدي ؟

ما هي إيجابياتها وسلبياتها إعلاميا ومجتمعيا ؟

أهداف البحث:

دراسة تأثير الصحافة المواطنية على دور الجمهور في صناعة الأخبار.

رصد قابلية البقاء والقدرة على إيجاد فضاءات حقيقية لتطوير المجتمع من خلال هكذا صحافة

رصد العوامل الحقيقة لوجود هذه الصحافة .

منهجية البحث:

استخدام منهج الوصف التحليلي لدراسة الظاهرة وتحليلها من خلال محاولة رصد الظاهرة مجتمعيا وبيان ماهيتها وحضورها في ارض الواقع والتأثير .

المبحث الثاني : مفهوم صحافة المواطن وتطورها

الصحافة وعبر تاريخها الطويل كانت خطابا للشعب يدور بين الحكومة و الشعب وبين الشعب نفسه اعني بين افراده، فلو مررنا بتاريخ الصحافة لوجدناها بدأت كخطاب من الحكومة او السلطة إلى الشعب يكتب على صحائف البردي او ينقش على الحجر ويوضع في المعابد الى زمان اختراع الورق والذي كان يختص به وبصناعته أشخاص يسمون الصحافين حتى ان أول استخدام للفظ صحافة هو للشيخ نجيب الحداد، منشئ جريدة «لسان العرب»، في الإسكندرية، وإليه يرجع ..هذا المصطلح (٢). «صحافة»، ثم قلده سائر الصحفيين، بعد ذلك . .. والصحافة وان بدأت كـ لسان للسلطة إلا أنها ما لبثت ان تحررت من قيودها وخصوصا في الدول المتقدمة كهولندا وبريطانيا وامريكا(٣). ثم أخذت الدول تنحوا نحو استقلالية الإعلام والصحافة خصوصا لما وجدوا ما لذلك من أهمية في تقدم وازدهار الشعوب والبلدان وسيادة العدالة والقانون وكسر سلطة الحاكم الفرد والمتفرد واستمرت سلطة الصحافة في النمو والازدهار وخصوصا في نهاية القرن التاسع وبعد نهاية الحربين العالميتين الأولى والثانية تكشفت الحاجة إلى اطلاع المواطنين على شؤون بلدانهم ودول العالم وأخبار التجارة والاقتصاد والأدب ومع زيادة مداخيل المواطنين نمت الحاجة إلى معرفة البلدان ومتابعة ما يجري فيها من تطورات في الاقتصاد والعلوم والمعارف والفنون وغيرها ولم يكن اجدى من الصحافة للقيام بهذه المهمة ومع زيادة الأهمية البالغة بالإعلام وتخصصاته ومنها الصحافة اصبح علما متكاملا له تخصصاته المتنوعة والدقيقة فأصحبت الصحافة المتخصصة فكانت صحافة الشؤون الاجتماعية والأدبية والرياضية وغيرها بل اصبح حتى للإشاعات صحف او ما يسمى بالأخبار السيئة –الصحف الصفراء– وقد القى العصر وتطوراته ومناهجه من حداثة وما بعدها وفردانية في سلوك أبناء العصر أصبحت ظاهرة وواضحة في سلوكياتهم المختلفة فكان منها ظاهرة صحافة المواطن والذي تحرر من سلطة المجتمع –الدولة– ليكون هو سلطة خاصة إنها سلطة الفرد فتحول من كونه ذاك الذي كان مستهلكا للأخبار التي تصنعها المؤسسات الإخبارية إلى ان يدخل هو كصانع محتوى وصحافي ينقل خبره بنفسه دون ان يكون ضمن سلطة صحيفة او مجلة .

تعريف صحافة المواطن:

عرفت صحافة المواطن والتي برزت إلى الساحة كظاهرة أنتجها عصر التكنولوجيا الحداثوية والتي مكنت الفرد غير

المتخصص ان يدخل مجال الصحافة ويؤدي دور المتخصصين في هذا المجال ،الأمر الذي جعل التعريفات متعددة بتعدد جهة النظر فالبعض ينظر لها على أنها صحافة تشاركية (بومان ويليس (٢٠٠٣) Bowman and Willis) ،او على أنها صحافة ديمقراطية (هاكيت وكارول (٢٠٠٦) Hackett and Caroll)،او صحافة شعبية (دان جيلمور (٢٠٠٤) Dan Gillmor) او صحافة مواطن –وهو المصطلح الأشهر –وقد كان صاحب هذا المصطلح (كليمينسيا رودريغيز (٢٠٠١) Clemencia Rodriguez)(٤)،لكن اذا اردنا البحث لها عن تعريف يجمع هذه القواسم هل يصح لنا ان نقول كما ذهب إلى ذلك الباحثان (شاين برومان وكريس ويليس) أنها «نشاط للمواطنين يلعبون خلاله دورا حيويا في عملية جمع وتحرير وتحليل الأخبار، وهذه المشاركة تتم بنية مد الوسائل الإعلامية بمعلومات دقيقة وموثوق بها ومستقلة، تستجيب لمتطلبات الديمقراطية» (٥). بينما يرى يرى الدكتور (جمال الزرن) على انها» مصطلحٌ إعلامي واتصالي في ذات الوقت، وهذا المصطلح على المستوى التاريخي يعتبر حديث النشأة، وهو مفهومٌ غير مستقرّ؛ حيث إنّ صحافة المواطن تشخّص عند البعض على أنها (إعلام المواطن) بينما يرى الدكتور (الياس البياتي) أنّ كلّ مواطن هو صحفيٌّ صاعد؛ حيث إنّه يتحكّم في زمن الأحداث ووقعها على المتلقي(٦). بينما عرفته موسوعة ويكيبيديا : «أن بإمكان أي شخص أن يكون صحفيا ينقل رأيه ومشاهداته للعالم أجمع، دون الحاجة لأن يحمل شهادة في الإعلام، أو أن ينتمي لمؤسسة إعلامية لإيصال صوته للعالم »(٧)،وعموما يمكن لنا ان نقول ان المواطن اصبح الخبر والمخبر والمخبر عنه في حالة من التشاركية وحرية الراي وشخصانية الفكرة وعدم الحاجة الى التخصص الدقيق لقول شيء ما او نقد او تأييد أي راي يريده وهذا الأمر بوابة تفتح بوابات ما ان فتحت يوما فإنها ستستمر في فتح أبواب أخرى وأخرى ولن يستطيع احد أغلاقها كونها قامت وستستمر على جوانب اقتصادية وتقانيه وعولمية، انه عصر التجارة بكل شيئ ومن خلال كل شيئ .

مفهوم الصحافة المواطنية:

في الواقع ان صحافة المواطن لا ترقى إلى ان تكون مفهوما كونها ظاهرة نمت وتفشت في ظل جملة من الأسباب منها تحول وسائل الإعلام من الجماهيرية إلى الجماهير وشخصانية الباحث والمبحوث عنه إعلاميا والسمة الأبرز لهذه الصحافة وهي التفاعلية وسياسة التحرير المختلفة اذ ليس بالضرورة ان يكون المنتج الإعلامي دقيقا لأنه كما ذكرنا شخصاني وغير متخصص المهم لبقائه هو التفاعلية ،وعليه فهو يعرف اصطلاحيا ولا يمكن إدخاله ضمن مفهوم دقيق لذا سأكتفي بما عرفته به اصطلاحيا .

الفرق بين صحافة المواطن و الصحافة التقليدية:

الصحافة هي المهنة التي تستند إلى الجمع والتحليل للبيانات والوثائق وفق شروط ونظم مرعية متفق عليها ولها في هذا الأمر تاريخ حافل من التسلسل والتطور والنظم والوسائل والأدوات كل بلد بحسبه ولكن هناك ما هو مجمع عليه ومن منطلقه تتعامل وتتعارف الصحف والمجلات وجماهير قرائها من مختلف المستويات والارجاء فلو رجعنا الى البدايات الأولى للصحافة لوجدنا أنها بدأت في أزمنة سحيقة قد ترجع الى البابليين فقد ذكر انهم كان لديهم –للبابليين– مؤرخون مكلفون بتسجيل الحوادث، التي اعتمد عليها نيروز، في القرن الثالث قبل الميلاد، في كتابه «تاريخ الكلدانيين»(٨)، ولعلها اقدم–الصحافة– من ذلك كون الرغبة في التعلم و التعليم هي غريزة مركوزه في طبيعة الإنسان وبها وصل إلى ما وصل اليه وتكامل معرفيا واجتماعيا وهذه الغريزة او الرغبة تكاملت مع الطبيعة غير القارة للإنسان حتى وصلت الى ما وصلت اليه ففي حين لم يكن الصحفي اكثر من ناقل للخبر ينقله من أجواءه ففي اوربا على سبيل المثال كانت الإحاطة(٩). البابوية والتي يذهب البعض إلى أنها الأصل في الجريدة الحالية والتي كانت تنسخ وتوزع على الجهات والجماهير وفيها أراء البابا عن مجريات الواقع يوميا او أسبوعيا ومن بعدها حلت النشرات والحوليات وفي إنجلترا خاصة، ظهر ما يسمى بالوريقات الإخبارية«News Sheets» أثناء حرب الثلاثين والتي دارت رحاها بين الكاثوليك والبروتستانت (١٦١٨-١٦٤٨)هذه الاحاطات والنشرات والحوليات

مهدت للصحافة لتكون مهنة واختصاص استمر وسيستمر بحسب الحاجة والطبيعة النفسية للإنسان حتى أن الحكومة البريطانية أخذت تلتفت إلى الأهمية التجارية لهذا النشاط ففرضت الضرائب على الصحف كونها أصبحت تجارة تدر الربح وقوة تؤثر على الحكومة فكانت الضريبة أولاً نصف بنس إلى بنس فان كانت الصحيف ورقة كاملة فالضريبة بنس وان كانت إلى النصف فهي نصف بنس(١٠)، وطبيعي ان تكون الدولة الأكثر حرية هي الدولة الأكثر حضورا للصحافة ،وهذ كله جعل الإعلام والصحافة التي نشأت شيئا فشيئا تزدهر وتنمو حتى أصبحت علما له اختصاصاته المختلفة التي تدرسها الجامعات لطلبتها وفي قباله نجد اليوم صحافة المواطن تبدا كما بدأ شعراء حركة الأنفاق (١١). (الاندر كروند)كما يسميهم في كتابه الأستاذ ياسين طه حافظ(١٢)،انها تبدا –صحافة المواطن–مخالفة للتقاليد المتعارف عليها في الصحافة التقليدية من ناحية الاختصاص والأدوات ومن ناحية الكم والكيف ولابد لها ان استمرت ان يكون لها واقع ان لم يكن مغيرا فلا اقل من ان يكون حالة واقعية مختلفة يقبلها المجتمع على طول المدة وسهولة التعاطي ،وفي الواقع ان مواقع التواصل على حداثة نشأتها فقد فرضت نفسها على الواقع واصبح من يريد الإعلان والكتابة والتعلم والإخبار يلجئ اليها فقد تحول كثير من الجامعات والمؤسسات في خطابها لجمهورها الى مواقع التواصل الجماهيرية مثل فيسبوك وانستجرام وتلجرام وذلك يعني ان سلطة الجماهير أصبحت اقوى وصوتها اعلى وهو ماجعل مؤسسات كانت ترفض طريقة الجمهور في الخطاب تتعاطى بمواقع التواصل الجماهيرية في كل خطاباتها تقريبا وهذا من أوضح الأمثلة على ما يمكن ان يكونه او يصل اليه صحافة المواطن فنظرة إلى مواقع التواصل التي هي منصات خبرية شخصية تخبرنا عن الحجم المهول للمستخدمين وعن الكيفية التي تدار بها صحافة المواطن والقدرة التي يمكن ان تكون لها في مستقبل الايام ،ولكن ماهي الفروق بين الصحافتين لنفهم اين يقع مكمن الاختلاف او الخلاف بين الصحافتين ،يمكن ان نذكر الأمور التالية :

١. مصدر المعلومات

الصحافة التقليدية: تعتمد على صحفيين محترفين مدربين، غالبًا ما يكونون حاصلين على تعليم رسمي في الصحافة ويلتزمون بمعايير أخلاقية ومهنية لضمان المهارة في التقصي والبيان وإيصال واضح ودقيق ومنضبط للمعلومات والأخبار للمؤسسة ثم الى الجمهور.

صحافة المواطن: تعتمد على أفراد اعتياديين و قد لا يكون لديهم أي تدريب صحفي ،بل يشاركون الأخبار عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو المدونات وهي مصادر قد تصح وقد لا تصح كأن يكذب مصدر الخبر وهو جهة غير مسؤولة حتى يتم التحقق منه وفق ضوابط التتبع المعمول بها.

٢. طريقة إعداد التقارير

الصحافة التقليدية: تتبع عملية منظمة تشمل التحقق من الحقائق والأخبار وتحريرها والالتزام بمعايير صحفية صارمة لضمان خصيصة الجودة والدقة .

صحافة المواطن: تكون أكثر عفوية وفورية وانطلاقا ، وغالبًا ما تعتمد على تصوير و تسجيلات مباشرة من الهواتف الذكية دون تحرير أو تحقق كامل من دقة وموثوقية الخبر.

٣. الملكية والتمويل

الصحافة التقليدية: يتم تمويلها في الغالب من خلال الإعلانات والاشتراكات والرعاية الرسمية للدولة او القطاع الخاص ومؤسساته الربحية، وغالبًا ما تكون جزءًا من مؤسسات إعلامية كبيرة ،بينما صحافة المواطن: تكون مستقلة في الغالب، وتعتمد على التمويل الذاتي أو التمويل الجماعي في بعض الأحيان .

٤. الرقابة التحريرية: حراسة البوابة

الصحافة التقليدية: بحسب وضعها المنضبط لديها فرق تحريرية تقرر ما يتم نشره، وبما يضمن جودة المحتوى ولكن قد يحد هذا الاجراء من تنوع الآراء ولا يلبي جميع المطالب اما صحافة المواطن: فهي تفتقر إلى الصفة الرسمية ولايوجد فيها رقيب قانوني ، وهوما يسمح بتنوع الآراء ولكن يزيد من خطر انتشار المعلومات المضللة والخطرة

على المجتمع.

٥. إشراك الجمهور

الصحافة التقليدية: تعتمد على نموذج اتصال ذي اتجاه واحد (من الصحفي إلى الجمهور) مع إمكانية تفاعل محدودة.

صحافة المواطن: تدفع باتجاه تشجع التفاعل المباشر بين الجمهور و الأفراد صانعي المحتوى، وبما يسمح بالمشاركة والتعليق الفوري من الطرفين .

٦. النطاق والتغطية الصحفية

الصحافة التقليدية: ترتكز على القضايا الوطنية والدولية الكبرى التي تهم جمهورًا عاما وواسعا بينما صحافة المواطن: تعتمد على تغطية قضايا محلية أو خاصة قد تتجاهلها وسائل الإعلام التقليدية، مما يعطي صوتًا للمجتمعات المهمشة لتقول ما تريد وتسمع او تقرأ كذلك.

هذه اهم الفروق التي يمكن لنا ان نجدها بين الصحافتين .

تطور الصحافة المواطنية: تعريف صحافة المواطن

صحافة المواطن (Citizen Journalism) هي ممارسة يقوم فيها الأفراد الاعتياديين، الذين ليسوا صحفيين محترفين، بجمع ونشر المعلومات والأخبار، غالبًا عبر منصات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. هذه الظاهرة أصبحت ممكنة بفضل التطور التكنولوجي، خاصة انتشار الهواتف الذكية والانترنت.

التطور التاريخي لصحافة المواطن

١. البدايات الأولى (ما قبل الإنترنت)

قبل ظهورالإنترنت، كانت مشاركة المواطنين في صناعة الأخبار محدودة. ومع ذلك، كانت هناك بعض المحاولات المبكرة، مثل:

القرن الثامن عشروالتاسع عشر: في بعض البلدان، كانت الصحف الصغيرة والنشرات المحلية تعتمد على مساهمات المواطنين.

القرن العشرين: مع ظهور الراديو والتلفزيون، بدأ الأفراد يرسلون تقارير أو صورًا للأحداث المحلية، لكنها كانت محدودة بسبب نقص الأدوات التكنولوجية.

٢. ظهور الإنترنت وبداية التغيير (أواخر التسعينيات)

مع انتشار الإنترنت في أواخر التسعينيات، بدأت صحافة المواطن تأخذ شكلًا أكثر وضوحًا:

المدونات (Blogs): في أواخر التسعينيات وأوائل الألفية، بدأ الأفراد في إنشاء مدونات شخصية لنشر آرائهم وتقاريرهم. كانت هذه المدونات بمثابة منصات مبكرة لصحافة المواطن.

أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١: خلال هجمات ١١ سبتمبر، لعب المواطنون دورًا مهمًا في توثيق الحدث عبر الصور والفيديوهات التي تم مشاركتها عبر الإنترنت.

٣. التوسع مع منصات التواصل الاجتماعي (منتصف العقد الأول من الألفية)

مع ظهور منصات التواصل الاجتماعي، أصبحت صحافة المواطن أكثرانتشارًا:

YouTube (٢٠٠٥): سمح للأفراد بمشاركة الفيديوهات بسهولة، مما جعل المواطنين قادرين على توثيق الأحداث بشكل مرئي.

Twitter (٢٠٠٦): أصبحت التغريدات وسيلة سريعة لنشر الأخبار في الوقت الفعلي، خاصة خلال الأحداث الكبرى.

أحداث تسونامي المحيط الهندي (٢٠٠٤): كانت واحدة من أولى الأحداث العالمية التي تم توثيقها بشكل كبير من قبل المواطنين، حيث تم مشاركة الصور والفيديوهات على نطاق واسع.

٤. الثورات العربية (٢٠١٠-٢٠١٢)

كانت الثورات العربية نقطة تحول كبيرة في تاريخ صحافة المواطن:

دور وسائل التواصل الاجتماعي: استخدم الناشطون منصات مثل Facebook وTwitter لنشر الأخبار وتنظيم الاحتجاجات.

توثيق الأحداث: قام المواطنون بتوثيق الاحتجاجات والمواجهات مع قوات الأمن، مما وفر مصدرًا بديلًا للأخبار في ظل تقييد وسائل الإعلام التقليدية.

التأثير العالمي: جذبت هذه الأحداث انتباه العالم، وأظهرت قوة صحافة المواطن في تغيير المشهد الإعلامي.

٥. التطور التكنولوجي (من ٢٠١٠ إلى اليوم)

مع تطور التكنولوجيا، أصبحت صحافة المواطن أكثر قوة وتأثيرًا:

الهواتف الذكية: أصبحت الكاميرات عالية الجودة متاحة للجميع، مما سمح بتوثيق الأحداث بدقة عالية.

التطبيقات: تطبيقات مثل WhatsApp وInstagram وTikTok سهلت مشاركة المحتوى بسرعة.

البث المباشر: ميزة البث المباشر على Facebook Live وInstagram Live سمحت للمواطنين بنشر الأحداث في الوقت الفعلي.

أمثلة بارزة على صحافة المواطن

احتجاجات Ferguson في الولايات المتحدة (٢٠١٤): قام المواطنون بتوثيق الاحتجاجات والمواجهات مع الشرطة، مما أثار نقاشًا وطنيًا حول العنصرية.

(حركة #MeToo ٢٠١٧): استخدم الأفراد وسائل التواصل الاجتماعي لمشاركة قصصهم عن التحرش والاعتداء الجنسي، مما أدى إلى تغيير ثقافي كبير.

احتجاجات هونغ كونغ (٢٠١٩): استخدم المتظاهرون وسائل التواصل الاجتماعي لتنسيق الاحتجاجات وتجنب القمع(١٣).

التحديات والمستقبل الذي تواجه صحافة المواطن:

مصداقية المعلومات: ان قراءة أولية لواقع صحافة المواطن تجعل المرء يشكك بمصداقية المعلومات الصادرة عنها وذلك لان عدم وجود تحرير أو مراجعة حقيقية قد يؤدي إلى نشر معلومات خاطئة أو مضللة.

الأمان الشخصي: ان مما لاشك فيه ان المواطن الصحفي قد يتعرض للخطر، خاصة في الدول التي تقمع حرية التعبير.

الاستغلال السياسي: ان كون صحافة المواطن صحافة شخصية يجعلها محل تجاذبات الاراء الشخصية للمواطنين الصحفيين انفسهم فقد يتم استخدام صحافة المواطن لنشر الدعاية أو التضليل.

المستقبل:

ان المستقبل ينبئ انه مع استمرار تطور التكنولوجيا، من المتوقع أن تصبح صحافة المواطن أكثر تقدمًا، خاصة مع الذكاء الاصطناعي وتقنياته مثل الواقع الافتراضي. ومع ذلك فإنه ستظل هناك حاجة ملحة إلى ضمان مصداقية المعلومات وحماية حقوق المواطنين الصحفيين.

وتبقى صحافة المواطن هي نتاج تطور تكنولوجي واجتماعي، وقد غيرت بشكل جذري الطريقة التي نستهلك بها الأخبار. إنها ظاهرة مستمرة في التطور، ويعتقد انها ستظل على الاقل من خلال معطيات الواقع الحالي تلعب دورًا مهمًا في المشهد الإعلامي العالمي.

وهي بالتالي رهينة بالعوامل التكنولوجية التي ساهمت في ظهورها مثل الهواتف الذكية، وسائل التواصل الاجتماعي)،وهناك امر لايمكن اغفاله وهو من تحديات المستقبل وهو دور الأحداث العالمية (مثل الثورات العالمية والعربية) في تعزيزها اواضعافها.

خصائص صحافة المواطن:

صحافة المواطن او الصحافة المواطنية باعتبارها اصبحت حقيقة ملموسة ولها كيانها الخاص وان كان غير واضح المعالم الا انه بدأ يتحدد شيئا فشيئا في ظل ما اصبحت تتوفر عليه من إمكانات وقدرات أصبحت على ضوئها تتميز بخصائص حددها تيري فلو بقوله(١٤):[هناك ثلاثة عناصر حاسمة في صعود الصحافة المواطنية: النشر المفتوح، والتحرير التعاوني، والمحتوى الموزع]،وهذا التمييز لخصائص صحافة المواطن عن الصحافة التقليدية يجعلها صحافة في قبال صحافة ،وربما في قابل الأيام تتمكن هذه الصحافة الجديدة وليدة العالم الرقمية مع ما تحمله تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي القادم بقدرات غير محدودة من التوفر على قدرات وخصائص تجعله منافسا حقيقيا للصحافة التقليدية ،لكن إلى ان يأتي ذلك الوقت وتلك الإمكانات ف (الصحافة التقليدية) بكوادرها المتخصصة لازالت موضع الثقة ومحلها محل الريادة والقدرة وعموما فإن العناصر التي يمكن ان تكون في نظر الكثير من الجمهور فارقة ومميزة لصحافة المواطن هي :

اشتمالها على السرعة في نقل الأخبار من الجمهور والى الجمهور .

وكونها لا تحتاج في العمل الى كم كبير كما هو حال الصحافة التقليدية بل على العكس فهي تنشا وتنجح بالاعتماد على الأدوات البسيطة.

واهم خصائها في نظر الكثير من المتابعين هو كونها تعمل بمشاركة الجمهور الاعتيادي. وكل هذا حالة فرادة وتمير لا تملكها الصحافة الاصالتية او التقليدية .

المبحث الثاني : إيجابيات وسلبيات الصحافة المواطنية

إن صحافة المواطن حاله من اهم حالات الايجابية والتفاعلية بين المواطن الصحفي والمواطن المتلقي فهي تجعل المواطن الاعتيادي يتلقى ما يرغب فيه في الوقت والساعة التي يرغب دون عوائق ولاتكلفة تذكر على –الاقل حاليا–ويمكن فهم ذلك من خلال مدخلات هذه الصحافة ومخرجاتها مجتمعيا واليك جملة من ايجابيات هذا النوع من الصحافة وسلبياته.

أولاً: إيجابيات الصحافة المواطنية:إن هذا النوع من الصحافة والذي سمي بمسميات متعددة مثل «صحافة المواطن ،او الصحافة الشعبية او الديمقراطية أو صحافة المشاركة»–وقد مرت الاشارة الى هذه المسميات واصحابها –،وعموما فهذه الصحافة ظاهرة حديثة نسبيًا وطارئة على عالم الإعلام، حيث يلعب المواطنين الاعتياديين تمام الدور في جمع ونشر الأخبار والمعلومات. وهذه الظاهرة أصبحت حقيقة ملموسة بفضل التطور التكنولوجي، وخصوصا وجود.

وانتشار الهواتف الذكية النقالة ووسائل ومنصات التواصل الاجتماعي. واليك فيما يلي بعض الإيجابيات الرئيسية لصحافة المواطن:

١. سرعة نقل الأخبار:

إمكانية التغطية الفورية للحدث : حيث يمكن للمواطنين نقل الأحداث في الوقت الفعلي، وهوما يسمح بوصول الأخبار إلى الجمهور بسرعة أكبر من الوسائل الإعلامية التقليدية التي قد تحتاج إلى وقت أطول لغرض التحقق من الخبر وتحريره.

القدرة على تغطية الأحداث المحلية: غالبًا ما يكون المواطنون موجودين في مكان الحدث قبل وصول الصحفيين المحترفين وهو ما يمكنهم من نقل الخبر بصورة مباشرة وفورية.

٢. تعدد وتنوع المصادر والآراء:

تعددية الآراء: في صحافة المواطن تسمح طبيعة هكذا صحافة بظهور قراءات متنوعة وآراء مختلفة قد لا تصل إلى وسائل الإعلام التقليدية بسبب القيود التحريرية أو السياسية.

القدر على تغطية أوسع: يمكن أن تغطي صحافة المواطن مجالات وقضايا وأحداثًا قد لا تحظى باهتمام وسائل

الإعلام التقليدية المألوفة، مما يوفر تنوعًا في النص والمحتوى الإخباري.

٣. عملها على تعزيز الشفافية والمساءلة:

قادرة على كشف الفساد: في كثير من الأحيان، تكون صحافة المواطن أداة قوية لكشف الفساد والممارسات غير الأخلاقية مجتمعيا وسياسيا ، حيث يمكن للأفراد تسجيل ونشر أدلة على هذه الممارسات وهو امر لا يتسنى في مواطن كثيرة للصحافة والإعلام التقليدي .

مراقبة نشاط وعمل السلطات: يمكن للمواطنين مراقبة وتوثيق تصرفات الحكومات والشركات بصورة اكبر من الصحافة التقليدية والتي تحكمها ضوابط العمل القانونية والتجارية والسياسية، مما يعزز الشفافية ويساهم في محاسبة المسؤولين.

٤. عملها على تمكين الأفراد والمجتمعات ونقل أصواتهم :

إعطاء صوت للفئات المهمشة: ان صحافة المواطن تمنح الفرصة للأفراد والمجتمعات المهمشة للتعبير عن انفسهم وقضاياهم ونقل مشاكلهم ومعاناتهم إلى العالم.

تشجيعها المشاركة المدنية: من خلال المشاركة في صناعة الأخبار، يشعر المواطنون بأنهم جزء فعال في المجتمع، وهو ما يعزز المشاركة المدنية والوعي الاجتماعي وحس الانتماء الوطني.

٥. تعمل على تقليل التكاليف:

من الناحية الاقتصادية: صحافة المواطن تقلل كثيرا من التكاليف المالية في جمع الأخبار، حيث لا تحتاج وسائل إعلام المواطن إلى إرسال مراسلين إلى كل مكان، بل يمكنها الاعتماد على المحتوى الذي ينتجه المواطنون انفسهم.

وسائل صحافة مستدامة: يمكن أن تكون صحافة المواطن أكثر استدامة من الناحية المالية، حيث تعتمد على موارد موجودة بالفعل (مثل الهواتف الذكية والإنترنت) وهو يجعلها وسائل صحافة وإعلام مستدامة .

٦. تفاعلها أكبر مع الجمهور:

تفاعلها مؤثر ومباشر: تسمح صحافة المواطن بتفاعل مباشر بين المنتجين والمستهلكين للأخبار، مما يعزز الحوار بينهم وتبادل الآراء بين اطراف الرسالة الإعلامية .

تغذية راجعة فورية: يمكن للجمهور تقديم تعليقاتهم وآرائهم وبصورة فورية حول كل ما ينتجه الصحفي المواطن، مما يساعد في تحسين جودة المحتوى.

٧. توثيق الأحداث التاريخية:

أرشيف واقعي حي: صحافة المواطن توفر توثيقًا حيًا للأحداث التاريخية من وجهة نظر المشاركين فيها، مما يخلق أرشيفًا غنيًا ومتنوعًا للأجيال القادمة.

ذاكرة جماعية: تساهم صحافة وإعلام المواطن في بناء ذاكرة جماعية مجتمعية للأحداث الهامة، خاصة في حالات الكوارث الطبيعية أو الأزمات السياسية.

٨. تعزيز حرية التعبير:

كونها منصة مفتوحة: إن صحافة المواطن توفر منصة مفتوحة ولجميع الأفراد للتعبير عن آرائهم ومشاركة قصصهم مع الآخرين من دون قيود تحريرية أو رقابية.

تحدي الرقابة: في بعض البلدان التي تفرض رقابة صارمة على وسائل الإعلام، تعتبر صحافة المواطن وسيلة كسر لهذه القيود و تجاوز لهذه الرقابة ونشر المعلومات بحرية.

٩. تحسين جودة الصحافة التقليدية وكسر جمودها:

مصدر إضافي: يمكن لوسائل الإعلام التقليدية الاعتماد على صحافة المواطن كمصدر إضافي للمعلومات، من خلال اعتمادها على مراسلين من صحافة المواطن خاصة في الأحداث الكبرى.

تحفيز التنافس إعلاميا: وجود صحافة المواطن يحفز وسائل الإعلام التقليدية على ان تحسن من جودة تقاريرها

وتسعى للاستجابة بصورة اسرع وبتغطية أوسع وأكبر للأحداث.

١٠. تثقيف الجمهور:

زيادة الوعي: تقوم صحافة المواطن من خلال مشاركة الأخبار والمعلومات، بصناعة وعي مضاعف للمواطنين بالقضايا المحلية والعالمية.

تعزيز التفكير النقدي :ان من السمات الهامة لهذا النوع من الصحافة هو تشجع الجمهور على التفكير النقدي في الأخبار والمعلومات التي يتلقونها، مما يعزز لديهم الثقافة الإعلامية.

ثانيا: سلبيات الصحافة المواطنية: إن السلبيات التي يمكن أن تؤثر على جودة المعلومة ومصداقيتها، بل وعلى المجتمع ككل. وفيما يلي بعض اهم السلبيات لصحافة المواطن:

١. لا تملك مصداقية حقيقة:

عدم التحقق من المعلومات: هناك إشكالية ففي صحافة المواطن وهو أنها غالبًا ما تنشر الأخبار دون التحقق من صحتها، مما يؤدي إلى انتشار المعلومات المضللة أو الخاطئة.

غياب المعايير المهنية: الصحفيون المحترفون غالبا يتبعون معايير مهنية صارمة في جمع ونشر الأخبار، بينما قد نجد وبكثرة ان الصحفي المواطن يفتقر إلى هذه المعايير، مما يؤثر على جودة المحتوى الذي يقدمه للجمهور.

٢. انتشار الأخبار الكاذبة والشائعات:

تضليل الجمهور: نقل الأخبار من دون التثبت منها يمكن أن يؤدي إلى انتشار الأخبار الكاذبة والشائعات بسرعة كبيرة، خاصة على منصات التواصل الاجتماعي، وهو ما يسبب تضليل الجمهور.

تأثير سلبي على الرأي العام: الأخبار الكاذبة يمكن أن تصنع مشاكل و تؤثر سلبًا على الرأي العام وتسبب حالة من الذعر أو الفوضى في المجتمع.

٣. انتهاك الخصوصية:

التعدي على حقوق الأفراد: نجد في بعض الأحيان، بعض افرد الصحافة المواطنية ينشر صور أو فيديوهات دون إذن من الأشخاص المعنيين، مما ينتهك خصوصيتهم وهذا مخالف للقانون وحقوق المواطنين .

استغلال المحتوى الشخصي: يمكن أن يتم استغلال المحتوى الشخصي لأغراض شخصية وهو ما يؤدي إلى مخالفة ضوابط العمل الإعلامية ومخالفة أخلاقية المهنة الإعلامية من خلال الممارسات غير الأخلاقية، مثل التشهير أو الابتزاز.

٤. نقص الموضوعية:

تحيز شخص–: قد يعكس المواطنون ميولهم وتحيزاتهم الشخصية في تقاريرهم، مما يؤثر على موضوعية الأخبار.

تأثير العواطف: يمكن أن تؤثر العواطف والمشاعر الشخصية على طريقة نقل الأخبار، مما يؤدي بالمحصلة إلى تقارير إخبارية غير متوازنة ولا حيادية .

٥. ضعفها من ناحية التحليل والتفسير:

غياب السياق الموضوعي: غالبًا ما تفتقر تقارير صحافة المواطن إلى السياق الموضوعي والتحليل العميق، مما يجعلها سطحية وغير كافية لفهم الأحداث بشكل موضوعي وشامل.

نقص الخبرة اللازمة : الصحافيون المواطنون قد يفتقرون في اغلب الأحيان إلى الخبرة والمعرفة اللازمتين لتفسير الأحداث المعقدة والتفاصيل الدقيقة وهذا مما يؤثر على جودة تحليلهم للأحداث وبيانهم للتفاصيل.

٦. استغلالها لأغراض سياسية أو تجارية:

إمكانية التلاعب بالمعلومات: يمكن أن يتم استغلال صحافة المواطن من قبل جهات سياسية أو تجارية لنشر معلومات مضللة للجمهور أو التلاعب بالرأي العام.

إمكانية استخدامها في حملات التشويه: يمكن أن تستخدم صحافة المواطن في حملات تشويه سمعة الأفراد أو

المؤسسات لأغراض سياسية أو شخصية وهو أمر لا يوجد ضابطة تمنعه على الأقل حاليا .

٧. تأثيرها سلبي على الصحافة التقليدية:

تقليل قيمة الصحافة المحترفة: قد يؤدي انتشار صحافة المواطن إلى تقليل قيمة الصحافة التقليدية المحترفة، حيث إنها قد تجعل الجمهور يعتقد أن أي شخص يمكنه أن يكون صحفيًا دون الحاجة إلى تدريب أو خبرة.

ضغوط اقتصادية: تمثل صحافة المواطن عقبة اقتصادية فهي قد تجعل وسائل الإعلام التقليدية تواجه ضغوطًا اقتصادية بسبب المنافسة مع المحتوى المجاني الذي ينتجه المواطنون.

٨. عدم رعاية المخاطر الأمنية:

تعريض الأفراد للخطر: في بعض الحالات، يمكن أن يعرض ما تنشره صحافة المواطن من معلومات المواطنين للخطر، خاصة في المناطق التي تشهد نزاعات مسلحة أو اضطرابات أمنية.

تسهيل المراقبة: يمكن ان تكون موضوعا للمراقبة من قبل الجهات القادرة على ذلك من خلال استخدام المحتوى الذي ينشره المواطنون لأغراض المراقبة من قبل الحكومات أو الجهات الأخرى.

٩. ضعف المساءلة:

غياب المساءلة القانونية: قد يكون من الصعب محاسبة المواطنين على المحتوى الذي ينشرونه، خاصة إذا كان صاحبه مجهول الهوية أوان يكون قد تم نشره على منصات غير خاضعة للرقابة.

انتشار المحتوى الضار مجتمعيا : يمكن أن ينتشر المحتوى الضار أو المسيء للمواطنين من خلال صحافة المواطن كونها لا تملك آليات فعالة للمساءلة أو الإزالة.

١٠. تأثيرها على الاستقرار الاجتماعي:

زيادة التوترات: يمكن أن تستخدم استخداما يؤدي –صحافة المواطن –إلى زيادة التوترات الاجتماعية، خاصة إذا تم نشر معلومات مثيرة للجدل أو محرضة على العنف والفتنة الطائفية وغير ذلك.

تأجيج الصراعات: في بعض الحالات، يمكن أن تساهم صحافة المواطن في إذكاء و تأجيج الصراعات أو النزاعات من خلال نشرها لمعلومات تحريضية مجتمعيا.

ثالثاً:تأثيرها على الإعلام التقليدي: في الواقع ومن خلال ما تم سرده من إيجابيات وسلبيات صحافة المواطن نستطيع القول انها تملك القدرة على ان تكون رديفا ومعاونا بل ومساهما فاعلا في الإعلام والعملية الإعلامية والصحافية بالذات اذا وجهت توجيها صحيحا وبما يناسب قدرات وإمكانيات هذا الوليد الناشئ إعلاميا أي ان العلمية الإعلامية اذا استثمرت ووجهت بصورة صحيحة يمكن ان تكون نتاجا قادرا على ايجاد آفاق جديدة بناءة ومثمرة والأمثلة على ذلك كثيرة لعل من اقربها الى موضوعنا هو حركة الأنفاق «ألاندر كروند» في الشعر الإنجليزي والتي بدأت بسيطة من خلال ندوات بسيط في الحدائق ومحطات الانتظار وغيرها ثم ما لبثت ان أصبحت واقعا في الأدب(١٥)–بعد سنوات من النضال الأدبي –والأمر هكذا يظهر في صحافة المواطن حاليا ولكن المستقبل يمكن ان يأتي لهذه الصحافة بالنجاح والرسوخ مجتمعيا ومهنيا.وقد بدأت بعض المؤسسات الاعلامية الكبيرة الاعتماد على المحتوى المواطني فقد اصحبت كثير من القنوات الفضائية تدعوا المواطنين الى المساهمة بصورهم وتقاريرهم الخبرية لتبث ضمن برامجها وهذا ما نجده في قنوات كبيرة وذات سمعة في الصحافة والاعلام كل(BBC وقناة (RT) وغيرها من خلال اعلان تلفزيوني يذاع فيها وعن هذا الموضوع نشرالكثير من المقالات التي تبين اهمية تأثير هذه الصحافة وامكانية الاستفادة منها فقد ذكر مقال نشر على موقع الجزيرة نقلا عن نجلاء أبو مرعي، الصحفية في قناة بي بي سي عربي «لكل صحفي شبكة من العلاقات، يستخدمها للوصول إلى أشخاص ذوي مصداقية يمارسون ما يسمى صحافة المواطن، فإذا رصد عبر تويتر أو غيره معلومة ما، يبدأ بتعقبها، ليبدأ التحقق من تطابق المعلومة، عبر أكثر من مصدر(١٦)..»وفي واقع الحال اننا لانحتاج شواهد من خارج فقد اصبحت الظاهرة معاشه اكثر منها مشاهدة لاننا نحن الأفراد اصبحنا جزءا من هذه العملية الصحافية فنحن نرى منافسة مواقع هذا

النمط من الصحافة في مواقع التأثير ومن الأمثلة على هذا التأثير والاستخدام نشاط «الهاشتاغ (الوسم)» ومقدار التفاعل الجماهيرية ضمن القنوات الفضائية كل هذه امثله واضحة على هذا التفاعل والاستخدام للمؤسسات الإعلامية للمواطن الصحفي .

أولاً: مستقبل الصحافة المواطنية

الصحافة المواطنية الى وقت قريب كانت ضربا من الخيال فلو عرضت هذا الامر على صحفي في قبل أربعين سنة ان المواطن من منزله عبر حاسوبه يكتب الخبر ويحرره وينشره في أي وقت وعن أي موضوع لعد هذا الموضوع مزحة واتهم المتحدث بانه يعاني لوثة عقلية! لكن الحقيقة التي وصل لها العلم وتقنيات التواصل جعلت ما كان مستحيلا حقيقة موضوعية قائمة يشهد لها الجميع بالحضور وان لم يكن يوازي حضور الصحافة التقليدية إلا انه حضور حقيقي واصبح يؤثر تعاقبيا .

ثانياً: التطورات التكنولوجية ودورها: مثلما صنعت التكنلوجيا عالما كان خيال الادباء اقرب اليه فقد تعرض توماس هكسلي(١٧).حينما كتب روايته«عالم جديد شجاع» لمسائل هي إطلالة على عالم اليوم بكل صنوف مبتكراته ومنها وسائل التواصل والأخبار وهو امر عرضه للسخرية كونه يتحدث عن أشياء لم تكن مخيلة ذلك العصر تحتملها ،ولكن الحقيقة حدثت وبما يفوق الخيال الأدبي ان التطورات التكنلوجية زامنت ولبت الفضول لاستكشاف الأشياء لدى الأنسان ،الفضول الذي يعد جزء حقيقي من الصحافة عموما وصحافة المواطن خصوصا وقد ذكرت دراسة أجراها عالم من جامعة كارديف بالمملكة المتحدة هو«ماتياس جروبر»، فيها طلب من المتطوعين تقييم مستوى فضولهم وفق سلسلة من الأسئلة البسيطة، ثم رَصَد نشاط المخ بالماسح الضوئي أثناء رؤية المشاركين للأسئلة واكتشف جروبر أثناء دراسته أن الفضول يضع عقل الإنسان في حالة يكون خلالها قادرا على استقبال وتذكُّر كل شيء، سواء كان له صلة بالموضوع أو لم يكن له علاقة بتاتا بالأمر(١٨)، فإذا جاز لنا ان نقول كما كان يقول الفيلسوف الالماني «كانت»ان الأخلاق من مقولة الخير ،فإننا نقول ان صحافة المواطن من مقولة الفضول الخبري والعلمي لجيل عالم الحداثة ومابعدها وكلما زادة القدرة على الوصول الى المعلومة والخبر زادة رغبت الناس الى تسليع المعلومة والخبر حتى تكون صحافة المواطن صحافة حقيقية مكتملة ومهنة باجر ثابت وعموما فهي صحافة كينونتها وكيفيتها وشكلها محكوم بآفاق التكنولوجيا وتقلباتها واتجاهاتها ومدياتها ومن ذلك الذكاء الاصطناعي وما سيلقي به من ظلال على هذه الصحافة وما سيوفرها لها من ضبط للنصوص وتصحيح وتنظيم وتحرير للنصوص قبل طبعها وإن لم يكن هذا متوفر حاليا تماما إلا أن الأفق يشي بانه في القريب وربما سيكون بالتالي نظام للصحافة مغاير للموجود وقوانين جديدة تتحكم وتنظم وليس بعيدا عن القبول ان يتم دمج الصحافتين في كيان واحد. وربما ستفي بذلك كله اوببعضه منصات التواصل التي بدأت تقيض نظام عمل كثير من القنوات الفضائية كـ(MBC) ودخولها في منصة شاهد والقائمة طويلة وتستمر.

ثالثاً:المعايير الأخلاقية والمهنية للصحافتين،التقليدية وصحافة المواطن : المعايير الأخلاقية للصحافة التقليدية وصحافة المواطن تشكل أساسًا لابد منه لضمان مصداقية مهنة الصحافة وقيامها بمسؤوليتها تجاه المجتمع. وفيما يلي المعايير الأخلاقية الرئيسية لكليهما:

المعايير الأخلاقية الرئيسية للصحافة التقليدية:

١-الدقة والموضوعية في الخطاب :

ونعني بها التأكد من صحة المعلومات قبل نشرها للجمهور وتقديم الحقائق دون تحيز أو تشويه لهذه الحقائق هذا مضافا الى فصل الأخبار عن الآراء.

٢-الحياد وعدم التحيز إلى فئة ما:

ونقصد به تجنب التحيز السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي.

وتقديم وجهات النظر المختلفة بشكل متوازن وبما يكفل حق المواطن بالاطلاع الأمور كماهي في الواقع.

٣-الشفافية:

وتتمثل في الكشف عن مصادر المعلومات التي يتم تزويد الجمهور بها عندما يكون ذلك ممكنًا لأنه في بعض الأحيان يمكن ان يؤدي الإفصاح عن مصادر المعلومات إلى تعرض المصدر إلى أخطار قد تودي بحياته.

٤-احترام الخصوصية:

ان احترام خصوصية الأفراد وعدم انتهاكها من اهم واجبات التعامل بين الصحفي والجمهور ويجب ان لا تنقض هذه الخصوصيات إلا لضرورة عامة يبيحها القانون والضرورة المجتمعية وبطبيعة الحال يجب تجنب نشر معلومات شخصية دون موافقة أصحابها إما موافقة خطية او شفهية .

٥-المسؤولية الاجتماعية:

ان الالتزام بمعايير المجتمع وقيمه الخاصة والعامة من أعراف وثقافات وقوميات واديان يوجب على الصحفي تجنب نشر مواد قد تسبب ضررا مجتمعيا أو فتنة طائفة .

٦-الاستقلالية:

ونقصد به الحفاظ على استقلالية الصحافة بعيدا عن الضغوط السياسية أو التجارية او العشائرية ، وعدم السماح للمصالح الخارجية بالتأثير على المحتوى الذي يزود به الجمهور .

٧-احترام حقوق الإنسان: لابد من تجنب الخطاب الذي يحض على الكراهية أو التمييز تجنب الخطاب الذي يحض على أي مستوى من الإساءة للجمهور واحترام كرامة الأفراد وحقوقهم.

٨-المساءلة:

ونقصد بها الاعتراف بالأخطاء التي تصدر من الصحيفة والصحفي وتصحيحها بشكل علني وسريع و تحمل المسؤولية كاملة عن المحتوى المنشور.

أما المعايير الأخلاقية لصحافة المواطن فتتمثل في :

١-الدقة:

أي التأكد من صحة المعلومات قبل مشاركتها مع الجمهور تجنب نشر الشائعات أو المعلومات غير المؤكدة.-وهذا امر يكثر في صحافة المواطن .

٢-الشفافية:

وهو الكشف عن هوية الشخص صاحب المعلومة أو المصدر عند مشاركة هذه المعلومات مع الجمهور ليتسنى له التأكد من صحتها و توضيح إذا كانت المشاركة تحتوي على رأي شخصي..

٣-احترام الخصوصية:

وهذا امر وان كان يصعب العمل به لكن لابد منه وهو عدم نشر صور أو معلومات شخصية دون موافقة أصحابها لتجنب انتهاك خصوصية الآخرين.

٤-تحمل المسؤولية: أي انه لابد من التفكير في العواقب المحتملة للمشاركة قبل نشرها لتجنب نشر أي محتوى قد يلحق ضررًا أو يسبب ذعرًا عند الجمهور .

٥-الحياد وعد الانحياز : اذ انه لابد لنجاح العمل الصحفي –صحافة المواطن– من محاولة تقديم المعلومات بشكل موضوعي قدر الإمكان وتجنب التحيز الشخصي في نقل الأحداث للجمهور .

٦-احترام حقوق النشر:

وهو عدم نسخ أو نشر أي مواد محمية بحقوق النشر دون إذن من أصحابها ولابد من الإشارة إلى المصدر الأصلي عند الاقتباس.

٧-التسامح واحترام الآخرين: وفي يهذا الصدد لابد من تجنب الخطاب الذي يحض على الكراهية أو العنف، و احترام آراء الآخرين حتى في حالة الاختلاف بالرأي.

رابعاً: الفروق الرئيسية بين الصحافة التقليدية وصحافة المواطن فتتمثل في :

أ–التدريب والمهنية: الصحافة التقليدية تعتمد بطبيعة الحال على صحفيين مدربين، بينما صحافة المواطن قد يمارسها أي فرد دون تدريب او خبرة .

ب–الرقابة والتحرير: في الصحافة التقليدية تخضع جميع العمليات التي تقوم بها الصحيفة الى التحرير والمراجعة، بينما صحافة المواطن غالبًا ما تكون مباشرة دون رقابة اوتحرير.

ت–المسؤولية القانونية: الصحفيون التقليديون يخضعون للمساءلة القانونية وبصورة أكبر مقارنة بالمواطنين الصحفيين والذين قد لا يكونون على دراية كافية بالقوانين المرعية والمتبعة .

هذه المعايير تساعد في الحفاظ على مصداقية الصحافة بجميع أشكالها، وتضمن أن تكون الوسيلة الإعلامية مسؤولة وموثوقة وبطبيعة الحال لابد من ضرورة وضع معايير لضمان جودة المحتوى المنشور الى الجمهور.

خامسا : الصحافة المواطنية وديمقراطية الإعلام: أن الصحافة المواطنية (أو صحافة المواطن) تلعب دورًا مهمًا في تعزيز ديمقراطية الإعلام، حيث تساهم في إثراء المشهد الإعلامي وتوسيع نطاق المشاركات العامة في صناعة المحتوى الإعلامي. وفيما يلي أبرز الأدوار التي تلعبها الصحافة المواطنية في تعزيز ديمقراطية الإعلام مجتمعيا :

١ . تعزيز التعددية الإعلامية:

تنوع المصادر: ان صحافة المواطن تسمح بظهور مصادر إعلامية جديدة ومتنوعة في ساحة العمل الإعلامي ، مما يقلل من احتكار المعلومات من قبل وسائل الإعلام التقليدية المهيمنة على المشهد الإعلامي على الأقل حاليا .

تعدد الآراء: ثم إنها تتيح مشاركة المواطنين في نقل الأخبار و تقديم وجهات نظر مختلفة قد لا تتمكن من ان تغطيها الوسائل الإعلامية التقليدية.

٢ . تمكين المواطنين إعلاميا واجتماعيا :

المشاركة الفعالة: تمنح المواطنين الفرصة للمشاركة في صناعة المحتوى الإعلامي، مما يعزز شعورهم بالمسؤولية والانتماء للوطن الجغرافي او الثقافي.

إعطاء صوت للفئات المهمشة: أن صحافة المواطن تسمح للفئات التي لا تحظى بتمثيل كافٍ لها في وسائل الإعلام التقليدية أن تعبر عن نفسها وتنقل قضاياها الى الجهات المسؤولة والى بقية الناس .

٣ . تقوم بزيادة الشفافية والمساءلة:

كشف الحقائق: يمكن للمواطنين من خلال صحافة المواطن تسليط الضوء على قضايا قد تتجاهلها وسائل الإعلام التقليدية، مما يساهم في زيادة الشفافية وكشف كثير من موارد الخطا والتعدي على حقوق المواطنين.

مراقبة السلطات: كما ان صحافة المواطن تساعد في مراقبة أعمال الحكومات والشركات وكشف الفساد أو الإساءات التي لا يتسنى للإعلام التقليدي كشفها.

٤ . سرعة نقل المعلومات:

التغطية الفورية: قد يتسنى لصحافة المواطن نقل الأحداث في الوقت الفعلي، خاصة في حالات الكوارث أو الأحداث العاجلة، وهو ما يوفر معلومات سريعة للجمهور.

تتجاوز القيود الجغرافية: ان صحافة المواطن تسمح بتغطية أحداث في مناطق نائية أو مناطق قد لا تغطيها وسائل الإعلام التقليدية خصوصا مع مقيدات العمل من قوانين وأنظمة مخاطبات من اجل استحصال الموافقة على موارد الصرف المالي والحركة وعدمها والنشر وعدمه وغير ذلك ممايعد مقارنة بصحافة المواطن قيود في الحركة والعمل .

٥ . تعزيز الحوار العام مجتمعياً:

منصة للنقاش: ان صحافة المواطن توفر منصات للحوار والنقاش حول القضايا العامة، وهوما يعمل على تعزيز المشاركة الديمقراطية مجتمعيا.

تفاعل الجمهور: ان صحافة المواطن تسمح بتفاعل مباشر بين المواطنين والجمهور، مما يعزز الحوار وتبادل الآراء بينها وبين الجمهور.

٦ . التحديات والرقابة:

تحدي الرقابة: بعض الدول التي تفرض رقابة صارمة على الإعلام وهو مايقيد حركة الصحافة التقليدية ويحد من سلطتها ومنشوراتها يمكن لصحافة المواطن أن تكون وسيلة ناجحة لتجاوز هذه الرقابة ونقل المعلومات بحرية أكبر للجمهور .

نشر الوعي: اصبح واضحا اليوم ان صحافة المواطن باتت تساعد في نشر الوعي حول قضايا حقوق الإنسان والحريات الإعلامية وغيرها من الامور التي تخص المجتمع.

٧. تحسين جودة الإعلام التقليدي:

منافسة إيجابية: ان صحافة المواطن تدفع وسائل الإعلام التقليدية إلى ان تحسن جودة محتواها وتزيد من دقته وموضوعيته.

مصدر للمعلومات: أن تقارير المواطنين الصحفيين يمكن ان مصدرًا مهمًا للمعلومات لوسائل الإعلام التقليدية وسببا لعملها وتطورها.

٨. تعزيز الديمقراطية:

مشاركة أوسع: إنها تساهم في تعزيز الديمقراطية من خلال تشجيع المشاركة العامة في النقاشات السياسية والاجتماعية مجتمعيا.

تمكين المجتمع: ان تعزيز دور المجتمع في مراقبة السلطات واتخاذ القرارات، مما يعزز المبادئ الديمقراطية ويرسخها في المجتمع.

سادساً: التحديات:

صحافة المواطن على الرغم من الفوائد الكبيرة لها ، فإنها تواجه بعض التحديات مثل:

نشر المعلومات المضللة: ان عدم وجود رقابة كافية قد يؤدي إلى نشر معلومات غير دقيقة أو مضللة وهو ما يحدث في كثير من الأحيان.

الأمان والخصوصية: المواطنون الصحفيون قد يتعرضون لخطر انتهاك خصوصيتهم أو تعرضهم للتهديدات من قبل الجهات النافذة حكوميا وتجاريا او حتى المنافسين من الإعلام التقليدي .

نقص التدريب: بسبب قلة الإمكانات قد يفتقر المواطنون الصحفيون إلى التدريب الكافي على أخلاقيات الصحافة ومعاييرها المعمول بها.

لكن بشكل عام نقول ان صحافة المواطن تلعب دورًا حيويًا بارزا في تعزيز ديمقراطية الإعلام من خلال زيادة المشاركة العامة، وتعزيز الشفافية، وتوفير منصات متنوعة للتعبير عن الآراء والقضايا المجتمعية و تعزيز الشفافية والمساءلة و تمثيلها الأصوات المهمشة في المجتمع والتي لا تستطيع الصحافة التقليدية في كثير من الأحيان الوصول اليها واستماع أصواتها او نقلها.

سابعاً: الاستنتاجات

الصحافة المواطنية قامت بإعادة تعريف دور الجمهور في صناعة الأخبار صناعة ونقلا من والى الجمهور وهذ الأمر اثبت لها إمكانات وخصوصيات وجدارة لها وبين ان لها إيجابيات كبيرة مثل السرعة وتنوع الآراء، لكن هذه الإمكانات والإيجابيات لا تمنع انها تواجه تحديات تتعلق بمسائل مثل بالمصداقية والتحيز لا نها أولا وآخر إعلام شخصي يمثل وجهة نظر صاحبه وهو صاحب الضابطة والحاكم فيه.

التوصيات:

إن البحث بعد ان يؤكد أهمية هذا النمط من الإعلام والذي اصبح ظاهرة حقيقية معاشه يراها ويسمعها ويلمس نتاجها الجمهور على اختلاف مشاربه الثقافية والقومية والدينية فإنه يوصي بالأمور التالية :

١–ضرورة وضع معايير أخلاقية لممارسة الصحافة المواطنية أسوة بإختها الصحافة التقليدية ليتسنى للمتعاملين معها ان يتعاملون وهو آمنون على أسرارهم وخصوصياتهم

٢–ضرورة تعزيز التعاون بين الإعلام التقليدي والمواطنين الصحفيين من خلال العمل النقابي وإيجاد فضاء قانوني

وثقافي للعمل المشترك وليكون معززا لعمل الاثنين وتطورهم واستفادتهم من بعضهم البعض.
٣–الزام الحكومات والجهات ونقابات الصحفيين المواطنين الصحفيين بدخول دورات تطوير للمحتوى وكيفية إدارة العمل الصحفي على الوجه الأتم والأكمل.
٤–تقنين القوانين الملزمة في هذا العمل الحر –صحافة المواطن–حتى ينضبط بضوابط تجعل العمل معه وضحا وميسرا وقانونيا.

الهوامش:

١–مانغويل البرتو:الفضول ص٩
٢–ويكيبيديا العربي ،مادة صحافة
٣–المصدر السابق
٤–ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki–مادة –صحافة المواطن
٥–مدخل الى الإعلام الجديد:الدكتور عبدالله الزلب–ص ١٠٢–١٠٣،موقع: https://mail.almerja.com/reading.php?idm=٢٠٠٨٦٢
٦–٣com.https://mawdoo مفهوم صحافة المواطن.
٧–https://ar.wikipedia.org/مادة–صحافة المواطن
٨–ينظرويكيبيديا العربي مادة صحافة –A%AD%D٨%D٨%B٥%https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨A٩%D٨%٨١%D٩%٧
٩–هو اعلام المواطنين بالقرارات الكنسية في شؤون الحياة والمجتمع .
١٠–ينظرالمصدر السابق
١١–هي حركة ادبية شعرية يعود الفضل في تأسيسها لـ(نورمان هدن) بدأت كورشة أدبية ثم ما لبثت ان انتشروا يكتبون شعرهم في محطات انفاق القطارات والشوارع ..حتى اصبحت اليوم واقع حال في الأدب .ينظر: الموسوعة الصغير –حركة الانفاق في الشعر الإنكليزي المعاصر ،ياسين طه حافظ.
١٢–حركة (الانفاق)في الشعر الانكليزي المعاصر. المقدمة
١٣–ينظر: مادة تاريخ الصحافة،صحافة المواطن . https://ar.wikipedia.org/wiki ،وكذلك :https://iujournalists.org/es/News/citizen-journalism
١٤– فلو، تيري. ٢٠٠٥ . وسائل الإعلام الجديدة: المقدمة . ساوث ملبورن، فيكتوريا؛ نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.
١٥–:انظر: «الانفاق»في الشعر الانكليزي المعاصر:ياسين طه حافظ ص١١–١٣
١٦– اتجاه الصحف للاعتماد على صحافة المواطن: مبروك بن زغير
١٧–ينظر: https://www.aljazeera.net/culture مقال –بعنوان : الدولة العميقة ومقايضة الحرية بالتطور التكنولوجي.. نبوءات ألدوس هكسلي في «عالم جديد شجاع»
١٨–ينظر: علم الفضول».. ما الذي يقوله علماء الأعصاب عن السلوك الذي يميز العباقرة ومهاويس الإنترنت على حد سواء؟،موقع الجزيرة على النت – https://www.aljazeera.net/

المصادر:

القرآن الكريم.
١–أبو العينين، حمدي حسن. (٢٠٠٣–٢٠٠٤). عولمة الأنشطة الإعلامية: قضايا وآراء. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. طبعة خاصة صادرة عن مجلس النشر العلمي، الكويت.
٢–بن زغير، مبارك. اتجاه الصحف للاعتماد على صحافة المواطن. موقع معهد الجزيرة للإعلام: https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/٢٥٥.
٣–حافظ، ياسين طه. (١٩٩٠). حركة «الأنفاق» في الشعر الإنجليزي المعاصر. إصدارات الموسوعة الصغيرة، بغداد، العراق.
٤–الزلب، عبدالله. مدخل إلى الإعلام الجديد. نسخة إلكترونية. موقع: https://mail.almerja.com/archive.php?fid=١٠٠٠٠٢٧٧.
٥–مانغويل، ألبرتو. (٢٠١٧). الفضول. الطبعة الأولى. دار الساقي، بيروت، لبنان.
٦–فلوتيري. (٢٠٠٥). وسائل الإعلام. الطبعة الأولى. ساوث ملبورن، فيكتوريا: مطبعة جامعة أكسفورد.
٧–موقع الجزيرة الثقافية. https://www.aljazeera.net/cultur e.
٨–موقع الجزيرة نت. https://www.aljazeera.net.
٩–موقع موضوع: مفهوم الصحافة.
١٠–ويكيبيديا العربية. المواد التالية: الصحافة، تاريخ الصحافة، صحافة المواطن.

Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٧)
السنة الثالثة ذو القعدة ١٤٤٦هـ آيار ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb